أدب الأطفال

فلسفته، فنونه، وسائطه

بقلـــم

هادي نعمان الهيتي

الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة
بالاشتراك مع
دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد

الألف كتاب (الثانى) ٣٠

أدب الأطفال

فلسفته، فنونه، وسائطه

مقدمة

مع اننا نحمل للطفولة حنانا ومودة لاحدود لهما ، ويحلو لنا ان نسبغ عليها اجمل النعوت ، الا اننا لم نلب لها الا بعضا من حاجاتها • ولا يعود ذلك الى تلكؤ منا بقدر ما يعود الى جهلنا بكثير من تلك الحاجات ، وخاصة ، تلك التي تتمثل في الجوانب النفسية والفنية والاجتماعية ، ويرافق ذلك جهل باساليب وفنون اشباعها •

ويؤلف أدب الاطفال اداة فنية من ادوات تنشئة الطفولة ، التي تعتبر ركيزة المستقبل ، لانه يسهم في بناء شخصيتها التي تقوم عليها في الغد شخصية المجتمع الجديد •

ورغم الاهمية التي يحتلها ادب الاطفال في بناء الطفولة ، الا ان ادبا عربيا للاطفال لم يتبلور بعد • يضاف الى ذلك ان بحوثا في هذا الميدان لم تجر حتى اليوم ، في الوقت الذي تتلاحق فيه البحوث والدراسات عن الاطفال وآدابهم في بلدان العالم المتقدمة ، بل ادخل ادب الاطفال ، كمادة منهجية في كثير من كليات الاعلام والاداب ومعاهد التربية واعداد المعلمين ، لا في البلدان المتقدمة وحدها ، بل في كثير من بلدان العالم النامية ايضا •

وهذه الدراسة التي اضعها بين يدي القارىء ، هي ثمـــرة جهد طويل مضن ، وممارسة فنية في ميدان الكتابة للاطفال بدأت منذ خمسة عشر عاما •

وقد قسممت هذه الدراسة الى اربعة ابواب ، وقســـمت كـل باب الى عدد من الفصول :

تناولت في الباب الاول جمهــور ادب الاطفال من حيث خصــائصــه واســـتجاباته للاشـكال والمضامين الادبية ، وتناولت في الباب الثـاني ادب الاطفال تعريفا ، ونشأة ، وتناولت في الباب الثالث فنون ادب الاطفـــال ، وتناولت في الباب الأخير وسائط الاطفال الى ادبهم وخصائص كل وسيط •

ومع هذا لابد لي ان اقول ـ مستعيرا عبارة العماد الاصفهاني : « انني رأيت انه لا يكتب احد كتابا في يومه الا قال في غده : لو غير هـذا لكـان احسن ، ولو زيد هذا لكان يستحسن ، ولو ترك هذا لكان اجمل ، وهذا من اعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر » •

وهذه الدراسة لا تهم كتاب الاطفال وادباءهــــم فقط ، بل تهم ـ كما يبدو لي ـ كل اب وكل ام وكل معلم ، وكل من يرتبط بالطفولة بأي رباط •

ورغم ما لاقيت من معاناة خلال سنوات وضع هذه الدراسة ، الا انني سعيد بها اليوم ، لانني حملت مجذافا وضربت به المياه الراكدة •

عسى ان تفتح هذه الدراسة الباب على مصراعيه لمزيد من الدراســـات والبحوث في هذا المجال •

هادي نعمان الهيتي
١٩٧٧

الباب الأول

جمهور الأطفال

الفصل الاول

مدلول جمهور الاطفال

قد يكون من اليسير ان تتعرف الى شخصية انسان راشد ، ونقف عند كثير من ميوله واتجاهاته وعواطفه وآرائه ، من خلال لقاءاتنا معه ، او استماعنا الى احاديثه ، او قراءاتنا لما يكتب ، اذا لم يكن ذلك الراشد في مكره ، كالثعالب ولكننا نقف عاجزين عن التعرف الى شخصية الطفل، بصورة واضحة، بل حتى الاباء يقفون حيارى ازاء اطفالهم ، وكثيرا ما يخرجون باستنتاجات خاطئة كليا ، وفي موقع قريب من هؤلاء يقف علماء النفس احيانا .

ترى ، ما الذى يجعل شخصيات الاطفال اسرارا مستغلقة أمام الكبار ؟!

اننا نجد صعوبة بالغة في اقامة حوار مع الاطفال لانهم قليلو الصبر ، كثيرو التقلب ، حيث تتغير كثير من ميولهم بتغير مشاهداتهم وملاحظاتهم . وحتى لو تهيأ لنا اقامة ذلك الحوار ، فان الاطفال يفهمون بعض كلماتنا بغير ما نعني بها ، فتأتي اجاباتهم من وحي مدلولات تلك الكلمات بالنسبة اليهم ، فنهز رؤوسنا وكأننا وقفنا عندما يعنون .

والاطفال ، رغم انهم نقاد لاذعون ، الا انهم لا يتمتعون بملكة النقد الموضوعي ، فهم يصدرون في ردودهم الاحكام المطلقة ، كأن ينسفون امرا من اعماقه او يتقبلونه حتى لو تضمن الف علة وعلة ، وهم حين يثقون بنا فأنهم يصدقون كل ما نقوله لهم ، وكأننا نأتي بكلام منزل .

ويلاحظ ان الاطفال يقصون وقائع وحوادث لم يسبق لهم ان سمعوا بها او شاهدوها ، لذا يقال عنهم : انهم كذابون . ولكن هذا الكذب لا يشكل انحرافا سلوكيا ، انه لون اخر من الكذب يسميه علما النفس الكذب الخيالي او الالتباسي حيث يتصور الاطفال الصغار حوادث ووقائع في يقظتهم على شكل احلام ، فيلتبس عليهم التفريق بين الحلم والحقيقة ، كما ان لخيالاتهم سعة تستوعب الافاضة في افتعال القصص ، انهم ادباء ، وهل نلوم الاديب حين يكتب قصة لم تقع حوادثها على مسرح الواقع !

والاطفال يحاولون دوما التشبه بالكبار وترديد كلماتهم وعباراتهم وحركاتهم ، وهم من جانب اخر يجاملون ، حين تحلو لهم المجاملة ، او يقاومون مقاومة عنيدة .

انهم بهذا كله ، يضيعون علينا فرصا كثيرة في اكتشافنا لهم ، حتى ذهب البعض ـ يائسين ـ الى القول : « ان الحصول على معلومات صحيحة من الاطفال هو امر مستحيل » . واستنادا الى ذلك رفضت المحاكم ان يقف الاطفال امامها شهودا ، مع انها ارتضت لهم ان يقفوا في اقفاص الاتهام !

يقول الكاتب الفرنسي فيليب بوشار :

يكاد يستحيل ، في الوقت الحاضر ، الحصول على اية معلومات حتى عن طبيعة المؤثرات التي تؤثر في الطفل ، وكيفية تاثيرها فيه . وقد درس الاطباء المختصون في علم الاجرام سلوك الاطفال الشواذ والمجرمين من الاحداث ، ولكن دراساتهم هذه لا تنطبق على الطفل السوي الذي لم يكن موضوع فحص علمي منظم ـ باستثناء بعض الحالات النادرة ـ .

وقد بذلت بعض المحاولات لفهم سلوك الاطفال واستجاباتهم عن طريق فحص وتحليل الرسائل التي يكتبونها الى الصحف ومحطات الاذاعة ، في المسابقات ، او عندما يطلب اليهم ذلك مباشرة ، ولكن الاطفال لا يكرهون الكتابة فحسب ، بل هم يكرهون الأدلاء بارائهم بصراحة اذا طلب اليهم ذلك • ولم يكن محررو صحف الاطفال باكثر حظا من مخرجي الافلام والبرامج الاذاعية في استخلاص اي درس نافع من تلك الرسائل في الحصول على ارشاد منها (١) •

والى عهد قريب ، كان اهتمام المشتغلين بعلم نفس الطفولة قائما ـ الى حد كبير ـ على دراسات وملاحظات فردية ، تخضع لعوامل التجريب المختلفة ، اما في المختبر ، واما في صفوف الدراسة ، واما في المنزل ، وكانت معظم التجارب تجري في جو صناعي بعيد عن المواقف الاجتماعية المختلفة التي يتفاعل فيها الطفل تفاعلا طبيعيا تلقائيا • ومعنى هذا ان امثال تلك الدراسات الاكاديمية الصرفة ، لم تكن مستمدة من حياة الطفل التي يمكن ملاحظتها في ميدان واسع ، هو ميدان الحياة ذاتها (٢) •

ومع كل هذه الحجب بيننا وبين الطفولة ، فان هناك دلالات اكيدة تفصح عن كثير من أهواء الاطفال وميولهم العارمة نحو المعرفة واكتشاف العالم •

وفي بحر هذه الحجب وخضم هذا الضباب يغامر ادباء الاطفال من اجل الوصول الى : جمهور الاطفال •

وجمهور الاطفال ، ظاهرة حديثة ، نسبيا • لانه حتى وقت قصير لم يكن للاطفال ادب خاص بهم ، كما لم تكن لهم مدارس كافية ، ونواد ومكتبات ومعسكرات ، فكان ان ظلت قطاعات عريضة من الطفولة يتيمة الثقافة ، ووجدت قطاعات اخرى اذهانها وهي تقتات على موائد الكبار ، وفي كلا الحالين طعن للطفولة في الخاصرة •

وجمهور الاطفال ، بالتحديد ، هم اولئك الاطفال الذين لم يتجاوزوا السادسة عشرة من اعمارهم ، والذين يتهيأ لهم ان يلعبوا ويغنوا ويستمعوا الى الموسيقي والبرامج ، ويشاهدوا السينما والتلفزيون ، ويقرأوا الكتب والمجلات ، وتجمعهم المدارس والاندية والساحات والمكتبات والمعسكرات ٠

وظهور جمهور الاطفال ، باعتبارهم قطاعا يحمل ميولا واتجاهات وصفات متميزة ، هو حصيلة طبيعية لظهور هذه الوسائل الحديثة في الاتصال بهم ٠

ومثل هذا الجمهور ، لم يتبلور بعد ، في كثير من بلدان العالم النامية ، بسبب النقص المريع في وسائل ثقافة الطفل فيها ٠ وهذه الظاهرة التي تعاني منها بلدان العالم الثالث ــ بشكل خاص ــ تشكل واحدة من المعالم الداكنة التي تزيد الهوة الثقافية والحضارية بينها وبين البلدان المتقدمة، كما انها واحدة من المعوقات في سبيل نمو هذه البلدان ، حيث يعني ضعف الاطفال ضعفا في فاعلية المجتمع نفسه ٠

وبوجه عام فان جمهور الاطفال في تزايد مستمر ، ويقدر الخبراء نسبة الاطفال الذين تمكنهم ظروفهم من تتبع وسائل الثقافة بانتظام باقل من نصف مجموعهم حتى في اكثر الاقطار اهتماما بوسائل ثقافة الطفل ٠

ويشكل الاطفال نحو ثلث عدد السكان تقريبا ، وهي نسبة عالية ، بلا شك ، ولكن مصدر اهميتها لا تكمن في كثرتها العددية بقدر ما تكمن في اثرها في تعزيز مستقبل الحياة ، ذلك ان قوة الامة وامكاناتها تتوفر بقدر ما تهيء لكل طفل من مجالات وفرص من اجل تنمية قدراته ومهاراته ومواهبه ، وبالتالي ، تهيئة للقيام بدوره فيما بعد ٠ ان الطفولة طاقة كامنة ، لا يمكن لها ان تنطلق من عقالها كافيا الا اذا عملنا على تفتحها ٠

اختلاف الاطفال

حسب مراحل العمر

الطفولة البشرية اطول بكثير مُن مرحلة طفولة اي كائن حي اخـــر ، والرضيع البشري اكثر اعتمادا على الاخرين من صغار الحيوانات الاخـــرى جميعا والطفل لا يعتمد على غرائز فطرية في سلوكه كما هو الحال في بعضـــ الحيوانات ـ بل هو قابل للتعلم •

ويمكن القول أن المؤشرات والدلالات والخصائص التي يتميز بهـــا الاطفال ، هي ظواهر غير قاطعة الصحة ، ومع ان الطفولة تشكل عالما قائمـا بذاته ، الا ان ما يصدق على الاطفال في عمر معين لا يصدق على اطفال اخرين في عمر اخر •• ومن هنا قسمت الطفولة البشرية الى مراحل ، واستتبع ذلك تقسيم ثقافـــة الطفل وفقا لذلك ، لأن ما يصح ان يقال للاطفال وهم في الرابعة لا يصح ان يقال لاخرين في التاسعة ، وسنجد ـ فيما بعد ـ ان للاطفال الصغار الذين لم يبلغوا السادسة صحفا وكتبا وبرامج وافلاما ومسرحيات خاصة بهم ، كما نجد لاولئك الذين تجاوزوا هذا العمل ألوانا اخرى من الثقافة •

ويعود ذلك الى ان للطفل حاجات بيولوجية ونفسية مختلفة ، وهذه الحاجات تختلف من عمر لاخر ، وان لكل مرحلة من مراحل نمو الطفـــل خصائص معينة ، فما يعتبر سلوكا سويا لطفل في الثالثة قد يعد سلوكا شاذا لاخر في التاسعة ، وما يبعث الخوف والقلق في نفســ طفل في الرابعـة او الخامسة قد يثير السرور والسعادة في نفس اخر في العاشرة ، وهذا يعني ان هناك تباينا بين شخصيات الاطفال في مستويات العمر المختلفة ، مبعثه : تدرج النمو الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي واللغوي لدى الاطفال •

وعليه ، لابد ان يتوافق الغذاء الادبي المقدم للطفل مع مستوى النمو « وتنحصر المشكلة التربوية في ايجاد المعارف الملائمـة لكل مرحلـــة ، وفي تقديمها بصورة قابلة للتمثيل » (٣) واية عملية تربوية لا تراعــي الشـــروط

النمائية السائدة في مرحلة معينة وما تتطلبه هذه الشروط من عوامل تساعد الناشئة على اكتساب المهارات والعادات السلوكية بانواعها المختلفة المناسبة لكل مرحلة ، لا تحقق الاهداف المرجوة منها • لذا تعتبر مناقشة مطالب النمو على درجة كبيرة من الاهمية بالنسبة الى دارسي علم النفس التربوي(٤) والطفل ليس عجينة نسويها كما نشاء وفي اي وقت نشاء •

يقول تشيخوف ان عمه حاول يوما ان يعلم هرة صغيرة ، في عمر مبكر ، صيد الفئران ، فاحضر فأرا الى الغرفة ، حيث تحيا الهرة ، ولكن الهرة الصغيرة لم تلتفت الى وجود الفأر ، وقد باءت كل محاولات العم بالفشل ، حيث تتقدم الهرة خطوة واحدة نحو الفأر• وحين كبرت الهرة كبر معهاالخوف من الفأر « لقد اخفق عمي في تربية الهرة لانه دعاها الى الصيد قبل الاوان باسلوب جبري ، قسري ، افقدها الشجاعة •• لقد كان لي شرف تعلم اللاتينية على يد عمي الجاهل ، وعلى صعيد تربيته الرعناء تخرجت كارها اللغة، وكارها عمي ، وكارها الطرق الجبرية القسرية » (٥)

وقد دلت الدراسات النفسية على ان الاطفال يحاولون التهرب من الاعمال التي تعلو عن مستواهم ، بينما نجدهم يثابرون على العمل اذا شعروا بقدرتهم على النجاح ، والمواد التعليمية التي تناسب الاطفال ، ويكون لها معنى في اذهانهم ، تساعد على تنمية معلوماتهم وزيادة خبراتهم ، وتحقق الكثير من الاهداف التي من اهمها : إحداث نمو وتطوير في شخصيات الاطفال في الاتجاه الاجتماعي المرغوب فيه (٦)

وهذا يعني اننا لا نستطيع ان نتعجل الزمن ، او نجعل الطفل يخطو خطوة تالية في نموه قبل اوانها وقبل ان يكون مهيأ لها ، اي اننا لا نستطيع ان نرغم الطفل على ان يتعدى حدود استطاعته في النمو ، ولكننا نستطيع معاونته للوصول الى اقصى حد تستطيعه قدراته ، وكل محاولة لاستباق الزمن

في النمو لا تؤدي الى وقف النمو حسب ، بل قد تؤدي الى تأخيره وعرقلته[٧] . لذا ، فان من اكبر الاخطاء : التبكير بتوجيه الطفل قبل الموعد المناسب ، او تأخير توجيهه الى ما بعد فوات الفرصة الملائمة ، وخطأ اخر هو الخطأ في طريقة التوجيه نفسها[٨] .

وعليه فان الاطفال لا يشكلون جمهورا متجانسا في ميوله وعواطفه ورغباته وحاجاته ودوافعه ، اذ هم يتفاوتون في ذلك تفاوتا كبيرا حسب مراحل النمو الجسمي والعقلي والنفسي واللغوي والاجتماعي ، وتغلب على كل مرحلة من مراحل النمو خصائص معينة ، وهذه الخصائص تحدد كثيرا من المؤشرات لادب الاطفال ، حيث يضعها اديب الاطفال في اعتباره عند التفكير فيما يقدم للاطفال من الوان ادبية ، اذ لابد ان يتفق ما يقدم للاطفال من الوان ادبية ـ شكلا ومضمونا واسلوبا ـ في كل مرحلة ، مع خصائص الاطفال فيها في كل مجال من مجالات النمو . ولكن ايجاد التوافق التام بين ما يقدم للاطفال وبين خصائص مراحل الطفولة واستعداداتها واحتياجاتها امر يكاد ان يكون عسيرا الى حد كبير بسبب تداخل مراحل النمو واختلاف الاراء بشأن تحديدها ولما بين الاطفال من فروق فردية ، كما ان الاجهزة التي تتولى تقديم الثقافة لجمهور الاطفال لا تستطيع ان تضمن وصول مادة معينة للطفولة المبكرة وحدها مثلا دون ان تستقبلها الطفولة المتأخرة ، وبالعكس .

يقول ونيفريد وارد في كتابه عن مسرح الاطفال :

« ان تفاوت السن بين المتفرجين في مسرح الاطفال ـ مثلا ـ يسبب اعظم المشاكل فيما يتعلق باختيار المسرحيات ، فما يقبله الاطفال في سن الخامسة يبدو تافها بالنسبة الى الاطفال في سن الحادية عشرة ، وما يهز مشاعر هؤلاء الاطفال يثير فزع الاطفال في الخامسة ، واختيار مسرحية تناسب الفئتين يتطلب تعديلا في نص المسرحية وفي اخراجها . والتشويق ـ وهو عنصر مهم لدى طفل في العاشرة ـ غالبا ما لا تطيقه طفلة في السادسة .

فالاطفال الصغار في سن الواقعية (٣ ـ ٦ سنوات) تشغلهم امور الحاضر عن الاهتمام باشياء مجهولة كالعفريتة الام ، والامراء الضفادع، والعفريت الطيب ، في حين يحتقر الاطفال في السادسة والثامنة الامور المألوفة، ويتطلعون الى كل ما هو غريب وخيالي ، بينما يعوّد الاطفال الكبار الى الواقعية ويتعطشون الى الابطال اصحاب المغامرات المثيرة[٩] .

الفصل الثاني

الأدب ومراحل الطفولة

بسبب اختلاف حاجات وميول ودوافع الاطفال في مراحل نموهم المختلفة ، اقتضى الامر تقنين الادب المقدم لهم ، بحيث يتواءم في شكله ومضمونه مع تلك الظواهر في كل مرحلة .

ولكي نصل الى تحديد ذلك ينبغي ان نحدد مواصفات تلك المراحل وخصائص الاطفال خلالها .

وسيلاحظ القارىء ، اننا بدأنا تقسيمنا بالمرحلة المبتدئة بالسنة الثالثة من اعمار الاطفال ، ويعود ذلك الى ان الاطفال قبل هذا العمر غير قادرين على تلقي ادب الاطفال من خلال الوسائط التي سوف تتناولها فيما بعد ، يضاف الى ذلك ان الطفل يمر في الثالثة بتحول مهم ، وهو ما يسمى بازمة الشخصية الاولى ، حيث يدرك فيها الطفل ، ان له ذاتا مستقلة عن ذوات الاخرين ؛ اى ان شخصيته تظهر الى الوجود بعد ان كان لا يحسب لذاته شخصية مستقلة

عن الاخرين وعن البيئة ، واساس سلوكه خلال السنوات الثلاث الاولى من حياته هو استكمال قدرات النضج الحركية وتطوير الوظائف العقلية .

وعلى هذا فان تقسيماتنا التالية لا تشكل تقسيما لحياة الطفولة بقدر ما تؤلف تصنيفا لاشكال ومضامين ادب الاطفال خلال كل مرحلة .

ورغم وجود حدود بين كل مرحلة من مراحل الطفولة ، الا ان هذه الحدود ليست فاصلة ، حيث تتداخل فيما بينها الى حد كبير . ولكن الاطفال جميعا يمرون فيها بتتابع .

اما هذه المراحل فهي :

١ ـ مرحلة الواقعية والخيال المحدود

وتشمل الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين ثلاث الى خمس سنوات .

٢ ـ مرحلة الخيال المنطلق .

وتشمل الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين ست الى ثماني سنوات .

٣ ـ مرحلة البطولة .

وتشمل الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين ثماني او تسع سنوات الى اثنتي عشرة سنة .

٤ ـ المرحلة المثالية .

وتشمل الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين اثنتي عشرة سنة الى خمس عشرة سنة .

المبحث الاول

مرحلة الواقعية والخيال المحدود

«٣ ـ ٥ سنوات»

لكي نستطيع ان نقدم للاطفال في هذه المرحلة ادبا يعينهم على تعرفهم الى المحيط الذى يعيشون فيـه ، ويساعدهم في نموهـم العقلـي والاجتماعي والعاطفي ، لابد ان نكون على بينة من السمات الاساسية التي يتميزون بها وهم في هذه المرحلة من اطوار حياتهم ٠

عالم الطفل ، في هذه المرحلة ، هو عالم ضيق ؛ انه الام والاب والاخوة وبعض معارفه من الجيران ، والاقارب ، والباعة الذين يتجولون في محيطه ، والدمى التي يلهو بها ، والملابس التي يرتديها ، والطعام الذى يأكله ، والبيت الذي يعيش فيه ، والحيوانات الاليفة التي تحيا قريبا منه ، اضافة الى ما يحيط به من مؤثرات جوية وظواهر طبيعية كالبرد والحر والضوء والظلام وما الى ذلك ٠

ويتأثر الطفل بعناصر عالمه هذا مستجيبا لتأثيراتها المختلفة ، وهو يحاول باستمرار اكتشاف موقعه من هذا العالم ، ويستخدم حواسه من اجل ذلك ؛ وشغله الشاغل هو الكشف عن البيئة المحدودة المحيطة به .

ولهذه المرحلة خطورتها الكبيرة ، فالسنوات التي تسبق السادسة من عمر الطفل من اهم مراحل تكوين شخصية الانسان ، وهي اهم بكثير من المرحلة التي يمضيها الطفل في المدرسة الابتدائية ، اذ تتكون في هذه المرحلة الاتجاهات الرئيسة لشخصية الطفل ، فيتعلم العادات الخاصة بالتغذية والنظافة والعادات المرتبطة بالجنس ، كما يتعلم المهارات والاتجاهات العقلية والاجتماعية .

ومعروف ان حياة الطفل تبدأ بعلاقات بيولوجية اساسية تربطه بالام التي هي اهم عناصر بيئته الاولى ، ولكن سرعان ما تتطور هذه العلاقات الى علاقات نفسية ، تحقق للطفل حاجته الى الشعور بالدفء العاطفي والشعور بالامن والطمأنينة ، والشعور بالتقدير ، فينمو شعوره بذاته ..

وتؤكد جميع الابحاث العلمية ان الطفل يمر في طفولته هذه بعملية تربوية لها من الاثار ما يفوق اي عملية تربوية في اي فترة لا حقة من حياته .

ويقول « وطسن » زعيم المدرسة السلوكية : انه بعد دراسة مئات عديدة من الاطفال توصلنا الى رأينا الذي يؤكد على انه بامكاننا ان نقوي شخصية الطفل او نحطمها قبل ان يتجاوز السنة الخامسة من عمره (١١) .

اما التربوي السوفيتي ا . س . مكارينكو ، فيقول :

« ان السنوات الخمس الاولى في حياة الطفل هي الفترة التي تستقر فيها اسس التربية الاولى ، فكل ما يفعله الوالدان في هذه الفترة يمثل تسعين بالمئة من عملية التربية ، ولئن كانت عملية التربية وتكوين الشخصية تستمر بعد هذه الفترة فان معظم ما يجنيه المربي فيما بعد هو ثمار لازهار تفتحت في تلك السنوات » (١٢)

ويميل الطفل ، في الغالب ، في هذه الفترة ، الى اللعب الانعزالي إذ يلعب مع الاطفال الاخرين في جماعات صغيرة دون تمييز واضح بين البنات والبنين. ويكون الاولاد اكثر ميلا للعدوان والحركة بينما تكون البنات اكثر هدوء .[١٣] الا ان الطفل بوجه عام يكون اميل الى التركيز على ذاته رغم ما يبذله من جهود لدعوة الاخرين لمشاركته في اللعب .وتركيزه على ذاته يعود الى انه اصبح اكثر وعيا بها .

ويلاحظ ان الطفل ، في هذه المرحلة ، كثيرا ما يدعو من هم اكبر منه عمرا للعب معه ، كأن يدعو امه او اباه او اخاه . بل هو يتعلق بالاشخاص الكبار ويرتبط معهم بروح من المودة المتبادلة وهو حتى وان انجذب نحو زملائه الصغار الا انه سرعان ما يعود الى الكبار ، بسبب اعتماده عليهم اجتماعيا وجسميا الى حد ما .

ولكنه ، من جانب اخر ، يبدأ بالاعتماد على نفسه في تدبير كثير من شؤونه الخاصة واصدار الاحكام المستقلة في بعض ما يقوم به من اعمال .. فتطوره العقلي يفتح امام ناظريه عوالم وافاقا جديدة ، ويتمثل النمو العقلي ايضا في اكتسابه مفردات لغوية جديدة ، وحصوله على معلومات كثيرة عن طريق اثارته الاسئلة المتزايدة ليغذي رغبته العارمة في الاستطلاع ، ولهذا السبب نجد الطفل بين الثالثة والسادسة من عمره يضيف حوالي ٥٠٠ ـ ٦٠٠ كلمة سنويا الى المفردات التي يعرفها ، وليس هذا بغريب على الطفل الذي لا يستقر له قرار دون التعبير عن خلجاته ، والذى يثير يوميا نحو ٣٠٠ سؤال على الاقل ، عن الشؤون المتعلقة بالبيئة التي يعيش فيها[١٤] .

ان الطفل ، شعورا منه بذاتيته ، يجد نفسه في دنيا ما يزال يجهل الكثير عنها ، فيبدأ بتساؤلاته .. من هذا ؟ ما هذا ؟ ومن اين هذا ؟ وتتزايد اسئلة بمرور الايام ، وهي تعطي الدلالة على تعطشه في هذه المرحلة الى المعرفة ، وشدة فضوله ، وحيرته ، وحيويته ، وفاعليته في التجاوب مع كل ما يحيط به.

فتراه يتساءل عن اسماء الناس والاشياء ، واسباب الظواهر ، وقد تكون تساؤلاته في كثير من الاحيان تعبيرا عن الخوف والقلق .

ان الطفل ، يبحث دائما ـ في هذه الفترة ـ لا كتشاف عالمه ، والوقوف على خفاياه .وحين يقع بين يديه شيء جديد ، يتطلع اليه ، ويهزه ، ويلويه ، ويقلبه على وجهه وقفاه ، وهو بعد ذلك يحاول ان يفتحه ليتعرف على ما في داخله

ان الاطفال في اسئلتهم واستطلاعاتهم يجرون تجارب على الاشياء والكلمات والافكار في محاولة دائمة لاكتشاف معان جديدة .

وتشكل دوافع هذه الاسئلة الممثلة في حب الاستطلاع ، والتجاوب مع مختلف الظواهر ، وسائل قوية لتطوير خبرات الطفل وبلورة شخصيته وتنميته عقليا واجتماعيا وعاطفيا .

والاجابة عن اسئلة الاطفال ذات تأثير كبير فيهم وعندما تكون اجاباتنا متفقة مع اسس التربية ، يكون نموهم سويا ، ويكون تكيفهم الاجتماعي سليما ، لاننا بذلك نشبع فضولهم الى المعرفة ، ونحد من حيرتهم وسط هذا العالم الذي يحسون فيه بكثير من الغربة ، ونخفف من توترهم وقلقهم .

وعلى هذا فمن الخطأ الكبير التهرب من الرد على اسئلة الاطفال او التبرم منها ، او الاكتفاء باجابات مبهمة او بعيدة كل البعد عن الواقع اذ لابد من تقديم الأجابات بصبر واناة ورحابة صدر ، وبساطة ، تتناسب ومدى نمو الاطفال عقليا ونفسيا ولغويا . والملاحظ ان جل الامهات والاباء يعجزون عن ذلك .

★★★

في هذه المرحلة يكون خيال الطفل حادا ، ولكنه محدود في اطار البيئة التي يحيا فيها ، كما يكون ايهاميا فالطفل يتصور العصا حصانا فيمسك بها

ويضعها بين ساقيه ويجري بسرعة متوهما انه فارس من الفرسان ، ويتصور غطاء القدر مقود سيارة يلف به ذات اليمين وذات الشمال متوهما انه سائق ، ويتصور الدمية كائنا حيا يحدثها برفق ونعومة او يغضب منها فيطلق عليها سهام السب والشتيمة .. ومثل هذه الممارسات التي يقوم بها الطفل تسمى باللعب الايهامي . ويذهب علماء النفس الى القول : ان للايهام وظيفة مهمة في نمو الطفل لانه وسيلته الى تنظيم الكثير من نشاطاته ، واساس لممارسته مهاراته الحركية ، وسبيله الى اتصالاته الاجتماعية ومشروعاته الجماعية ، وطريقة الى تنشيط تفكيره وفعالياته بدلا من ان تظل خاملة .

ولدراسة المحتويات او العناصر التي يتكون منها خيال الاطفال في سن ما قبل المدرسة قامت ابحاث عديدة تناولت احلام الاطفال ورغباتهم . ومن هذه الابحاث ما قام به ف . ماركي ، حيث استدل منه على ان متوسط ما يقوم به الطفل في سن ٣٠ شهرا من مواقف خيالية هو بمعدل ستة مواقف ونصف في كل مئة وخمسين دقيقة ، وفي سن الثالثة والنصف تزداد هذه المواقف فتبلغ ستة وعشرين موقفا خياليا في مثل المدة المذكورة [١٥] .

وفي هذه المرحلة يشتد ميل الطفل الى المحاكاة والتقليد والتمثيل ، فيمثل القصص التي يسمعها ، والناس الذين يستغرب اعمالهم واشكالهم او يستملها ، بما يمثل في محاكاته كل ما يرى ويسمع[١٦] حتى قيل ان الاطفال في هذه الفترة يفكرون بايديهم وارجلهم اكثر مما يفكرون بعقولهم ، وان حواسهم دائما بين ايديهم ، وهذا يستدعي دفع الاطفال الى التمثيل والخطابة والرياضة واللعب وتنمية هوياتهم الحركية .

وتسمى هذه المرحلة من مراحل نمو الاطفال بمرحلة (اللعب) احيانا ، حيث يكون الطفل كثير الحركة والنشاط ، وهو يجري وراء كل شيء ، ويلعب بكل شيء . وقد عنيت التربية الحديثة بمسألة اللعب هذه فاستخدمتها وسيلة من وسائلها في تربية وتعليم الاطفال ..

وزيادة نشاط الطفل في هـذه المرحلة يعـود الى ازدياد امكانياتـه البدنية اذ ان مرحلة ما قبل المدرسة تتميز بالنمو البدني السريع ، وتكـون عضلات الطفل قد بلغت مرحلة من النضج تساعده على القيام بالاعمال الحركية كالجري والقفز والتسلق اما عضلاته الدقيقة فانها لا تصل الى مستوى كاف من النضج ، لهذا نجد الطفل لا يجيد استخدام اصابعه مثلا في الاعمـال الدقيقة كالكتابة والرسم ، بينما يستطيع محاكاة الكبار في كثير من الاعمال الحركية الاعتيادية . ولكن حركات الطفل تظل غير منظمة ، لذا لابد مـن معاونته على السيطرة عليها .

★★★

ويحتاج الطفل ، في هذه المرحلة ، لكي يفهم ما نقوله ، ان نتكلم معه ببطء ووضوح ، وان نكثر من الحديث معه ، وان تكون كلمات الحديـث مرتبطة بمدلولاتها من الاشياء والاعمال ، متصلة بعالمه الذي يعيش فيه .

ويجب ان يكون واضحا ان مقدار ما يفهمه الطفل من الالفاظ والجمل والعبارات اكثر مما لديه من الحصيلة اللغوية التي يستخدمها في التعبير . لذا يقال ان لكل طفل قاموسا فهميا واخر كلاميا .

وقد دلت الملاحظات ان الطفل يتعلم الاسماء اولا ، وخاصـة اسـماء الاشياء المحيطة به ، وتأتي بعد ذلك الافعال ، فتساعده على التعبير مع الاسماء التي تعلمها ، ثم تأتي فترة يبطىء فيها نمو الاسماء ويزيد نمو الافعال وتظهر الصفات مع الافعال او بعدها ، والصفات المحسوسـة ، تسـبق في العادة ، الصفات المعنوية ، التي يجيء تعلمها في وقت متأخر ، ثم يتعلم الطفل الظروف المتصلة بحياته . وواضح انه يتعلم الصفات قبـل الظروف ، لان الصفات تعبر عن خصائص يسهل ادراكها مثل أبيض واحمر وصغير وكبير ، وفي نهاية السنة الثانية يستعمل بعض الاطفال الضمائر : انا وانت ، ثم يبدأ باستخدام ادوات الربط والجر [١٧]

والملاحظ ان هناك فروقا كثيرة في حصائل الاطفال اللغوية ، وهـــذه الفروق تتمثل في القاموس اللغوي او الطلاقة او ترتيب الافكار ،او القدرة على التعبير او النطق واخراج الاصوات ، وما الى ذلك .

والطفل بطبيعته محب للاستطلاع ، ويدفعـــه هذا الحب الى الاتصال المباشر بكل ما يحيط به ، وبذلك تزداد ثروته اللغوية من الفاظ ومعان يـوما بعد يوم ، فهو يلعب مع رفاقه ، ويراقب افراد اسرته وجيرانه اثناء احاديثهـــم والوان نشاطاتهم الاخرى وهو ينتقل مع ذويه من مكان الى مكان ، ويحملـــه ذووه رسائل شفهية الى معارفهم ، ويعود اليهم بمثل هـــذه الرسائل ، وهـو يستمع الى القصص ويرويها وهو يمارس ألوان النشاط الحركي .. وهو في خلال كل هذا يضيف الى قاموســه اللغوي كلمات وتراكيب جديدة ويزداد تفهما بكلمات ورموز لغوية جديدة وقدرة على استخدامها كلا او بعضا ، حين يتحدث او يستمع . وحين يبلغ سن المدرسة يكون قد امتلك عدة الحديث والفهم ، ويستطيع استخدام اجزاء الحديـــث الاساسية مـــن اسماء وافعال وحروف كما يستطيع صياغة الجمل والعبارات والتراكيب التي تحمل ما يريد اداءه من معان تتفق مع نضجه وخبراته . (١٨)

ويمكن القول ان لكل كلمة تاريخا شائعا في نفس الطفل ، فالكلمة تمر بالطفل في عديد من المواقف المختلفة ، وهو حين يستمع اليها في البداية قـــد تأخذ في ذهنه دلالالة معينة ولكنها في معظم الاحوال غير دقيقة . وبتعدد المواقف وازدياد الخبرة يتعدل مفهومها شيئا فشيئا ، الى أن يأتي الوقت الذي يتحدد هذا المفهوم ويستقر طبقا للعرف السائد في البيئة التي يعيش فيها (١٩).

وفي حلقة « بحث كتاب الطفل ومجلته » التي نظمتها لجنة ثقافة الطفل في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية في القاهرة بين السابع والعاشر من شباط عام ١٩٧٢ وشاركت فيهامن العراق مععدد اخرمن المعنيين بشؤون ادب الاطفال في الوطن العربي ، تحـــدث الدكتـــور محمد محمود

رضوان عما خرج به من دراسته للغة الطفل العربي في مصر ، واشار الى انـــه اهتدى مع زملائه الى عدد من الظواهر التي تميز هذه اللغة في هذه المرحلة :

أولا : يغلب على لغة الاطفال تناول المحسوسات لا المجردات .

فالاطفال عند بدء تعلمهم الكلام يتعرفون الى الاسماء المحسوسة ، اما الافعال والحروف فتظهر بعد ذلك ويختلف ظهور المعنويات مثل « حب » و « حنان » و « فن » و « نسيان » لانها تقتضي خبرات مستمرة في مواقف معينة تهييء للطفل عملية « التعليم » ولما كانت قـــدرة الطفـــل على التعليم لا تأتي الا متأخرة ــ بعـــض الوقت ــ لـــذا فان كلمات مثـــل (الحرية) و (الشعور) و (الكرامة) لا تعني شيئا بالنسبة الى الاطفال في هذه المرحلة وهم حين يرددونها لا يحيطون بمعانيها .

ثانيا : يغلب على لغة الاطفال التركز حول الذات .

وتعليل ذلك ان الطفل قبل سن المدرسة غير اجتماعي، او تغلب عليه صفة التمركز حول الذات بسبب البيئة المحددة التي يحيا فيها ، وقلة خبراته ، لـــذا نراه حين يتحدث عن هذه الخبرات او حين يعبر عن موقف من المواقف يرتكـــز حديثه غالبا حول نفسه ، وحتى اذا خاطب غيره او اشار في حديثه الى غـــيره فالاغلب الاعم ان يكون مقصده النهائي هو النفس .

ولعلك اذا راقبت حديث الطفل في هذه السن لفت نظرك تكراره للضمائر التي تدل على المتكلم مثل (انا) (وتاء الفاعل)و (المفعول) . بل ان الطفل يكرر الضمير (انا) حيث يمكنه الاســـتغناء عنه باستخدام حرف العطف امعانا في احساسه وتأكيدا لذاته .

ثالثا : يشوب كلمات قاموس الطفل الغموض ، ويعوزه التحديد،حيث ان ثروة الطفل اللغوية تنمو رويدا رويدا خلال السنوات الاولى حتى تبلغ اكثر من الفي كلمة في حوالي السنة السادســـة من عمره ، ثم تأخذ في الزيادة في المرحلة الابتدائية وتضاف اليها كلمات جديدة ونصيب كل كلمة من التكرار

والاستعمال والمواقف والخبرات التي ترد فيهـا تختلف عن نصيب غيرها رسوخا • وعليه ،ولما كانت قدرة الطفل في هذه الفترةعلى التعميم والتجريد قاصرة ،و خبراته محدودة ، لذا فمن المتوقع ان يشـوب عددا ضخما من كلمات قاموسهاللغوي الغموض وان يعوزها التحديد • ومن ثم استخدام الطفل لها استخداما مشوشا غير دقيق •

رابعا : تكرار الكلمات والعبارات •

وغرام الطفل بتكرار المألوف نزعة طبيعية تتجلى في نواحي سـلوكه المختلفة منذ الطفولة الاولى ، فهو يكرر ما ألفه من حركات واصوات •

وهذه النزعة اكثر وضوحا في التعبير اللغوي ، حيث ان اللغة من ايسـر العمليات التي تبرز فيها قدرة الطفل على محاكاة الكبار • ويلاحظ ان الطفـل يستمر في تكرار الكلمات والعبارات في مراحل نموه المختلفة ، وان كان يجنـح الى الاقلال منه كلما كبر ، ونمت قدرته الفعلية ، واتسعت أمامه افاق الابتكار ، وازداد محصوله اللغوي من الكلمات والادوات التي تعينه على ربط الجمـل والعبارات •

خامسا : تقديم المتحدث عنه في الجملة الخبرية :

وقد لوحظ ان الطفل يبدأ عبارته الاخبارية عادة بالاسم المتحدث عنه او ما يسميه البلاغيون المسند اليه ، ثم يذكر المسند بعد ذلك سواء كـان اسما ام فعلا ، ولا يعكس الامر الا نادرا • فالطفل يقول (احمـد راح الى المدرسة) ولا يقول « راح احمد الى المدرسة » الا نادرا ، ويقول « الشمـس طلعت » ولا يقول « طلعت الشمس » الا في اجابة عن سؤال وهكذا ••

سادسا : اختلاف مفاهيم الاطفال لكثير من الكلمات والتراكيب اختلافا بينا عن مفاهيم الكبار لنفس الكلمات والتراكيب :

ذلك لاننا لا نستطيع الفصل بين النمو العقلي والنمو اللغوي ، فما

النمو اللغوي الا مظهر من مظاهر النمو العقلي حيث يخضع لعامل (النضج) من ناحية ثم لعامل (التعلم) او (التدريب) من ناحية أخرى .

وتتكون مفاهيم الطفل عن الاشياء تبعا للخبرات التي يتعرض لها في حياته، وهو يربط في اثناء ذلك بين الاشياء ورموزها الصوتية التي اصطلح عليها في العرف اللغوي ، وتكون مفاهيمه في اول الامر ـ كما اشرنا ـ مشوبة بالغموض وقصور التحديد ، وكلما زادت خبراته زادت هذه المفاهيم دقة ووضوحا وتحديدا .

وعلى هذا فليس من المتوقع ان نجد لدى الطفل في سن دخول المدرسة او قبلها من مفاهيم الكلمات مثل ما نجد عند الكبار ، الناضجين ، وبالتالي تكون لمعظم الالفاظ التي يستخدمها دلالات قد تختلف في كثير عن دلالات نفس الالفاظ بالنسبة الى الكبار او بالنسبة الى ما جاء في معاجم اللغة .

لهذا نستطيع القول ان للاطفال في هذا السن مفاهيم معينة لكثير من الكلمات والتراكيب التي يستخدمونها والتي لابد ان ترد في المادة اللغوية التي تقدم لهم في المدرسة أو في المجلة او الكتاب او على خشبة المسرح او في الاذاعة او في التلفزيون .

وان هذه المفاهيم قد تختلف في كثير أو قليل عما اتفق عليه العرف في لغة المعاجم ، وانه لكي يكون تعاملنا مع الاطفال ، لغويا ، قائما على اساس سليم ولكي نستطيع ان نعدل بالتدريج من مفاهيمهم هذه حتى نصل بها الى ما اصطلح عليه العرف اللغوي ينبغي ان ندرس لغة الاطفال ، وان تنتهي دراستنا الى وضع معجم لهم يستعين به المعلمون وكتاب الاطفال .

هذا ، وللطفل فوق ما تقدم طرائقه في الاستفهام والتعجب والاستغاثة والنهي والرجاء والعقاب والتهديد والاستنكار وغير ذلك .



وعلى هذا ، ومن وحي الخصائص التي يتصف بها الاطفال في هذه المرحلة، يتحدد شكل ومضمون الادب المقدم لهم •

ان خيال الاطفال التوهمي في هذه الفترة يستمرىء الاشكال القصصية وانسب القصص للاطفال ، ما احتوى شخصيات مألوفة من الحيوانات والنباتات ، وحوادث عنها ، او شخصيات بشرية مألوفة لهم كالام او الاب او الاطفال الصغار على أن تكون لهذه الشخصيات صفات جسمية سهلة الادراك كالدجاجة الحمراء ، والبنت ذات الشعر الاصفر ، والرجل الشيخ ذي اللحية البيضاء • ويجدر ان تكون هذه الشخصيات ــ حتى الجماد منها ــ متكلمة او ذات اصوات وحركات ، لان في اعطاء هذه الشخصيات صفات الحركة والتكلم والالوان الزاهية اشباعا لميل الطفل الى الايهام ، اذ هو يميل ، في هذه المرحلة ، الى الاعتقاد الوهمي بان الجماد يتكلم[٢٠] •

ولا يستجيب الاطفال في هذه الفترة للقصص الخيالية ، ولكنهم يغرمون بالقصص الواقعية الممزوجة بشيء من الخيال والتي تكون شخصياتها « من الحيوان او الجماد » ناطقة متحركة •

ولما كان مدى انتباه الطفل قصير في هذه المرحلة كان ضروريا ان تكون الالوان الادبية المقدمة له قصيرة سريعة الوقوع والعبور •

وفي منتصف هذه المرحلة يبدأ الخيال في النمو ، ويقوى بالتدريج ، ولكن يجب ان تتذكر ان الخيال هنا محدود بالاشياء التى في بيئة الطفل، كتخيله للعصا حصانا يمتطيه ، او سفينة يركبها ، والكراسي اطفالا مثله يحادثهم ، ويضربهم اذا غضب ، وهو لهذا يسر بانواع القصص الخيالية ذات الشخصيات الخرافية التي يعرف عنها شيئا حقيقيا في حياته الواقعية •

ومن العيوب الشائعة في القصة ان تكون الفكرة مخيفة لما بها من حوادث الغيلان ، وقتل الاطفال وسجنهم من غير شراب او طعام • [٢١]

وتشكل الاجابة عن اسئلة الاطفال حول بيئتهم جزء من مضامين ادب

الاطفال في هذه الفترة .. وهنا لابد ان نشير الى انه ليس المهم ان نقدم للاطفال الحقائق كاملة حين يتساءلون .. لاننا في هذه الحالة نغدر الحقيقة التي قد يفهمها الاطفال مشوهة او مغلوطة ونفقد الهدف المبتغى من الاجابة ، وهو فهم الطفل لعالمه الذي يسعى لاكتشافه ..كما انه ليس من المهم ان نملأ ذاكرة الطفل بالحقائق ، بل المهم ان نملأ مخيلته بالافكار .

وتجذب اهتمام الاطفال في هذه المرحلة الحيوانات التي تتقمص شخصيات الادميين ، وتحاكي تصرفاتهم ، وتجذب اهتمامهم ايضا الاسماء المضحكة الغريبة .. واكثر الاشياء بعثا للسرور والضحك لديهم هم الاشخاص الذين يسقطون على الارض ويقعون فجأة ، والذين يتلطخون بالطلاء او الوحل ، او الذين يقومون بمطاردات سريعة . ومما يبعث في اطفال هذه المرحلة خوفاقاسيا وجود شخصيات ضلت طريقها او شخصيات تركت وحيدة (٢٢) .

اما اللون والحركة والحجم والصوت ، فهي صفات تلازم المحيط الذي يحياه الطفل ، وتلازم موجوداته من حيوانات ونباتات وجمادات .. لذا يتأثر الطفل بها كثيراً ويستجيب لها ما دامت ضمن اطار واقعه وخياله . وعليه كان ضروريا ان ندخل ذلك في حسابنا ونحن نتوجه الى الطفل .. فأنت حين تحدث الطفل عن قطة في احدى القصص ينبغي أن تشير الى لونها الاسود الفاحم مثلا ، والى عينيها الحادتين ، والى موائها الشديد ، وركضها السريع وهي تطارد الفأر المذعور المهزوم .

والاطفال ، بوجه عام ، يكونون في اذهانهم صورا خيالية عن ابطال القصص ، ومن الضروري ان نعينهم في تكوين هذه الصورة كي لا تظل مشوشة في اذهانهم ، كما ان الصور الجميلة في كتبهم ومجلاتهم تساعد في تكون تلك الصور الذهنية ، اضافة الى انها تجذبهم وتشدهم .

وبوجه عام فان الايقاع والحركة السريعة واللون والصوت ادوات تغني مضامين ادب الاطفال وتزيد من ولع الاطفال به .

ويهتم الاطفال في هذه المرحلة بموسيقى الكلمات ، ويستمتعون بالجمل المنغومة ، وتهزهم العبارات الموزونة او المسجوعة ، وينتشون للاغنيات ذات الايقاع السريع وللاصوات المرحة التي تطلقها شخصيات قصصهم •

ولايمل اطفال هذه المرحلة من تكرار القصص • ومن القصص المفضلة لديهم القصص التي تؤكد على الذات •

ولايناسب الاطفال في هذه المرحلة ، كل ما ينطوي على اثارة مخاوفهم كقصص الجان والعفاريت والسحرة وقصص العنف والاجرام ، لان مثل هذه الخبرات بعيدة عن بيئتهم كما انها بعيدة عن آفاق خيالاتهم •

وتجسيد المواقف المحزنة او المفجعة تثير آلام الاطفال وتبعث القلق في نفوسهم ، وليس بالضرورة ان تنطوي كل قصصهم في ـ هذه المرحلة ـ على عقد او مشكلات ، لانهم كثيرا ما يستمتعون بقصص ذات اسلوب وصفي منغم العبارات •

والسنوات الاخيرة من هذه المرحلة توجب العمل على تهيئة الطفل للمرحلة القادمة من حياته ، عن طريق توسيع خيالاته ورقعة بيئته وتهيئته اجتماعيا لها وتشجيع اتجاهاته الاستقلالية ، وامداده بالخبرات •

المبحث الثاني

مرحلة الخيال المنطلق

٦ ـ ٨ سنوات

الطفل الذي كان يتخيل العصا حصانا فيمسك بها ويضعها تحت ساقيه ويشمر عن ساعديه مقلدا الفارس الشجاع ، ويتخيل غطاء القدر مقود سيارة يلف به ذات اليمين وذات الشمال ، ويتخيل الدمية كائنا حيا فيتحدث اليها وكأنه يتحدث الى رفيق من رفاقه ، ويتنسبه بالابطال وبأعمال البطولة .. هذا الطفل ينتقل الى مرحلة جديدة هي مرحلة الخيال المنطلق ؛ انه في هذه المرحلة يظهر رغبة حقيقية في ركوب الحصان ، وقيادة السيارة ، ومحادثة رفاق حقيقيين ، اي انه يتحول من ذلك الخيال المحدود ببيئته الى الواقعية في خيالاته غير المحدودة ، متجاوزا اللون الايهامي ، الى اللون الابداعي او التركيبي الموجه الى غاية عملية ، فهو بعدأن مر بتجارب عديدة في واقعه المحدود وتخطى ذلكالى عوالم اخرى فانه يرسم لها فيذهنه كثيرا من الصور.

في هذا الطور ، يكون الطفل قد قطع مرحلة التعرف الى بيئته المحدودة المحسوسة المحيطة به ، في المنزل والشارع ، فهو يعرف ان الكلب يعض ، وان النحلة تلسع ، وان القط يخدش ، وان البقرة الحمراء تدر راللبن الأبيض وان النار تحرق ، ولكنه يتوق الى تخيل شيء اخر وراء هذه الظواهر الطبيعية الواقعية التي خبرها بنفسه ،شيء غير مألوف عندهفي بيئة غيربيئتههذه (٣٢) .

ويتسع في هذه المرحلة فضول الطفل ، ويكبر معه حبه لاستطلاع عوالم ارحب من تلك التي كان فيها في المرحلة السابقة ، فهو دائم التساؤل في موضوعات مختلفة . انه كالتائه الذي يريد من يرشده بأستمرار ، ويجيبه عن اسئلته الحائرة بين خضم الحقائق العديدة التي بعرفها الكبار . ومن بين اسئلته ما يتعلق بالجنس والولادة ، وهو يسعى دائما للحصول على الاجابة المقنعة . وهنا يجدر ان يجاب على اسئلة الطفل المتعلقة بالجنس اجابة واضحة وبسيطة دون حرج ، لان ذلك يمنحه الثقة بان هذه المعلومات اعتيادية لا تختلف عن كثير من المعلومات الاخرى التي يتعلمها كل يوم عن الحيوانات والنباتات وما الى ذلك .

ويلاحظ ان نسبة كبيرة من اسئلة الاطفال في هذه الفترة سببها المخاوف ؛ المخاوف من اشياء لم يكن للاطفال بها خبرة سابقة او مباشرة .. فهم مثلا يخافون الحيوانات حتى وان لم يهاجمهم في حياتهم حيوان ما كالكلب او الذئب او غيرهما . وهم يخافون اللصوص والمجرمين والمشردين رغم انه لم تسبق لهم اي خبرات معهم ايضا ، كما انهم يخافون العوامل فوق الطبيعية كالموت والاشباح والغول .. حتى وان كان منهم من لم يسبق له ان فقد عزيزاً عليه او فردا من افراد عائلته، وحول هذه الموضوعات كثيرا ما يتساءل الاطفال بهدف الشعور بالامن والطمأنينة من خطر مجهول (٢٣) .

وعلاقة الطفل بامه في هذه المرحلة ، هي علاقة عطف وحب ، يناقشها ويعاتبها ويتحدث معها ، وعلاقته بابيه تقوم على اساس الاحترام والاعجاب والخوف . ويتقبل كلام ابيه دون مناقشة ، لانه يعتقد ان اباه هو الانسان

الذي يعرف كل شيء . وهو لا يود ان يفارقه ، ويسعده جدا ان يشاركه اللعب كما انه يتمسك باسرته ويعتز بها اعتزازا شديدا (٢٤) .

ويلهو الطفل ويلعب بمفرده ، وهو لا يشارك زملاءه في اللعب بسهولة وسرعة ، لذا نجد الاطفال في هذه الفترة حتى لو وجدوا في جماعة فان كلا منهم بادىء بدء يلعب وحده وبادواته الخاصة ، وحين يلعبون في جماعات فان هذه الجماعات قليلة العدد .. ويلعب الاولاد والبنات معا . وهذا يفرض ان يعنى ادب الاطفال في هذه الفترة بتنمية السلوك الاجتماعي لدى الاطفال ومساعدتهم على تنظيم التعاون والعمل المشترك .

وتتبلور لدى الاطفال ، في هذه المرحلة كثير من القيم الاخلاقية والمبادىء الاجتماعية في تعاملهم مع الاخرين ، حيث تتضح الصيغ الادبية التي يتعامل بها الطفل مع غيره ، وتلك التي يريد للاخرين ان يعاملوه بها .

وفيما يتعلق بفترة التركيز والانتباه ، يستطيع الطفل ان يركز لمدة اطول مما كان عليه ، في المرحلة السابقةعلى احداث اكثر تركيبا ، كما ان باستطاعته ان يستنبط القيمة الاخلاقية للاثر الادبي (٢٥) .

وتنمو مشاعر الاطفال نحو محبة العدل والمساواة ، وترنو نفوسهم الى المزاح ، ومن جانب اخر ، يعملون من اجل ان يتعلموا كثيرا من شؤون الكبار ويتعرفوا على اهتماماتهم . وفي الوقت الذي ينشدون فيه جوا من الالفة بينهم وبين من هم اكبر منهم الا انهم يسعون للاستقلال عنهم .

وتفكير الطفل يظل مرتبطا بالاشياء المحسوسة ، اذ ان تصوره عن طريق المسميات لا عن طريق الاسماء ، ولاتكون لديه مدركات كلية كثيرة تعينه على الاستدلال المنطقي الصحيح ، فهو يستطيع ان يدرك العلاقة الزمنية او المكانية التي بين الاشياء . اما ادراك العلاقات السببية فيكون ضعيفاً ضعفاً نسبيا ظاهرا (٢٦) .

وعليه ، فان الطفل في هـــذه الفتـــرة ما يزال في دور اســـنقطابي Ego-Centric في تفكيره ، وهو يدرك العلاقه بين الاشياء ادراكا جمعيا، اد يجمعها معا ويضمها بعضها الى بعض • ويستشهد بياجيه ـ مدير معهد جان جاك روسو واستاذ جامعة جنيف ســابقا ــ على ذلك ببعض الرسوم التي رسمها الاطفال • فانك لو طلبت منهم رسم دراجة مثلا لرسموها بشكل اجزاء مجموعة دون ان يظهروا فيها وحدة رابطة ، اي انهم لا يضعون كل جزء حيث يجب أن يكون بالنسبة الى الدراجة ، والاشياء بالنسبة اليهم اما مجموعة في كل مبهم او غير واضح ، او متفرقة واحدة واحدة بشكل غير تركيبي • (٢٧)

ويتميز الطفل ــ في هذه المرحلة ــ بنمو سريع في الخيال ، وبشدة تطلعه الى الافاق البعيدة ، لذا يتبلور ولعه بالقصص الخيالية التي تخرج في مضامينها عن محيطه وعالمه ، بل نجد الطفل ينجذب للانصات الى القصص الخرافية ايضا بما في ذلك قصص الجان والعفاريت وبلاد العجائب ••

ولكن هل ينبغي لنا ان نستجيب لاولاع الاطفال ونقدم لهم كل مـــا تهفو اليه نفوسهم ؟ •

انني ارى ان من الخطأ الفادح ان ننساق وراء ميــول الاطفال بهــذا الاتجاه ، اذا اردنا لاطفالنا ان ينشأوا نشأة سوية ، فالاطفال قد يعبثون احيانا باشياء خطرة دون ان يقدروا عواقب عبثهم •• وليس من المناسب ان نقــدم للطفل كـــل ما يريد ، بل ينبغي لنا ان نسترشـــد بأسس التربيـــة لنقرر ما يصح تقديمه لهم ، وما لا يصح • وهذا لا يعني ان نقف في طريـــق خيالات الطفل اونشبها او نجبره على التقليل منها ووضعها في اطار الواقع المحسوس، لاننا بهذا نغتال بهجة من مباهجه العظيمة ونحد من وسيلة خلاقة لها اثرها في بناء شخصيته •

وهنا لا نستطيع ان نغفل الاشارة الى ان جميع اولئك العباقرة الذيـن كان لهم باع طويل في ميدان الابتكار والاختراع كانوا ، ولاشـــك ، في

طفولتهم ذوي خيالات خصيبة ، وساعدتهم خيالاتهم الواسعة على ارتياد اوسع العوالم في صغرهم وارتياد مجالات الابداع في كبرهم ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فان من بين اسباب قساوة حياتنا ـ نحن الكبار ـ هو افتقارها الى الاخيلة البريئة ، لذا ترانا نصول هنا ونجول هناك بحثا عن متعة او فرحة نلتمس فيها لمحة تعيدنا الى شيء من اخيلة الطفولة .

ويذهب البعض الى القول : ان الخيال هو ملكة خاصة تتيح للبشر ان يتصوروا نوعا من الواقع لا يدرك بالحواس الظاهرة

★★★

وتستمر ذخيرة الطفل اللغوية في هذه الفترة بالاتساع ، ولكن اغلب الكلمات لا تعني لديه شيئا الا اذا ارتبطت بخبرة حسية « وفي التعليم يميل الطفل الى ما هو عملي او يدوي ولا يميل الى ما هو شفهي او لفظي » (٢٨)

وفي المرحلة السابقة كان الطفل يعتمد في ثقافته وفيما يكتسبه من المعارف على اللغة السمعية المنطوقة التي يستخدمها في تعامله مع المحيطين به، اما خلال هذه المرحلة فانه يلتحق بالمدرسة الابتدائية ويشرع في تعلم نوع جديد من لغته ، وهو اللغة البصرية ، لغة الكتابة والتدوين وقراءة المكتوب (٢٩) .

★★★

واستنادا الى تلك السمات التي يتميز بها الاطفال في هذا الطور تتحدد اشكال ومضامين الثقافة المقدمة اليهم كما تتحدد الوسائط التي تنتقل عبرها هذه الاثار .

وبوجه عام من الضروري ان ننتبه الى مخاطر الجنوح الى الخيال الهدام الذي يبعدالاطفال عن الواقع ويجعلهم يحسون وكأنهم يعيشون في عالم الاوهام . لذا وجب ان ننمي في اذهان الاطفال أخيلتهم الابداعية .

ان الاطفال في هذه المرحلة ينجاوزون الاخيلة الايهامية الى لون ابداعي يهدف الى غاية عملية تجعلهم يتشوقون الى الصور الذهنية غير المعقدة التي ترسمها في مخيلتهم القصة أو المسرحية او المقالة ، او القصيدة ، أو الاغنية • واكثر المضامين التي تشبع خيالات الاطفال هي القصص التي تنقلهم الى آفاق بعيدة خارج حدود معارفهم •

وكثيرا ما ينجذب الاطفال الى الحكايات الخرافية التي تزخر بالشخصيات المخيفة والحوادث المفزعة كحكايات السحرة والعفاريت وما الى ذلك وهم يجدون انفسهم وهم يستمعون الى مثل هذه القصص في حالة شديدة من الخوف ولكن قلما تجد طفلا يهرب من هذه الحالة ، انه يظل يتابع حوادث الخرافة ، بل يزداد التصاقا بها وانفعالا بوقائعها ، وهو ـ في الحقيقة ـ لا يمر بحالة استمتاع قدر مروره بحالة من الخوف اللذيذ • ولكن عواقب هذه اللذة قد تكون ذات تأثير سلبي في نفوس الاطفال نظرا لما يواجههم من القلق ، ولا يقلل من ذلك ادراك الاطفال ـ الى حد ما ـ ان تلك الخرافات خيالية لم تحدث في عالم الواقع •

كنت يوما اراقب معلما يروي حكاية خرافية لعدد من الاطفال في حوالي السابعة والثامنة من اعمارهم ، كانت الحكاية تتحدث عن العمالقة الذين يخوضون في ماء البحر ويصطادون الاسماك ويرفعونها بايديهم قريبا من الشمس فتشوي حرارة الشمس الاسماك وكنت اجد امارات الخوف تبدو على وجوه الاطفال كلما ردد المعلم كلمة «العملاق» ورغم ان القصة طويلة فقد كانت اعناق الاطفال تشرئب نحو المعلم ، وكلما توقف قليلا بين مقطع واخر كان الاطفال يلحون عليه لا كمالها •• انهم في هذه الحالة يتجاوبون بانفعال حقيقي مع وقائع الحكاية ، ويدفعهم خوفهم وقلقهم الى معرفة نهاية العقدة ، بل كانوا يقتربون من معلمهم شيئا فشيئا كلما ازداد خوفهم ، يتطلعون الى عينيه يستمدون منهما القوة لابعاد الخوف عنهم ، وبعد اكمال الحكاية تلفت الاطفال ، الواحد نحو الاخر كي يعرف كل واحد منهم مدى الخوف الذى

اصاب زميله ، كما ظلوا الى جوار المعلم فترة ساكتين ، وحين تفرقوا ظلت عيونهم تتطلع نحو الارض لترتفع الى الشمس •• والغريب انهم ألحوا من اجل اعادة الحكاية من جديد •

والاطفال في هذه الفترة شديدو الفعالية والنشاط لذا يطلق على هذه المرحلة اسم « مرحلة التبذير الحركي » •• وليس هذا فقط بل هم يتشبهون بالمغامرين والابطال ، لذا ينجذبون الى قصص المغامرات الخيالية • وهذا يستوجب ان نراعي في مثل هذه المغامرات ان تسير الحوادث وفق عامل السببية قدر الامكان ، حتى لا تبدو الحياة امام الاطفال وكأنها مجموعة من المقالب والافخاخ •

ويفضل الاطفال في هذه المرحلة القصص القصيرة ، وخاصة تلك التي تكون نهاياتها غريبة او مضحكة ، كما يفضلون القصص المسلسلة التي ينتهي كل فصل منها بعقدة ونهاية ، كما يحبون الطرائف التي تستند الى التلاعب بالالفاظ والكلمات •

وخلال هذه الفترة ، وحين يلتحق الاطفال في المدرسة ، تبدأ في حياتهم جوانب كئيبة ، حيث يجدون انفسهم امام واجبات جديدة ، ومسؤوليات جديدة ، معقدة في اكثر الاحيان ، وكثيرا ما تنشأ لديهم ردود فعل تتمثل في اللامبالاة وعدم الاكتراث وفقدان الشعور بالمسؤولية ، فيلجأوون الى التسكع في الطرقات او يمارسون الالعاب التي تنسيهم احزان المدرسة ومسؤولياتهم ، وكثيرا ما يتجهون الى الالعاب الخطرة •

وهنا لابد من الاهتمام بتنمية شعور الاطفال بالمسؤولية وتهذيب سيطرتهم على حركاتهم ، وتعليمهم معنى الخطر •

وفي هذا الطور ينصت الاطفال الى الكبار ، ويستمعون الى توجيههم ، وفي هذا الجانب الايجابي تكمن خطورة ذات اثر سلبي ، اذا ما اساء الكبار التوجيه •

المبحث الثالث

مرحلة البطولة

٨ ــ ١٢ سنة

دور اخر يبدأه الطفل ، هو مرحلة البطولة ، حيث ينتقل من مرحلة الواقعية والخيال المنطلق الى مرحلة هي اقرب الى الواقع ، انه يبتعد عن الامور الخيالية بعض الابتعاد ، ويهتم بالحقائق ويشتد ميله الى المقاتلة والسيطرة والالعاب المختلفة وخاصة الالعاب التي تتطلب المهارة والمنافسة ، ويسره التنقل من مكان الى مكان ، وقد يترك المدرسة او المنزل مغامرا مع بعض زملائه في عمل من الاعمال التي تتطلب الشجاعة أو المخاطرة . ولذلك نجده يعجب كل الاعجاب بالابطال والمغامرين : يقرأ عنهم ويشاهد ــ بشغف لا حد له ــ ما يصور بطولاتهم ومغامراتهم . ويحاول تقليدهم في بعض المغامرات التي يقوم بها ، ويبلغ اعجابه بهم درجة التقديس ، مهما يكن موضوع البطولة او المغامرة ، لذا يسمى هذا الطور « طور البطولة والمغامرة » (٣٠)

ويخلص الطفل الى الجماعة التي ينتمي اليها ، في هذه الفترة ، حتى لو تعارض اخلاصه هذا مع ما يفرضه عليه المنزل او المدرسة ، وكثيرا ما تندفع

الجماعات التي ينظمها الاطفال في هذه المرحلة نحو القيام باعمال طائشة كالاعتداءات والمشاجرات والمقاتلة ، ويلاحظ ان محترفي الاجرام كثيرا ما يستغلون بعض اطفال هذه المرحلة ليشكلوا منهم عصابات يوجهونها لتنفذ لهم مآربهم •

ويلاحظ ان الاطفال يلتقون في تجمعاتهم عند افكار ونظرات متشابهة عن الحياة ، ولهذا وجب التحفظ حول ما يقدم للاطفال في هذه الفترة من اعمال ادبية من خلال وسائل الثقافة المختلفة وخاصة تلك التي تدور حول البطولة والمغامرة •

ويتقبل الاطفال الى حد بعيد اراء الاخرين الذين يثقون بهم ، وينفرون نفرة شديدة من اراء اولئك الذين لا يثقون بهم ، وهم يحبون الظهور ، ويقلدون في حركاتهم وكلماتهم من يعجبون بهم ، كما يميلون الى التمثيل وكل ممارسة اخرى من شأنها المشاركة مع الاخرين - رغم ان الطفل يظل يشعر بفرديته وفردية الاخرين من حوله - ويكوّنون افكارا ونظرات عن الاشخاص والقيم والمفاهيم ، كما يبدون اهتماما بالمسائل التاريخية •

وتبلغ القدرة على الاستظهار والتذكر درجة كبيرة ، في هذه المرحلة ، فيستطيع الطفل ان يحفظ الحوادث التاريخية والحقائق العلمية والألفاظ والعبارت والاناشيد والاغاني وما يناسبه من مقتطفات الشعر والنثر • وتزداد قدرته على ادراك علاقات الاشياء بعضها ببعض وخاصة العلاقات الزمانية والمكانية ، كما يدرك كثيرا من صفات الاشياء وخواصها • ويستطيع التفكير في امور معنوية اكثر مما كان عليه من قبل • ولكن قدرته على التجريد والتعميم وتكوين المعاني الكلية الواضحة تظل محدودة (٣١)

وفي هذه الفترة يستطيع الاطفال التحكم في انفعالاتهم اكثر مما كانوا عليه ، ويعملون من اجل الحصول على المعلومات الجنسية من زملائهم لذا

تنسيع بينهم الافكار الخاطئة عن الجنس • ويميلون الى الجمع والادخار وانساء الاشياء •

ويستطيع الطفل ادراك المدلولات الزمنية للحوادث التاريخية ، بينما نجد ان استيعاب الاطفال للحوادث التاريخية قبل التاسعة والعاشرة لا تتعدى حفظ تواريخ تلك الحوادث ، دون ان تكون لديهم القدرة على تتبع الادوار التاريخية وربط هذه الادوار ربطا يدل على ادراك يتضمن معنى التتابع الزمني الذي يدل على التطور (٣٢)

وتستهوي الاطفال قصص الشجاعة والمخاطرة والعنف والقصص البوليسية والمغامرات وقصص الرحالة والمكتشفين سواء كانت حقيقية ام خيالية ، كما تستهويهم القصص الهزلية المصورة ، ويلاحظ انهم يستمتعون بالاستماع الى الراديو ومشاهدة الافلام السينمائية والتلفزيونية والعروض المسرحية ، وقراءة المجلات •

اما البنات فأنهن يغرمن بالقصص التي تتناول الحياة المنزلية والامور العائلية ، مثلما يغرمن بالقصص التي تتحدث عن الجمال او تلك التي تثير الانفعالات ، حيث يزداد الاختلاف بين البنين والبنات في أواخر هذه المرحلة•

والاطفال في هذه السن اكثر صلاحية واستعدادا لمشاهدة المسرح كوسيلة تعبير فنية فيمكنهم متابعة العقد المسرحية الاكثر تركيبا ، والحوادث الاكثر تشابكا ، وتتحقق الى حد ما رؤية واضحة لما يحدث على المسرح • يقول وينفريد وارد :

لو سألنا طفلا في العاشرة او الحادية عشرة عن نوع المسرحية التي تعجبه لاجاب على الفور : « مسرحية مثيرة » ان اهتمامه ينصب على الحكاية وما تشتمل عليه من حوادث وما فيها من تشويق ، ويثير حماسه الابطال الذين يقومون باعمال جريئة والذين يتحاشون الاخطار في احرج اللحظات ، واشد ما يستهويه هو المسرحية الطويلة ذات المناظر الكثيرة التي لا يمتزج فيها الخيال

بالحقيقة وتنتهي بانتصار البطل ، ويلقى الشرير وبال عمله ، ويجب ان يرى الشرير والعقاب ينزل به ، والطفلة في الناسعة والعاشرة والحادية عشرة تحب نفس الشيء الذي يحبه الصبي ، ورغم انها بدورها تميل الى الواقعية ، الا انها تكتفي بالقليل من المواقف المثيرة ، وتحب ان تكون للمسرحية بطلة بدلا من البطل وغالبا ما تفضل المسرحيات الخيالية المشهورة ، وخاصة اذا كان الاخراج مناسبا لمستوى سنها .

وفي قصص المغامرات والاكتشافات لابد ان نحرص على توفير الدوافع الشريفة من اجل غرس الانطباعات الفاضلة في نفوسهم وتنفيرهم من الاعمال المتهورة والعدوان والاندفاعات الحمقاء .

ويلاحظ ان الاطفال في هذه المرحلة حين يعودون الى بيوتهم يقصون لوالديهم الحوادث والوقائع التي وقعت لهم خارج البيت او في المدرسة كما يصفون النجاح الذى احرزوه او الفشل الذى اصابهم ، وهنا يستوجب التعليق على حكاياتهم وابداء الاهتمام بها ، ومناقشة الموضوعات التي يثيرها الحدث او الواقعة ليصلوا بفكرهم ومداركم الخاصة الى الحل الصحيح ، مع معاونتهم على تصحيح معلوماتهم بانفسهم[٣٣] . عن طريق الوان ادبية مختلفة .

يقول موريس فلورانت ، مدير قسم شؤون الطلاب في مكتبة هاشيت الفرنسية : يجب ان توضع للاطفال بعد السابعة او الثامنة الكتب التي تقودهم الى التفكير والتأمل وطرح الاسئلة على انفسهم عن كل ما حولهم ، او بمعنى اخر الكتب التي تؤهلهم لسن المراهقة .

ويقول : ان افضل سن يستطيع الطفل فيه ان يستوعب ما يقدم له من معلومات هو سن التاسعة من العمر .

ويضيف : انه ينبغي اختيار المواد والمعلومات التي يجب اعطاؤها للاطفال في هذا السن اختياراً دقيقا ، اذ انه ليس المهم تعليم الطفل بل المهم تلقينه فعلا كيف يتعلم فضلا عن اختيار ماذا سيتعلم .

ويعتقد : ان هذا السن يعتبر افضل سن لاكتساب المعلومات والمعرفة وحتى الاخلاقيات التي تبقى مع الانسان حتى يبلغ سن التشيب •• ذلك لانه اذا بلغ الطفل هذا السن ، فان من الضروري ان يوضع امامه كل ما يجب ان يوضع امام انسان مقبل على حياة بالغة التعقيد ، في كل مجال : في العلم ، في التربية ، في الاخلاق ، وحتى في العادات والتقاليد التي تبقى غالبا مع الانسان حتى النهاية • (٣٤)

ويسيطر الطفل في اواخر هذه المرحلة على المهارات القرائية الاساسية وفهم معاني الرموز اللغوية المقروءة ثم الاستجابة لما فيها واستخدام الافكار المستخلصة من القراءة كلما ظهرت الحاجة اليها •

ولهذا تمتاز هذه المرحلة بامتلاك الطفل لامكانيات تتيح له القراءة في مجالات متعددة • ومما يزيد في تعويد الطفل على القراءة المتعددة الجوانب ما تمتاز به هذه المرحلة من عمر الطفل من الاستقرار النفسي والانفعالي بعكس المرحلة التي تتميز بعدم الاستقرار •

وقد أجريت بحوث عديدة عن اهتمامات الاطفال القرائية في هذه المرحلة ، وثبت تعددها وتنوعها ، كما ثبت حدوث بعض التغيير في ميول الاطفال القرائية التي كانت سائدة في المرحلة السابقة ، حيث يقل اقبالهم على قراءة القصص الخيالية التي تحتوي على قوى وحوادث خارقة • ويرجع ذلك الى ان نمو الاطفال العقلي المتزايد يساعدهم على تقبل عالم الواقع بدرجة لا بأس بها ، ويصبح الهروب من هذا العالم الى الخيال امرا لا مبر له • ويتطور حب الاطفال للقصص التي تحكى على لسان الحيوانات الى حب للكتب التي تزيد معلوماتهم عن هذه الحيوانات ، وتبين لهم كيف تعيش واين تعيش وما هي طباعها وكيف تتكاثر ومتى تهاجر •• ويفسر هذا التطور في الاهتمامات القرائية الى نمو الرغبة في مزيد من المعرفة والعلم عن العالم المحيط ، عالم الحيوان والانسان والنبات ، بل وعن البيئة الطبيعية المحيطة •

يمتاز الاطفال في هذه المرحلة بالميل الى قراءة كتب العلوم المبسطة وكتب التكنولوجيا المتعلقة بتركيب لعبة ميكانيكية او تصميمها . ويرجع السبب في ذلك الى ان هذه الفترة من عمر الطفل تمتاز برغبته في ممارسة اعمال يدوية ومهارات ميكانيكية ، فنجدهم يحاولون القيام بصنع الاجهزة كالراديو او الاجراس الكهربائية او غيرها ، فضلا عن الاعمال الفنية التي تتطلبها مجموعة كبيرة من الهوايات التي يمارسها الاطفال في هذه السن والتي تتطلب القراءة والاستزادة من المعارف المرتبطة بتلك الهوايات، لهذا كان من الطبيعي ان يلجأ الاطفال الى القراءة للوصول الى إجابة عن مئات من الاسئلة التي تدور في عقولهم[٣٥] .

كذلك ثبت أن من الميول القرائية للاطفال والتلاميذ في اواسط هذه المرحلة اى الفترة بين سن ١٠ـ ١٢ سنة حب قصص المفاجآت وقصص المغامرات والقصص التي تعتمد على التفكير والتوقع ، وكذلك قصص الاسفار والرحلات ، وذلك لان الاطفال في هذه السن يحبون معرفة : كيف يعيش الاطفال في البلاد الاخرى . كذلك يميلون الى قراءة قصص البطولة ولهذا كان من الممكن استغلال هذه الرغبة في تعريفهم بالبطولات القومية والامجاد الوطنية التي يفخر بها المجتمع . [٣٦]

المبحث الرابع

مرحلة المثالية

١٢ ـ ١٥ سنة

في بداية هذه الفترة ، يأخذ الطفل بتجاوز حياة الطفولة ، اي انه ينتقل من مرحلة تتصف بالاستقرار العاطفي النسبي الى مرحلة دقيقة شديدة الحساسية ، حيث تحصل فيها تغييرات واضحة ، يصحبها ظهور القوى الجنسية واشتداد الميل الاجتماعي وتبلور التفكير الاجتماعي والنظريات الفلسفية عن الحياة .

وبدايات هذه المرحلة تعد جزء من المرحلة السابقة ، حيث يقترب الطفل من البلوغ فيما بين العاشرة والثانية عشرة وتتجلى رويدا رويدا عملية التحفز ، اذ ان سنة الطبيعة هي الوثوب يتطلب شيئا من الثبات قد يخاله المرء جمودا أو شيئا من التراجع لكي تكون المقدرة على الوثوب والقفز اعظم واكبر ، ومثلما تنطبق هذه الظاهرة ـ ظاهرة التحفز للوثوب ـ على الناحية البدنية ، تنطبق كذلك على الناحية النفسية ، ففي الانتقال من مرحلة من

مراحل النمو النفسي الى مرحلة تالية يلاحظ المدقق الخبير احيانا شيئا من التراجع النفسي قبل ان يقفز المرء الى المرحلة التالية ، كتراجع الطفل الذي اصبح في سن المدرسة مثلا الى التعثر اللغوي ، بما لا يتناسب مع حصيلته اللغوية في تلك السن ، أو كأرتداده الى غير التعثر اللغوي من مظاهر المرحلة التي هي على وشك ان يتخطاها الى غيرها كالتعلق بالدمى ، او العودة الى التبول اللا ارادي او غيرها من مظاهر الطفولة الاولى [٣٧].

ولكن الجمود ، او التحفز ، يتجلى بوضوح اكثر في الفترة التي تسبق البلوغ وهي الفترة التي تسمى بفترة الكمون او فترة الطفولة الهادئة ، والتي تستمر في المعدل من الخامسة الى الثانية عشرة ، وهي فترة تبدو متحررة من مظاهر النشاط الجنسي تحررا كبيرا ، ويتجه نشاط الطفل الى المدرسة واللهو والرفاق ، ونظرته خلالها الى الجنس الاخر ، نظرة زمالة ورفقة ، سواء في اللهو أم في المدرسة ولا يكاد ذهنه يعي من الفوارق بينه وبين الفتاة سوى الفارق النوعي ؛ اي انه ذكر ، وهي انثى ، دون ان يكون لذلك الوعي مدلول جنسي يحس له صدى في نفسه .

ولكن ، حين يقترب الطفل من البلوغ فيما بين العاشرة والثانية عشرة ، تبدو عملية التحفز واضحة ، بل هي تأخذ شكل تحفز ومقاومة في آن واحد ؛ تحفز نحو الانتقال الى المرحلة التالية ، ومقاومة نفسية تبذلها الذات ضد الميول الجنسية . ويطلق على فترة التحفز والمقاومة هذه ، اسم ما قبل البلوغ ، وتستمر عادة من العاشرة الى سن الثانية عشرة [٣٨] .

ولهذه الفترة القصيرة التي تربط بين دور الكمون وبداية البلوغ ، علامات مميزة واضحة من ابرزها نفور الفتى من ملاعبة الفتيات . وكذلك نفور الفتاة من ملاعبة الفتيان ، اى ازدياد كل منهما احساسا بجنسه . يرافق ذلك احساس الطفل بالفروق الفردية التي تميزه عن اقرانه .. ففي هذه الفترة تتجلى بوادر الاستعدادات المختلفة ، ويحس الطفل بمواهبه

الشخصية ، سواء كانت عقلية ، ام فنية ، ام جسمية ، ام كانت من قبيل الاماني والامال التي لايساركه فيها غيره •

وباقتراب المرء من البلوغ تزداد ايضا رغبته في الاستقلال وحاجته الى ان يغدو شيئا مذكورا ؛ ومن ثم فهو يسعى ، عادة ، الى اعادة النظر في الروابط التي تربطه بأهله ورفاق طفولته لينبذ منها ما لم يعد متفقا مع نظراته الجديدة ،كما انه يعمد الى مراجعة الحقائق التي كان يتقبلها عن طيب خاطر، فينبذ ما لا ينسجم منها مع وضعه الجديد •• وما يصدر اليه من أوامر والديه ، مثلا لا يتقبله على علاته بل يعمد الى تحليله ، ويتمرد على ما يعده خليقا بطفل صغير •

وفوق هذا وذاك ، فهو ينصرف عما كان يستمتع به كطفل صغير من اصطحاب الاسرة له اثناء الترويح والنزهة ، او هيمنتها على اختيار ملابسه وحاجاته الاخرى ، ويتوق الى الذهاب الى السينما او الخروج للنزهة مع اقرانه ؛ اي انه يتمرد على كل ما كان يستهدف جعله تابعا ، او يقيده بقيود ، او يفرض عليه فروضا ، ويتشوق الى كل ما يشعره باستقلاله وفرديته ويحرره من حياة الطفولة التي يلعب فيها الخيال ، لا الواقع ، الدور الاكبر •

على انه ينبغي ان لا يغيب عن اذهاننا ، ان الفتى ، برغم رغبته في الاستقلال وحاجته الى الاحساس بفرديته والسيطرة على الوسط المحيط به ، يرغب ، في الوقت نفسه ، ان يظل طفلا مستمتعا بروابطه العاطفية بوالديه من خلال تبعية لا تحمله مسؤولية ولا تلقي عليه تبعة • ومن ثم فان ما يبديه من نشاط ينبيء عن رغبته في اخضاع البيئة التي تحيط به وهو يخفي ــ في الحقيقة ــ صراعا داخليا يحس له في نفسه قلقا غامضا ، ثم يتجلى هذا الصراع وذاك القلق واضحين عندما تحل فترة المراهقة (٣٩)

ويشغف الاطفال في هذه المرحلة بالقصص التي تمتزج فيها المغامرة

بالعاطفة وتقل فيها الواقعية وتزيد فبها المثاليـــة ، لذا ســـميت هذه الفترة « بالمثالية » •

واكثر المغامرات التي يتشوق الاطفال اليها في هذه الفترة هي التـــي تقوم ببطولتها شخصيات تتصف بالرومانتيكية ، وخاصة تلك التي تواجـه الصعاب الكبيرة والعوائق المعقدة من اجل الوصول الى حقيقة من الحقائق او الدفاع عن قضية عادلة ، ويتشوقون ايضا الى القصص البوليسية وقصص الجاسوسية ، اما القصص التي تتناول العلاقات الجنسية فانها تجذبهم كثيرا، حيث انهم يشارفون على البلوغ الجنسي

وهنا لابد من الاشارة الى ان التربية الجنسية اليوم قد اصبحت فرعا من فروع علم التربية معترفا به في كل مكان في العالم ، ولم تعد المدارســ والمعاهد تدرسه وتهتم به حسب ، بل انتقل الى المعابد ايضا ، ولا عجب في ذلك ما دامت التربية الجنسية تستهدف تأمين الاتزان العاطفي للراشد وللطفل ــ صغيرا كان ام مراهقا ــ

ويلاحظ اليوم ، ان الكتب الجنسية تنتشر انتشارا واسعا بين الكبار في وطننا العربي ، وفي مقدمة اسباب ذلك هو ان الراشدين يجدون انفسهم في حاجـة دائمـة للتعرف الى الامـور الجنسية التي فاتهـم التعرف اليهـا بشكل دقيق في فترات طفولتهم المختلفة ، رغم ان ما يطرح في الاســـواق اليوم من هذه الكتب لا يحمل في الغالب محتوى علميا سليما • وكثيرا ما يقــرأ الكبــار هـــذه الكتب بعيدا عن اعـين الاخـــرين ، بسبب مـا توارثناه من انه ليس من المناسب الحديث عن الجنس •• بل ما زلنا نخلط ، بشكل غريب ، بين موجةالمتاجرة بالجنس عن طريق الصور والافلام والكتب وبين التربية الجنسية ، وكأنهما قضية واحـــدة ؛ ننظر الى الجنس برهبـــة وخشية ، ونحيطه بالسرية ، وهكذا نفعل ازاء التربية الجنسية ايضا •

ويبدو ان هذه الذهنية تمتد الى امد موغل في القدم ، وخاصـــة في

مناطق الشرق ، حيث كانت الثقافات ترى الانسان كروح لابد له ان يتحرر من الحس ، وبالتالي فان كل قضية جنسية محصورة في النطاق التناسلي فقط ، في الوقت الذي تشكل القضية الجنسية فيه واحدة من العواطف الانسانية •

ان الاطفال يتركون اليوم كي يفهموا بعض حقائق الجنس من الشارع او من خلال كتب وافلام ومطبوعات المتاجرة بالجنس دون ان يتلقوا شيئاً بهذا الصدد وفق اسس التربية الصحيحة •

وعليه ، لابد من مصارحة الاطفال ببعض المشكلات الجنسية كي نبعد عنهم الخوف والقلق والحرمان ، ونحول دون الوقوع فيما وقعنا به من النظر الى الجنس نظرة مشوهة ، وان نبدأ بذلك ابتداء من تفتح عواطف الاطفال ، وهذه ، ولاشك ، تسبق فترة المراهقة بكثير ، لان ما نسميه تربية جنسية ليس الا جزء غير قابل للتجزئة من التربية العاطفية بوجه عام ، والتي لا يمكن لاحد ان يناقش في وجوب الالتزام بها •

ان ادب الاطفال يمكن ان يؤدي ، دورا كبيرا في التربية العاطفية ، بما فيها التربية الجنسية ، ما دام الادب يتسلل الى الذهن والعاطفة « بشكل مؤدب » • ونحن نعرف ان هناك صورا عارية مثلا تثير العاطفة الجنسية قبل كل شيء ولكننا نعرف في نفس الوقت ، ان هناك صورا اخرى ، رغم ما فيها من عري الا انها تعتبر من روائع الفن الجميل ، اذ هي لا تثير العاطفة الجنسية قدر ما تثير العواطف الانسانية الاخرى •

ومما يزيد في اهمية عناية ادب الاطفال بالتربية الجنسية ، هو ان البيت في مجتمعنا العربي ، والمدرسة ايضا ، ما تزالان ، حتى الان ، غير مؤهلتين للقيام بهذا الدور ، لان البيت والمدرسة ، ما تزالان تربطان الجنس بالتحريم والغموض والعقاب والذنب ، بحيث يشعر الطفل ان مجرد التساؤل عن اي قضية تخص الجنس امر هو اقرب الى الجرم •

وهنا ، لابد من الاشارة الى نقطة ، وهي انه ليس من المناسب ان نقدم كل الحقائق والمعلومات الجنسية للاطفال ، لاسباب عدة ، منها ان في الجنس امورا خصوصية ، وهذا يعني ان هناك اسرارا بين الاباء والابناء •• او بين الكبار والصغار ، وهذه الاسرار ينبغي الاحتفاظ بسريتها الى حين ، اضف الى ان كثيرا من الحقائق ـ وهذا ينطبق على كل مجال من المجالات الاخرى ـ لابد ان تظل امام الاطفال ليكتشفوها بانفسهم ويتعلموها حين يحين الوقت المناسب لذلك •

وليس هذا فقط ، بل اننا نرى ان الحقائق والمعلومات المقدمة للاطفال لا تعني شيئا في حد ذاتها اذا لم تسهم في بناء شخصيات الاطفال وتدفعهم الى التفكير والتأمل •• بل ، ان اخطر الحقائق والمعلومات ، في نظرنا نحن الكبار قد لا تثير الاطفال اذا لم تقدم اليهم بكيفية مناسبة ، وسوف نرى ان ادب الاطفال لا يعني بالمعلومات والحقائق وحدها ، مثلما تفعل اكثر المناهج المدرسية ، لان أي لون من ألوان الادب لم يكن يوما حقائق ومعلومات وحسب •

وهناك ، من يرى ان يتجه ادب الاطفال ، في هذه الفترة الى الهاء الاطفال واشغالهم وتنمية الهوايات لديهم فقط ، ولكن هذا وحده لا يكفي لان « ما يقال من انه في استطاعتنا تحويل الطاقة الجنسية لدى المراهق عن طريق ميادين النشاط المختلفة لاستنفادها ، هي وسيلة غير كافية للتغلب على الاضطرابات الجنسية لدى المراهق ، اذ لا يمكن عن طريق هذا التحويل الا استنفاد نسبة معينة فقط من الطاقة الجنسية ، فالكثير مما يسمى : اعلاء ، هو في الحقيقة تحويل للقوة المحتبسة الدافعة الى مسالك اخرى تؤدي الى التعرض الى بعض الامراض النفسية »(٤٠)

وللاطفال في هذه الفترة ميول متعددة ، تسمح لهم بتوجيه نشاطهم في ميادين متعددة اهمها الحياة الاجتماعية ، في الوقت الذي يملك الاطفال الصغار اوقات فراغ كثيرة ، وقد اتضح من ابحاث Terman and Lima

ترمان وليما ان الرغبة في القراءة بقصد التسلية تصل قمتها فيما بين ١٢-١٣ سنة ، وبعد ذلك ، نجد ان قراءة الفرد تحددها ميوله ورغبته في التزود بالمعلومات والخبرة • وقد ايدت ابحاث Eberhart عام ١٩٣٩ هذه النتائج ، حيث اتضح ان الطالب في الفرقة السابقة من مرحلة الدراسة الامريكية (وهي تعادل سن الثانية عشرة) يقرأ بمعدل ٣١ قصة في العام تنقص الى ١١ في سن السادسة عشرة (في الفرقة الحادية عشرة) ، يقابل ذلك ما يقرب من ٢٫٥ بالنسبة الى الكتب غير القصصية Non fiction Reeding في سن الحادية عشرة و ٥-٦ كتب في الاعمار ١٦-١٧ سنة على التوالي ، ومعنى ذلك ان نوع قراءات المراهق وكمية ما يقرأ تختلف باختلاف العمر ، فهو ميال الى قراءات القصص في السنوات المبكرة من حياته ، وتقل تلك الرغبة في السنوات المتأخرة من مرحلة المراهقة ، بعكس ميله الى قراءة الكتب ذات المعلومات العامة التي تحددها ميوله واستعداداته ، فان هذه الرغبة تقل في السنوات الاولى من مرحلة المراهقة وتأخذ في الزيادة في السنوات الاخيرة • (٤١)

وتتنوع قراءات الاطفال في هذه الفترة بين القصص والفكاهات والروايات والاخبار والمقالات السياسية • كما انهم يقضون اوقاتا غير قليلة في الاستماع الى الراديو وتختلف اهتمامات الاولاد عن اهتمامات البنات في كثير من المجالات •

ويلاحظ ان اطفال هذه المرحلة يتابعون برامج الكبار في الراديو والتلفزيون ويميلون الى قراءة كتب وصحف الكبار ، وكثيرا ما تلاقي البرامج والكتب والصحف المقدمة اليهم على اساس انهم اطفال ، عزوفهم لانهم يشمون منها ما ينم على النظر اليهم كصغار في الوقت الذي يعتبرون انفسهم قد شبوا •

وهم لا يكتفون بقراءة القصص فحسب بل يميلون الى اختلاق الاقاصيص بالالتجاء الى عالم الخيال • وهذا ما يسمى باحلام اليقظة •

وليس هناك خطر في التجاء المراهق الى احلام اليقظة ، اذا لم يكـــن يفضل هذه الاحلام على الصلات السوية مع زملائه وزميلاته ، واذا لم يكن يلتمس فيها وسائل للتهرب من الصراعـــات الداخلية ، وما يشعر به مـــن نقص • (٤٢)

وبوجه عام فان الناشيء في هذه المرحلـــة يميل الى انـــواع القصص الوجدانيـــة والى قصص البطولة والجاسوسيـــة ، والقصص التي تشـــمل حوادث العلاقات الجنسية ، والقصص التي تتحقق فيها الرغبات الاجتماعية والمصالح ، كالنجاح في المشروعات الاقتصادية ، والوصول الى درجة القيادة والزعامة (٤٣) •

وينبغي من خلال ما يكتب للاطفـــال ، في هـــذه المرحلة ، عـــدم تسفيه احساساتهم أو النيل من أفكارهماو الاشارة الى انها نزوات صبيانية مثلا ، لان ما يميزهم في هذه الفترة هو حدة حساسيتهم الانفعالية ، وعـدم اتزانهم ، وشدة تعرضهم لليأس ، وتبلور العواطف التشخصية نحو الذات والتي قد تتخذ مظاهر الاعتداد بالنفس •

وينبغي فتح المجال من خلال وسائط الادب للمراهقين لان يبـــدوا اراءهم ، لان ذلك يشعرهم ان افكارهم تلاقي القبول والاحترام ، وقـــد تبين ان تمرد المراهقين في كثير من الاحيان يأخذ شكل اندفاع من اجل عرض آرائهم ، وهم حـين يلاقون اية مقاومـــة فانهم يتمردون او يبـدون آرائهـــم بعجرفـــة ••

ويمكن مناقشة المراهقين ، من خلال وسائط الادب مع عدم النيل منها بشكل مباشـــر ، من اجـــل كسب ثقتهـــم ، ومن توجيههم دون اشعارهـــم بالاحباط او الاذلال •

ومن الشائع في دور المراهقة ان نجد المراهق يبحث في اخطاء الاخرين مع ميله الى نقد تصرفاتهم ، ولا يتخذ هذا النقد شكلا سلبيا ، بل قد يكون

في بعض الاحيان مصحوبا باقتراحات عملية في الاصلاح ، ولا يقتصر هذا الميل على جماعة معينة من الناس او هيئة من الهيئات التي يتعامل معها ، بل نجد ان روح النقد شاملة فهي ضد الاسرة والمدرسة والمجتمع بصفة عامة . وهذه الهيئات جميعا تكوان مصدر ضيق للمراهق ، فهو لذلك لا يتوانى عن نقدها محاولا اصلاحها ، واذا ما تعذر عليه ذلك ازداد ضيقه ، وقد يشتد بعد ذلك نقده ، وقد ينطوي على نفسه يائسا من الوصول الى مأربه [٤٤].

وكلما زادت خبرة المراهق زاد وعيه بمشكلات المجتمع الاجتماعية : سوء توزيع الثروة ، الفقر ، والضغط على الضعفاء . وتنيجة لذلك فأن اتجاهه نحو الاخرين يصبح اتجاها انسانيا ، ويتدرج شعوره هذا الى المجتمع ونظمه ، فينظر اليه نظرة فاحصة ، ولا يصل المراهق الى هذه الدرجة الا في مرحلة متأخرة من المراهقة حيث يكون قد حقق قدرا من النضج العقلي وبلغ قسطا من الثقافة .

ويختار المراهق من يريد من اصدقائه بنفسه ، ويرفض اى تدخل من والديه في ذلك الموضوع ، بعكس الطفل الصغير ، الذى لا يمانع مطلقا في ان يختار له الوالدان بعض الاصدقاء ، او ان يشار عليه بقطع علاقته بهم[٤٥] .

ويبدو ان المراهق في الدور الأخير لهذه المرحلة يبدأ في تكوين عواطف نحو الاشياء الجميلة ، فنجده يحب الطبيعة ، ويعشقها ، ويعبر عن تلك الظاهرة بالرومانسية ، وبجانب ذلك ، فانه يبدأ بتكوين بعض العواطف المجردة التي تدور حول موضوعات معنوية كالتضحية والدفاع عن الضعيف .

ويكون المراهق واسع الخيال ، ويبدو ذلك جليا في كتاباته ، بعكس ما نلاحظه على كتابات الاطفال في المدرسة الابتدائية . واصدق تعبير نستعمله لاجل ان نفرق بين اساليب الخيال عند الاطفال الصغار والمراهقين ، ان اساليب

الفئة الاولى هي اساليب ضحلة ، ساذجة ، بسيطة ، ليس فيها صناعة، بينما أساليب الخيال عند المراهق فيها تزيين وزخرفة(٤٦) •

وفي اواخر مرحلة المراهقة يبدأ الطفل بالدخول الى مرحلة النضوج العقلي والاجتماعي ، ويكون قد كون بعض المبادىء الاجتماعية والخلقية والسياسية سواء اكانت خاطئة ام صحيحة ، وتتضح ، في الغالب ، ميوله وإتجاهاته في الحياة ، ويكون له رأى فيما يحيط به من بيئته الاجتماعية وفيما يتعلق بحياته • وفي هذا الطور يظل الفرد متأثرا بحاجاته الجنسية ، ومن الصعب تحديد نوع القصة التي يميل اليها بسبب ما يعتري حياته من تعقيد ، وان كان لدراسته ومعارفه ومهنته ونشاطه الاجتماعي في الحياة وميوله وثقافته اثر في اختيار الالوان الادبية المحببة اليه • ولما كان لكل فرد ، في هذه المرحلة التي تمثل أواخر فترة المراهقة مثل خلقي واجتماعي اعلى كانت أنسب القصص له ما انتصر فيها مثله الاعلى ، ولهذا لا يمكن حصر انواع القصص المناسبة لهذا الطور لتعقد حياة الفرد ولاختلاف المثل العليا • (٤٧)

ولكن ادب الاطفال يمكن ان تتحدد اهدافه في هذه المرحلة في اشباع حاجات الاطفال وفي توجيههم توجيها نفسيا واجتماعيا وتعليميا ومهنيا •

الفصل الثالث

قراءات الأطفال

المبحث الاول

الاطفال والقراءة

في البداية ، لابد من التعرف الى بدء علاقة الاطفال بالكتب والمجلات والمواد المطبوعة الاخرى :

يمتلك الاطفال اليوم ، بدرجات متفاوتة ، مجموعة من الخبرات عن الكتب والمجلات منذ سنوات طفولتهم الاولى ، ذلك لان الوسائل المقروءة اصبحت جزء من حياة الناس التي تؤلف بيئة الطفل ، فمثلما يمكن لطفل صغير ان يتعرف الى القطة او الشجرة او النار يمكن ان يتعرف الى المطبوعات • وخبرات الاطفال الذين يعيشون في بيوت « تتراكم » فيها الكتب اكثر من خبرات غيرهم •

وعلى هذا لا يمكن القول ان اللقاء الاول بين الطفل والمطبوع ينشأ في المدرسة إذ تسبق ذلك لقاءات كثيرة ومتنوعة ، قد تكون حميمة وقد لا تكون ، وفقا للتجارب الفكرية التي يكونها الاطفال عن المطبوعات •

والقراءة بمعناها الاعتيادي ، تبدأ مع دخول الطفل الى المدرسة : حيث يجمع خبراته الطويلة التي حصل عليها اثناء نموه قبل التحاقه بالمدرسة استعدادا للشروع في القراءة التي تأخذ بالتقدم حتى تصبح قراءة واعية يستطيع من خلالها ان يفهم ما يقرأ •

ومرحلة ما قبل القراءة تمر بخطوات متتابعة ، يمكن اجمالها في الخطوات التالية :

الخطوة الاولى ، لا يبدي الطفل (وعمره في هذه الخطوة عام واحد) اهتماما بالكتاب وينظر اليه نظراته الى الاشياء الاعتيادية الاخرى في محيطه، وحين يقع بين يديه كتاب ، فهو يلهو به ويمزق صفحاته او يقضمه باسنانه الناعمة •

وفي الخطوة الثانية ، يبدي الطفل (عمره في هذه الخطوة ١٥ شهرا) بعض الاهتمام بالصور فيجيل بعينيه نحوها ، ويمد بيديه اليها ، ويتحسس الصور البارزة • وتعد للاطفال في هذه الخطوة كتب غير قابلة للاتلاف بسهولة ، وتتضمن صورا للاشياء الاعتيادية في محيطه •

وفي الخطوة الثالثة ، يشير الطفل (وعمره ١٨ شهرا) الى الصور ويصدر كلمات يعبر بها عن اسماء بعض الاشياء واسماء بعض الحيوانات او عن اصواتها ، كاصوات القطط او الكلاب ، وهذا التعبير هو قراءة الطفل للكتاب •

وكتب الاطفال في هذه الخطوة تتضمن صورا لحيوانات واشياء منها ما هي مألوفة للطفل ، ومنها ما هي غير مألوفة •

والخطوة الرابعة ، وهي مرحلة حب القصص القصيرة البسيطة حيث يدرك الطفل (وعمره فيها سنتان) ان للصور معان اعمق من مجرد الاشياء التي تدل عليها ، ويحب ان يستمع الى من يحدثه عن الصور المسلسلة ، او ان يقص عليــه هذه القصص البسيطة منها . ويبدأ الطفل بملاحظة الحروف الكبيرة المطبوعة على الصفحات .. ونظرات الطفل الى الكتاب هي قراءته لــه .

وفي الخطوة الخامسة ، وهي خطوة البحث عن المعاني ، يبدأ الطفل (ويكون عمره قد تجاوز عامين ونصفا) حركته وانفعالاته نحو الصــور ومشاركته الوجدانية لها ، كأن يضرب الصورة او يقبلها او يحــاول التقاط شيء منها او يكملها .

ويبدي الطفل اهتماما بما يقال له عن هذه الصور ، ويحاول ترديــد بعض ما يقال له ويستمتع بالقصص المرسومة وبالمعلومات التي لها علاقـــة بالاشياء الكبيرة المتحركة كالطيارات والسيارات والسفن وغيرها .

ويحلو للطفل التخطيط على صفحات كتابه بالاقلام الملونة .

الخطوة السادسة ؛ وهي مرحلة سرد القصص وملاحظة الحروف حيث يبدأ الطفل (يكون عمره ثلاث سنوات) مع اخوانه في تمثيل القصص وتصوير وقائعها مثلما يقصها عليهم الكبار . ويستطيع الطفل ان يتعلم جملا تصحب الصور بما لا يزيد عن جملتين . وينصت الى الجمل التي تقال له ، وتزداد قدرته على تفسير الصور والقصص وسرد قصة بسيطة ذات حادثتين او ثلاثة حوادث مترابطة . وينتبه ، بشكل اكبر الى الحروف الواضحة في الكتاب .

وفي الخطوة السابعة يأخذ الطفل (عمره اربــع سنوات) في مشــاركة الاطفال الاخرين في اللعب في خارج بيته ، ويهتم بما يثير الضحك في الكتب ، وخاصة الصور الهزلية ، وتصبح لــه القدرة على حفظ قصصها وســردها ،

وتسره القصص الخيالية ، ويريد لكتبه ان تكون ذات صور واضحة ودقيقة، ويأخذ بالتساؤل عما يجهل له سببا او جوابا .

وكتب اطفال هذه المرحلة تستعين بالكلمات بشكل اوسع ، بل تبدأ الكلمات في منافسة الصور ، وهم يحفظون كلماتها ويميلون الى ترديدها .

وبين سن الخامسة والنصف والسادسة يمر الطفل في مرحلة الانتقال من مرحلة ما قبل القراءة الى مرحلة ممارسة الوان النشاطات المتعلقة بالقراءة نفسها ، وهي مرحلة دقيقة وحاسمة يحس الطفل فيها بالحاجة الى القراءة بعد ان يكون قد كوّن معظم مهاراته الاساسية اللازمة لها .(٤٨)

ومن الامور ذات الاهمية ان يكون لدى الاطفال ، نتيجة لجهودهم الباكرة في القراءة ، شعور لطيف ناشيء عن رضاهم عن انفسهم وحسن تقديرهم لذواتهم . وعندما تكون اتجاهات الطفل نحو القراءة صحيحة ، وتكون المادة التي يتطلب من الطفل تعلمها في نطاق قدرته — اى انها لا تكون غاية في السهولة فتخلو من روح التحدي لقدرته او غاية في الصعوبة فتدفعه الى الفقرة منها — وعندما يكون التعلم ماضياً في طريق النجاح ، لابد ان تنشأ لدى الطفل حاجة طبيعية للاستمرار في التعلم ، كما لابد ان يستقبل المراحل التي تأتي بعد ذلك من مراحل تعلم القراءة في اهتمام وسرور ، وهذا الشعور يخدم عمليات التعلم عند الطفل كما يساعده في الاحتفاظ بما يتعلمه .

وحاجة الطفل الى تعلم القراءة تتوقف على طبيعة تجاربه السابقة فيها ، كما تتوقف على ما اذا كان قد تعلم كيف يستمتع بها ، وكيف ينمو نموا طبيعيا وكيف يستقبل تطورات هذا النمو .

اثر القراءة في الاطفال

يقول سومرست موم : ان الشهية للقراءة تتفتح على ما تتغذى به ، اكثر من تفتحها على اي شيء اخر ، وكلما ازدادت قراءات الناس واتسعت اذواقهم ، ادركوا مقدار المتعة التي يمكن تلمسها في ثنايا ما يقرأون .

وهو يرى ان ما ينشأ عن القراءة من سعة الافق ، واستقلال في الـرأي ونمو في روح التسامح وكرم الاخلاق ، يمكن اعتباره فيما بعد « حدثا مـــن اهم احداث ايامنا الحاضرة » •

وقد عرفنا ان الطفل يمكن ان يتأثر بالكتاب قبل دخوله المدرسة • وكثير من الامهات والاباء يجهلون مثل هذا الاثر ، لذا لا يظهرون اهتماما بكتاب الطفل الصغير ، بذريعة ان الطفل لم يتعلم القراءة بعد • وفي هذا تجاهل او جهل بأثر المنبهات في عملية تعلم الطفل •

وكتاب الطفل الصغير، الذي لم يتعلم القراءة بعد ، يشوقه الى الاهتمام بالقراءة فيما بعد • ومن ناحية اخرى فان تصفح الكتاب مع الطفل الصغير يعينه على تعلم اللغة بشكل سليم ، ويفتح أمامه افاقـا واسعة من المعرفـــة والاكتشاف •

وتصفح الام والطفل للكتاب يوجد علاقة من نوع جديد بينالام والطفل تشبيهة بادخال اللعبة فيحياة الطفل،والفارق بيناللعبة والكتاب في هذهالمرحلة الباكرة من الطفولة ، انه يمكن ترك الطفل ليعلب بلعبته بمفرده ، بل كثيرا ما تستخدم الام اللعبـــة لتشـغل الطفـل بهـــا في حالـــة انشـــغالها او غيابهـا ، امـا الكتـاب فيحتـاج الى وجـود الام ، وبذلك يعمـل الكتاب على نقل علاقة الطفل بامه من علاقة فيزيقية « الرضاعة والحاجة الى الطعـــام والنظافة ••• » الى علاقة فكرية روحية • ففي اثناء التصفح تسأل الام طفلها عما يراه ، وتساعده في التعرف على ما لا يستطيع تبينه ، بل ان عمليـة تقليب الصفحات هي عملية فنية لأصول التعامل مع الكتاب[٤٩] •

ونتيجة التصفح ، ستجد الام طفلها ، وهو يقبل على الكتاب بعد ذلك، ويذهب لاحضاره بنفسه ، ويطلب من امه اعادة مرافقته له في كتابه ، وتكرار هذه الخبرة السعيدة التي يشعر بها الطفل بالمشاركـــة الوجدانية والمحبـــة العميقة التي تربط بينه وبين امه • ومن هنا ينشأ الشعور بثقة الطفل وقدرته

على الإعتماد على مستوى ناضج يتمثل في الام او الاب في هذه المرحلة ، ثم المعلم في المدرسة ، ثم الرئيس في العمل[٥٠] •

وتنشأ ثقة من نوع اخر بالكتاب ، فيعتمد الطفل عليه كمصدر موثوق للمعرفة وهنا يبدأ الطفل بمواجهة الواقع ، وهو انالوالدين ليسا مصدر كل معرفة ، وانه من الاجدى والانفع في حالات كثيرة الالتجاء الى الكتب •

وتلي عملية التصفح ، عملية القراءة للطفل بصوت معبر يجذب انتباه الطفل • ومن المهم ملاحظة هذا التدرج في الاقتراب الى الطفل ، ففي عملية التصفح يترك الجانب الاكبر للطفل، ليلاحظ، ويعبر، ويسأل• وبذلك لا يشعر بالدونية ، او ان العملية فوق مستواه • وفي عملية القراءة تدخل عوامل اخرى منها التعبير الصوتي ، الذى يضع الاساس لنشاطين مهمين هما الاستماع الى الموسيقى ، والتمثيل او التذوق المسرحي •

وقراءة الكتاب تصاحبه عادة مشاهدة الصور وتأمل الحروف • مما يدعو الطفل الى ان يمسك بالقلم ويحاول رسم ما يرى او يقلد اشكال الحروف • وهذا يغرس في نفس الطفل مبادىء الاهتمام بالفنون التشكيلية •

ومن هذا يتضح ان الام تستطيع في هذه الفترة الباكرة من تلكالمصاحبة لطفلها ، سواء عن طريق تصفح الكتاب معه ، او قراءته له ، ان تتبين مدى قدرته العقلية ، وما اذا كان موهوبا او متوسط الذكاء او متخلفا عقليا • كذلك قد تكتشف بعض المعوقات البدنية مثل الحول او ضعف السمع وما الى ذلك ولا شك ان اكتشاف هذه الجوانب في الوقت المناسب تتيح الفرصة لعلاجها في وقت مبكر قبل ان تنشأ عنها بعض المضاعفات او العاهات ، كما ان تعرف الوالدين الى درجة ذكاء الطفل ومواهبه تساعدهما على توجيهه الوجهة المناسبة • أما من ناحية الطفل نفسه ، فان اعتياده على الكتاب يخلق بينهما ألفة ومودة ، ودفء العلاقة بين الطفل وامه او ابيه في صحبة الكتاب

تجعل الطفل ينفتح على افاق المعرفة طالبا المزيد • وكثيرا ما نرى اطفالا يعزفون عن القراءة واخرين يقبلون عليها • والعزوف والاقبال على القراءة اتجاهان تغرس بذورهما في تلـــك المرحلة الباكرة مـــن العمر ، واساسهما نفســـي بحت (٥١) •

وهناك نوعان من النمو في ميدان القراءة ، نمو عملية القراءة ذاتها ونمو المهارات والمفاهيم والاتجاهات التي تجعل عملية القراءة ذاتها عملية ناجحة • فالطفل يبدي تقدما في القراءة ، مثلا ، اذا استطاع ان يحصل من الســـياق على معنى الكلمة غير المألوفة لديه ، واذا ادرك الافكار الرئيسة في فقرة معينة، وميز بوضوح بينها وبين التفاصيل الثانوية ، واذا قام بتحليل ناقـد للمادة المقروءة ، وفحص مدى صحتها ومـدى قابليتها للاعتماد ، واذا ربط بينها وبين خبرته السابقة •

ومهما بلغت أهمية هذا النوع من النمو فانه لا يعدو ان يكون وسيلة لغاية ، فالغاية من القراءة هي نمو الفرد وتقدمه نتيجة لقراءته ، وهذا النوع من النمو يتمثل في مدى قدرة القارىء على ان يحدث ــ على ضوء ما قرأه ــ تكييفات شخصية واجتماعيـــة ، وان يشـــترك بتعاطفه في حياة الاخرين ومشكلاتهم • وكلما نما الاطفال عن طريق القـــراءة ، زاد الاحتمال في ان يصبحوا افضل ، بوصفهم افرادا ، او اعضاء في الجماعات التي ينتمون اليها • وكل برنامج يعد لتنمية احد نوعي القراءة وحده ، دون ان يتخطاه الى النوع الاخر يهدده خطر الانحياز الى جانب واحد ، كما يعرض للخطر النمو المتكامل للطفل (٥٢) •

وتشير الاحصائيات حول قراءات الاطفال ، ان الذين يقرأون منهـــم قراءات حرة خاصة بهم في مقدمة التلاميذ ، وثبت ان العجز في القراءة يعيق عملية التحصيل ، وان الطفل لا يستطيع ان يتقدم في عمله المدرسي وحياتـــه العامة ما لم يكن قارئا جيدا لكتبه المدرسية وللمطبوعات الاخرى المخصصة للاطفال • وهذا ينفي نفيا قاطعا ما يقال من ان قراءات الاطفال الحرة تؤثر

تأثيرا سالبا على تحصيله المدرسي . الى جانب ما للقراءة « من اهمية في توسيع ميول الاطفال وترقيتها واخصاب خبراتهم وانمائها ورفع مستواهم في جميع نواحي النمو » . (٥٣)

وحين تقصر المدرسة همها في حشو اذهان التلاميذ بالمواد المدرسية التي يحتويها منهج الدراسة عن طريق التلقين والحفظ من الكتب المدرسية ، بقصد النجاح في الامتحان ، تكون قد فشلت في اعداد الطفل للحياة ، لان هذا الاسلوب يفوت على التلميذ اشياء كثيرة ، فهو قد يستوعب الدروس ، وقد يجد القدر الكافي منها في الكتاب المدرسي ، وقد ينجح في امتحان ، ولكنه يفشل في الحياة بعد التخرج من المدرسة ، لان اكتساب القدرة على جمع الحقائق من مصدرها قد فاته ، كما فاتته رؤية المسائل من زوايا مختلفة ، حيث انه لم يراها الا من كتاب واحد ، ومن وجهة نظر مؤلف واحد ، وفاته اكتساب القدرة على تعليم نفسه بنفسه ، كما فاته الاعتماد على النفس ولذة البحث ، وما تدفع اليه من الجد والصبر والمثابرة(٥٤) .

وتمهد القراءة للطفل طريق الاستقلال ، عن ابويه وعن الكبار ، بوجه عام ، لانها وسيلة تخرجه شيئا فشيئا من اعتماده على ابويه واحتمائه بدفء حضنيهما ، وتبعده عن اتكاله على حنانيهما لانه يحيا مع قراءته حياة جديدة . ويقول الباحثون بشؤون التربية : ان القراءة تخرج الطفل لسويعات من طوق عاطفة الامومة والابوة المفرطة التي تعود الطفل ، في كثير من احيان ، على الانانية ، وحب الذات .. وهذه بالتالي تحول بينه وبين الجرأة والشجاعة والتضحية والاخلاص ، لان عاطفة الام والاب المفرطة ازاء الطفل تلتقي في النهاية مع الانانية .

ومن هنا يتضح ان القراءة ذات تأثير ايجابي كبير في مستوى الطفل الدراسي ، كما انها ذات تأثير في مستقبله فيما بعد .

ان اللحظات السعيدة التي يدخلها مطبوع انيق مناسب الى نفسية الطفل

تهيء له ان يسعى من اجل مطبوع ثان ، وثالث ، وبالتالي يتهيأ له التفاعل مع الحياة والعمل من اجل تكييفها ، وقد يقود به ذلك الى ان يمسي باحثا او اديبا او عالما او مخترعا ، او ، قد : يسمي طاقة تنبض بالقوة والحيوية والاخلاص •

وتلعب القراءة دورا مهما في تمضية وقت فراغ ممتع ، تتهيأ للطفل فيها خبرات متعددة ، فضلا عن المتعة العقلية •

وعلى هذا فقراءات الاطفال تحدث تكييفات في حياتهم ، وتضفي عليها لونا جديدا وطابعا متميزا ، لانها تفعل فعلها في شخصياتهم ، وتزودهم بالخبرات والمهارات التي تعينهم على تنمية قدراتهم وتفتح اذهانهم وتوسع افاق خيالاتهم ، وتؤثر في سلوكهم واتجاهاتهم ، فضلا عن انها عنصر بارز في العملية التعليمية • والطفل الذى يشب بعيدا عن القراءات الحرة في صغره يظل عازفا عنها في الغالب ، طيلة حياته ، ويصعب على اجهزة التنشئة الاجتماعية المختلفة التأثير فيه ، في كبره ، بسبب عدم تكامل شخصيته ، ولذا يجد نفسه متخلفا في عصر يتميز بسعة افاق المعرفة •

المبحث الثاني

تنمية ميول الاطفال القرائية

في البداية من الضروري وضع اجابة للتساؤل :

ــ هل يجب ان يعلم الاباء ابناءهم القراءة قبل ان يلتحقوا بالمدرسة ؟

ــ ان الدلائل كلها تثبت ان الاباء والمعلمين لا يستطيعون ان يتعجلوا الطفل في تعلم القراءة قبل الاوان ، شأن اي مظهر من مظاهر النمو . اما كون الطفل يستطيع تعلم القراءة قبل الالتحاق بالمدرسة او لا يستطيع ، فهذا يتوقف على سرعة نضجه العقلي او بطئه ، بل ان الطفل البطيء النضج عقليا ، قد يتعطل في تعلم القراءة حتى بعد ان يدخل المدرسة ويقضي فيها عاما او عامين ، بينما يتلهف الطفل السريع النضج عقليا ، القوي الاستعداد الى تعلم القراء قبل أن يدخل المدرسة بوقت غير قصير .. وعلى هذا ، فان الاسراع بتعليم القراءة لأي طفل قبل بلوغه النضج الكافي يؤدي الى عواقب سيئة . والطفل الذى ندفعه الى تعلم القراءة قبل الاوان ينشأ لديه ، في الغالب ، شعور بعدم الثقة في نفسه وبانه شخص فاشل ، لانه يحس بانه غير قادر على أن يفعل

ما يريده له الكبار من حوله •• ويقود هـذا ، الى شعوره بالهزيمة ، والى كراهيته المدرسة والتعليم والقراءة(٥٥) •

وقد اقيمت تجربة في هذا الموضوع في احدى المدارس اسفرت عن ان التلاميذ الذين يؤجل تعليمهم القراءة سنـة ونصف بعد دخول المدرسـة يستطيعون ان يلحقوا بزملائهم الذين سبقوهـم في التعليم بل ويتفوقـوا عليهم •

وفي هذه التجربة ترك ٢٥ تلميذا بدون محاولة لدفعهم على تعلم القراءة لمدة سنة ونصف ، ولكن جو الصف كان مليئـا بالرسـوم والصـور ، ويمكنهم النظر اليها كما شاءوا ، وكان المعلم يجيب عن اسئلتهم ، ويقرأ لهم اذا طلبوا ذلك • ومع ان المعلم كان يكتب امامهم على السبورة الا انه لم يبذل معهم اي محاولة يضطرهم بها الى تعلم القراءة بانتظام في كل درس ، ولـم يعطوا تمارين ولا اختبارات •

اما المجموعة الثانية فأعطيت دروسا منتظمة في القراءة بالطرق المعروفة وكان عددهم ٢٥ ايضا وكانوا متكافئين مع المجموعة الاولى من حيث السن ومستوى الذكاء ، بل وفي الوسط الاجتماعي الذي جاءوا منه واسـتمرت التجربة سبع سنوات ، وفي السنة الثانية كانت المجموعة الاولى مختلفة عـن الثانية ،ولكن في نهاية السنة الرابعة كانت الاولى متقدمة عن الثانية بنصف سنة تقريبا ، وزدادت سرعة تقدمها كثيرا عن المجموعة الثانية في نهاية السنـة السابعة •

وفي نهاية السنة الثالثة قام احد علماء النفس بفحص المجموعتين مـن غير ان يعرف ايهما مجموعة التجربة وايهما مجموعـة المقارنة ، فوجـد ان مجموعة التجربة كانت متفوقة في التلهف والرغبة في التعلم والتلقائيـة في التعبير وتوجيه النشاط الذاتي والتعاوني •

كما قام معلم بعمل تقديرات لتلاميذ المجموعتين فتفوقت مجموعـة

التجربة ايضا ومعنى ذلك ان التلاميذ استفادوا من تأجيل دفعهم لتعلم القراءة ، ولم يخسروا شيئا ، والسبب في ذلك هو ان احدا من مجموعة التجربة لم يقاس من الشعور بالخيبة ولم يتعرض للفشل(٥٦) .

وحاجة الطفل الى تعلم القراءة تتوقف على طبيعة تجاربه السابقة فيها ، كما تتوقف على ما اذا كان قد تعلم كيف يستمتع بها ، وكيف ينمو نموا طبيعيا ، وكيف يستقبل تطورات هذا النمو .

والاطفال الذين تتكون لديهم خبرات سعيدة مع الكتب منذ سنوات اعمارهم الاولى ،تنشأ لديهم الرغبة في القراءة قبل ان يذهبوا الى المدرسة بوقت طويل (٥٧) .

والقراءة ذات تأثير مزدوج دائما ، فاذا كانت القراءة قد علمت الانسان كيف يتناول الدواء للشفاء ، فانها علمته كيف يتناول السم منتحرا .. والطفل الذي يعتادالقراءة في صغره فتقود به الى ان يصبح طاقة خلاقة في مستقبل حياته ، فانها اذا اسيء توجيهها تصبح ذات خطر وبيل على الطفولة . وكم من لقاء عكر بين الاطفال وبين المطبوع جعل منهم ينفرون نفرة شديدة من القراءة ، لذا كان من الضروري تنمية ميول الاطفال القرائية تنمية سليمة .

ونحن نعلم ان توصيات المعلم لتلاميذه لكي يقرأوا ، لا تعني انهم سيلبون الوصايا ، سواء كانت تلك الوصايا بشكل اوامر او نصائح ودية .. ، ان هناك اكثر من سبيل لتنمية ميول الاطفال القرائية . (٥٨)

ولكي ننمي ميل الاطفال الى القراءة ، يجب ان نعنى عناية دقيقة بالمادة المقروءة وبالثوب التي ترتديه ، بحيث يجدون فيها ما يناسب اذواقهم وما يثير فيهم عواطف وانفعالات سارة .

ومما ينمي ميول الاطفال القرائية ، الجو العام الذي تهيئه للطفل اثناء القراءات الاولى ، بوجه خاص ، بما في ذلك المكان ، والزمان ، والمرشد، سواء كان ابا ام اما ام معلما ام أمينا للمكتبة . وهذا ييسر للطفل ما يتعرضه

من صعوبات ، ويغريه ، ويشجعه على القراءة بمختلف السبل ، من حيث اظهار المرشد اهتمامه بما يقرأ الطفل ، او بمشاركته له في القراءة احيانا ، او التحدث معه عقب القراءة في مناقشة طريفة ممتعة .

ومن الثابت في علم النفس ان ادراك الشخص لنتائج اعماله يشجعه على متابعة العمل ، ولهذا يكون من المفيد ان يشعر الطفل بنتائج قراءاته بالوسائل المختلفة ، كالاستفسار منه عن بعض جوانب ما قرأ او الاستماع اليه يتحدث عما قرأ ، او يقص علينا القصص بحيث نقبل منه ما يستخلصه من غير ان نسفه آراءه او نقلل من قيمتها او نبالغ في تجسيم اخطائه[٥٩] . واية سخرية او تأنيب او عدم اشباع حاجة الطفل الصغير تشكل نوعا من الاعاقة الانفعالية التي تقف في سبيل تقدمه ونشاطه [٦٠] .

وفي الوقت الحاضر ، ينتقد الكبار ، في كل مكان ، طريقة تعبير الشباب عن انفسهم ، ويقولون : ان الشباب مترددون ومربوطو الالسنة ، وغير دقيقين . ويصفون مظاهراتهم الصاخبة واغانيهم وموسيقاهم ، وفنونهم المختلفة بانها : افكار قصيرة العمر ، وكلائش لشعارات مغناة .. ويرجع المربون ذلك الى عامل رئيس هو عدم ميل الشباب الى القراءة في مرحلة طفولتهم ، ولكن كثيرا ممن يوجهون هذا الاتهام الى الشباب ينسون انه في اقطار كثرة ينتسب الشباب الى طبقات اجتماعية متخلفة ، وهم لا يميلون الى القراءة لانهم لم يجدوا ما يهيء لهم اسباب القراءة او يشجعهم عليها [٦١] .

وتتوالى في الوقت الحاضر الجهود في كثير من بلدان العالم من اجل تشويق الاطفال الى القراءة حيث تعمل الهيئات التربوية والثقافية ومؤسسات النشر الخاصة بالاطفال من اجل تقديم المادة المقروءة الى الاطفال في صيغ جذابة عن طريق كتب ومجلات مزدانة بالرسوم والالوان الجميلة، ومطبوعة طباعة فاخرة بحروف واضحة .

اما المكتبات فتعمد الى اغراء الاطفال عن طريق تهيئة اجواء مناسبة للطفل تجذبه للبقاء فيها اطول مدة ممكنة ، فالقاعات نظيفة واسعة ، مكيفة

الهواء لها مقاعد ومناضد مريحة وسجاجيد لمن يرغب من الاطفال ان يقرأ نائما ، والجدران مزينة بلوحات ورسوم جذابة ، وتلحق بالمكتبات حدائق يقرأ الاطفال تحت اشجارها او تحت نور الشمس ، وساحات يلهون بها في فترات الاستراحة •

وتترك للطفل ، عادة ، حرية اختيار الكتاب بنفسه ، حيث تنظم الكتب في رفوف مفتوحة ، دون ان يتدخل عاملو المكتبة في فرض ارائهم •

ويجد الاطفال في مكتباتهم ، اضافة الى الكتب والمجلات والصور والرسوم والخرائط ووسائل اللهو والثقافة الاخرى كالافلام السينمائية والاسطوانات الموسيقية ، واسطوانات الحكايات والقصص والمعلومات ، حيث يستطيع الاطفال ان يستمعوا الى القصص والحكايات في غرف خاصة يطلقون عليها مستودعات القصص والحكايات •

وكل ما يجده الاطفال في مكتباتهم ، سواء كانت مجلات ام كتبا أم وسائل لهو وثقافة ،فانها مصممة وفق مواصفات تربوية •

ويتولى شؤون المكتبات في العادة خبراء يفهمون نفسية الطفل ، بل هم يفهمون جيدا الاجابات الصحيحة للاسئلة الثلاثة الاساسية في هذا المجال وهي ؛ لماذا يقرأ الاطفال اولا ، وما يجب ان يقرأ الاطفال ثانيا ، وكيف يجب ان يقرأ الاطفال ، ثالثا •

وفي ختام حديثنا عن تنمية الميول القرائية للاطفال ، نشير الى ان عزوف الكبار اليوم عن القراءة في مجتمعنا العربي مرده ، بالدرجة الاولى الى ان عملية تنمية تلك الميول لم تتم اثناء الطفولة • ونؤكد ان خلق العلاقة الحميمة بين الفرد والكتاب هي خير عملية لتنمية القراءة •

الباب الثاني

أدب الأطفال

الفصل الاول

نظرة عامة

ادب الاطفال ، فرع جديد من فروع الادب الرفيعة ، يمتلك خصائص تميزه عن ادب « الكبار » رغم ان كلا منهما يمثل اثارا فنية يتحد فيها الشكل والمضمون .

وليس بالوسع تحديد موضوعات ادب الاطفال ، لان ميادين الادب ، سواء كانت للكبار ام للاطفال ـ فسيحة واسعة الافاق ، ولكن يمكن القول ان موضوع ادب الاطفال هو عرض للحياة من خلال تصوير وتعبير متميزين .

واذا أريد بأدب الاطفال ، كل ما يقال اليهم بقصد توجيههم فانه قديم قدم التاريخ البشري ،حيث وجدت الطفولة . اما اذا كان المقصود به ذلك اللون الفني الجديد الذي يلتزم بضوابط فنية ونفسية واجتماعية وتربوية ، ويستعين بوسائل الثقافة الحديثة في الوصول الى الاطفال ، فانه ـ في هذه الحالة ـ ما يزال من احدث الفنون الادبية .

وحيث ان هذا الادب قد بلغ عصرا من عصور ازدهاره اليوم واتخذ له

تقاليد خاصة ، لذا لا يمكن القول ان ما كان يقال الى الاطفال هو جزء من ادب الاطفال ، رغم ان هذا يحرمنا من الفخر بزياد ابينا ادم وامنا حواء - في هذا المجال - واللذين تحدثا - دون شك - الى ابنيهما كثيرا !

وعليه ، فان ادب الاطفال ، في مجموعه ، هو الاثار الفنية التي تصور افكارا واحساسات واخيلة تتفق ومدارك الاطفال وتتخذ أشكال : القصة والشعر والمسرحية ، والمقالة ، والاغنية .

ويؤلف ادب الاطفال دعامة رئيسة في تكوين شخصيات الاطفال عن طريق اسهامه في نموهم العقلي والنفسي والاجتماعي والعاطفي واللغوي وتطوير مداركهم واغناء حياتهم بالثقافة التي نسميها ثقافة الطفل ، وتوسيع نظرتهم الى الحياة وارهاف احساساتهم واطلاق خيالاتهم المنشئة . وهو ليس اداة - بحد ذاته - لفائدة الطفل بقدر ما هو اداة للنهوض به وبالمجتمع كله .. انه وسيلة من وسائل حياة الطفل التي هي اساس حياة المجتمع كله . وعليه يقوم البناء النفسي والاجتماعي والعاطفي والعقلي للانسان الجديد .

وادب الاطفال لم يكن طارئا على الادب العربي فحسب ، بل هو طارىء على الآداب العالمية كلها ، لان الانسان لم يقف على سلوك الطفل وقفة علمية الا في السنين الاخيرة . ولا عجب في ذلك ، لان اهتمامات الانسان ودراساته، منذ اقدم الازمنة ، بدأت كاهتمامات كونية بعيدة عن حياة الانسان نفسه . حيث تطلع الى النجوم والكواكب وتأمل الظواهر الطبيعية ، بغية التعرف اليها ، في محاولة لاخضاعها تحت سلطانه ، قبل ان يحاول التعرف الى طبيعة سلوكه الانساني . والدراسات الانسانية ، وبوجه خاص النفسية منها ، تعد اليوم حديثة العهد ، اذا ما قيست باعمار العلوم الفلكية والكونية الاخرى .

والحكايات والخرافات التي كان يتناقلها الناس منذ عصور الانسان الاولى ، هي حصائل نظراته الى الحياة ،وخلاصة لتجاربه المحدودة ، وتصوير لاحساساته وخيالاته وانفعالاته .

ولا يمكن اعتبار تلك الحكايات والخرافات ادبا حقا للاطفال ، حتى وان كان الاطفال يومذاك يستمعون اليها مع الكبار . ذلك ان الانسان لم يراع في صياغتها تلاؤمها مع خصائص الطفولة وميزاتها . وقد تضمنت اكثر الحكايات والخرافات التي صاغتها الانسانية عبر تاريخها المديد على مواعظ جافة وعبر قاسية وتوجيهات كئيبة .

والملاحظ ان ادب الاطفال في بدء نشوئه قد اعتمد على تلك الخرافات والحكايات ، واستمد منها نزوعها الى فرض القوانين الاخلاقية وعرض العظات الارشادية الثقيلة .

والانسان لم يكتشف الطفل ، الا في وقت متأخر جدا ، وفي المجتمعات، قبل عصر التعلم ، كان الطفل مرئيا من خلال علاقته الاجتماعية والاقتصادية والدينية للقبيلة او الطائفة التي ينتمي اليها[1].

وكانت النظرة الى الاطفال ، قبل سنوات غير بعيدة ، ترى انهم رجال صغار، ليس بينهم وبين الراشدين من فوارق الا في الدرجة. في حين أن الطفل كائن فريد في ذاته له طرق تفكير وله انفعالات وميول خاصة به ، وقد أوحت تلك النظرة الخاطئة التي ترى الطفل رجلا مصغرا ، بنظرة خاطئة أخرى ترى ان أدب الاطفال ليس الا شيئا مبسطا من أدب الكبار .

ولكن تبين للباحثين ان الاطفال ليسوا راشدين صغارا ، لهم كل ما للراشدين من صفات عقلية وعاطفية وحسية وخيالية بصورة مصغرة أو قليلة ، بل لهم صفاتهم الخاصة بهم . ومع أن عملية نمو الطفل هي عملية مستمرة ، لكنها تمر بمراحل مختلفة السرعة ، ومختلفة الاتجاه ، فهناك خصائص معينة لا تظهر الا في فترات معينة من مراحل النمو ، واخرى تضمر ، وقد تنمحي ، وثالثة تأخذ اتجاها جديدا .

ولو حاولنا ان نتتبع نشأة ادب الاطفال ، بصورة أدق ، لاكتشفنا أن الاطفال ظلوا يتامى الادب حتى وقت قصير .. فقد سعى الاقدمون الى فرض

طرائق تفكيرهم واساليب عملهم التقليدية على اطفالهم دون الالتفات الى عواطف الاطفال وميولهم ونوازعهم ، وتراءت لهم في بعض نوازع الاطفال وميولهم شرور عملوا على كبحها •

لقد سعى الاقدمون لتكوين ابناء لهم يشابهونهم في كل شيء • والصيحة القائلة : « انك تحاول جعل ابنك شخصك الثاني في حين ان في شخصك الكفاية » لم تنطلق الا حديثاً •

وقد ظلت الاتجاهات الخاطئة سائدة آلاف السنين ، حيث غذتها بعض العقائد الدينية والفلسفية والاجتماعية والتربوية، وكرستها النظم السياسة حتى وجدنا في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر فلسفة متكاملة تنحو ذلك النحو في التربية ، وقد كانت تلك الفلسفة ترتكز على ثلاثة أسس هي :

ـ الاذعان لما قدر لنا في هذه الحياة •

ـ الشر في الطفل طبع لا يستأصله الا مراقبة الوالدين واولو الامر ، ولا سبيل الى اصلاحه الا بصولة العصا وارهاب السوط ، ما دام رجلا صغيرا عليه ما على الرجال من قيود •

ـ لكل فرد في المجتمع حدود ليس له الحق في تعديها ، وهو يواجه العقاب ان لم يرعوِ لها ، سواء أكان طفلا أم راشدا •

وعلى هذا الثالوث قامت التربية القديمة ، فكان على الناس أن يطبعوا أنفسهم على الطاعة العمياء لحكامهم ومدرسيهم وكل من له الامر عليهم ، وقد كان المبدأ دائما هو اعداد مواطن خامل ليتبوأ مركزا خامدا في مجتمع راكد[٢] •

وفي ظل سيادة المفاهيم التربوية الخاطئة ، وسيادة بعض الافكار الدينية، وخاصة في فترة الاصلاح الايطالية ، نشأ أدب للاطفال في الغرب في القرن

السابع عشر ، مستمدا مقوماته من الحكايات الشعبية الشائعة ، وكانت - في غالبيتها - خرافية يلعب البطولة فيها الجن والشياطين والعفاريت والسحرة ، وتسيّر أحداثها قوى خارقة وتحركها صدف واقدار مختلفة ، أو حظوظ حسنة أو سيئة •

وكانت أكثر تلك الحكايات قاسية تبشر بالعقاب والثواب •

وبسبب التطور الذي حصل في طبيعة النظام اثر انتقال المجتمعات الاوربية من عهد الاقطاع الى بداية العهد الرأسمالي وجد أدب للاطفال يتخذ صيغا وأهدافا يراد منها تطويع الاطفال لان يشبوا في مستقبل حياتهم يجلون النظام الجديد ويطأطئون له الرؤوس ويحمونه •

ولكن فلسفة واضحة لأدب الاطفال لم تكن آنذاك ، فقد كان يتمثل في اشتات متفرقة من الحكايات الشعبية والخرافات الشائعة ، اضافة الى تلك المنسوبة الى مؤلفين مثل خرافات ايسوب Aesop's Fables حيث طبعت الخرافات الاخيرة بين (١٤٧٥ - ١٤٨٠) ثم ترجمها كاكستون الى الانكليزية ، وطبعها عام ١٤٨٥ •

وفي أواسط القرن الثامن عشر نادى الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو « ١٧١٢ - ١٧٧٨ » بان هدف التربية هو أن يتعلم الانسان كيف يعيش ، وان تترك للطفل فرصة تنمية مواهبه الطبيعية ، وان تقدم له المعلومات التي يحتاج اليها • فكانت صيحته ذات وقع شديد استجاب لها كثير من الكتاب والمربين ومزجوا بين آرائه وآراء الفيلسوف البريطاني جون لوك John Locke « ١٦٣٥ - ١٧٠٤ » في التربية والفلسفة ، ولكنهم تعسفوا في ذلك ، وأفسدوا صيحة روسو عندما امطروا الاطفال بوابل من قصص المعلومات والحقائق بعيدا عن الخرافات وقصص الخيال ، متجاهلين مشاعر واحساسات الاطفال •

وبسبب طغيان ذلك الاتجاه عزف الاطفال عنها ، واتجهوا الى حيث

يتجه الكبار ، يتلمسون بعض ما يشبع خيالاتهم في بعض الالـوان الادبية البسيطة المقدمة للكبار ، رغم ان بســاطة أي لون ادبي لا تعني ملاءمتــه للاطفال ، بل لابد أن يرافق ذلك تناسب مضامينه مع قدرات الاطفال العقلية والخيالية والعاطفية •

والحقيقة ان عدم تبلور أدب للاطفال خلال تلك الفترات مهد لدخول عديد من الكتابات الى عالم الاطفال رغم انها لم تكن بالاساس مقدمة لهــم مثل امثولات لافونتين Lafontaine « ١٦٢١ – ١٦٩٥ » التي صدرت بين (١٦٦٨ – ١٦٩٤) في ٣٢٠ خرافة موزعة في اثنى عشر كتابا،،وقصص فيدروس الهجائية الســاخرة والمريرة ، وأشعار ســير والتر ســكوت Scott « ١٧٧١ – ١٨٣٢ » الشعبية ، وقصص المغامرات لكبلنج (١٨٦٥–١٩٣٦)•• وغيرها الكثير •

ومن اوائل الذين كتبوا خصيصا للاطفال الشاعر الفرنسي تشارلز بيرو Charles Perraut « ١٦٢٨ – ١٧٠٣ » وكانت اولى قصه « حكايات امي الاوزة » التي وضع اسم ابنه كمؤلف لها مخافة ان تؤثر في الاقلال من شأنه الادبي ، حيث كان ينظر الى الكتابة للاطفال وكأنها ليست ابداعا فنيا •

ولكن بيرو بعد ذلك أصدر مجموعة قصصية أخــرى للاطفــال هي « قصص وخرافات من الازمنة القديمة » عام ١٦٩٧ ، وثبت اسمه عليها هذه المرة ، فقد تنبه الناس الى اهمية ادب الاطفال الى حــد ما • وقد اضفى على بعض الحكايات شكلاً كلاسيكيا مثل : ذو اللحية الزرقاء ، والجمال الناعس ، وسندريلا ، والقط ذي الحذاء الطويل •

وكان لترجمة ألف ليلة وليلة الى اللغات الاوربية بعد عام ١٧١٧ أثــر كبير في ذيوع قصص الحكايات والخرافات المستمدة منها •

وأصدر الكاتب الانكليزي الساخر جاناثان سويفت « ١٦٦٧ – ١٧٤٥ » قصته الخيالية المشهورة رحلات جاليفر Gulliver's Travels

عام ١٧٢٦ ، وصف فيها حياة جاليفر الذي راح ينشد السـعادة فيما وراء البحار ، فهبط في بلاد الاقزام ، فلم يحل له العيش ، وهبط في بلاد العمالقة فلم يطب له المقام ، ثم هبط في مجتمع ثالث كانت انصافهم العليا من البشر وانصافهم السفلى من الحيوانات ... فلم يجد السعادة ، وبذا ظل ما ينشده مجرد حلم بعيد المنال .

وهذه القصة لم يكتبها سويفت للاطفال في الاساس ، ولكن ما انطوت عليه من رحلات ومغامرات وعجائب ومواقف مثيرة للخيال ، جعلتها قريبة الى الاطفال .. ولكنها لم تصبح في عداد أدب الاطفال الا بعد أن اعيدت صياغتها من جديد على يد جون نيوبري John Newbery ١٧١٣ – ١٧٦٧ .

اما قصة دانيال ديفو Danial Defoe « ١٦٦٠ – ١٧٣١ » المسماة : روبنسون كروسو Robinson Crusoe التي صدرت عام ١٧١٩ فانهـا تعتبر بداية للفن القصصي في انكلترا ، واذا كان لها من هدف فهو الدعوة الى الصبر تجاه الشدائد . وقد صور فيها ديفو نفسه مجسداً في بطل قصته من حيث تدفق نشاطه وصلابة اخلاقه التي لم تذعن قط لعقبات الحياة .

وهذه القصة هي في الاساس ، حياة واقعية لرجل حقيقي من اسكتلندة – عاش في الاعوام الاولى من القرن الثامن عشر – اسمه اسكندر سيلكيرك ، وقد دفعته نوازعه الى مغامرات البحر ، فالتحق بحارا على سفينة للقرصان ، وحدث بينه وبين قائد السفينة شجار عنيف ، أدى بالقائد العنيد ان يلقى به على شاطىء جزيرة بغير سكان . وما أن رأى نفسه وحيدا في تلك العـزلة الموحشة ، حتى اكتأبت نفسه مدة عام كامل ، ثم لم يجد بعد ذلك مفراً من ان يشد عزمه ليواجه الواقع الذي لم يكن له حيلة فيـه ، ولبث في الجزيرة أربعة أعوام واربعة أشهر ، وبعدئذ مرت سفينة قرصان بريطاني في شباط ١٧٠٩ فاسرع سيلكيرك الى لقاء قائدها، واصطحبه معه الى بلاده .. وهناك فاجأ أهله في اسكتلنده بعودته ، ولكنه لم يطق الحياة ، فأبتنى لنفسه كوخا على الشاطىء مماثلا لذلك الذي كان يحيا فيه في الجزيرة الموحشة [٣] .

وقد تعرف ديفو الى حياة سيلكيرك من خلال المذكرات التي نشرها قائد السفينة الذي انقذه • فكتب قصة روبنسون كروسو • ومع ان هذه القصة تقع خارج ادب الاطفال بصيغتها الاصلية الا انها « تعتبر من الاباء المؤسسين لادب الاطفال »(٤) وقد اعيدت صياغتها بعد ذلك على يد نيوبري ايضا لتلائم الاطفال •

واصدر الكاتب السويسري يوهان دافيد هيس « ١٧٤٣ – ١٨١٨ » رواية باسم « اسرة روبنسون السويسرية » عام ١٨١٣ عن بطل القت بـه الامواج على جزيرة منعزلة على غرار قصة روبنسون كروسو • واصدر الشاعر الانكليزي وليم بليك William blake « ١٧٥٧ – ١٨٢٧ » مجموعة شعرية هي اغنيات البراءة « وقد كان لها تأثيرها في ادب الاطفال »(٥) وقدم الروائي الامريكي جيمس فينيمور كوبر James Fenimore Cooper « ١٧٨٩ – ١٨٥١ » مجموعة من القصص والروايات التي تدور حول مغامرات رجال الحدود مع الهنود الحمر والصيادين والقباطنة والجواسيس •

واصدر هانز كريستيان اندرسن Hans Christian Andersen كاتب الاطفال الدانمركي مجموعة من القصص والحكايات ، فلاقت اقبال الاطفال في كل بلدان العالم حيث تمت ترجمتها الى اكثر اللغات(٦) •

اما الكاتب الانكليزي شارلز لوتودج دودجس الملقب بلويس كارول « ١٨٣٢ – ١٨٩٨ » فقد اصدر قصة « أليس في بلاد العجائب » عام ١٨٦٥ وهي من قصص الاطفال ذات الشهرة •

وعلى اية حال ، فقد كانت الخرافات والحكايات الشعبية التي ابدعها الشرق ، بوجه خاص ، الى جانب هذه النماذج وما ماثلها اسسا ومقدمات لادب الاطفال الحديث الذي « يشكل اليوم حجما هائلا ، وخاصة في الاتحاد السوفيتي والمانيا وايطاليا والسويد واليابان » (٧)

الفصل الثاني

الكتابة للاطفال

المشكلة الكبرى التي تزعزج اسس ادب الاطفال ، هي اننا ، نحن الكبار، نكتبه ، انه من وحي تخطيطنا وتنفيذنا ، وتصويرنا وتعبيرنا ، وفي احيان كثيرة تكون حصائل تفكيرنا عبثا ، وفي احيان اخرى تضليلا وتشويها مسيئا .

ونحن في كثير من الاحيان نقف حيارى امام سلوك الاطفال ومبادراتهم، اذ لا نستطيع ان نصل الى تفسير كثير من تصرفاتهم واستجاباتهم لان الطفولة تظل امامنا عالما فيه كثير من الغرابة ، ويزيد غرابته : تجدده المستمر السريع ، ولن أنسى ما ردده نهرو : ان الاطفال انقياء ، ولكننا نحن الكبار ندخل الكدر الى نفوسهم .

واذا كان ملتون في ندائه العظيم قد صرح قائلا : « يستحيل علينا ان نعين اي رأي هو الذي سيقرر للجمهور ما هو الجيد والجدير بالقراءة » فان ذلك ينطبق ايضا على ثقافة الطفل الى حد كبير ، خاصة وان كثيرا من مفاهيمنا، نحن الكبار ، ننقلها الى الاطفال بعد ان ندير رؤوسنا الى الخلف ، الى ما ضينا،

بكل ما فيه من رواسب واثقال وعقد ، ومع هذا ، نهز رؤوسنا اسفا ، ونعض على اصابعنا ، حين يقلب لنا الاطفال ظهر المجن ، او يديرون رؤوسهم عنا عازفين .. وبعض منا يلقي باللوم على الدنيا التي فسدت ! فاصبح الاطفال فيها لا يطيعون الكبار ولا يسمعون لهم كلاما ! ويستعيد ذلك البعض ايام الطفولة التي عاشها بكل ما فيها من ذل وطاعة عمياء ، فيحسب ذلك ادبا وخلقا فاضلة .

ان ظهور ادب مثالي للاطفال لن يكون حصيلة نظراتنا العمياء ، وانطوائنا على الذات واحتضاننا للعقد والاحزان ، وتمسكنا بالقيم والمعتقدات البالية .. ومع هذا كان لابد ان نسمي ما نخترعه اليوم ونقدمه للاطفال : ادب اطفال ، وهو رغم ما فيه من نواقص وشوائب ليس له بديل .

★★★

اديب الاطفال ينبغي ان يتعرف الى جمهوره الاطفال ؛ ان يحيط بهذا العالم الغريب ـ رغم ان الاحاطة التامة تظل امرا عسيرا ـ لان ما يكتبه ، شكلا ومضمونا يخضع لطبيعة هذا الجمهور وخصائصه .

ولا يكفي ان يتعرف الاديب الى عدد من الاطفال ، سواء كانوا ابناءه ام ابناء جيرانه ، ام تلامذته ، بل ينبغي ان يدرس جمهور الاطفال دراسة علمية معتمدا على ما توصل اليه رجال التربية وعلماء النفس ، في هذا المجال .

ولكن ، هل يعني هذا ان يتصرف الاديب حيال الاطفال مثلما يتصرف رجل التربية او عالم النفس ، وهو الاديب الفنان ؟ !

الجواب على ذلك : لا ، لان موقف اديب الاطفال كموقف الفنان التشكيلي ازاء لوحته الفنية التي يبدعها .. انه يتطلع اليها من بعد قريب ، بين حين وحين ، ليعود يحمل الفرشاة ليضيف اليها لمسة ، او يضفي اليها لونا ، وهكذا .

ولا يكفي ان يعرف اديب الاطفـــال جمهوره جيدا ، بل لابـد من ان يحترمهم ويلقي في روعهم انه صديق لهم ؛ وان لايغالي باستاذيتـــه عليهم ، او ان يقلل من شأنهم او يستخف بهم وبقدراتهم .

ولكن اقامة تلك الصداقة بين الاديب وجمهوره من الاطفال ، لا تعني ان يكون الاديب طفوليا يكتب ببدائية وسذاجة وسطحية ، كما لا تعني ان يتعاطف مع الاطفال الى حد التميع ، يميل حيث يميلون ،لانه في هذه الحالة ينسى دوره كموجه وقائد .

وصعوبة الكتابة للاطفال تتأتى من عوامل عدة ابرزها عدم قدرة الاديب على فهم عالم الطفل ، او عدم قدرته على نسيان عالمه ، عالم الكبار ، الى حد ما .

فبالاضافة الى ما يكتنف عالم الطفولة من غموض ، فان هذا الجمهور يتفاوت في مستوياته النفسية واللغوية والعقلية والعاطفية وفقا لمراحل النمو . فضلا عن تفاوته من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية .

والالوان الادبية المقدمة للاطفال تتخذ اشكالا وصيغا مختلفة وفقـــا للوسيط الذى تنساب من خلاله الى الاطفال . فالقصة المقـروءة في كتاب تستلزم مقومات خاصة مختلفة عن تلك التي تقدم على شاشة التلفزيون ، او تلك المقدمة على المسرح ، وهذا يعني ان يكون الكاتب على دراية كاملـة بامكانيات كل وسيط .

ومن بين المواصفات الاساسية في اديب الاطفال ان يكون خلوقا ، لان سمة ادب الاطفال هي سمة اخلاقية تربوية . وقد نص مشروع قرار المؤتمر الدولي لصحافة الاطفال [ميلان ـ مارس ١٩٥٢] على ان يحرم على اي شخص صدرت ضده احكام من الاشتراك بأي شكل في انتاج مطبوعات الاطفال .

ويتصور البعض ان الكتابة للاطفال ، امر ميسور ، ما دام ادب الاطفال يتميز بصفة البساطة ، ولكن المعروف ان ابسط الاشكال الادبية هي الاكثر تعقيدا على الكاتب .

وبسبب التصور السابق مال الكثيرون نحو الاطفال يكتبون لهم ما يسمونه : ادبا •• ولكن مثل هذا ليس الا « ادبا سيئا » •

اذكر يوما انني التقيت بكاتب كبير ، اتجه الى الاطفال يكتب لهم ، وحين سألته عن سر تحوله نحو الاطفال اكتفى بان اشار انه يحب الاطفال ! وكأن الاخرين يكرهون الاطفال ؛ ان كل الكبار يحبون الاطفال ، ولا شك ، الا اولئك الذين اصيبوا بداء من ادواء النفس ، لذا لم اعجب ان ارى كتاباته مجرد حنان على الطفولة ومودة لها بلا حداد ؛ كأنه يتكيف مع الطفولة ويتميع معها ، في الوقت الذى يشكل فيه ما نبديه من حنان ومودة زائدة للاطفال ، من خلال ما نكتب ، عائقا من عوائق النمو •• لقد مر في خاطري ـ وانا استمع الى صاحبي ـ قول مكسيم غوركي :

« حتى الدجاجة تحب الاطفال •• ولكن هل هي تعرف كيف تربيهم ؟ ! »

ويلاحظ من سير كتاب الاطفال المعروفين في العالم ، وخاصة الرواد الاوائل ، ان منهم من توجه نحو الاطفال عن عمد ، ومنهم من ساقته الصدفة الى ذلك • والطريف ان بعضهم اصدر مؤلفاته دون ان يكون في حسبانه الاطفال ، لكن الاطفال تسابقوا الى قراءاتها •

فجول فيرن (١٨٢٨ ـ ١٩٠٥)بدأ مؤلفاته العلمية بكتاب عنوانه[خمسة اسابيع فيبالون] وصف فيه رحلة خيالية قام بها احد العلماء ، هو الدكتور « فرجسون » ومعه صديقه الاسكتلندي « ريك كندي » وخادم امين يدعى « جو » •• وحين قدم فيرن مسودات كتابه الى الناشرين استخفوا بها ، الا ان واحدا منهم قال : ان هذا الكتاب علمي جاف • واقترح عليه ان يحوله الى كتاب علمي في جوهره قصصي في قالبه ، ففعل جول فيرن ذلك ، وتم طبع الكتاب فتلقفه الكبار ، وبعد حين تسابق الاطفال نحو قراءته •

اما اندرسن ، الذي كان ابنا لاسكافي ، فقد وصف سنوات حياته

الاولى ، بانها اسوأ السنوات ، لكنه استطاع ان يدخل السرور الى نفوس الملايين من الاطفال بفضل قصصه الخيالية وقصائده وحكاياته الهزلية ، وظلت خرافاته موضع الاهتمام بعد سقوطه من السرير ووفاته بسنين طويلة بل هي ما تزال حتى اليوم •

وواجه كريلوف المتاعب والصعاب ، وعطلت صحفه العديدة ، الواحدة تلو الاخرى ، ولكنه بعد ان ناهز الاربعين ادرك ان نظم الخرافات هو السبيل الوحيد الذي يستطيع به ان ينقل خواطره وخوالج نفسه الى الرأي العام دون ان يتعرض لسيطرة الرقابة الصارمة وقسوة الحكم القيصري في روسيا آنذاك •

وكان ايفان كريلوف يحلم دائما بالكتابة للمسرح ، وبدأ يجرب حظه برواية هزلية ، ثم اتبعها باخرى فحازتا نجاحا طفيفا •

وصادفه النجاح الحقيقي عندما انهال عليه المديح لترجمته احدى قصص لافونتين ، الروائي الفرنسي المشهور ، فشجعه ذلك على كتابة قصص من تأليفه ، فاعجبت الشعب الروسي ، وتناقلها بسرعة شفاها من لم يكونوا يستطيعون القراءة بانفسهم (٨) •

ومع ان اغلب قصص كريلوف كانت على لسان الحيوان او عن الحيوان، بيد انه لم يكن يرمي من وراء ذلك ان يروى شيئا عن علم الحيوان او طبيعته بل انه يريد ان يتحدث عن التاريخ البشري والطبيعة الانسانية •

ويعد كريلوف (١٧٦٨ ـ ١٨٤٤) رائدا سباقا في الادب الروسي ، قال عنه بوشكين « انه اكثر شعرائنا وطنية واعظمهم شعبية » وتحمل خرافاته طابع الحداثة ، وهي تمثل الواقعية الروسية ، وتبدو من خلالها الحياة على حقيقتها ، ويقول عنه الكاتب الانكليزي الناقد الذواقة موريس بيرنك « انه يملك الطلسم الذي يتحدى النقد ويعجز التحليل

ويهزم الزمن ، ذلك الطلسم هو الفتنة ، وقد ظفرت خرافاته بتقدير الرأي العام حين ظهورها ولم يفتر الاهتمام بها حتى اليوم » .

وكان الاطفال يحفظونها على ظهر قلب وهم صغار ، فاذا تقدمت بهم السن ازدادوا لها فهما وتكشفت لهم معانيها الخفية واهدافها الانسانية ، وبعض الطرز التي يصفها كريلوف موجودة في كل زمان وكل مكان (٩) .

وكان تشارلز لوتفيدج دودجسون الذي عرف باسم لويس كارول مؤلف « اليس في بلاد العجائب » خجولا منطويا محبا للعزلة لا يألف الكبار ولكنه في محضر الاطفال كان ينطلق على سجيته ، يتحدث اليهم ويأنس بهم ، يقص عليهم امتع الحكايات ، ويتلو عليهم صفحات من كتبه التي الفها لهم ، ويلاعبهم أفانين الالعاب التي اخترعها لهم منصرفا بهذا « الهذر » على حد تعبير زملائه الموقرين الوقورين – عن شؤون عمله في الكلية والجامعة (١٠).

وكان يوناثان سويفت (١٦٦٧ – ١٧٤٥) مؤلف [رحلات جاليفر] من الفاشلين في الحصول على الشهادة الجامعية ، ذاق اليتم والمعاملة الفظة ، وتجرع خبز الصدقة ، ولكنه كان حاد الخيال ، عظيم الموهبة ، وحين مات ، قيل عنه : « عبقري جبار تهاوى وتهدم ، لا يملك المرء حين يفكر في عظمته وجبروته الا ان يشبه سقوطه وانهياره بانهيار امبراطورية هائلة » .

ومع ان بعض هؤلاء الكتاب لم يكونوا كتاب اطفال ، ولم يخطر ببالهم ان يكون لهم جمهور من الاطفال ، الا ان الاطفال وجدوا في اثارهم مواقف خيال انشائي ، ورحلات تمتد بآفاقها عبر الزمان والمكان .

وقد مهد هؤلاء لظهور ادب للاطفال يبدعه كتاب متخصصون ، يضعون في حسابهم ، وهم يبدعون ، طبيعة جمهور الاطفال ، وطبيعة الوسائط التي تنتقل بها اثارهم الى الاطفال ..

وعلى اية حال ، فان اديب الاطفال ، لابد ان يكون ـ الى جانب ما ذكرنا ـ فنانا ذي حس مرهف ، لانه يسهم في خلق ذوق فني في النشىء الجديد ، وان يكون خياله خصيبا انشائيا في تخيله ، وان يكون مخلصا ، لانه يغرس في النفوس الغضة معاني سامية ، وان يكون مثقفا ثقافة واسعة تمكنه من ايصال نتاجه الادبي الى الاطفال بشكل مؤثر ..

ويكفي ان نتذكر ، ونحن بصدد تحديد مواصفات اديب الاطفال ان ادب الاطفال ليس الا ضوء شمعة قد يضيء وقد يحرق .

الفصل الثالث

مضمون أدب الأطفال

ليس في الوسع تحديد مضامين ادب الاطفال ، لكننا نستطيع ان نحدد اطارا عاما فضفاضا كأن نقول : اننا نصور للطفل الحياة الانسانية ونعبر له عنها بما يتلاءم وقدراته ، بحيث نساعده على النمو السوي .

وهنا يتبادر التساؤل : هل يصلح « كل شيء » مضمونا لادب الاطفال؟ والجواب هو اننا لا يمكن ان نقدم للطفل « كل شيء » رغم اننا نجد ان بعض المعنيين بهذه الشؤون يؤكدون ان «كل شيء» ينبغي ان يقدم للاطفال من خلال وسائط الادب ، كما يؤكدون ان العبرة فقط باسلوب التناول والعرض .

وحجة اولئك ان عقول الاطفال وحواسهم وعواطفهم مفتوحة لتلقي « كل شيء » بشراهة واستمتاع .

كان مكسيم غوركي قد توجه برسالة مفتوحة ، يسأل فيها الاطفال عما يرغبون قراءته ، فتلقى الفين من الرسائل الفردية والجماعية ، قدم بها تقريرا لمؤتمر الكتاب واستفاد منها في رسم سياسة دار نشر ادب الاطفال الـــذي تولاها منذ انشائها عام ١٩٣٣ حتى توفي عام ١٩٣٦ •

يقول التقرير :

« ان اكثر المقترحات ترددا يمكن تعريفه بجملة واحد هي « كل شيء »• كتب البعض يقول لغوركي :

« انك تريد ان تعرف كل شي يهمنا••من الصعب الاجابة على سؤالك لاننا نحن ـ الطلائع ـ يهمنا فعلا كل شيء »

وفي رسالة اخرى تجسدت هذه الرغبة فيما يلي :

« نريد ان نقرأ كتبا عن الماضي لكي نفهم الحاضر بشكل افضل ، نريد كتبا للمؤلفين الكلاسيكيين ، وكتبا عن تاريخ الحركة التورية عندنـــا ، وفي الغرب ، وعن الحرب الاهلية والجيش الاحمر والاشتراكية •• نريد كتبـــا علمية وفنية تكنيكية ، وكتب رحلات » •

ويضيف الصغار في نهاية رسائلهم « ••• وكل شيء »

وعديد من الرسائل جاءت فيها كلمة « كل » كصفة

« نحن نرجوكم ان ترسلوا الينا كتابا مختصرا يضم « كل » الافكـار السياسية »

« اريد كتابا يصف « كل » الرحلات التي تمت للقطب الشمالي »

« اريد ان اقرأ كتابا عن « كل » الحيوانات مع صور كثيرة »

الاطفال ، اذن ، من خلال هذا التقرير ، يريدون باختصار « كل شيء » حتى الانسوكلوبيديا [11]•

ترى ، هل يبرر هذا ان نقدم للاطفال كل شيء ، هل نقدم لهم قصة التطور القائلة انهم وآباءهم واجدادهم قد انحدروا من القرود ، وانالانسان ـ على ذمة داروين ـ كان حيوانا ، فنبلبل افكارهم ؟ وهل نحدثهم عن الزمن، كبعد رابع في الكون ـ على ذمة اينشتاين ـ فنتركهم في حيرة لا يستطيعون في هذا العمر الندي ان يصلوا الى خاتمة لها ؟ وهل نعرض لهم صورة للواقع المفكك الذي يحياه العالم فنفقده الثقه به ؟ !

تعطش الاطفال إلى المعرفة واكتشاف العالم ، تدفعهم الى ان يطلبوا معرفة « كل شيء » ، ولكن ينبغي ان لا يغيب عن البال ان الاطفال حين يقولون « كل شيء » لا يعنون كل ما نفهمه نحنالكبار منها ؛ ان « كل شيء» في اذهان الاطفال شيء ، وفي اذهاننا شيء اخر .

هنا يفرض التساؤل نفسه :

ماذا ، اذن ، ينبغي ان نكتب للاطفال ؟

من اجل ان نتعرف الى ذلك لابد ان نحدد ما نريده لاطفالنا . وهذا فقط يحدد مضامين ادب الاطفال .

● نحن نطمح الى بناء انسان جديد عن طريق تنمية شخصيات الاطفال جسميا وعقليا ونفسيا واجتماعيا ولغويا ، ليتفتحوا عن خلاقة مبدعة ..حيث يضع اديب الاطفالنصب عينيه توفير اسبابالنمو السليم المتكامل للاطفال ، واعدادهم لتحمل مسؤولية الغد بعزيمة ووعي وكفاية واخلاص .

● ونريد صقل سلوك اطفالنا وفق قيم وقوانين ، وتربيتهم تربيةاخلاقية، لذا يتخذ ادب الاطفال سمة اخلاقية .

● ونريد اعداد الطفل ليعيش ايجابيا في المجتمع ، ويختلط بالاخرين دون ان يضحي بصفاته ، وان يتخذ مكانه،ويشق طريقه،ويقدر دوره،ويتحمل مسؤوليته في المجتمع .. المجتمع الذى يتطلب العمل والارتياح لصالح

المجموع ، المجتمع الذى يقدر الفرد بقيمة ما يعطى لا ما يأخذ ، المجتمع الذى يتواجد فيه العدو والصديق ، الطيب والخبيث ، الخير والشر ، ولابد ا ن يتهيأ الطفل للتمييز بين هذا وذاك ، ويغلب الاول على الاخر ، وان يعد لتغيير العلاقات الاجتماعية البالية وايجاد بدائل جديدة ، وان تتبلور في ذهنه الافكار عن الحقائق الاجتماعية في الماضي والحاضر والمستقبل .

ويلاحظ ان الاطفال تواقون للسيطرة على عالمهم وادراك الحياة الاجتماعية من حولهم ، وهم يجدون لذة في التكيف مع المجتمع والاندماج فيه .

● ونريد ان يلتزم الاطفال بالنظام الصحيح وان يلتزموا بالانماط السلوكية التي تقوم على الحب والعدل والمساواة والخير للانسانية .

● ونطمح ان يحس الاطفال بالاستقرار والامن ، لان هذا الاحساس هو الاساس في بناء صرح الحياة النفسية للطفولة ، لذا نراهم يتساءلون بريبة عما يحيط بهم ، ولا يقر لهم قرار ما لم يطمئنوا الى محيطهم ، وادب الاطفال ، وسيلة الاطفال ، الى الاطمئنان والسعادة والامل .

● ونريد تقوية روح التضامن والتعاون بين الاطفال لا الوشاية او الكراهية ، فقد منح العمل التعاوني امكانيات واسعة امام تقدم الانسانيةعبر العصور .

● ونريد ان يكسب الاطفال المهارات المختلفة التي تساعدهم على الانتاج اولا وعلى كسب الثقة بالنفس ثانيا ، كما نريد ان تزدهر ملكاتهم ومواهبهم .

● ونبتغي تنمية الشجاعة والجرأة في نفوس الاطفال ، لان الشجاعة غذاء للنفس ومورد للعقل ، وموئل للشخصية .

● ونسعى لان يعتاد الاطفال على عادات طيبة وينفروا من العادات

السيئة ، فقد يقرأ الاطفال معلومات ومثلا اخلاقية كثيرة ويفهمونها ولكن هذه المعلومات والمثل تظل غير ذات جدوى ان لم تتحول الى عادات عقلية وعاطفية.

● ونرنو الى تنمية خيالات الاطفال ، لان الخيال زاد لنفوس الاطفال على ان لا نبتعد عن مجال الواقع التصويري لعقليات الاطفال .. ويلاحظ من الاحصائيات ازدياد تعلق الكبار بالمطالعات غير الخيالية على المطالعات الخيالية ، بينما كانت الاحصائيات قبل سبعين عاما تشير الى عكس ذلك .

واذا كان يصدق ذلك بالنسبة الى الكبار ، فانه ، دون ريب، يصدق على الصغار ، ذلك اننا نجد ان قصص الاطفال قد اتخذت خلال السنين الاخيرة صيغا جديدة ، ولم نعد نلمس اهتمام الاطفال بقصص العفاريت والجنيات والسحرة ، التي كانت قبل سنوات تثيرهم وتستحوذ على اهتماماتهم .

ومن ابرز اسباب هذا التحول هو ان التسلية التي كان ينشدها القراء في قصص الخيال المغرق اصبحت ميسورة ومهيأة من خلال وسائل عديدة تفوق تلك القصص في اجتذابها للناس ، ومن جانب اخر ، فان كثيرا من الانتصارات الانسانية في مجالات العلوم والمعرفة والتي تعد اليوم حقائق بعيدة عن الخيال في جوهرها ، الا انها اصبحت ادوات لاشباع خيالات القراء ايضا .

ويظل ادب الاطفال ، اداة شديدة التأثير في تنمية خيالات الاطفال ، التي يمكن ان يتعرف من خلالها على حقائق الحياة . وشتان بين طفل ينشأ في بيئة متزمتة جامدة لا تتسع الا للحقائق اليومية وحدها ، وبين بيئة رحبة خصيبة يظللها الخيال ، فينشأ الطفل فيها مستعدا لمواجهة الحقائق بروح واسعة الافق .

● ونريد ان يعتاد اطفالنا على التفكير لا التقليد الاعمى . وكل ما يقدم للاطفال من معلومات وحقائق لا جدوى منها ان لم تدفع ما بهم الى التفكير ، وليس المهم تعليم الاطفال ، بل المهم هو تعليمهم كيف يتعلمون ، وكيف

يفكرون .. كما نريد لهذا التفكير ان يكون انشائيا لا تفكيرا عاطفيا او تأثيريا ، ونريده تفكيرا واسع الافاق لا احادي النظرة .

● ونريد تنشئة اطفالنا تنشئة علمية عن طريق اذكاء روح الفضول العلمي لديهم ، لان الطفل هو باحث صغير ، لكنه قليل التجربة ، وهو في حاجة مستمرة لان يعرف ما يحدث في بيئته وعالمه من ظواهر ، اذ يشغل ذلك حيزا واسعا من اهتمامه وتفكيره في عصر احتلت فيه حصائل العلم مكانة كبيرة في الحياة .

●ونريد لاطفالنا ان يكونوا مثقفين ، لان الثقافة ليست حكرا للكبار ، بل هي ليست حكرا لعمر من الاعمار دون غيره ، والثقافة ليست ضرورة وطنية وقومية بل هي احدى مكونات شخصية الطفل .

وتؤكد الاتجاهات الحديثة في العلوم السلوكية ان العوامل التي تميز شعبا عن شعب ، وامة عن اخرى ، ليست عوامل عرقية او جنسية بل هي قبل كل شيء عوامل ثقافية .

وثقافة الطفل هي اللبنات الاولى في بناء ثقافة قومية تدفع بالامة لان تحتل مقاما مرموقا بين الامم في هذا الكوكب .

والمعروف لدى علماء النفس اليوم ، ان التطور الحاصل في صفات الطفل الجسمية والعقلية هو ثمرة عاملين متشابهين ومتفاعلين معا ، وهما يدفعان به نحو التقدم ، اولهما : النمو الذي يراد به تطور الخصال وبروزها تحت ظروف يمكن تحفيزها بالعوامل البيئية . وثانيهما : التعلم والثقافة .

والعلاقة بين النمو والتعلم ، علاقة متبادلة ، وهما يتفاعلان معا . فكل واحد منهما يؤثر في الاخر ويعمل على تعجيله أو تأخير حصوله . والخصائص الكامنة في الفرد لا يمكن ان تتطور الى حدها الاقصى بذاتها ما لم يبذل الجهد والتوجيه الصحيح كي يصبح التطور تاما . (١٢)

والمجتمع ، لم يكن الا وليد الثقافة التي تضبط الميول الطبيعية وتوجهها توجيها يتفق وظروف الحياة الاجتماعية في كل طور من اطوارهـا .. لانها تسهل قدرة الانسان على تنظيم علاقاته بالبيئة الطبيعية تنظيما يكفل له توفير ضرورات الحياة من الطعام والكساء والمأوى ، واستغلال مرافق الطبيعة وصيانة نفسه من الاخطار التي يتعرض لها فيها ، ويدخل ضمن هذا التحديد للثقافة : كل ما تحقق للانسان من المخترعات والوسائل ، والمهارة التي يسرت التقدم في السيطرة على البيئة الطبيعية والانتفاع بقواها ومرافقها ، وهـي تشمل ايضا القدرة على تنظيم روابط الافراد بعضهم ببعض والانظمة التـي تضبط علاقة الافراد بالمجتمع ، ومن جملتها انظمة الدين والاخلاق والسياسة والاقتصاد . والفنون والعلوم ، او كما يعرفها ادوارد تايلور
Edward B. Tylor

حين يقول :

« ان الثقافة هي الحاصل المركب الذي يشمل المعرفـة والمعتقـدات والفنون والاخـلاق والقوانين والتقاليد وجميع القابليات والعادات التـي يكتسبها الانسان وهو عضو في المجتمع » (١٣)

ومن هذا يبدو ان الثقافة ليست سجلا لاثار الماضي وتراثه بقدر ما هي عماد الحاضر واساس المستقبل ، لانها طريقة حياة المجتمع ، بما فيها : افكاره، وقيمه ، ونظمه ، ومعتقداته ، وعاداته ، وتقاليده ، وادوات واساليب تفكيره، وكل ما انتجه بيده او بعقله ، وهي بنفس الوقت اداة لتطوير هذه الحياة .

● ونريد ارهاف الحس الجمالي لدى الاطفال وتشويقهم الى الروائع الفنية ، وتمكينهم من تقييم الجمال .

وادب الاطفال يفصح عن نواح جمالية كثيرة في الحياة ، ويعاون النشء الجديد على تذوق الفن والجمال . وقد لوحظ ان الاطفال يتعشقون الفـن ويغرمون بالجمال وهم يتوخون الجمال في كل شيء ، في الدمية التي يلعبون بها ، والكتاب الذى يقرأون فيه ، والقلم الذي يكتبون به ، والفـراش

الذى يلتحفون به • وما تعشقهم للادب منذ صغرهم الا صورة من غرامهم بالجمــال •

والفن ، الذى يتعلمه الطفل في سنوات عمره الاولى قد يعني الفرق بين فرد سعيد متجاوب ، وبين اخر يستمر فردا غير متوازن ويجــد كثيرا من الصعاب في علاقاته مع بيئته رغم كل ما تعلمه ، وقد يكون الفن للطفل هو التوازن الضروري لعقليته وعواطفه ، كلما صادف ما يتعبه ، والذى يلجأ اليه عندما لا تستطيع الكلمات ان تسعفه •• فنحن نعرف جيدا ان المعرفة وحدها لا تجعل الناس سعداء ، والتربية ذات الجانب الواحد التي تهتم بالمعرفة قــد تهمل صفات كثيرة مهمة جدا يحتاج اليها الاطفال حتى يستطيعوا ان يكيفوا انفسهم لهذا العالم[١٤]•

والخبرات الفنية تدركها الحواس اولا ، لذا كان من الاهمية بمكان ان نساعد اطفالنا منذ الطفولة المبكرة والمراحل التالية لها على تنمية حساسيتهم للاشياء التي يشاهدونهــا ويسمعونها ويلمسونهــا او يشــعرون بهــا على اجسامهم • وهناك اشخاص كثيرون يمضون حياتهم في هذا العالم دون ان يستخدموا اثمن هبة وهبوا بها ، وهي القدرة على النظر واللمس والســمع والاحساس • وذلك لان هذه القدرات لم تغرس فيهم ، وهم لا يستخدمونها الا في اغراض عملية عندما يضطرون الى ذلك لا حبا في متعتهم الخاصة •• ان كل ما نستطيع ان نفعله لنشجع الطفل على استخدامه الحساس لعينيه واذنيه واصابعه وكل جسمه سيزيد من خبرته ، وبذلك نساعده عــلى التقــدم في النواحي الفنية[١٥]•

● ونريد للاطفال ، في هذا العصر الذي يتصف بالتعقيد ، وسرعــة التغيير ، والارتباط الشديد بين المجتمعات رغم بعد المسافات ، ان يتعرفوا الى الخبرات الكثيرة التي يمر بها الفرد ، هنا او هناك ، والتي قد يمرون هم بها في الغد ، وان يلموا بمطالب الحاضر ويتسلحوا بأدواته •

وادب الاطفال يتناول جوانب الحياة بشكل يثير عواطـــف الاطفال وانفعالاتهم امام كثير من عادات الناس واعمالهم وامالهم ، وما يعانون مـــن مشكلات وما يعتنقون من افكار ومبادىء •

● ونريد للاطفال نفوسا سليمة ، قادرة على مواجهة ما يعترضها من ازمات ، كما نريد لهم اجساما صحيحة ، وان يحسو دوما احساســا ايجابيا بالنشاط والقوة والحيوية والسعادة مما يؤهلهم للتفكير الانشائي والاداء البناء •

● ونريد ان تتسع مدارك الاطفال ، وتزداد معارفهم ومعلوماتهم ، وان لا يظلوا حيارى امام كثير من الظواهر والمظاهر ، ومعلوم ان ألـــوان ادب الاطفال تشتمل على كثير من المعلومات والمعارف والخبرات والمشـــكلات ، فحين تأخذ شخصيات القصة والمسرحية ، مثلا ، في الحركة وطـــرح العقـد وتقديم الاجابات والحلول يتضح للاطفال ما يستغلق امامهم ، وكثيرا ما تستقر تلك الاجابات والخبرات والمعلومات في اذهـانهم اذا ما أحسن تحـــريك عواطفهم وانفعالاتهم •

● ونريد لثروة الاطفال اللغوية ان تتسع ، كما نريـــد ان يتعلمـــوا استعمال لغتهم الفصحى السهلة ، ولا شك ، في ان اثمن ما يقتنيه الطفـــل في سنوات حياته هو لغته القومية ، التي يستطيع من خلالها ان يفهم الاخريـــن ويعبر عما في نفسه •

● ونريد للاطفال ان يجيدوا الالقاء ، ويخرجوا الكلمات اخراجا سليما، ويتشبعوا بروح الشجاعة الادبية ، ويواجهوا الاخرين دون قلق او رهبة ، وليس هذا فقط بل لابد من تربية اذواقهم الادبية من خلال لغة ذات تراكيب ساحرة •

● ونطمح الى تسلية الاطفال وامتاعهم وادخال الفرح الى نفوســهم ، وابعاد كل ما يثير فيهم القلق والاكتئاب او الانشغال العقيم • وقد وجد ان

الاطفال ، في كثير من الاحيان يكتئبون لاسباب غامضة ، لذا كان لابد من توفير اسباب الترويح لهم •

ويلاحظ اليوم ان التربية الاخلاقية الناتجة عن النشاط الترويحي هي في عصر ازدهارها في البلدان التي دفعت بهذا النشاط الى مستوى المسائل الحيوية ، وهذا لم يكن قبل ذلك ، حيث لم تكن التربية الاخلاقية التلقائية التي تتحقق عن طريق الترويح تدخل ضمن التوجيه في عدد من البلدان حتى مستهل هذا القرن ، لان مفهوم وقت الفراغ كان ينحصر في كونه الفترة التي يجد الفرد نفسه حرا في ان يفعل ما يريد ، واخذت الحرية معنى مرادفا للتلقائية ، هذا في وقت يتزايد فيه اليوم حجم وقت الفراغ كلما سارت المدنية الى امام ، حتى اطلق البروفسور هتشنس Hutchins صيحته التي قال فيها : انه اذا لم يهلك الانسان نفسه بالقنبلة الذرية فانه سيدمر نفسه بوقت الفراغ الطويل الذي سيخلفه العصر الذري ، واذا لم تعد البرامج الترويحية الموجهة انتشرت الجرائم وسيطر الترويح التجاري المنحرف على امزجة الناس •• لان وقت الفراغ هو فترة اعادةالبناء في تكوينالفرد ،سواء من الناحية الجسمية ام العقلية ام الاجتماعية•(١٦)

● ونريد تنمية اعتزاز الاطفال بالوطن ، وتهيئتهم للاسهام بمسؤولياتهم في الغد تجاهه ، وتربيتهم تربية وطنية وقومية ، وتعريفهم بالقيم الانسانية ،

وهنا لابد من الاشارة ، الى ان البعض يتصورون ان بث مشاعر الفضيلة والاحسان والرحمة والشفقة تكفي لان تكون المعين الاكبر لادب الاطفال ، ولكن هذا التصور على جانب من الخطأ ، حيث خاب رجاء المفكرين الطوبائيين منذ زمان بعيد حين كانوا يتصورون ان معضلات الانسانية يمكن ان تجد الحل عن طريق هذه الدعوات ، اذ ظهر اليوم ، بشكل واضح ، ان المعضلات الانسانية لها حل نهائي يتمثل في النظام الاجتماعي الذي يحرر الانسان من كل القيود ويوفر له كل الحاجات الاجتماعية ، ويطلق قدراته وملكاته ومواهبه وينقل جهوده من ميدان التصادم الى ميدان التعاون الانشائي ••

وعليه لابد من تهيئة الطفل لان ينجه في هذا السبيل الاخير ، واعـداده لان يتحمل فيما بعد ـ مسؤولية بناء النظام الجديد ، بدل الاكتفاء باستدرار عطفه على الفقراء والمساكين وابناء السبيل في كلمات باكية جوفاء •

● ونبغي ان يكون الطفل في موقع الناقد الواقعي المنتشيء ، فقد كنا وما زلنا ، الى حد ما ، نكتفي بنفل ما ينتجه الآخرون ، ونردده على شكل نظريات وقوانين ، دون تمحيص كاف او نقد واع • ونريد ان نبعد عن اطفالنا كل آثار النزعات الاتكالية واللامسؤولة واللامبالاة ، والتقليـــــد الاعمى ، والكذب ، والرياء والخنوع ، والتفكير الخرافي الهدام •

● ونريد تنمية السلوك الاشتراكي في نفوس الاطفال ، وغرس الثورة الدائمة في نفوسهم ضد كل اثار الاستغلال ، وبناء شخصياتهم بناء يمكنهم من العمل المبدع •

ان هذه كلها ، وغيرها الكثير ، تتشكل لنا اطارا عاما لمضمـــون ادب الاطفال ، ويمكن ضمن هذا الاطار العريض ان نقدم للاطفال خلال كتبهـــم ومجلاتهم وبرامجهم الاذاعية والتلفزيونية ، وافلامهم ، ومسارحهم ، ما يعزز هذه الاتجاهات ، وما يدفعهم الى التفكير الهادف والتخيل الانشائي وما ينمي قدراتهم المختلفة ، لان ادب الاطفال هو اداة لبناء شخصية الطفل واعداده للمستقبل ، لذا يتحدد مضمونه في كل ما يبني عقل ونفس وجسم الطفل •

وينبغي ان لا يغيب عنا دوما « ان للطفل عالمه الخاص ، وكلما اسرعنا في معاونته على التحقق منه دون ان نفرض عليه مستوياتنا ـ نحن الكبار ـ كان نموه افضل »[١٧] •

الفصل الرابع

اسلوب ادب الاطفال

الاسلوب عنصر اساس في ادب الاطفال ، لان اي مضمون ادبي مهما كان له من الاصالة او القوة لا يمكن ان يؤثر في الاطفال ما لم يتوفر له الاسلوب الرشيق الممتع ، لذا يقال ان ادب الاطفال يجب ان يقدم باطباق من ذهب •

ان المضمون الجيد ، يبدو متهرئا اذا قدم الى الطفل باسلوب ركيك مضطرب ، او اذا قدم مبهرجا بمحسنات بلاغية وبديعية •

وليس بالوسع وضع مواصفات محددة لاسلوب ادب الاطفال ، ذلك لان طبيعة المضمون تفرض ، في العادة ، جانبا من طبيعة الاسلوب ، وفي كل حالة ينبغي ان نجد وحدة بين المضمون وبين الاسلوب تؤلف عماد اللون الادبي •

وهذا لا يحول دون تحديد اطر عامة ، منها ان ادب الاطفال لم يعد تقديم كلام منمق يجد فيه الاطفال ما يثير فيهم النعاس قبل ان يستسلموا للنوم ، بل هو « لغة » توقظ الاطفال في يقظتهم وتمنحهم قدرة على تاجيج هذه اليقظة •

كما انه لم يعد اداة تخويف الاطفال وارهابهم من العقاب في الدنيا « والاخرة » ، ولم يعد عبرا ومواعظ تكال في عبارات جافة جامدة ، بل اصبح اداة انشاء للانسان من خلال تاصيل القيم والاخلاقيات ، واستجلاء الافكار والمفاهيم ، وامتاع الاطفال وتسليتهم وابعاد الاكتئاب والتشاؤم والاستسلام عن نفوسهم ، وتفتيح اذهانهم على امال رحيبة وتوكيد ثقتهم بانفسهم في صياغة انيقة جذابة عبر لغة سليمة سهلة •

وعلى هذا فان اسلوب ادب الاطفال يتصف بالوضوح وبساطة اللغة من حيث المفردات والتراكيب •• والوضوح والبساطة ، لا تعني البدائية او السذاجة اطلاقا ، لان الاطفال يرفضون ذلك بكبرياء ، ويعتبرونه اهانة شديدة لقدراتهم •

ومن الضروري شحن قصص الاطفال بوجه خاص ، والمواد التي تتناول حوادث بفيض من الافعال ، لان الافعال البسيطة الواضحة المعبرة تمنح الحدث والقصة ، نبضا جديدا يجذب الاطفال ويشدهم وتبدو للاطفال حبكة المادة الادبية وكأنها سلسلة نشيطة من الحوادث • ولا شك ان اكثر الافعال كسلا هو الفعل « كان » ، ومع ذلك فانه ، للإسف يحشر في ادب الاطفال كثيرا !

ومن الضروري الاقلال من الافعال المزيدة او المبالغ في اشتقاقها او المبنية للمجهول •

والجملة القصيرة ، اشد قربا من الطفل ، لان الطفل يريد من الجملة نتيجة سريعة ، وهو قليل الصبر لا يحتمل التريث ، ويريد من تراكيبها ان

تكون واضحة ، لانه لا يحمل نفسه كثيرا مشقة الاستنتاج ، ويفضل ان يتسلم النتائج جاهزة ، في كثير من الاحيان ..

واذا كان من الضروري ان نستوقف اذهان الاطفال عند كثير من القيم والمفاهيم والافكار من خلال مضمون هذه المادة او تلك ، فان هـــذا حيال الاسلوب غير جائز ، لاننا لا نريد للطفـــل ان يقف محتارا امام الكلمـــات والتراكيب ليسأل نفسه عن معانيها .. ومن يضمن لنا ان يتساءل الاطفال مثل ذلك التساؤل ! . كما لا نريد ان يبدد الاطفال وقتا في الوقوف عند الكلمات والتراكيب ، ذلك الوقوف الذي كثيرا ما يذهب بمتعة الطفل ، وربما ينسيه الافكار التي نريد لها ان تتضح امام ذهنه ومخيلته .

وعليه ، فان ادب الاطفال يعمد الى الايجاز والسرعة واستخدام الجمل القصيرة الواضحة التي يمكن ان يفهمها الاطفال دون عناء ، واكثر الاساليب تأثيرا في الاطفال تلك التي يجدون فيها السرعة والرشاقة والخفة والتي تنهج نهج الكلمة المنطوقة .

والجديد ، وغير المألوف ، يثيران كل انسان ، والطفل اشد اســـتثارة بهما ، لذا تؤلف الجدة عنصرا مهما في ادب الاطفال من حيث المضمون الذى نقدمه والاسلوب الذى به نخاطبه ، اذ لابد ان نضفي على اسلوبنا قدرا من الطلاوة التي تشعر الطفل بالجدة ، فكما ان المعلومات والحقائق والمفاهيم والقصص الجديدة تستحوذ على مشاعره ، تثيره ايضا الالفاظ والعبارات الواضحة الجديدة التي لا يجد وكأنها تكرار يثقل كاهلـــه ، اضافة الى ان الكلمات والعبارات المتكررة كثيرا ما يجدها الطفل قد فقدت جمالها وخفتها ، بل ومعناها ايضا .

والاطفال شديدو النفرة من القوالب الجامدة ، وقد اطلعت على عدة اعداد من احدى مجلات الاطفال ، فوجدت ان اسرة التحرير استساغت صياغـــة قصصية ثابتة الابعاد لمعظم موضوعاتها ، فظهرت وكأنها مفتعلة في صياغتها ، ولا شك انها لاقت عزوف الاطفال .

وهنا ، لابد من الاشارة الى انه لاضير من تكرار بعض الاسماء مرتين أو ثلاثا او اكثر حيثما وجدنا في استخدام الضمائر ما يستوقف الطفل عند الجملة .

ويجب عدم المغالاة في التبسيط او المبالغة في تقديم المعلومات او الافراط في الايضاح ، حيث يمكن من خلال الاسلوب المؤثر الكشف عن الجوانب الايجابية والسلبية لاية فكرة او موقف بحيث نجعل الاطفال يقفون الى جانب كل ما هو ايجابي بشكل تلقائي ، كأن نظهر ارتياحنا ازاء أمر من الامور او مشهد من المشاهد بحيث ينساق الطفل نحوه ، وينفر مما يناقضه ، وهذا يعني ان نلجأ الى التلميح الواضح دون الاشارة الصريحة المكشوفة ، اي ان نلجأ الى شعور الطفل ذاته ، وحين نوقظ مشاعره ، ونثير احساساته ، ونلهب انفعالاته يبدأ ميله في اتخاذ الموقف .

ويلاحظ ان الاطفال ينفرون من اي مضمون ادبي يشعرون انه مفروض عليهم ، حتى ان كان اسلوبه مناسبا ، وهذا يلزمنا ان تتجنب افتعال الحوادث او الاكثار من المضامين ذات الطابع الدعائي السافر .

كما انهم شديدو النفرة من النصائح والارشادات ، ومع انهم لا يشقون عصا الطاعة في كل مرة ، ويتنازلون ، احيانا ، ازاء الارشاد المخيف او النصيحة القاسية ، الا ان تأثير هذا الاسلوب قصير العمر ، لان الطفل يبدأ فجأة في اعتبار نفسه كبيرا ومستقلا ، فتذهب تلك المساعي العرجاء ادراج الرياح .

وقد توصلت احدى الدراسات في الاتحاد السوفيتي الى ان السلوك يصبح جزء من شخصية الطفل حينما يتبنى الطفل فكرة ويمارسها باسلوب فعال وايجابي، اما حينما تفرض عليه هذه القيم من الخارج فانه ينفذها طالما كان هناك من يراقبه ، ولكن حالما تزول الرقابة يعود الطفل الى سيرته الاولى[١٨].

وعلى اية حال ، فان الكتابة المتزنة التي يقرأها الاطفال بسلاسة وسرعة

هي في العادة ثمرة جهد شاق يبذله الكاتب ، وذلك لان ابسط الالـــوان الادبية على القاري اعقدها على الكاتب .

★ ★ ★

واذا ما اردنا ان نحدد بشكل ادق اهم مبادىء وخصائص اسلوب ادب الاطفال فاننا نقول : ان اهم مبادىء اسلوب ادب الاطفال هـــو : الاقتصاد الذي يتمثل في تقديم الافكار بصيغ ادبية لا ترهق الطفل ولا تكلفه جهـودا كبيرة ، عن طريق استخدام كلمات وتعابير واضحة لا تحتمل اكثر من معنى واحد . وان تكون الكلمات والتعابير معبرة موحية ، مع عدم اللجـــوء الى الاطناب ، حتى لو كلفنا ذلك الاستغناء عن اكثر من فكرة او حقيقة . وكثيرا ما يشعر الاطفال بالافكار والحقائق الكثيرة التي تتوارد في ثنايا المادة الادبية على انها دخيلة .. وتتحدد اهمية الافكار والحقائق في مقدرتها على دفـــع الطفل على التفكير والتأمل .

اما ابرز خصائص اسلوب ادب الاطفال فهي : وضوحـه ، وقوتـــه ، وجماله ، ويتمثل وضوح الاسلوب وبساطته في وضوح الكلمات ، ووضوح التراكيب اللغوية وترابطها ، ووضوح الافكار .. وكل غموض في هـــذه الجوانب يشوه المادة الادبية وقد يفسدها .

« والحقيقة تكون دائما اكثر جمالا اذا تعرت ، ويكون التأثير الـــذي تحدثه عميقا بقدر ما يكون التعبير عنها بسيطا ، وذلك راجع ، من جانب ، الى انها في ذلك التعبير تستحوذ استحواذا كاملا على روح القارىء ، ولا تدع له من الخواطر الجانبية ما يشتت ذهنه ، ومن جانب آخر ، لان القارىء يشعر انه لايوجد من يحاول خديعته وافساد ادراكه بفنون البلاغة ، وان كل ما للقول من اثر في نفسه نابع من نفس الشيء ذاته »[١٩] .

اما قوة الاسلوب ، فانها تتمثل في المثيرات او المنبهات التي توقظ احاسيس

الطفل ومشاعره ، وتحرك وعيه وخيالاته ، وتدفعه الى التأمل والتعاطف ، اضافة الى ما تضفيه الى الفكرة من جمال .

ولا شك ان استخدام الكلمات المعبرة ، واطلاق الصفات الخاصة ذات الاثر الانفعالي في الطفل دون الصفات العامة المألوفة ، والابتعاد عما يسبب عثرات في قراءة الطفل او بلبلة ذهنه ، كلها ، ادوات تمنح الاسلوب القوة ، وتعمل على استثارة اهتمام الطفل وجذبه ومشاركته الفكرية ، وتهيء له أن يفكر ذات التفكير الذي كان يدور في ذهن الكاتب وتنقله الى ذات الاجواء التي رسمها .

اما جمال الاسلوب ، فانه يتمثل في التناغم بين الاصوات والمعاني عن طريق استخدام ألفاظ وتعابيرسلسلة موحية ،وفي التواؤمبينالافكاروالمواقف وما يثيره من احساسات ومشاعر دون اصطناع او تكلف .

كما ان من ملامح جمال الاسلوب : التوافق بين الاسلوب والافكار ، لان الافكار المختلفة تستلزم تعبيرات مختلفة ، اضافة الى تواؤم الاسلوب مع قدرات الطفل الادبية والعقلية والعاطفية .

وهنا لابد من الاشارة الى انه لايصح الاعتماد على قاموس الطفل اللغوي وحده ، لان للاطفال ـ الى جانب قاموسهم اللغوي ـ قاموسا ادراكيا ، وهذا الاخير يعني قدرة الاطفال على فهم كلمات وتعابير اخرى من خارج قاموسهم اللغوي الذي يتحدثون به . ولكن هذا لا يبرر لنا الخروج على المدى الذي يرسم قدرات الاطفال على الفهم .

واخيرا لابد من توفر الخفة في اسلوب ادب الاطفال .. بحيث نستطيع القول ان كل فقرة منه لابد ان تحمل : فكرة ، وابتسامة .

الفصل الخامس

أدب الأطفال في الوطن العربي

ليس في تراثنا الادبي ـ رغم ثرائه ـ ما يمكن ان نسميه : ادب اطفال . ويبدو ان الصغار كانوا يتداولون القصص والحكايات الشعبية التي يتناقلها الكبار[٢٠] ، وما (الف ليلة وليلة وكليلة ودمنة) الا حكايات وضعتها مخيلة القصاصين لابناء الشعب في عهود كان فيها الشعب قليل المعرفة ، يؤمن بوجود الجن والعفاريت ويجد متعة في اخبار الكنوز المطمورة والقصور المسحورة التي تنقله الى عالم خيالي رحيب ينسيه مرارة الواقع ومتاعب العيش [٢١].

وهكذا كان الامر في كل مكان ، حيث وجد الاطفال ، في مختلف العصور ، الحكايات والحوادث التي تنسجها أخيلة الشعب الزاد الادبي الذي يتناولونه ، سواء كان سهلا مستساغا أم كان صعبا عسير الهضم، ولكنه، في الغالب ، كان كئيبا لما ينطوي عليه من حكم ومواعظ وامثولات قاسية .

لذا ، قلنا : ان أدب الاطفال جديد على الاداب العالمية كلها ، حيث لم يعن به أحد وفق الصيغ الحاضرة ، الا في العصر الحديث ، حيث زاد الاهتمام به في العقود الاخيرة زيادة واسعة بعد ان تنامت الدراسات عن الاطفال وظهر علم جديد هو : علم نفس الطفل ، اضافة الى ظهور نظريات التربية الحديثة .

ورغم تزايد الاهتمام بادب الاطفال في أكثر بقاع الدنيا ، الا أن آدباً للاطفال العرب لم يتبلور بعد ، ولم تظهر له شخصية متميزة . ويرجع ذلك الى عوامل عديدة منها : طغيان النظريات التربوية التقليدية التي ترى في الطفل رجلا صغيرا . يضاف الى ذلك ان المجتمع كان مجتمع رجل قبل كل شيء . وليس هذا فقط ، بل ان الاهتمام بالثقافة والاعلام هو ظاهرة حديثة نسبيا في مجتمعنا العربي المعاصر .

وعلى أية حال ، فان ما قدم وما يقدم للاطفال وفق النظريات التربوية التقليدية لا يمكن اعتباره « أدباً للاطفال » لانه في هذه الحالة يفتقد أهم عنصر فيه . وكل صيغة تقدم للاطفال لاتراعي في الطفولة خصائصها باعتبارها كائنا متميزا له دوافعه وميوله وخيالاته وقدراته هو بعيد عن ادب الاطفال الحق .. ولكننا هنا نفرق بين هذا الاتجاه الخاطىء وبين البدايات الجادة السليمة ، والتي يمكن ان نقول استنادا اليها أن أدب الاطفال هو في المهد ولكنه سليم معافى .

وبوجه عام ، فان كل ما وصل الى أذهان وأخيلة اطفالنا نبع من مصدرين : أولهما : عن طريق الترجمة من بعض اللغات ، وخاصة اللغة الانكليزية والفرنسية ، وثانيهما : تبسيط بعض الحكايات والاقاصيص العربية المستمدة من تراثنا الادبي .

اتخذ السيلان من القصة والاقصوصة والحكاية صيغة له ، أما الجوانب الاخرى من ألوان أدب الاطفال فلم تلق العناية آنذاك ، بل هي لم تلق ما تستحق حتى اليوم ، رغم أن ادب الاطفال يشكل كلاً لا يقبل

النجزئة ، وهو يرتبط ارتباطا وثيقا بالمستقبل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لاية أمة ، والامم لاتقاس ، اليوم ، بمقدار مابنته في ماضيها، ولا بما حققته في حاضرها ، فحسب ، بل بمقدار ما اعدته لمستقبلها .

وما يزال جيل الشباب ، حتى اليوم ، يعاني من آثار هذه الفجوة العميقة ، بين الحياة وبين الثقافة . وهذه التيارات الشاذة التي تفترق أسبابها مثلما تفترق أهدافها ، وهذه السيادة التي تحظى بها العقليات التقليدية في بعض الربوع العربية ، وهذا النزوع للتخلي عن المسؤوليات والقائها على الآخرين ، والاتكالية ، والتكاسل ، وسلوك أقصر الطرق واسرعها لتحقيق الاهداف ، وتجنب السبل السليمة لمجرد احتوائها على بعض المصاعب والمعوقات في جميع الاعمال والمناشط ، وهذا التعلق بالغيبيات ، وهذا القصور في الشخصية ، وهذا التخلف والتمزق الاجتماعي وما الى هذا وذاك ، كلها تعوده في الاساس ، وبنسبة عالية ، الى عدم انتهال هؤلاء في طفولتهم لادب هادف يبني شخصياتهم وينمي تكوينهم الاجتماعي والنفسي والعقلي .

ونعود ، الى المصدر الاول الذي استمد منه الزاد الثقافي لاطفالنا ، وهو الترجمة ، وهو مصدر لا اعتراض عليه ، اذا ما أحسنا اختيار المواد الاصيلة والمناسبة . والمعروف اليوم أن نسبة عالية من ألوان الادب المقدمة للاطفال في البلدان الاشتراكية هي مواد مترجمة عن لغات مختلفة ، ولكن الاختيار يتم وفق مواصفات محددة ودقيقة .

ولكننا حين تتصفح اكداس الكتب المترجمة والمقدمة لاطفالنا ، نجد انها ليست الا شتيتاً غير متجانس من القصص والحكايات والمسرحيات ، والتي لا يصلح كثير منها لإطفالنا ، ويتوخى ناشروها ـ في الغالب ـ الربح المادي ـ قبل أي شيء آخر ، واقبال الاطفال عليها ، وشغفهم بها لايعنيان ـ ولا شك ـ انها مناسبة أو صالحة لهم .

أما المصدر الثاني ، فهو تلك الحكايات والاقاصيص التي استمدت أكثرها من التراث العربي ، ورغم امكانية استمداد مضامين رائعة منها لالوان عديدة من أدب الاطفال ، الا ان مثل هذا لم يتحقق بعد • فقد قدمت بعض الحكايات والعبر ، كما هي ، اسلوبا ومضمونا ، في الوقت الذي تطورت فيه لغتنا العربية خلال هذه الاحقاب الطويلة ، كما ان مضامينها أبقيت كما هي ، في الوقت الذي يفرض عصرنا الحاضر التقدم بمضامين جديدة تناسب أطفالنا •

أما الحكايات الشعبية التي كانت تتناقلها العجائز ، فقد تولت بعض دور النشر التجارية تقديمها الى الاطفال رغم قساوة وكآبة اغلبها •

وهنا ، لا يمكن أن ننسى ان كثيرا من الاقاصيص المستمدة من تاريخنا ، والحكايات الشعبية التي نسجتها أخيلة الناس في عصور مختلفة ، هي وليدة عصور العبودية والاقطاع ، كما انها بالاساس لم تكتب للصغار ، بل كان يتداولها الكبار في تلك العصور المتخلفة ، وعليه ، من الخطأ ان نعتبر جميع تلك الاقاصيص والحكايات التي تعبر عن واقع غير واقعنا زاداً رئيساً لادب الاطفال ـ نعم ، قد تتضمن بعض تلك الاقاصيص والحكايات عبراً وأخيلة توسع المدارك ، ولكننا نرى اليوم ان من الضروري حرف أخيلة أطفالنا نحو الواقع من أجل أن يكتسبوا زخما يستطيعون من خلاله مواجهة الحياة فيما بعد ، كما أن من الضروري أن لا ندفع بعالم الطفولة الى عالم الوهم[٢٢] ، علما ان هناك فرقا شاسعا بين الخيال والوهم •

ومن الجانب الآخر قد تخلق بعض القصص السحرية والخرافية التي هي ـ كما أشرنا ـ من تركات المجتمعات المتخلفة في طفولتنا روح العدوان والوحشية ، وتبرز صور الخوف والقلق ، علماً أن التطور الاجتماعي والعلمي يمكن ان يتمخض عن قصص خيالية تلائم طبيعة الحياة الجديدة ، وتدفع بها الى أمام ، كما أن بالوسع تحوير تلك القصص والحكايات وابراز الجوانب التي تشجع على الوئام والتعاون والمساواة ومحاربة المعتدي

واستحصال الحق ، بحيث تبدو ملائمة للحياة المعاصرة ، لانه لا يحق لنا أن نجعل من طفولتنا حبيسة أخيلة متخلفة .

وهذا لايعني اننا ندعو الى صرف الطفولة عن الاخيلة ، بل بالعكس ، لان الخيال هو خير غذاء فكري للطفولة ، ولكننا ندعو الى ايجاد صلة تربط بين الاخيلة التي تأتي وبين الواقع الذي يحياه الطفل ، وبذلك نوفر للطفولة عنصرين اساسيين في الحياة هما : سعة الخيال والقدرة على الحياة .

ومع هذا ، أريد ان أكون اكثر وضوحا في هذا الامر ، وهو ان تراثنا العربي ، فيه من الثراء ما يمكن ان نستمد منه ألواناً أدبية رائعة لا كالتي نجدها اليوم تنقل بلغة صعبة وتحمل نفس المفاهيم ، حتى لو كانت مفاهيم يتيمة او باكية .

والملاحظ أن كثيرا من القصص والحكايات والشخصيات القصصية العربية ، اليوم قد ترجمت الى لغات العالم المختلفة وقدمت للاطفال باسلوب ممتع شائق ، دون الاشارة الى مصدرها .

الفصل السادس

أدب الأطفال في البلدان الاشتراكية

تعني البلدان الاشتراكية عناية كبيرة بثقافة الطفل ، ونجد هناك لوناً متميزا من أدب الاطفال ، أدب يعبر عن روح المجتمع الاشتراكي وواقعه ، وينقد المجتمعات الرأسمالية والاقطاعية نقدا لاذعا ، وينشر المحبة والالفة والتعاون بين المجتمع .

وقد تنبهت البلدان الاشتراكية الى خطورة قضية الطفولة وآدابها منذ وقت مبكر .

وقد كان مكسيم غوركي يسمي الاطفال : القوة الكبرى ، ويدعو الى مبادىء أساسية في أدب الاطفال لمختلف المراحل بما فيها مرحلة ما قبل المدرسة ، حيث كتب بعد تأسيس دار النشر لادب الاطفال في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٣٣ يقول :

« في المجتمع الانساني يقوم صراع يشتد اكثر فاكثر ، هدفه تحرير

الطاقة العضلية الى طاقة فكرية ، والتحكم في قوى الطبيعة ، وتحسين الصحة، واطالة حياة كل العاملين على الارض ، وتحقيق وحدتهم على المستوى العالمي وفي سبيل الازدهار الحر والمتنوع واللامحدود لاستعداداتهم ومواهبهم .. هذه المبادىء على التحديد ، يجب أن تكون الاساس لكل ادب الاطفال ، لكل كتاب موجه للاطفال بما في ذلك سن ما قبل المدرسة»(٢٣).

ويعود اهتمام غوركي بادب الاطفال الى عام ١٩١٧ يوم أرسل رسائل الى أصدقائه من كبار كتاب العالم يقول لهم انه وضع هدفا امامه « بالاشتراك مع خيرة كتاب عصرنا لنشر سلسة كاملة من كتب الاطفال تكرس لحياة عباقرة الانسانية». وكتب لويلز : « ارجوك يا عزيزي ويلز أن تتفضل بكتابة مؤلف للاطفال عن اديسون : حياته واعماله .. فأنت تدرك كم نحن في حاجة في الوقت الحالي الى كتب قادرة على أن توحي الى الاطفال بحب العلم والعمل.. وفي نيتي أن أطلب الى رومان رولان ان يكتب لنا كتابا للاطفال عن بيتهوفن، وسأكتب بنفسي كتابا عن غاريبالدي »

وكتب غوركي عام ١٩٣٠ ، يقول :

« من المشاكل المهمة لدينا تلك المشكلة التي تختص بالتربية الاشتراكية للاطفال في دولة تسير بنجاح في بناء وتنظيم نفسها بطريقة اشتراكية . ولكنها لم تبلغ بعد ذلك الهدف . ان التنظيم الحالي سوف يكتمل بناؤه على أيدي أطفال اليوم الذين تدور حياتهم كلها في أطار كفاح يومي وتناقضات من كل الانواع بين الاشتراكية الوليدة وعملاق الفردية الذى سيطر خلال ملايين السنين .

يجب علينا أن نروي للاطفال بطريقة فكهة مسلية جرائم رأسمالي احتكاري مثل (كروب) لكي نثير نحوه في نفوس الاطفال عاطفة الاشمئزاز والتقزز والنفور .. ولا نثير عاطفة الرهبة والفزع منه . لابد ان نوجه (الكره الاجتماعي) في اتجاه الزراية بالعدو واعتباره مخلوقا من درجة

أدنى ، بدلا من ان تثير عاطفة الخوف في مواجهة بذاءته وحطته وقسوته ، كما كان يفعل ادب الاطفال « العاطفي » قبل الثورة ، وكان غير قادر بالمرة على استخدام سلاح السخرية والضحك الحاد واللاذع »[٢٤]

وفي مؤتمر الكتاب السوفيت الثاني الذى عقد في موسكو من ١٥ الى ٢٥ كانون الاول عام ١٩٥٤ انتقد كاتب الاطفال السوفيتي (ليف كاسيل)في تقريره الى المؤتمر[٢٥] بعض الكتاب الذين يضعون للاطفال قصصا يظهر أبطالها الاطفال على مستوى اعلى من مستوى الواقع ، فهم كاملون ليس فيهم ناحية نقص واحدة مطلقا ، وهذا لاينطبق على الواقع اولا ، وهو ـ في الوقت نفسه ـ يؤذي الناشئة ، لانهم يألفون اثناء طفولتهم هذه « النمـــاذج » الكاملة في دنيا القصص ، حتى اذا تجاوزوا عهد الطفولة وجدوا في الواقع « نماذج » بشرية واقعية حية تختلف عن تلك « النمـــاذج » القصصية ، فتصيبهم من ذلك خيبة ، وقد يداخلهم يأس وسوء ظن ، هذا شر كبير عليهم فمن الخير لهم أذن أن يعرفوا منذ الطفولة كيف تكون النواقص في الاطفال، وكيف تعالج ، وكيف تنمو ، الى جانب ، ذلك قوى انسانية خيرة تستطيع محاربة النقص والقضاء عليه رويدا رويدا .

ويرى ليف كاسيل أن من الخطأ جعل روايات الاطفال قائمة على بطل مركزي واحد او « نموذج » بشري واحد ، على حين ينبغي أن تشتمل هذه الروايات على عدة ابطال من الاطفال ، وعدة « نماذج » طفولية بشرية ، تتمثل فيها عدة نواحي من الحياة الاشتراكية .

ولعل أهم ما جاء في ملاحظات ليف كاسيل ، قوله : ان معظم واضعي قصص الاطفال ، يهتمون بأن يكون أبطالهم من امثال الطيـــار الروســي تيتشكالوف الذي عبر القطب الشمالي ، أي من « النماذج » البشرية التي تمتاز بعمل من هذا القبيل ، ولا يهتمون بأن يكـــون في أبطالهم امثـال ماياكوفسكي ، الشاعر العظيم ، ممن يمتازون بعظمة فكرية أو أدبية ، فهل

معرفة ماياكوفسكي وامثاله من عظماء الشعراء والكتاب وعباقرة الفكر ، يجب أن تظل وقفا على الناس الكبار دون الاطفال ؟

ويشيد ليف كاسيل بالثقة العميقة التي يثقها الاطفال السوفياتيون بقصاصيهم ، ويضرب على ذلك مثلا طريفا ، فيقول : ان كاتبا من كتاب قصص الاطفال أذاع مرة من خلال الراديو قصة جاء فيها من خلال الحديث عن بطلها انه احتاج الى ثلاثة عشر روبلاً ، وما أن انتهى الكاتب من اذاعة القصة ، حتى أخذت دار الاذاعة تتلقى المخاطبات التلفونية والرسائل من اطفال كثيرين في مختلف الجمهوريات السوفياتية ، يتبرع كل منهم بثلاثة عشر روبلا لبطل القصة ، ذلك ان اطفال الشعب السوفياتي يعتقدون ان كتابهم لا يكتبون لهم غير الحقيقة .

وهذه الثقة العميقة التي يثقها الاطفال بكتابهم ، تدل على عظم المسؤولية التي يضطلع بها الكتاب السوفياتيون حيال شعبهم ، ولا سيما الذين يكتبون أدب الاطفال ، كما تدل على ضرورة احتراس الكتاب من أن يختلط عندهم مفهوم الواقعية الاشتراكية في الادب بمفاهيم جامدة تقف عند نواحي خاصة من الحياة ومن العواطف ومن الحوادث لا تتعداها الى سائر النواحي الانسانية او الشخصية .

واشار الشاعر الفكاهي السوفيتي سيرجي ميخالكوف في المؤتمر في معرض حديثه عن ثقة الاطفال ايضا بواقعية الكتاب وبصدقهم ، فقال : ان احد الاطفال كان يحضر مسرحية تمثل على المسرح الكبير ، واتفق أن طفلا من أبطال المسرحية ظهر خلال الحوادث انه يحتاج الى ثلاثة روبلات ، فلما انتهى الفصل وخرج المشاهدون للاستراحة ، تقدم احد الاطفال الى ادارة المسرح ورجاها أن تقبل منه ثلاثة روبلات مساعدة منه لطفل المسرحية !

وروى ميخالكوف أيضا ، من نوادر الاطفال السوفييت ، أن أحد

الاطفال كان يشاهد مسرحية أخرى ، فرأى احد الممثلين يؤدي دور بطل برجوازي ، فلما انتهى التمثيل أخذ الطفل يقذف هذا الممثل بالحصى ، قائلا انه يكره البرجوازية ويكره من يمثل دورها في الروايات والمسرحيات .

في أدب الاطفال الاشتراكي قيم ومفاهيم تقدمية ، تستهدف ترسيخ الايمان بالنظام الاشتراكي ، وغرس روح الثورة الدائمة في نفوسهم ، لان مستقبل النظام الجديد يقرره في الغد أطفال اليوم .

ورغم أن أدب الاطفال الاشتراكي لا يؤمن بالصيغ القديمة البالية من العلاقات الشخصية والاجتماعية ، الا انه لا يتنكر للتقاليد الشعبية ، ولذلك نرى في أدب الاطفال الاشتراكي ألوانا مختلفة من القصص والحكايات تدور احداثها في ظل نظام اقطاعي أو برجوازي ، وهم يهدفون من خلال ذلك تعريف الطفل بمساوىء المجتمع غير الاشتراكي مع اثارة روح النفرة من تلك الانظمة في نفوس الاطفال ، ففي الاتحاد السوفيتي والمانيا الديمقراطية مثلا ، نجد اهتمام المعنيين بشؤون ادب الاطفال بتقديم قصص وحكايات شعبية قديمة تعود الى أزمان مختلفة ، ولكنها تعبر عن روح الكفاح لدى الشعب في تلك الظروف الاجتماعية ، ونرى الى جانب ذلك ، قصصا وحكايات تدور أحداثها في مرحلة الاقطاع تعبر عن روح الكفاح لدى الفلاح من اجل حياة أفضل حتى وان لم يكن يستهدف من كفاحه ازالة النظام الاقطاعي عن موقعه ، حيث تبدو روح الكفاح بصورة مغايرة للصورة المطلوبة في وقتنا الحاضر ، لكنها مع هذا تعبر عن طموح الانسان .. كما ان أدب الاطفال لا يتنكر ، لقصص وحكايات تتجسد فيها الروح الانسانية في مختلف الظروف ، ما دامت تحارب الجشع المادي والتكالب على الربح والمساوىء التي رافقت تطور الرأسمالية(٢٦) .

ومع هذا فأن اختيارا دقيقا يتم عند تقديم مثل هذه القصص والحكايات للاطفال ، لان الطفل الصغير غير قادر على التحليل الكافي وفهم ظروف تلك القصص التاريخية والسياسية والاجتماعية .

وبلغ الاهتمام بالاطفال في البلدان الاشتراكية مدى واسعا ، حيث ما يزال الاطفال يسمون هناك : الطبقة المتميزة ، اذ يقول السوفيت :

« رغم مرور اكثر من خمسين عاما على ثورة اكتوبر الاشتراكية التي ألغت الطبقات ، الا انه ما تزال هناك « طبقة » متميزة ، لها قصورها وحدائقها ونواديها وملاعبها ومسارحها وافلامها وصحفها وكتبها وبرامجها ومكتباتها .. هذه الطبقة الجديدة هي : الاطفال ، لانها تتجاوز في حقوقها وامتيازاتها ما يتمتع به الاخرون » ..

وتتحدد من خلال ما كتبته ناديجا كروبسكايا ، المربية السوفيتية الكبيرة ، بعض ملامح ادب الاطفال في الاتحاد السوفيتي ، حيث كتبت في جريدة البرافدا مقالا عام ١٩٢٣ تحدثت فيه عن منظمة الطلائع ، فقالت :

[قد يقول بعض الرفاق : ما وجه الضرورة في منظمة خاصة بالاطفال؟ انهم سينضمون الى حركة الكومسسول حين يكبرون قليلا وتتفتح مداركهم، ولكن ماداموا اطفالا فماذا يستطيعون أن يفهموا ؟ « ليلعبوا وليدرسوا » وهذا كل شيء الآن .

لقد سميت المنظمة الشيوعية للاطفال بمنظمة « الطلائع الاحداث » وتضم الاطفال من الجنسين ابتداءً من الحادية عشرة .

والهدف من هذه المنظمة : تربية « الميول » الاجتماعية في اعضائها بروح المشاركة في الافراح والاحزان ، والتعود على عدم فصل المصالح الشخصية عن مصالح الرفاق ، وتنمية شعور كل فرد بأنه عضو في الجماعة ، وتربية العادات بروح الجماعة ، كالعمل ، وتقديم المساعدة بطريقة جماعية منتظمة ، وتربية الوعي الشيوعي عند الاطفال ، ومساعدتهم في ادراك انهم أعضاء في أسرة الطبقة العاملة التي تناضل من أجل سعادة الانسانية ، وانهم أعضاء في جيش البروليتاريا .

وتدل المعطيات على أن جذب الاطفال في سن مبكرة الى هذه الحركة

يأتي بأحسن النتائج ، وكثيرا ما يسمع الاطفـال يقولون : « اننا لا نرى آباءنا على الاطلاق انهم يعملون نهارا ، ويذهبون مساء الى الاجتماعات ، وكذلك تذهب الام الى العمل ، أو تكون مشغولة بشؤون البيت فيتشأ أطفال العمال كما يشاء القدر ، اذ يلوذون في ركن مهمل ، نهباً للسآمة ، أو يقعون تحت تأثير الشارع ، ولكن منظمة الطلائع تمدهم بكثير من أسباب الغبطة ، وتساعد قواهم على التطور ، وتربي فيهم روح الاعتماد على النفس ، وتغذي عقولهم بالمعرفة .

وطبيعي أن يكون هناك فرق بين منظمة خاصة بالطلائع ، ومنظمة خاصة باليافعين ، ولو كانت هذه مطابقة لتلك لكان الامر سيئا ، ولكن يجب أن تكون منظمة الاطفال مفعمة بروح الشيوعية .

وقبل كل شيء يجب أن تتوفر للاطفال اسباب الغبطة .... وان يكون لديهم وقت كاف للالعاب .. ولكن اهتمام الطلائع الاحداث لا ينحصر باللعب وحده ، فقد رأى اطفال العصر وسمعوا كثيرا ، ولديهم الرغبة في المشاركة بالنضال من أجل سعادة البشرية وبناء الحياة الانسانية ، ولا بأس أن يكون عمل الإطفال بسيطا : جمع النباتات الصالحة للادوية ، وتنظيف الحديقة الامامية التابعة للمصانع وزرعها بالأزهار ، وخياطة القمصان لرياض الاطفال ، وتوزيع بطاقات الدعوة الى الاجتماعات ، وتزيين أندية العمال ، وما الى ذلك . فالاشتراك بمثل هذا العمل الجماعي يلهم كل طفل أن يدرك انه عضو نافع في المجتمع ، ويدفعه الى الاستعداد لعمل ابداعي في المستقبل ، فيجب على جميع المؤسسات السوفيتية ان تعنى بالطـلائع ، وتهيء لهم امكانيات العمل في فروع جديدة .

وتعتبر حركة الاطفال ثمينة جدا للمدارس ، فأنها تسلح الطفـل بالحذق والمهارة ، وتساعد الادارة المدرسية ، وتمدها بطرق جديدة في التعليم ، وترفع مستوى اهتمام التلاميذ بالدروس ، وتثير فيهم الفضول الى المعرفة ، ولهذا فان المعلمين التقدميين يرحبون بالطلائع] .

وفي خطاب القته المربية السوفيتية في المؤتمر السابع لاتحاد الشبيبة الشيوعية ـ اللينينية في الاتحاد السوفيتي بتاريخ ٢١ آذار ١٩٢٦ ، قالت :

[... ينبغي لنا ان نساعد الحدث العضو في الطلائع في تفسير معنى البناء الاشتراكي . ان فتى الطلائع يقول بحرارة واخلاص انه مستعد للنضال في سبيل الاشتراكية ، ولكن لا يمكن ان نطالبه بأن يشرح فيم ينحصر بناء الاشتراكية ، فمن واجبات الحزب والكومسومول أن يساعدا الطلائع في هذا .. وينبغي ان يعرف أن بناء الاشتراكية لا ينحصر فقط في اقامة قاعدة اقتصادية جديدة وتوطيد الحكم السوفيتي ، بل يشمل أيضا تربية انسان جديد ، له من كل قضية موقف جديد ، موقف شيوعي ، اشتراكي ، وان عاداته وعلاقاته مع الناس ، تختلف كل الاختلاف عما كانت عليه العلاقات في النظام الرأسمالي .. ولا ينحصر بناء الاشتراكية في تطوير الصناعة وانشاء التعاونيات وتعزيز الحكم السوفيتي فحسب ، على الرغم مما لهذا كله من أهمية عظيمة ، وانما يشمل ، أيضا تجديد تربيتنا السيكولوجية ومعها جميع علاقاتنا ، ومن هنا كان لحركة الطلائع دورها العظيم .

ان الانسان البالغ الذي نشأ في النظام الرأسمالي يتعذر عليه ان يقلع تماما عما تعود عليه في الماضي من مظاهر السلوك والعادات والعلاقات ، واما طلائعنا الاطفال فانهم لم ينضجوا بعد ، ولم تكتسب العادات الجديدة شكلها النهائي في نفوسهم ، وهذا ما ينبغي أن تهتم به حركة الطلائع ، وان نعنى به نحن الحزبيين ، وقد كتب أنجلز : ان العالم الجديد يولد من احشاء المجتمع الرأسمالي القديم .

وحين ننظر الى حركة الطلائع ، ينبغي أن نعرف أن مهمتنا الرئيسة تنحصر في مساعدة أعضائها على تطوير مشاعر التضامن الاخوي في نفوسهم مع جميع الشغيلة ، وتقوية مدى الزمالة والرفقة .

... لقد سررت الى حد كبير حينما استمعت الى معلم لم يعش في روسيا الا قليلا وقد عاد قادما من اميركا ، فماذا أعجبه هنا قبل كل شيء ؟ وما الذي تغير في روسيا خلال تلك السنوات التي غاب فيها عن البلاد ؟ لقد أعجبه ، على الخصوص ، أن ضمير الجمع المتكلم « نحن » يستعمل هنا أكثر من ضمير المتكلم المفرد « انا » وحينما يسير في الشارع يستمع الى الاطفال وهم يتحدثون « نحن » وكذلك الفتيات ، فانهن يتحدثن بضمير « نحن » وهذا ما أعجبه . ثم يرى امرأة متبرجة ، ويستمع اليها تتحدث ، فاذا هي « انا » وقد لاحظ ان الجميع يتحدث بالضمير « نحن » الا هذه السيدة المتبرجة بطريقة البرجوازيين ، فانها تقول « انا » . وطبيعي ان حياتنا تتجه جميعا الى احلال « نحن » محل « انا » وان لاينحصر الامر في هذا وحده ، بل علينا ان نعالج كل قضية من وجهة نظر المصالح العامة ، ووجهة نظر المجتمع كله .

.. يقول الاطفال في اكثر الاحيان : ان جدنا لينين أوصانا بأن نتعلم ونتعلم ، وهذا شرح مبسط يقوم به المعلمون ، فما قاله لينين أصبح واضحا لكل انسان ، وهو : من الضروري التزود بالمعارف ، فبدونها يتعذر بناء الحياة الجديدة ، ومن الضروري لاطفال الشغيلة والعمال والفلاحين على الخصوص ، أن يستوعبوا هذه المعارف ، ولكن حتى استيعاب المعارف يجب أن يتحقق على نحو شيوعي ، فتتطور في هذه الناحية ، المساعدة المتبادلة على نطاق واسع ..

تلك هي الاسس التي يجب ان يقوم عليها العمل بين الطلائع في رأيي ، وهي تربية التضامن الرفاقي ، واتخاذ موقف جماعي من كل مسألة ، والتعود على العمل بشكل تعاوني موحد ، والاستزادة من ألوان المعرفة »] .

وفي نيسان من عام ١٩٢٧ نشرت كروبسكايا في صحيفة « اوتشيلسكاياغازيتا » مقالا بعنوان « حركة الطلائع قضية تربوية » قالت فيه :

[قلنا مرارا ان المدرسة وحركة الطلائع ، يسعيان الى هدف واحد ، هو تنشئة الطفل على أن يكون مناضلا وبناءً في النظام الجديد ، ان حركة الطلائع تستهدف تربية الشباب الجديد ، الذي سينهض بقضية بناء الاشتراكية والشيوعية حتى النهاية ، ولا يعني بناء الاشتراكية أن يرفع مردود العمل ويعلى شأن الاقتصاد فحسب ، ذلك ان الاقتصاد المتطور الى مستويات عالية ، ليس الا قاعدة للرفاهية المادية ، واما جوهر البناء الاشتراكي ، فانه في تنظيم المجتمع على نحو جديد ، وفي النظام الجديد ، وفي العلاقات الجديدة بين الناس • اننا لا نريد أن نبني فقط حياة الاكتفاء والشبع ، بل نريد ان نبني أيضا حياة وضاءة مشرقة •• واذا كان الواجب يدعو الى اعادة تربية المواطنين الراشدين بروح الاشتراكية ، فمن باب اولى ان يربى الجيل الناشىء بهذه الروح •

ان البرجوازية تتعمد التفرقة بين تربية أطفال الشغيلة وتربية اطفال الرأسماليين والاقطاعيين • فهي تحاول ان تنشيء من اطفال الشغيلة عبيدا خاضعين ، وان تربي القادة من اطفال الاقطاعيين والرأسماليين ، وتحاول بمختلف الطرق التربوية ان تمحو شخصية اطفال الشغيلة ، وان تحول دون تطورها وبروزها ، وأن تسلبهم طابعهم ووجهتهم وروح المبادرة فيهم ، ليشبوا جامدين خاملين ، واذا تمردت الشخصية عند بعضهم على هذا المصير ، فان بعضهم يؤلب على البعض لآخر ، ليتحولوا الى خدم مخلصين للبرجوازية • واما اطفال الطبقات الحاكمة ، فتطبق عليهم طرائق تربوية أخرى ، فتحاول البرجوازية أن تجعلهم أصحاب شخصية فردية تخالف الشعب والمجتمع وتستطيع ان تحكم الجماهير •

ان التربية السوفيتية تهدف الى تطوير جميع المواهب عند كل طفل ، وبعث النشاط فيه ، ورفع مستوى مداركه ، وتنمية شخصيته بشكل شامل ، ولذلك كانت طرقنا التربوية مختلفة عما يطبق في المدارس البرجوازية من الطرق التربوية ، كذلك تختلف طرائقنا التربوية عن طرائق

أطفال البرجوازية بشكل جذري ، ان البرجوازية تحاول ان تنشيء اطفالها على الفردية ، فيضعون كلمة « انا » فوق الجميع ، ويعارضون الجمهور ، ولكننا نحاول ان ننشيء بشراً سويا متطورا بشكل شامل ، قويا في الجسم والوعي والادراك ، ونحاول أن لا يكون اطفالنا فرديين بل اجتماعيين ، لا يخالفون العرف الجماعي ، بل يشدون أزره ويكونون قوته ويرفعون من شأن الجمهور الى مستويات جديدة ، لذلك كانت للشيوعية طرائق تربوية مختلفة ، اننا نعتقد ان الحياة الجماعية المشتركة تساعد شخصية الطفل على التطور بصورة اشمل واكمل ، وان هذه الحياة لا تمحو شخصيته ، وانما تهيء له ان ينشأ غني النفس بتربية حسنة]

ولكن كروبسكايا تنشر قبل وفاتها بعامين ، مقالا في مجلة (فوجاتي) تقول فيه :

[اننا نندفع في أكثر الاحيان من تطرف الى تطرف آخر ، فمنذ حين ، كان الامر يقال : بأن على الاطفال أن يكونوا على وعي بالسياسة منذ المهد ، فكان الحديث اليهم يتضمن أشياء تفوق مداركهم ، وقد أريد لهم أن يصبحوا شيوعيين وهم في مرحلة رياض الاطفال ، وكان هذا بعيدا عن الصواب ، وفي الوقت نفسه لاينبغي تصغير شأن الاطفال والاعتقاد بانهم لايدركون شيئا ، بل علينا ان نحدثهم بكثير من الاشياء ، وان نوسع آفاقهم ، وان نساعدهم في أن يصبحوا اجتماعيين . اننا نروي عليهم كثيرا من الحكايات ، ولكن الواقع أشد اغراءً لهم من الحكاية ، كما ان ألوان الحكاية مختلفة ، فثمة حكايات غنية بمضمونها وبامثلتها التي تصور طباع الناس ، وتتحدث عن مختلف العلاقات الانسانية ، وكذلك توجد حكايات تغلق المدارك ، وتعيق الاطفال عن أن يفهموا الناس والحياة بشكل صحيح . ان الحياة تجتذب الاطفال بمظاهرها المتنوعة ، فينبغي أن نعنى صحيح . ان الحياة تجتذب الاطفال بمظاهرها المتنوعة ، فينبغي تحشو أذهان الاطفال بسياستها البرجوازية ، وتربط ذلك بالدين ، وتعمل

على اثارة البغضاء بين الامم • وتقوم البلدان الاجنبية بهذا النشاط في حذق ومهارة ، معتمدة على تجربتها وطول باعها في تنشئة الاطفال على الحمق وتحجر الذهن منذ الصغر ، وتتمتع الكنيسة الكاثوليكية والبرجوازية بخبرة واسعة في هذا المجال ، وتنشط له في مختلف البلدان الاجنبية][٢٧]

وجاء في تعليق رسمي سوفيتي عن « اكتوبر والاطفال » عام ١٩٦٧:

[كان شعار مؤتمر منظمات الاطفال من جميع القارات ، الذى انعقد في قصر الرواد الشباب في موسكو « ثورة اكتوبر والاطفال » •

لقد مضى نصف قرن على ثورة اكتوبر •• ومنذ اليوم الاول للثورة اولت السلطة السوفيتية اهتماما بالغا بالاطفال •• فقد تم تنظيم الاطفال في منظمة لتأهيلهم للمساهمة في بناء المجتمع الاشتراكي ، وفي عام ١٩٢٢ خرجت منظمة الرواد الشباب الى الوجود •• ، والفلسفة البرجوازية تحاول دائما ان تزعم : لماذا يحاول الاتحاد السوفيتي اقحام الاطفال في منظمة في باكورة سني أعمارهم •• ولماذا يثقف الاطفال والشباب على حد سواء بالوعي السياسي ؟

والحقيقة انه لاتوجد منظمة في العالم لاتعكس ، بهذا الشكل أو ذاك ، الافكار الاجتماعية ، ولماذا تخفي منظمة الاطفال والشباب اغراضها التثقيفية ، فهي ليست بحاجة الى ان تخفي ماتريد ان تعلمه ••

وجميع المنظمات في الاتحاد السوفيتي تبدي اهتماما بالغا بشؤون الرواد الشباب •• وقد ساند العديدون النداء من اجل تعزيز وحدة منظمات الاطفال التقدمية •

وتحدث احد المشاركين الاجانب في المؤتمر قائلا :

لقد كان الاطفال السوفيت في العشرينات يردون على سؤال : ماذا تريد أن تمتلك أكثر من أي شيء آخر ، بانهم يريدون امتلاك الكثير من النقـود •• اما اليوم فهم يردون على نفس السـؤال بقولهم : نريـد أن نحلق في الفضاء •• نريد ان نسافر كثيرا ، نريد ان نعمل شيئا نافعا للانسان] ••

الفصل السابع

أدب الأطفال الصهيوني

وسائل « ثقافة الطفـــل » في (فلسطين المحتلـــة) تعمل من اجـل أن تدخل في روع الاطفال مفاهيم القوة والعنف والعداوة ، وتثبيت معاني القتال حتى الموت في نفوسهم ، وهي تعلمهم أن حياتهم ، كأطفال ، مرتهنة بالانتصارات الدائمة على العرب ، كما ان حياة امهاتهم وآبائهم واخوانهم وافراد أسرهم الآخرين يهددها العرب باستمرار .

والاهداف التي تسعى اليها السلطات الصهيونية وفقا لما نص عليه البرنامج التربوي للدولة هو : تنمية الوعي اليهودي ـ الاسرائيلي لـدى الاطفال والشبان وغرس المبادىء الصـــهيونية في نفوسهم وتلقينهم قيم « الحضارة اليهودية » وحب (اسرائيل) والولاء لليهود[٢٨] .

وتسعى الصهيونية الى خلق احساسات جديدة للتعاطف والولاء لدى أطفالهم .. ويقول ناحوم جولدمان :

« على الصهاينة ان يحملوا الاشخاص على تغيير حياتهم عن طـريق الاختيار لا عن طريق الدوافع الدينية ، وهذا الانجاز لا يتم عن طـريق القرارات والخطب المنمقة ، لان لنا اهتماما بالعملية النفسية ، علينا التوجه الى الاطفال .. »(٢٩)

ولهذا تنشط الصهيونية لتمجيد ما يسمى بالبطولة اليهودية عبر التاريخ وتحريك نوازع الاطفال النفسية واذكـاء آمالهم التي ترسـمها الصهيونية ، في صور أدبية حديثة .

والى جانب ذلك تسعى الى عرض صورة شوهاء للعرب : انهم كثيرو العدد ، كثيرو الموارد ، ولا يريدون غير ابادة اليهود وازالة « اسرائيل » من الوجود .

ولكن وسائل ثقافة الطفل هناك ، في الوقت الذي تظهر العرب بهذه الصورة الشوهاء تعمل على عدم ادخال الخوف في نفوس الاطفال في الارض المحتلة، لانها فيالنهاية تؤكد ان النصر دائما لليهود ، وتختلق نماذج وصورا من « الانتصارات » الصهيونية ! وبهذا ، فهي تحاول تنمية الشعور بالمسؤولية لدى الاطفال في القضاء على « العدو العربي » من جهة ، وازالة اسـباب التوتر والخوف لدى الاطفال اليهود من جهة ثانية .

وحين تستعرض التاريخ بين العرب واليهود ، فانها تصوره عـداءً دائماً ، وان هذا العداء الطويل لا يمكن له أن يزول ، لان اليهود لم يثأروا حتى اليوم رغم مضي الاحقاب الطويلة ، وعليه فان في اعناق الاطفـال مسؤولية اكمال الثأر الناجز .

وتشيع في ادب الاطفال الصهيوني ـ من خلال وسائله العـديدة ـ

قصص البطولة ، وخاصة « البطولة اليهودية » التي كان لها دورها في الحاق الهزائم بالعرب !! وان اليهود يحملون السلاح بأيديهم والقوة في نفوسهم أما العرب فهم يحملون السلاح بأيديهم ، ولكنهم يحملون الهزيمة في نفوسهم !!

وتتوارد في قصص الاطفال بطولات يهود يجازفون بحياتهم من أجل « اسرائيل » ، وجنود عرب لا يريدون غير النجاة بارواحهم !

ويلاحظ ان لادب الاطفال والمناهج المدرسية أثرا كبيرا في صياغة العقل والخيال لدى الاطفال « ففي دراسة أجراها أحد اساتذة علم الاجتماع في اسرائيل عن طلاب المدارس الابتدائية ، خرج بالنتيجة التي تقول ان ٦٠٪ من بين ١٠٦٦ طفلا قابلهم تتراوح أعمارهم بين ٩-١٤ أيدوا الافناء الكلي للسكان العرب المدنيين المقيمين في الارض المحتلة في حالة وقوع صراع مسلح مع الدول العربية »(٣٠).

وتستهدف التربية الصهيونية ، بوجه عام ، نشر اللغة العبرية ، وتنمية الروح العسكرية لدى الاطفال ووضعهم في جو مهيأ نفسياً للحرب ، واضفاء مسحة القداسة على حياة اليهود وتاريخهم ، ونشر التعاليم والتقاليد التي وضعها حكماء اليهود مستمدين روحها اساسا من بعض المزاعم الدينية اليهودية ، ومتجهين بمضمونها الى تحقيق هدف سياسي عنصري(٣١) .

وتتضافر جهود منظمات عديدة من اجل توجيه الاطفال وجهة خاصة حتى يبلغوا الثامنة عشرة حيث يتقدم الجيش لاكمال تربيتهم وتثقيفهم .

وقد انتقد كاتب اسرائيلي هذا الاتجاه ، حيث قال في دفاعه اثناء محاكمته :

« انني وجدت العناية منصرفة في هذا البلد لخلق شباب متعصب الى أقصى حدود التعصب ، فهو يربى تربية عسكرية ، ويوجه توجيها حربيا

الى أهداف احتلالية ، ويتلقى تعليما تعصبيا من النوع الضيق جدا كالذي يطبق في الدول العسكرية •• انهم جعلوا الجيش هنا قبلة للنبيبة ومنحوه مركزا ممتازا ، كما كان اليابانيون والنازيون يؤلهون جيوشهم •• انهم في هذا البلد ينشئون الاطفال هذه التنشئة العسكرية ، ويستعينون على هذا الغرض بجميع الوسائل التي تملكها الدولة •• انهم يطبعون كل شيء بطابع الروح العسكرية •• طابع الغزو الاستعماري »(٣٢) •

وانتقد تمار مروز(٣٣) (في ملحق هاآرتس الاسرائيلية ٢٠/٩/١٩٧٤) كتب الاطفال في اسرائيل والتي « تنشر من وقت الى آخر ، ويتخاطفها الاولاد بحماسة ، وموضوعها دائما كيف ينتصر الاولاد الابطال على العرب المثيرين للضحك ، والاغبياء الذين يريدون قتلنا من اجل لذتهم الشخصية•• ومن العجيب ان هذه الكتب تكاد ان تكون الوحيدة التي تختفي من على رفوف المكتبات ، فهي لاتكاد تعرض حتى تجد صفا من الاولاد في انتظارها •

ونسب مروز الى أحد الآباء قوله : « انه لمذهل حقا انكباب الاولاد على هذه الكتب التي تتضمن وصفا مفصلا للرعب والفاشية والتنكيل ، وصورا كاريكاتيرية منفرة عن العرب الذين يوصفون بالجبن والحقارة • لكني لم أفلح في منع الاولاد من قراءتها • انهم ضحايا تخدير تام »

وأشار مروز الى كتب ألفها يغئال موسينزون في الخمسينات بعنوان « السامبا » حيث يقول « كانت تلك الكتب تعتبر فاسدة يوم صدورها ، أما اليوم فانها تعتبر كلاسيكية ، اذا قيست بسيل كتب الاطفال التي طغى من بعد •• فقد كتبت ارنونا غادوت عن « جماعة شوفتيشيك » وعن « الاربعة البغيضين » و « عملية غوش عتسيون » وكتب رفائيل سهر عن الاولاد « مقتحمي الاهرام » وكتب ج • اورغيل عن « الجبابرة يتعقبون المخربين » •وكتب حاييم غيبوري كتابا عن جماعة تدعى « هافوعوز » تنتصر « بسهولة على العرب الاغبياء » • ولكن الكتب الواسعة الانتشار حقا والتي يصل مدى توزيعها الى أرقام خيالية هي التي يؤلفها كاتبان هما

عيدان ستر ، واون سريغ • وتقع كتبهما في مسلسلات عديدة ، وتتناول موضوعا واحدا : « الفتى الاسرائيلي الصغير البطل الذى يصل معسكر العرب الجبناء وينتصر عليهم ••• » ويقول عيدان ستر في احدى قصصه « ••• لابد من الخروج لمواجهتهم من جديد بكل قوة وحملهم على الفرار مرة أخرى • لايهم بأي سلاح : بمسدس أو سكين أو قبضتي صوان • كل شيء وارد في اللعبة • وصدقوني : من جاء ليقتلك بادره واقتله » •

ويتابع مروز : « اتضح ان عيدان ستر ليس الا حـزاي لوفمان ، رئيس تحرير مجلة الجيش الاسرائيلي « بماحانيه » سابقا • ويقول عن نفسه « بعد أن خدمت في قوات البالماح ، عملت في القيادة العامة بعض الوقت خبيرا في الشؤون العربية » •

أما أون سريغ ، مؤلف سلسلة تزيد على العشرين حلقة ، فهو عضو منظمة « ليحى » سابقا ، واسمه الحقيقي شارنما غفتي ، وجاء في احد كتبه « بعد أن تسلل دانيدان ـ بطل القصة ـ الى مصر ، وضع علبة ربط اليها بطاقة مشدودة الى صندوق بخيط مطاط ، وكتب عليها : ـ علبة الموت ـ فاذا همس في انبوبتها شعارا معينا لا تعرفه الا القيادة العامة للجيش الاسرائيلي : انفجرت ودمرت كل أرض العدو بسكانها » • ورد فعل ـ المصريين الجبناء ـ في هذا : ـ هيا نهرب ! صاح ناصر ، وبدأ يفر ، لكن سرعان ما وقع على الارض • نهض ناصر على الفور وواصل الفرار ، وفر جميع الحاضرين مثله • كان يجب ان تشهدوا مثل هـذا الفرار ـ وقال دانيدان في نفسه : لقد قمت بواجبي على أحسن وجه ، ومن الان لا يجرؤ المصريون على شن حروب ضدنا » ••

هذه اللمحة السريعة المأخوذة عن صحيفة هاأرتس الاسرائيلية تعطي جانبا من الصور التي يرسمها أدب الاطفال داخل الارض العربية المحتلة ، ولكن هناك نمطا آخر من أدب الاطفال ، تتناول منه سبع كتب كنموذج :

كتاب للاطفال صدر في تل ابيب عام ١٩٧١ لزيفياح بنشالوم ، يتضمن تسع قصص قصيرة ، تصف حياة جماعة من الاطفال يعيشون في حي من احياء تل ابيب ، ويتعرضون للمنافع التي يتلقونها باعتبارهم اطفالا في مدينة كبيرة . ومع ان القصص الثماني الاول تتناول حلقات عرض للازياء ، وسفرات قصيرة للنزهة ، ولعبة لكرة القدم ، الا ان القصة الاخيرة تكشف عما يمكن أن يتخيله الاطفال ، وكيف يمكن ان يتصرفوا لو كانوا أبطالا لاحدى المغامرات .. وينتهون الى ان الحي الذي يعيشون فيه حي ممتع(٣٤) .

وفي كتاب عنوانه « سر الكلمات المفردة » صدر عام ١٩٧٠ في ١٢٩ صفحة ، لموشي بتشاؤل ، قصة مغامرة يجتمع فيها اطفال من القدس ومن طبرية ، فيقيمون حياة في مجتمع مزيج .. ثم تستعرض القصة تلك الحياة الجديدة(٣٥) .

وفي كتاب بعنوان « السقوف الحمراء » صدر عام ١٩٦٥ في ١٠٢ صفحة ليهوعاش بيبر ، مجموعة من القصص القصيرة التي تتناول طفولة المؤلف واثنين من اصدقائه في قرية في الجليل ، وهي تعكس قلق وفرح القرويين(٣٦) .

وفي كتاب بعنوان « في ظل شجرة السنط » في ٩٦ صفحة صدر عام ١٩٦٩ لبني متيف مجموعة من القصص القصيرة عن جماعة من اليهود ينشئون مزرعة جماعية « كيبوتز » في الصحراء قبل اكثر من ثلاثين سنة . وتتعرض القصة لحياة العمال في المزرعة وسط البدو المجاورين ! وتتناول القصة الاخيرة حياة الاطفال في المزرعة .

وفي كتاب بعنوان « الجيديونيت » صدر في تل ابيب عام ١٩٦٧ في ٢٠١ صفحة لعمر ديفورا ، قصة امرأة بارزة تدعى « سارة اجارونسون » وتتناول القصة حركة المقاومة في الحرب العالمية الاولى . وتتألف تلك الحركة من شباب قرى شومروم ضد الامبراطورية العثمانية ..

وفي كتاب « حياة الكلب ريزي » صدر في تل ابيب عام ١٩٧١ في ٨٩ صفحة لتاموس بنيامين قصة زوج وزوجة لا اطفال لهما ، لذا كان يربيان كلبا ، ثم يتركان الكلب عند عائلة مزارعة حين يسافران الى خارج البلاد . وعند عودتهما يستبدلان حياتهما المدنية بالحياة الريفية . ويكون الفلاح والكلب فعالين في مساعدتهما في تنظيم حياتهما الجديدة . ولكن الكتاب في واقعه وصف لطريقة الحياة في قرية تعاونية اسرائيلية « موشاق »(٣٧).

أما الادب الموجه الى الاطفـــال خارج اسرائيل والذي تتولى نشره المؤسسة الصهيونية من خلال مئات الصحف والكتب فانه يؤكد الى جانب ما أشرنا اليه ، على ما يســـمى بنواحي الجمال والجاذبية في « اسرائيل » بقصد ربط اليهود « باسرائيل » ضمن سعي الصهيونية لجلب ما تطلــق عليه « يهود الأشتات من مواطنهم في انحـــاء العالم الى اسرائيل » . كما تحرص على تعميق الشعور بالذنب في نفوس الاطفال في اوربا تجاه الاطفال اليهود .

ففي أوربا روجت الصهيونية كتابا ملوناً للاطفال اســـمه « داود الصغير » أو « حكاية اسرائيل تروى للاطفال » وطبعت منه احـدى دور النشر ملايين النسخ الانيقة المطبوعة طباعة فاخـــرة ، والمزدانة بالرســـوم الكاريكاتيرية الجذابة . والكتاب يحاول ان يزرع بأسلوب مؤثر وجذاب ، أكاذيب بذرتها في قلوب وعقول الاطفال الاوربيين .. فهو يقدم لهم « داود الصغير » مورّد الوجه مبتسم الاسارير كنموذج للاطفال « الاسرائيلين » ، وقد مرت عليه محن عمرها عشرون قرنا دون أن يفقد ابتسامته او يفقد أمله في أرض الميعاد !

وداود الصغير خلال هذه الالاف من السنين يواجه اضطهاد العالم : الرومان ، الفرس ، العرب .. ثم الصليبيين الاوربيين !! .. ويتوقف الكتاب عند الحروب الصليبية ليشرح كيف أن أجداد اطفال اوربا الحاليين قد ذبحوا آلاف اليهود في بيت المقدس !!

ويصور كتاب « داود الصغير » العرب في مظهر المعتـدين • ويربط بين العرب وهتلر •• ويصور الالمان في الحرب بعد هزيمتهم وقـد لبسـوا الطرابيش وجاءوا الى الشرق ليواصلوا رسالتهم في اضطهاد اليهود •• ثم تزرع صور الكتاب ـ في خبث شديد ـ بذور الشفقة العارمـة في نفوس الاطفال على داود الصغير الذي وجد نفسه في مستهل تأسيس دولتـه يواجه « اضطهاد » العرب والانكليز معاً !!(٣٨)

وفي احد معارض كتب الاطفال التي اقيمت في احدى الدول الاوربية عرضت « اسرائيل » قصة كتكوت صغير يقف وحيدا وسط عدد من الديكة المتوحشة التي تلتف حوله تريد الفتك به • وينادي الكتكوت الصغير بأنه لايريد شيئاً انه يريد الحياة في سلام وسط هذه الديكة المتوحشة المعتدية •• وقد طبعت هذه القصة طباعة فاخرة مزدانة برسوم جميلة وكلمات بسيطة(٣٩) •

ومن مجلات الاطفـال اليهودية والصهيونية في خـارج فلسطين مجلة Olomeinu our world التي تصدر بالعبرية في نيويورك منذ عام ١٩٤٥ عن جمعية التوراة •(٤٠)

ولعدد من الجرائد اليومية الثلاثة والعشرين والمجـلات الاسبوعية الاربعمائة في فلسطين المحتلة ملاحق خاصة بالاطفال ، مثل « الملحق الاسبوعي الخاص بالاطفال الذي تصدره صحيفة معاريـف »(٤١) اضافـة الى صحف أطفال متخصصة في العلوم والفنـون منها « المجلة العلميـة التي تصدر منذ عام ١٩٥٦ باللغة العبريـة وتوزع نحـو ٧٥٠٠ نسخة وهي مجلـة Mady science »(٤٢) •

الباب الثالث

فنون أدب الأطفال

الفصل الاول

قصص الأطفال

المبحث الاول

نظرة عامة

القصة لون رفيع من ألوان الادب ، وقد كان لها حضورها في الآداب القديمة عموما ، وهي تتمتع اليوم بموقع ذي أهمية في الآداب الحديثة •

واذا كانت الخرافات والمعتقدات القديمة وأخيلة الانسان نحو الكون قد ألـّفت معيناً لما أبدع الانسان من قصص في فجر تاريخه فأن شؤون النفس والمجتمع ـ اليوم ـ هي الزاد الذي تستمد منه القصص في الآداب الحديثة مضامينها •

وخلال العصور المديدة كان القصاصون ينسجون القصص ، وكان الناس يتناقلونها جيلا عن جيل بعد أن يضيفوا اليها من وحي مداركهم

وخيالاتهم لمسات جديدة • واحتضنت المجتمعات العربية والشرقية عمو
والافريقية كثيرا من الحكايات ، حيث كانت الطبيعة تضمر في احشائها بعض
ملامح القسوة والعنف فكانت الحكايات واحدة من وسائل الانسان لو
ما ينتابه من مخاوف عن طريق تمجيد اعمال البطولة والشجاعة وابراز دو
« الارواح الخيرة الخفية » في الانتصار على « قوى الشر » في تلك الحكايات
وقد كان الانسان يجد في ذلك بعض ما يبعث في نفسه الاطمئنان ، لان مايقلق
الانسان وما يثير مخاوفه ليست أدوات القوة والعنف ذاتها بقدر ما كان
تثيره تخيلاته وآراؤه عن تلك الادوات •

وقد كان للاتصالات الانسانية عن طريق الغزو والحروب والتزاو
أثر في انتقال القصص والحكايات من مكان الى مكان ، الا ان لتناول القصد
ـ في العصر الحديث ـ في أعمال مسرحية واذاعية وسينمائية دورا كبيرا
نموها وانتشارها وفي أدائها لوظائف ذات شأن في الحياة •

والقصة ـ اليوم ـ وسيلة من وسائل نشر الثقافات والمعارف والعلو
والفلسفات ، وبسبب ما تنطوي عليه من جاذبية كانت من أشد ألوان الاد
تأثيرا في النفوس ، حتى وجدنا ان كثيرا من القيم والمفاهيم والنظريا
والفلسفات كانت القصة السبب الاول في ذيوعها وانتشارها قبل أي وسب
أخرى ، كما وجدنا كثيرا من المثقفين كانت القصة رافدا كبيرا لثقافاتهم •

وتتميز قصص الاطفال عن القصص التي يكتبها الكبار للكبار بمجمو
من القسمات رغم ان هذه وتلك تشتركان معا في اكثر من خصيصة بنائية
وشكلية •

اذا كانت القصة حادثة واحدة أو مجموعة من الحوادث ذات العلا
بشخصيات متعددة ، فان طبيعة هذه الحوادث ، وطبيعة الشخصيات ترتب
ارتباطا وثيقا بطبيعة قراء القصة • وهنا تتشكل نقطة المفترق بين قصد
الاطفال وقصص الكبار • فنحن حين نقرأ قصة ناجحة ، نجد أنفسنا قد انتق

الى اجوائها واندمجنا مع حوادثها وتعايشنا مع عدد من أبطالها استجابة منا لمثيرات متباينة • ولاشك ان ما يثيرنا ـ نحن الكبار ـ هو غير ما يثير الاطفال ، مادمنا نريد لهم أن ينتقلوا الى اجواء القصة ويندمجوا مع حوادثها وفق استعداداتهم وخبراتهم •

والقصة شيء من غذاء العقل والخيال والذوق • وغذاء الاطفال غير غذاء الكبار ، اذ يختلفان في النوع والكم والاسلوب وطريقة التقديم •

القصة والطفل

الحكايات التي استمعنا اليها مشدودين في صغرنا ، يوم كنا نتحلق حول الجدة مشدوهين ، مع اننا كنا نجهل مدى تأثيرها فينا ، الا انها ظلت اشبه بالذكريات راسبة في اعماقنا •

وحتى اليوم ، مايزال الاطفال مشغوفين بالقصص ويتقبلونها بانتباه وحماس ، ويتجاوبون مع ابطالها ، فيفرحون لانتصارهم ويحزنون لانكسارهم وهم لا يملون تكرار سماع القصة ، بل يلحون من اجل تكرارها لانهم يجدون في كل مرة فيها متعة جديدة او يتوصلون الى افاق اكثر سعة ، ويصعب ان نجد طفلاً لا يهتم بالقصص والحكايات •

ويعتبر بعض علماء النفس مرد اعجاب الاطفال بالقصص والحكايات الى انها لون من ألوان اللعب الايهامي الذي يحتاج اليه الاطفال الصغار احتياجا شديدا نظرا لتشبع الاطفال بعنصر الخيال وقدرتهم على التجسيد • ويرى عدد اخر من علماء النفس ان القصة اضافة الى كونها لونا من اللعب الايهامي فهي تشبه الحلم بالنسبة الى الاطفال الصغار ، ففي القصة مجال لهم لاعادة الاتزان الى حياتهم حيث يجدون في كل قصة شخصيات تشبه من بعيد او قريب الشخصيات التي يقابلونها في الحياة ، والتي يتعاملون معها[1] •

ان الاطفال ، من خلال اندماجهم باحداث القصة يستطيعون ان يكتشفوا انفسهم ، ومن الناحية العقلية يدفعون حدود عالمهم المحدود الى الخلف كما

يتخطون الحدود التي فرضتها عليهم القوى الاجتماعية ومستويات العالـم المألوف ، وان احدى هبات الطفولة الرائعة ان الاطفال اثناء اكتسابهم لخبرة جديدة يتألمون او ينزلقون او يأخذون سبع درجات في خطوة واحدة مع بطل القصة (٢) .

ويرى هـ.د ان كوربن ، وهو معني بشؤون الترويح ــ انه منذ ان اتخذ الانسان القصة كشكل في وسيلة لتسجيل اعماله او تفسير اسرار الحيـاة ظهرت اسباب لا حصر لها لقص القصص .. لقد ظهرت اغراض جديدة وراء استخدامها ، وهي تتوقف على المناسبة التي تقال فيها القصة .

ويتطرق كوربن الى الاغراض الترويحية التي تتحقق عن القصة فيشير الى مجموعة من الاغراض في مقدمتها : توفير فرص الترفيه عن الاطفال في نشاط ترويحي تربوي .. حيث تمنح القصة اسلوبا ايجابيا لنشاط ترويحي تشترك فيه الجماعـة بالمتعة والفـرح ، اذا مـا قدمت باسـلوب فني ، اذ يكشف الاطفـال فيها عالمـا جـديدا ، يتقمصون شخصيات اصدقائهـم في القصة ويذهبون في رحلات وهمية او يؤدون الرقصات فرحا معهم .

اما الغرض الاساسي الثاني فهو اشباع الميل للعب عند الاطفـال ، اذ قد تعكس القصة الجانب المرح من الحياة كما قد تبرز الكثير من انـواع العمل المثير فتشبع بذلك مختلف الامزجة والاحاسيس .

والغرض الاساسي الثالث هو تعريف الاطفال بميراث هائـل للثروة الادبية ، حيث يهب النسيج السحري الحياة للكلمات المطبوعة او المسموعة فيقود الاطفال بلطف ، ولكن باقناع ، عبر الابواب التي تفتـح ببطء .. وتتضح امام اعينهم المتفتحة المترقبة معجزات الماضي ، وعواطف الانسـان الدافقة ، وروح المغامرة الجبارة عبر العصور .

وهكذا تتيح القصص للاطفال أن يطوفوا على اجنحة الخيال في شـتى العوالم ، قاب قوسين منهم او بعيدة مترامية ، ويلتقون باشخاص قد يشبهونهم

او قد يسعدهم التشبيه بهم ، مثلما يلتقون باقزام وعمالقة . وجبابرة وابطال ، ومخلوقات في منتهى الغرابة ، منها ما هو وديع كل الدعة او مفترس ينطلق من عيونه الشرر او منقرض اصبح اثرا او لم يكن له وجـــود الا في دنيا الخيال .. ويتخطى الاطفال في قصصهم ابعاد الزمان وابعاد المكان ، فيجدون انفسهم في يومهم هذا او يجدونها في عصور غابرة او عصور لم تات بعـد ، ويقفون عند حوادث حصلت بالامس او قد تحصل غدا او قـــد لا تحصل مطلقا .. ويتعرفون الى قيم وافكار وحقائق جديدة .. وتبدو لهم هذه كلها ممسرحة تمتعهم وتوقظ في اذهانهم مختلف المشاعر وتثير تفكيرهم .

نعم ان القصص التي تتناول امورا غريبة تثير الاطفال بقدر ما تثيرهم تلك التي تتنـــاول امـورا مألوفـة . فالقصص التي تـدور حـول افكـــار واشخاص وحوادث خارجة عن نطاق الخبرة الشخصية للطفل تعتبر مصدرا مهما لتنمية افكاره عن الاشياء ، فالطفل اليتيم الاب قد يكون متعطشـا الى الاستماع الى القصص التي تمنحه فكـرة واضحة عن الابـاء وما يفعلون ، والطفل الذى يتشاجر والداه وتكون حياته المنزلية مشحونة بالتوتر وينقصها الاستقرار قد يكتشف من خلال القصص التي يسمعها او يقرأها ان ثمـــة أسراً تعيش في طمأنينة وتسود بين افرادها علاقات طيبة ، وان هناك طرقـــا اخرى لمواجهة المشكلات غير المشاجرات وخلق الاجواء المتوترة التي يعاني هو منها في بيته ، وفي اثناء سماع هذا الطفل للقصص او عند قراءته لها قـد يجد خبرات جديدة تعوضه عما يتعرض له في بيته من كبت وتوترات ، كما يجد فيها ما يرضي حاجاته النفسية الملحة . (٣)

المبحث الثاني

بناء قصة الطفل

١ ـ فكرة قصة الطفل :

الجنين ـ في علم النبات ـ هو جزء صغير من البذرة ، اية بذرة نباتية، وفي بعض البذور يمكن ملاحظة الجنين بالعين بسهولة ، ولكن يصعب او يستحيل ذلك في بعضها •• والجنين ، صغر أم كبر ، ليس الا نبتة مصغرة تنشأ عنها النبتة الكاملة بعد ان تتوفر لها شروط الانبات •

والقصة ليست الا نبتة كاملة وجنينها هو الفكرة أو الموضوع •

وكما انه لا يمكن لكل جنين ان يتحول الى نبتة كاملة ، اذ قد يذوي ذلك الجنين ويموت اذا لم تتوفر له شروط الانبات ، كذلك لا يمكن لكائن من كان ان يكوّن من فكرة ، قصة للطفل ، ما لم يكن فنانا مبدعا مهما كانت روعة الفكرة التي يقدمها • والافكار في حد ذاتها لا حصر لها ويمكن ان يلتقطها هذا او ذاك من خضم الحياة بسهولة ولكن لا يمكن لكل من هب ودب ان يحولها الى قصة •

ومثلما يمكن للجنين ان يكبر ليصبح نبتة مليئة بالحياة او يصبح نبتة نصف ميتة ، تبعا لما يتوفر لها من شروط واجواء ، كذلك يمكن ان تتحول الفكرة الى قصة رائعة اذا ما تعهدها عقل وخيال فنان ، بينما يمكن ان تذوي اعظم الافكار اذا لم يتعهدها مثل ذلك العقل وذاك الخيال ، لان الفكرة وحدها لا تكفي في القصة ، اذ لابد بالاضافة الى ذلك من عمليات ابداعية تنقل الطفل الى اجواء القصة وتثيره ، وتفعل فعلها فيه •

من هنا يتجلى ان الفكرة ليست كل شيء في القصة ، وقد لا تمتلك الاولوية فيها احيانا ، رغم انها إمتلكت الاولوية في الالتماع في ذهن الكاتب ، فمهدت له الخطوة الاولى لصياغة القصة • والتقاط الفكرة ليس مهمة سهلة، رغم أن الافكار لا حصر لها ولاعد •

والقاص الفنان ، وحده ، يستطيع ان يلتقط الفكرة المناسبة اولا ويجسمها ثانيا ، اى يجعل لها ابعادا جديدة فتبدو معقدة ، او مشوقة ، او غريبة ، او قريبة الى حياة الطفل او بيئته ، او ذات مساس بقضية يمكن ان يتركز اهتمام الطفل حولها ، او يجد الطفل نفسه وكأنه ازاء عقدة لابد له ان ينتهي بها الى حل •

والفكرة الجيدة هي التي تتناول موضوعا يثير انتباه الطفل ، لضخامة ذلك الموضوع ، او لغرابته ، او للذته او لا ستهوائه النفسي ، او لتعلقه بعالم الطفل او بيئته او خيالاته • والقاص الذى تخطر في خاطره خاطرة يسعى ــ في العادة ــ من اجل ان تكتمل صورتها في ذهنه قبل ان يبدأ بحبك القصة ، لان هذه الصورة هي التي تقرر حبكة القصة وهيكلها •

ولا تشكل الفكرة في القصة لمحة عابرة او سريعة ، لان الفكرة تظل في تطور مستمر اثناء الاستطراد في القصة ، لذا يطلق عليها قلب القصة ، لانها تظل تنبض في بناء القصة دوما ، وكلما اتخذت الفكرة طريقا مقبولا ومنطقيا في تطورها كانت نهاية القصة اكثر ثباتا واتفاقا مع بقية المواقف والحوادث •

كما ان الاثـارة التي تشدُّ الطفـل الى قصته لا تقتصـر على مقدمـة القصة بل تتعدى ذلك الى الاستمرار في مسيرة تطور القصة حفاظا على وحدة الاثار •

وفكرة اية قصة لابد ان تتلاءم مع مرحلة من مراحل نمو الاطفال نفسيا وعاطفيا ولغويـا واجتماعيا وعقليا ، فمـا يصح للاطفال الصغـار قد لا يصلح للاطفال الكبار •

ويلاحظ ان بعض القصص المكتوبة للاطفال تغرق في تفصيلات فرعيـة واستطرادات ثانوية ، فتتضاءل الفكرة الاساسية ويصعب على الطفل التقاط المعنى الذي تنطوي عليه ، لذا كان من الضروري ان تتشكل قصة الطفل من وحدة فنية تتجلى من خلالها الفكرة الرئيسة دون ان تتنازعها افكـار اخرى ثانوية كبيرة تقلل من شأن الفكرة الرئيسة او تخفض من تأثيرها •

واذا كان خليقا بقصص الكبار ان تجنح الى التلميح دون التصريح فان لقصص الاطفال عذرا في الالتجاء الى الاتجـاه الثاني في بعض الاحايين ،لان الاطفال بحاجة الى من يعاونهم عـلى تبين الفكـرة والوقـوف على تصرفات الشخصيات ، رغم ان هناك جوانب اخرى كثيرة يمكن أن تترك لفطنة الطفل اذا ما توفر فيها المثير الذي يدفع الطفل الى التفكير •

وما دمنا بصدد الحديث عن موضوع القصة او فكرتها ، فاننا نجـد لزاما ان نشير الى تساؤل طالما تردد هنا وهناك وهو :

« هل يجوز ان تتناول قصص الاطفال افكارا سياسية ؟! »

وجوابنا ، اننا نجد ان الحكايات القديمة التي تؤلف الاساس الاول في نشوة القصة ، كانت رغم كونها لونا ادبيا مبسطا قد عنيت بشؤون سياسية ، بل ان كثيرا من الحكايات وضعت لتخدم هذا الهدف قبل اي هدف اخـر ؛ فكان كثير من الحكايات ذي مضامين وطنية وقومية • وقد كتب الخلـود لكثير من تلك الحكايات •

هذا من جانب ، ومن جانب اخر ، فان الموضوعات السياسية ليست اليوم شيئا متفصلا عن قضية الحياة ، بل اصبحت السياسة أمرا من صنع الجمهور وحده ، كما انها جزء من بيئة الطفل ، وعليه أمست من الموضوعات المهمة والخطيرة ، لذا كان اتخاذ الافكار والاحداث السياسية اساسا مقبولا لبعض القصص المقدمة للاطفال وخاصة في مرحلتي البطولة والمثالية .

ولكن يجب الحذر من اقحام المفاهيم المجردة ، او اقحام الموضوعات بشكل مفتعل ، لان هذا يعطي مردودا معكوسا(٤) .

ويرى المربون ان الاكثار من الصاق الصفات غير المستحبة ببعض القيم القبيحة كالكذب والتزوير والخيانة ، والاكثار من اسباغ الصفات المستحبة ببعض القيم الطيبة كالصدق والامانة والاخلاص امر غير مرغوب فيه في قصص الاطفال ، لان الاسراف في الاطراء على صفات الخير والايغال في تقبيح الشر تعطي نتائج معكوسة. وهكذا يقال بالنسبة الى اعطاء الاشرار اوصافا شكلية قبيحة واعطاء الاخيار اوصافا شكلية جميلة .

« وهناك فيض من القصص التي تتغنى بالفضائل « والمكارم » وتنعى على الشرور والاثام ، حيث انساق فريق من كتاب القصة وراء هذه الرسالة، وجعلوا يخضعون لهذا الغرض سياق القصص ، يزيفون له المشاهد ويزورون له المواقف ، وينتهون الى النتائج ، فخرجت طائفة من اقاصيصهم تماثيل منحوتة من حجر او مرمر أو ذهب أو مما شئت من المعادن نفيسة او غير نفيسه ، الا انها اخر الامر تماثيل لا حركة فيها ولا حس ، لبابها تزوير على الحياة والاحياء ، وقوامها مثالية لا يعرفها الواقع ، ولا يشهدها الناس».(٥)

ومن الضروري ان تخلو قصص الاطفال من الافكار والموضوعات القاسية الشديدة الايلام او التي تدعو الى التفجع والتحسر والتشاؤم .

كما من الضروري الابتعاد عن صور التعذيب والتخويف .

وهناك من يشترط ان تنتهي قصة الطفل بعبره او حكمة او موعظة حسنة ، حيث يفرض على ابطالها ان يتحركوا بشكل مفتعل ، وان يتدخل السحرة والجان ـ احيانا ـ وتصنع الوقائع صناعة ، وتنحت المصادفات نحتا فتبدو القصة مثل هيكل عظمي لا روح فيه الا تلك الحكمة والموعظة التي لا يمكن ان تبعث الروح من جديد مهما كانت قوة صدقها او شدة حيويتها •

وهذا لا يعني اننا نرفض هذه القصص جملة وتفصيلا ، ولكننا نرى ان الحكمة او الموعظة يمكن ان تدخل في بعض قصص الاطفال على ان لا تسبب فقدان القصة لحيويتها او تؤثر في بنائها الفني ، خاصة ، وان كثيرا من الحكم والمواعظ تشكل افكارا قائمة بذاتها •

٢ ـ الحوادث والوقائع :

اذا كانت القصة نسيجا حيكت خيوطه بدقة ، فان الحوادث والوقائع هي بعض تلك الخيوط •

ومع ان لطبيعة الحوادث اهمية في القصة ، الا ان القص السليم للحوادث ذو اثر لا يقل اهمية ، لان الحوادث ، من اجل ان تكون مؤثرة وفاعلة لابد ان تسلسل بتناسق بحيث تبدو منسابة انسيابا سلسا دون افتعال او حشو او استطراد •• ومعالجة الحوادث هي بعد فني يضفي على بعدها الفكري المتمثل بالموضوع عمقا جديدا •

وهناك قصص تتوارد الحوادث والمواقف فيها بشكل مترابط حتى تتكامل الحوادث كلها وتتأزم لتشكل عقدة يجد الإطفال انفسهم ازاءها في شوق شديد للوقوف على الحل •• وهناك قصص تبدو الحوادث والوقائع منفصلة او غير مسلسلة ولكنها تحافظ على بنائها القصصي من خلال عناصر اخرى غير الحوادث كالشخصيات او الفكرة العامة او ما الى ذلك •• ولكن لا يمكن ان تكون القصة مجموعة من الحوادث او مجموعة

من الاخبار ينحت بينها الكاتب روابط مصطنعة فهي في هذه الحالة لاتبدو موقفا قصصيا من مواقف الحياة ، وبالتالي لا تبدو قصة •

ولا يشترط في الحوادث ان تكون كبيرة ، فقد تكون كثير من الحوادث الاعتيادية التي يصادفها الطفل كل يوم مصدرا لوافر من قصصهم بل تستطيع مثل هذه القصص التي تتناول حوادث اعتيادية ويقوم ببطولتها اشخاص اعتياديون تفسير كثير من جوانب الحياة تفسيرا صادقا سليما رغم انها لا تفسر لهم كل شيء •

ويمكن للخبر ان يكون نواة لقصة ، ولكن ليس كل خبر او مجموعة من الاخبار يمكن ان تكون قصة ، فالشرط في ان يصبح الخبر قصة هو ان يكون له اثر في نفس القارىء ، وبعبارة اخرى ينبغي للخبر الذي تحكيه القصة ان تتصل تفاصيله واجزاؤه بعضها ببعض بحيث يكون لمجموعها اثر كلي ، وان يصور حدثا موقفا معينا او بداية معينة تأخذ في النمو شيئا فشيئا حتى تصل الى نقطة معينة تتجمع عندها خيوط الحدث كلها ، وبها يكتسب الحدث نفسه معنى وفكرة •، ولا شك ان الاخبار المنفصلة التي يرويها هذا لذاك لا يمكن ان تشكل قصة لانها لا تترك في نفس السامع اثرا كليا اذ تعجز عن تكوين معنى كلي (٦)

وهناك قصص ماتعة للاطفال ذات نزعات انسانية ، وهي لا تتضمن اى اي حدث بالمعنى الذي الفناه وتعارفنا عليه ، وهي تكتفي بمس عواطف الطفل وتسليته من خلال افكار شجية قد تنتهي بدعابة أو مفاجأة مثلا •

وهناك قصص للاطفال مشحونة بحوادث تقع عن طريق الصدفة ، ولا شك ان المصادفات عنصر دخيل على القصص ، يلجأ اليها الكاتب مضطرا •

وبوجه عام يجب عدم الاكثار من الحوادث في قصة الاطفال لكي لا يقع الطفل في الارتباك ، وبالتالي تضيع عليه فرصة التقاط الحدث الرئيس وتبين معنى القصة •

وحتى سنوات قليلة كانت وقائع وحوادث معظم قصص الاطفال في اكثر بلدان العالم ذات طابع مخيف ، قاس عنيف ، وقد اخذت هذه الصورة بالتضاؤل خلال السنوات الاخيرة ، حيث بدأ اعداد جديد حتى لتلك الحكايات القديمة الكثيرة الشيوع ، فأزيلت عنها صور العنف والقتل والخيانة كما ابعدت عنها شخصيات الجن والعفاريت الى حد ما .

٣ ـ شخصيات القصة :

الشخصية بعد مهم من ابعاد القصة ، اية قصة ، وهي محور اساس في قصص الاطفال ، وعليه كان من الضروري ان تبدو الشخصية للاطفال واضحة ، حية ، متوافقة مع احداث القصة وافكارها .

ويعمد كتاب قصص الاطفال الى بذل جهد كبير في رسم الشخصية كي يجدها الاطفال غير باهتة ولا متناقضة في اقوالها وافعالها ، ويحرصون على عدم الاستطراد في وصفها ليتهيأ المجال للطفل لاكتشاف طبيعتها بنفسه .

ويتعاطف الاطفال مع شخصيات القصص تعاطفا شديدا ، وخاصة مع الشخصيات التي تعاني وتكابد دون تردد او كلل من اجل تحقيق اهدافها ، ويدفع بهم تعاطفهم هذا الى القلق او اطلاق صيحات الاستغاثة او البكاء حين تتعرض شخصية القصة لموقف محزن او محرج ، ويطلقون ضحكات صاخبة ويصفقون عاليا حين يتسنى للشخصية التي يحبون ان تنتصر .

والتطور المنطقي السليم للقصة لا يسمح في العادة للشخصية تحقيق النجاح دون بذل جهود او مواجهة صعاب . ومن المناسب ان تكون في الشخصية جوانب سلبية الى جانب الجوانب الايجابية ، والشخصيات التي تمثل اناسا ذوي اهمية او قداسة يجب تقديمها بدقة وعدالة وواقعية .

ولايشترط ان تكون الشخصية انسانا ، فقد تكون حيوانا او نباتا او جمادا او لفظا معنويا مجردا .

وعندما تكون شخصية القصة طفلا ، من الضروري الحرص على أن يظهر

بمستوى الواقع ، اذ كثيرا ما نجد قصصا يظهر فيها الاطفـــال بمستوى يفوق المستوى الواقعي للاطفال أو يظهرون مثاليين لا نقص فيهم قط •

وقد انتقد كاتب الاطفال كاسيل مثل ذلك الاتجاه واشــار الى انه خطأ لا ينطبق على الواقع اولا ، وهو في الوقت نفسه يؤذي الاطفال لانهم يألفون اثناء طفولتهم هذه « النماذج » الكاملة في دنيا القصص ، حتى اذا تجـاوزوا عهــد الطفولة ، وجدوافي الواقع « نماذج » بشرية واقعيـــة حيـــة تختلف عن تلك « النماذج » القصصية ، فتصيبهم من جراء ذلك خيبة ، وقد يداخلهم يأس وسوء ظن ، لذا من الخير أن يعرفوا منذ الطفولة كيف تكون النواقص في الاطفال ، وكيف تعالج ، وكيف تنمو الى جانب قوى انسانية خيرة تستطيع محاربة النقص والقضاء عليه رويدا رويدا •

ويرى « ليف كاسيل » ان من الخطأ جعل روايات الاطفال قائمة على بطل مركزي واحد او « نموذج » بشري واحد ، بل ينبغي أن تشمل هذه الروايات على عدة أبطال من الاطفا ل ، وعدة « نماذج » طفولية بشرية ، تتمثل فيها عــدة نواحٍ من الحياة •

ان القصة تكون معقولة ومحتملة الوقوع ، عندما تتصرف شــخصياتها ، كما تتصرف شبيهاتها في الحياة اذا وضعت تحت تأثير الظروف نفسها ، وكذلك عندما لا يخبط القدر خبط عشواء ، بل يتصرف تصرفا لايجافي طبيعة الحوادث والشخصيات ، وان الحوادث العفوية المفاجئة ، التي تعترض سبيل الحيــاة في القصة وكأنها حلقات غريبة ، من سلاسل مجهولة ، لابد من أن تفسد هذه الحياة وتنأى بها عن طبيعة الحياة العادية"[٧] •

٤ ــ اسلوب القصة :

الفكرة ، والحوادث ، والشخصيات عناصر متميزة ومتباينة ، ومن أجل أن تمسي هذه كلها شيئا واحدا متسقا ومتفاعلا لابد من عملية صياغة ، والصياغة تقرر اسلوبا أدبيا يهيء لنا أن نعامل هذه العناصر معا لتكوين بناء فني متكامل •

والفكرة التي تلوح للفنان ، بادىء الامر ، تمر في ذهنه بمراحل متعددة قبل ان تتحول الى عمل قصصي • وتشمل هذه المراحل جانبين، اولهما : مادي، يتمثل في الالفاظ والجمل والفقرات التي تزيد في حيوية الفكرة وتلبسها ثيابا جديدة • وثانيهما : ذهني ، ويتمثل في اضفاء لمسات جديدة الى الفكرة بهدف تأصيلها ودعمها • وهذان الجانبان يؤلفان عملا ابداعيا في طبيعته ، وعلى أساسه يبني القاص هيكل القصة •

والاسلوب هو التعبير بصورة واضحة ، وقوية ، وجميلة عن الفكرة ، بحيث تبدو عميقة ، وصادقة ، ومؤثرة •

ويمكن القول ان العناصر الاساسية التي تميز اسلوب قصص الاطفال هي : الوضوح ، والقوة ، والجمال •

ووضوح الاسلوب يعني ان يكون في مقدور الاطفال استيعاب الالفاظ والتراكيب وفهم الفكرة ، وهذا لا يتيسر ما لم يكن النسيج اللفظي بسيطا وشفافا وخاليا من الزخرفات والتنميقات • والبساطة والشفافية لا تعني السذاجة او البدائية ، لان الاطفال يرفضون أن يقلل من شأنهم او ينظر اليهم نظرة فجة •

وقوة الاسلوب هي عنصر آخر يكمل الوضوح ، ويتمثل في ايقاظ حواس الطفل واثارته وجذبه كي يندمج وينفعل بالقصة ، عن طريق نقل انفعالات الكاتب في ثنايا عمله القصصي وتكوين الصور الحسية والذهنية •

أما جمال الاسلوب ، فهو صفة ثالثة اساسية في اسلوب القصة الجيد ، ولا شك ان وضوح وقوة الاسلوب هما عنصران جماليان أيضا ، الا ان سريان الاسلوب في توافق نغمي وتآلف صوتي واستواء موسيقي ، ينبغي أن تتوفر في الاسلوب الجيد •

وتشير الاستنتاجات في بعض اقطار الوطن العربي أن اقبال الاطفال على بعض القصص ، وخاصة التاريخية والعلمية ، هو اقبال فاتر • ولاشك أن

السبب الرئيس في ذلك يرجع الى تقل اسلوب هذه القصص • فهي اما محشوة بالمصطلحات او المعلومات او الحقائق او انها مصاغة بشكل سردي •

والاطفال ينفرون من السرد ، ولا عجب في ذلك ، لان السرد يميت الاحداث ، ويفقد الفكرة قوتها ، ويحول الشخصيات الى دمى ، وتتحول القصة في النهاية ، الى مجموعة من القوالب المصطنعة او التأملات او التحليلات ويظل الكاتب وحده على مسرحها ، ولايجد الطفل فيها ما يثير وجدانه •

وقصص الاطفال من اكثر القصص اعتمادا على الخيال ، وكم من قصة خيالية ظلت في أذهان الاطفال مؤثرة فاعلة ، وكم من ابطال خياليين حازوا على اعجاب الاطفال ، فظلوا خالدين في اذهانهم • ومع هذا ينبغي الحرص على عدم الجنوح بخيالات الاطفال بعيدا عن النسيج الخيالي الذي يؤلف بين اجزاء الحقيقة •

ومع أن القصة في بنائها هي كل متكامل غير قابل للتجزئة ، الا اننا ينبغي أن نقود الاطفال الى قراءتها بريشة خضراء عن طريق بداية مشحونة بالاثارة والامل تشد الطفل وتثير اهتمامه ، وتحرك انفعالاته ، وتربطه معها حتى ينتهي منها •

وبداية قصة الطفل قصيرة تنطوي على العناصر الاساسية كالزمان والمكان والموضوع او المشكلة وشخصية واحدة او شخصيتين في موقف مثير •

ومثلما نفعل في بداية القصة علينا ان نفعل في نهايتها حتى لا يجد الطفل في النهاية ما يخيب آماله أو يفسد عليه توقعاته الطيبة البريئة • وان لا نقحم المصادفات اقحاما ما دامت المصادفات ليست احداثا حقيقية •

ووحدة الاثارة تقضي أن نستمر في تشويق الطفل والاستيلاء على احساساته ومداركه وانفعالاته ، بطرق مختلفة ، من بينها تحفيزه نحو اكتشاف ما تؤول اليه الحوادث بمزيد من الترقب ، ويمهد لنا ذلك حب الاستطلاع الذي يتميز به الاطفال عموما بدرجات متفاوتة •

ولا يمكن ان تصبح نهاية القصة مؤثرة ودراماتيكية ما لم تشتمل على حل معقول للمشكلة يماشي طبيعة القصة ، وما لم تتطور الفكرة والوقائع تطورا منطقيا ، والطفل في حد ذاته يقرأ القصة او يستمع اليها بقصد الاستمتاع وليس من أجل شيء آخر قد ننشده نحن •

وهناك بُعد آخر يضفي على القصة لمسة حية ، لانه يخفف من بعض الرتابة التي قد تفرض نفسها على السرد القصصي ويجعلها تبدو – في نظر الطفل – أكثر واقعية ، ويعين على ابراز فكرة القصة ، ويجسد وقائعها ، ويعبر عما يجيش في نفوس الشخصيات من احساسات وانفعالات : وهو الحوار •

والحوار ، من أهم الوسائل التي يعتمد عليها القاص في رسم الشخصيات• وكثيرا ما يكون الحوار السلس المتقن ، مصدرا من أهم مصادر المتعة في القصة ، وبواسطته ، تتصل شخصيات القصة ، بعضها بالبعض الآخر ، اتصالا صريحا ومباشرا ، وبهذه الوسيلة تبدو وكأنها تضطلع حقا بتمثيل مسرحية الحياة • والحوار الرشيق المعبر ، سبب من أسباب حيوية السرد وتدفقه •• لانه سبب من أسباب تطوير الحوادث واستحضار الحلقات المفقودة منها • ولكن وظيفته الحقيقية في القصة ، هي رفع الحجب عن عواطف الشخصية ، واحساساتها المختلفة ، وشعورها الساخن تجاه الحوادث أو الشخصيات الاخرى ، وهو ما يسمى عادة بالبوح أو الاعتراف ، على أن يكون بطريقة تلقائية ، تخلو من التعمد والصنعة والافتعال(٨)•

ويجب ان يتوافق الحوار مع عناصر القصة الاخرى ، ويتناسب مع المواقف والحوادث ، ويعبر عن طبيعة الشخصيات لا طبيعة القاص نفسه ، وان لا يكون وسيلة يطرح الكاتب من خلالها التوجيهات والنصائح والعظات •

وتقرر الواسطة التي تصل بها القصة الى الطفل شيئا من طبيعة الاسلوب، حيث نضطر لاخضاع صياغة القصة وفق الامكانيات المتاحة لكل وسيلة ، فالقصة المعدة للتلفزيون تختلف في صياغتها عن تلك المعدة للاذاعة ، او تلك

المعدة للمسرح ، او تلك المعدة للنشر في كتاب او مجلة ، بل ان الصياغة تختلف في حالة نشرها في كتاب معزز بالرسوم عن اخر لا رسوم فيه ، وتختلــف في حالة اعدادها بكتاب معزز برسوم ذات لونين عن أخرى بكتاب ذي اربعة الــوان .

وعلى اية حال ، فان قصص الاطفال ، لابد ان تكون بسيطة واضحة ، خالية من التعقيد ، ذات رموز قريبة الى مدارك الطفل وعواطفه ، وتحمل في اطوائها قيما انسانية تدفع الطفل الى التفكير والتأمل ، وتسهم في تنمية قدراته العقلية والنفسية والعاطفية والادبية .

وهنا نشير الى نقطة ذات شأن ، حيث يزعم البعض ان من اولى خصائص قصة الطفل ان تكون سهلة بحيث يستطيع الطفل اعادة قصها من جديد . ولكن هذا الزعم يمثل جزء من الحقيقة ، لان هناك قصصا ناجحة للاطفال تؤلف قطعا ادبية رائعة ، ولا يستطيع الاطفال ، بأي شكل من الاشكال اســترجاع صياغتها او اعادتها بانفسهم . ويستمتع الاطفال بهذه القصص باعتبارها لونا من الوان ادبهم ، تثار من خلالها عواطفهم وانفعالاتهم ، وتثــرى قدراتهــم الادبية .

ومن الضروري استخدام اللغة العربية الفصيحــة السهلة في قصصــص الاطفال . ولكننا نلاحظ ان كثيرا من قصص الاطفال التي تقدم من خــلال الصحف والاذاعات تستخدم لهجة عامية او لغة غريبة ليست عامية ولا فصحى بل هي لغة مكسرة ، فتبدو اروع القصص عارية تافهة ، حيث تضيع الفرصة على الاطفال في التأثر والاستمتاع بجمالها الادبي .

ونتناول فيما يلي بعض انواع حكايات وقصص الاطفال وننوه هنا الى اننا لم نتبع منهجا محددا في هذا التصنيف ، انما لجأنا الى اكثر الاســماء شيوعا بهذا الصدد ، تسهيلا للدراسة .

المبحث الثالث

قصص الحيوان

يولع الاطفال بالقصص التي تجري على آلسنة الحيوانات ، وربما يعود ذلك الى السهولة التي يجدها الاطفال في تقمص ادوار الحيوانات ، وسعادتهم في تكوين صداقات مع بعض الحيوانات او احتواء البعض الاخر .

وقد اثبتت كثير من الدراسات ان اغلب القصص التي اجتذبت الاطفال الصغار ، حتى سن عشر سنوات هي من قصص الحيوان .

وعلاقة الطفل الوجدانية بالحيوانات ايسر على الفهم من علاقته بالانسان، ولعل ذلك يرجع الى ان بعض الحيوانات اصغر حجما من الراشدين من بني الانسان . وثمة شواهد كثيرة تدل على قرب الحيوان من نفس الطفل ويبدو ذلك من ظهور الحيوانات في احلام الاطفال وفي مخاوفهم ، كما تعتبر الحيوانات على المستوى الشعوري اصدقاء للاطفال . وعلى اية حال فان الحيوانات مثيرات ذات اهمية كبيرة بالنسبة الى الاطفال .(*) ويجد الاطفال

(*) د . هدى رادة والسيد العزاوي ــ الاطفال يقراون ــ ج ١ (القاهرة الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٤) .

في هذا اللون من القصص عالما جديدا وغريبا ، لذا يحبونه ويربطون بين صفات وسلوك ابطاله وبين صفات وسلوك اصدقائهم .

وفي عام ١٩٦٤ اجريت عدة تجارب عن مدى تقبل الاطفال للقصص ، حيث قدمت لثلاثة وثلاثين طفلا تتراوح اعمارهم بين (٧-٩) سنوات في ثلاثة ايام متتالية ثلاث قصص القصة الاولى هي من قصص الحيوان ، والثانية قصة تاريخية والثالثة قصة فكاهية . ورغم ان القصتين الاخيرتين كانتا على جانب من الجمال ، الا انني وجدت :

١ ــ ان ٣٨ طفلا فهموا قصة الحيوان فهما جيدا .

٢ ــ ان ٢٩ طفلا فهموا القصة التاريخية فهما جيدا .

٣ ــ ان ٢١ طفلا فهموا القصة الفكاهية فهماً جيدا .

٤ ــ كنت الاحظ اصغاء الاطفال وانتباههم الشديد اثناء القائي للقصة الاولى ، في وقت لم اجده بهذه الدرجة اثناء القائي للقصتين الاخريين

٥ ــ اكثر الاطفال طالبوني مرارا باعادة القاء القصة الاولى ، وعدد قليل منهم طلب اعادة القصة الثانية والثالثة .. علما ان اكثر الذين طلبوا الاعادة هم ممن فهموا القصة فهما جيدا . ومنهم من طلب الاعادة ليستطيع فهمها .. ولاحظت ان منهم من طالب باعادة اكثر من قصة واحدة .

٦ ــ بعد مرور اسبوعين ، استدرجت الاطفال لمعرفة مدى ما تعلق في اذهانهم من هذه القصص ، فوجدت ان اغلبهم يتذكرون ان القصة الاولى ، ويسمونها قصة « العصفور » فقد ظل الحيوان (الطير) في اذهانهم . اما القصتان الاخريان فلم يتذكرها الا عدد ضئيل جدا منهم ، والطريف ان اكثرهم كانوا يتذكرون القصة الاخيرة على انها مضحكة ، ولكنهم لا يتذكرون وقائعها .

وفي عام ١٩٦٩ اجريت تجارب اخرى على مجموعات من الاطفال الكبار ، اعمارهم اكثر من ١٠ سنوات ، فوجدت انهم ينشدّون الى قصص الحيوان ايضا ، ومع انهم في البداية لا يبدون الاهتمام الزائد لمقدمة القصة ، وقد يتضاحكون ويتهامسون ، الا اني لم البث ان لاحظت انجذابهم نحوي باتنباه شديد .

وقد تبين لي من خلال التجربتين ان الاطفال الصغار يتعلقون بابطال قصص الحيوانات اكثر من انسدادهم نحو اي شيء اخر في القصة ، اما الاطفال الكبار فهم لا يكترثون للحيوانات ، بل يوجهون اهتمامهم نحو المعاني ، والافكار التي تحملها القصة .

وبسبب ولع الاطفال بقصص الحيوانات شاعت في انحاء العالم قصص كثيرة من هذا النوع عن طريق الكتب والمجلات والسينما والتلفزيون والاذاعة ، وكمثال على ذلك قصص « وولت ديزني » التي تقوم الحيوانات بكثير من الادوار فيها منها الفأر (ميكي) والتي لاقت اقبال الاطفال الشديد.
ويبدو ان الانسانية قد عرفت قصص الحيوان قبل اي لون قصصي اخر . وقد جاءت في قطعة من اوراق البردي تتمة لقصة مبتورة ، قيل ان الاطفال في مصر كانوا يتناقلونها قبل ٤٠٠٠ سنة ، وقد اورد الدكتور بريستد نصها المترجم على هذه الصورة :

« ... مات الذين كانوا في المركب جميعهم ، ولم ينج منهم احد ، اما انا فألقتني موجة من امواج البحر العظيم على جزيرة ، فلبثت فيها ثلاثة ايام وحدي ، لا رفيق يسليني سوى قلبي ، وكنت انام مختبئا بين الاشجار الى ان يغمرني نور نهار ، فانهض متسللا لعلي امسك شيئا املأ به فمي ،فكنت اجد تينا وعنبا وكثيرا من انواع الخضرة ... »

ثم تقول القصة ان حية ذات لحية طويلة امسكته .. ووجد ان تلك الحية هي ملك الجزيرة البعيدة الواقعة في البحر الاحمر عند مدخل الاقيانوس

الهندي ، واحتفظ الملك (الحية) بالتائه ثلاثة اشهر احسن فيه معاملته ثم ارجعه بعد ذلك الى مصر .

واعتبر البعض هذا القاص اول (سندباد بحري) ، واعتبر قصته من قصص المغامرات الاولى التي يشارك فيها الحيوان (٩)

ويذهب كثير من الباحثين الى القول ان حكايات الحيوان التي استمد منها القصاصون فيما بعد كثيرا من قصصهم ، هي اقدم الحكايات الشعبية على الاطلاق ، وهي تتردد على ألسنة الجميع بلا استثناء ، وانها موجودة في كل بيئة وعند كل امة وبين مختلف الاجيال والطبقات .

وقد اتخذ الحيوان في الخرافات وظيفة ذات صور متعددة فمرة يظهر بوصفه حيوانا روحانيا ومرة اخرى يكون عدوا للانسان ، كأن يكون افعى شريرة او تنينا ، او تجسيدا للشر بصفة عامة . وفي ظروف اخرى يظهر الحيوان بوصفه مساعدا للانسان ، وليس الحيوان الاليف وحده الذي يقدم معونته للانسان وانما تقف بجانبه كذلك الاسود والدببة والنمل ، وفي كثير من الحكايات البدائية يكون الحيوان هو صاحب القوة التي تفوق قوة الانسان ، ومع ذلك فان الانسان يستطيع في النهاية ان يغدر به ، ثم اخيرا يعود الحيوان الى نطاق السحر (١٠).

ومن حكايات الحيوان ما تتضمن اعمالا حقيقية كقيام القطة برعاية صغارها ، او قيام العصافير ببناء اعشاشها ، او تتجاوز ذلك الى تفسير بعض مظاهر الطبيعة بوجه عام وسلوك الحيوان بوجه خاص ، ويدخل ضمن ذلك الحكايات التي تفسر اسباب اسوداد لون الغربان ، او اسباب وجود العرف فوق رؤوس الديوك . ومنها ما تقوم الحيوانات فيها بأدوار البشر كقيام الغزالة بدور الطفلة المهذبة النشيطة الحذرة وقيام الاسد بدور الملك ، او قيام الثعلب بدور الماكر .. وقد استخدمت هذه الاخيرة كوسائل للوعظ والارشاد والتوجيه .

ولابد ان يكون ايسوب وبيدبا ولافونتين وغيرهم قد استمدوا من تلك الحكايات القديمة ما نسب اليهم فيما بعد .. وعليـــه يمكن القول ان الحكايات المنسوبة الى اولئك قد استغرق تأليفها مئات او الاف السنين مـــن قبل العامة ، حتى جاء اولئك فسجلوها بعد ان طوعوها وهذبـــوا فيها ، او نسجوا على منوالها .

ولكن قصص لافونتين كانت ذات طابع شعري ، وكانت تتميز برقتها وبساطتها ، وقد جعل ابطالهـــا من الحيوان مصوّرا الافـــراد والجماعات الانسانية .

وقد نشر هنرى تين (١٨٢٨ ــ ١٨٩٣) ، كتابا عن حكايات لافونتين بيّن فيه التشابه بين جماعات الحيوان وطبقات الناس في العصر الذي عاش فيـــه لافونتين (١١) .

ويرى المؤرخون وعلماء الاجتماع ان ظهور قصص الحيوان منذ ازمان بعيدة يعود الى ان الانسان يميل الى التعبير عن افكاره ، وعن المعاني التي تعن له ، بوسائل وطرق حسية ، لما في ذلك من سهولة ، وقوة تأثير وشدة ايضاح.

وقصص الحيوان البسيطة التي تلعب فيها البطولة الحيوانات المألوفـة تصلح للاطفال في مرحلة الطفولة المحدودة بالبيئة ، ولكن الاطفال في المرحلة التالية يميلون الى قصص الحيوان الخيالية ، وبعد الثامنة من أعمارهم ــ كما يقول المربون ــ يميلون مرة اخرى الى قصص الحيوان ، وخاصة تلك التـــي تلعب البطولة فيها حيوانات غريبة او تعيش في اماكن نائية .

وقصص الحيوان ، يمكن ان تتناول موضوعات متعددة ، منها ما هي قصص علمية ، او قصص مغامرات وخوارق ، او قصص فكاهية او اخلاقية او انسانية .

وقد استغلت مجلات الاطفال التجارية هذا اللون من القصص ، فجعلت من بعض الحيوانات ابطالا لقصصها ومسلسلاتها كما هو الحال في مجـــلات ميكي ماوس التي تصدر بلغات عديدة في انحاء العالم ، وتمثل لونا من الوان الغزو الفكري لعقول الاطفال .

قصص البطولة والمغامرة

الاطفال يتعلقون بالبطولة والابطال ، ويغرمون بالقصص التي تتحدث عنهم ، لذا كان لبعض المجلات التي تتناول قصص البطولة والمغامرة انتشار كبير بين جمهور الاطفال .

ويعود ولع الطفل بالبطولة والمغامرة الى اسباب متعددة من ابرزها انه في السنوات التي تسبق المراهقة بصدد تكوين فكرة عن ذاته ، وحيث انه لا يمتلك المعيار الموضوعي بهذا الامر ، لذا يجد نفسه ازاء صورة ، يسره ان يحاكيها ويتشبه بها .

وقد يتشبه الاطفال بآبائهم او معلميهم او احد معارفهم ،او قد يتشبهون بأناس اخرين بعيدين عنهم يسمعون او يقرأون عنهم او يشاهدونهم من خلال الافلام او الصحف او ما الى ذلك .

فالطفل حينما يبلغ شأواً من النمو ، يوجه عنايته الى محاكاة افراد ممن يعاشرونه في بيئته ، ويتأثر باعمال من يعجب بهم من الاشخاص الذين تدور

حولهم القصص فيتجه مسلكه نحوهم ، ويتخذهم نموذجا لنفسه ويسعى لارضائهم والعمل على ضوء مبادئهم وافكارهم (١٢).

ومن هنا يتضح ان تلك المحاكاة ظاهرة طبيعية يمر بها الاطفال جميعا ، بدرجات متفاوتة . ذلك ان هذه المحاكاة ليست الا تعبيرا عن واحدة من الحاجات النفسية في البحث عن قدوة او مثل اعلى يفعل فعله في ضمائرهم وعواطفهم وميولهم واتجاهاتهم وقيمهم .

والمثل الاعلى الذي يحاكيه الطفل يتبدل في دلالاته حسب اطوار نمو الطفل المختلفة ، وتبعا لعلاقته مع الاخرين حتى سن المراهقة حيث تتحدد غايته فيسعى الى تحقيق ما تصبو اليه نفسه .

وفي احدى الدراسات وجه الى عدد من الاطفال سؤالان هما :

- من هو الشخص الذي تعجب به اشد الاعجاب ؟
- من هو الشخص الذي ترغب ان تشبهه من هؤلاء الناس الذين تعرفهم او سمعت او قرأت عنهم ؟

.. وبعد اختبار الاطفال (من ٦ الى ٧ سنوات) تبين ان مثالهم الاعلى من ضمن الدائرة الضيقة لمعارفهم كالآباء والامهات ، وقد تبين من تلك الدراسة انه « بازدياد العمر تتسع خبرات الطفل ، وبذلك يصبح الاشخاص الذين يختارهم كمثل أعلى من بين الاشخاص الذين قرأ عنهم في التاريخ او الادب .. او من بين الشخصيات العامة الشهيرة » (١٣)

والقدوة او المثل الاعلى للاطفال من العوامل التي تبث القيم والاخلاقيات في نفوسهم « لانها توضح لهم بطريقة فعلية روح الخير ، تمثل لهم معنى الحياة السامية . فالتهذيب بوساطة المثل الصالح يأتي عن طريق الخبرة ، وتنتقل القيم والاخلاقيات مجسمة في مجراها الفعلي ، فتدعو الاطفال الى الى التقاطها واقتباسها بالمحاكاة » (١٤)

وقد يخطيء الطفل في اختيار ابطاله ؛ كمحاكاته لمغامرين طائشين او لصوص او قتلة او اصحاب جاه زائف او شهرة باطلة ، او ممن لا تتواءم شخصيته وظروفه معهم ، فينشأ عن ذلك انحراف الطفل . لذا كان من الضروري تصوير ابطال للاطفال من عالم الواقع او الخيال ذوي خصائص واخلاقيات وقيم منتقاة بحذر ودقة وباسلوب يثير الاطفال نحوهم .

وتتعدد المثل العليا بتعدد ميوم الاطفال ، وهذا يحتم ان نضع امام الطفل عديدا من النماذج كي يستطيع ان يجد بينها ما يناسبه ، وان نعرض البطولة بجوانبها المختلفة دون ان نقصرها على الجوانب الوطنية والقومية ، لان كل الذين يقدمون من عطائهم في مجالات العلوم والفنون والاداب هم قدوات حسنة .

وعن اهمية المثل الاعلى نستعين بمثل من فرنسا .. فانت حيثما اتجهت هناك تجد تمثالا او صورة لجان دارك او سانت لويس او نابليون ، وفي كل مكتبة تجد عشرات الكتب التي تناسب مختلف الاعمار تتحدث عنهم وفي كل مدينة ،وفي كل حي ، تجد المزارات القومية الخاصة بهم من كاتدرائيات رائعة ومبان عظيمة تضم رفاتهم او تخلد ذكراهم ، الى متاحف لمخلفاتهم ، حتى انه يستحيل ان تجد طفلا فرنسيا بلغ الثامنة من عمره لايعرف كم ادى هؤلاء لفرنسا. وتجد شيئا مماثلا في انكلترا عن شخصيات مثل ريتشارد قلب الاسد ونلسون ولفنجستون وفلورنس نايتنجيل . وقد تكون هذه النماذج التي ركزت عليها الثقافة الانكليزية في تمجيد اولئك خلال القرون القليلة من اهم الوسائل التي تشكلت بها هذه الامة الاتجاهات الاستعمارية في نفوس اطفالها وشبابها .[١٥]

وقد اثبتت الدراسات ان الاطفال اذا اندمجوا تماما مع قصصهم فانهم يتقمصون شخصية البطل أو شخصية اخرى ثانية . وهذا التقمص لا غبار عليه اذا كان رسم الشخصيات واقعيا وسليما .

وقصص البطولة تتخذ اشكالا مختلفة ، ولكنها جميعا تنطوي على القوة المجردة او الشجاعة الحقة ، او الذكاء ، او المجازفة ...

وعلى هذا يمكن اعتبار القصص البوليسية ضمن قصص البطولة ، لانها تظهر رجال الشرطة كأبطال يدافعون عن الحق ويعملون من اجل القبض على الجناة ، مستعينين بالاسلحة او الاجهزة العلمية ، متحملين الصعاب دون كلل ، مستعدين للتضحية •

« وقد انتشرت هذه القصص منذ القرن الماضي • وقد لا يتحتم فيها ان يكون البطل قويا باسلا ، لان مواطن قدرته قد تتركز في مهارته في الاستنباط ، واستخلاص النتائج التي يغفل عنها الكثيرون متوصلا بذلك الى الكشف عن مرتكبي الجرائم » (١٦)

وتظهر المبالغات في القصص البوليسية بصورة سافرة ، حينما يبدو رجال الشرطة اذكياء ، لا يخطئون ، كما يبدو القضاء نزيها لا يغفل حقيقة دون ان يتوصل اليها •

والقصص البوليسية الغربية تبدي المجتمع وكأنه مؤلف من فريقين احدهما خير يدافع عنه رجال الشرطة والاخر شرير ليس له الا ممارسة الجريمة •• وهي تغرق اذهان الاطفال في عالم مشحون بالعنف واعمال الجريمة والقتل التي لا يفهم لها الاطفال سببا وفيض من اللصوص والسفاحين والجواسيس الذين ينعمون بحياة رغيدة ويرتدون اردية انيقة ، ويرتادون الاندية الراقية ، ويأكلون الاغذية الشهية •• فيكون لهذا كله اثره غير السليم في نفسيات الاطفال •

يضاف الى ذلك ان نهايات القصص البوليسية بالغة الوضوح ، ويستطيع الاطفال ، في الغالب ان يتوقعوا النتائج ، اذ يشيرون هذا سيقتل ، وذلك سيلقى القبض عليه •••

اما قصص الجاسوسية فهي لا تقل عنفا ومبالغة عن القصص البوليسية ، بل هي في حالات كثيرة تبدو لونا من القصص البوليسية •

والقصص البوليسية والجاسوسية ، مع انها من قصص البطولة التي

يمارسها البوليس ، في العادة ، الا انها من الجانب الاخـر قصص جريمة في الاساس ، فيها شيء من العنف وشيء من المغامرة • وهي تعتمد كليا على حركة الحوادث، ولا ترتبط هذه الحوادث، في الغالب برابطة السببية، اذ قد لا تكون الحادثة نتيجة للاولى وسببا للثالثة •

وبسبب الحركة السريعة والعنيفة التي تزخر بها هذه القصص تلاقـي هوى في نفوس الاطفال ، كما تلاقي هوى في نفوس الكبار ايضا ، اذ يتابعون مشاكلها المتلاحقة وعقدها المتتالية ليصلوا الى نهاية تشعرهم بشـيء مـن الارتياح والقناعة حينما يتم القضاء على المجرم •

وتتخذ القصص البوليسية والجاسوسية لها شعارا او هدفا ، في العادة هو « ان الجريمة لا تفيد » ، ويتخذ مؤلفو هذه القصص من هذا الشعار ذريعة لتبرير ما تطفح به قصصهم من اعمال عنف وقسوة واحتيال وخداع •

ويعترض الكثيرون على بعض القصص البوليسية لما يصاحب احداثها وتصرفات ابطالها من شذوذ ، وكانت لجنة مطبوعات الاطفـال في المؤتمـر الدولي لصحافة واذاعة وسينما الاطفال في ميلانو عـام ١٩٥٢ قد اصدرت توصية تقول فيها : « ينبغي ان يكون سلوك الابطال في القصة من بدايتها الى نهايتها سلوكا سويا ، لا شذوذ فيه ، اذ لا يكفي ان تنتهي القصة بعقـاب المجرم » •

كما يعترضون على زج الاطفال « كقراء ومشاهدين ومسـتمعين » في زحمة عالم تكتنفه الجرائم المنظمة والمحبوكة ، والتي تكون في احيان عديدة نتيجة لاسباب تافهة او مجهولة ، مما يقوي نزعة الاطفال للهروب من الواقع بسبب تقبل بعض الاطفال على ان ما يعرض عليهم امـر واقعي او قريـب الى الواقع ، فترتسم في اذهانهم صورة موهومة عن الحياة ، اضافة الى انها تظهر لهم ان الجريمة امر اعتيادي يمكن وقوعه بسهولة ، وليس من المسـتبعد ان يتشبهوا بالمجرمين والاتيان بالجريمة •

ويوضح احد البحوث الفرنسية ان ناشري تلك القصص هم دارسون لعلم النفس ، اذكياء وعلى درجة كبيرة من قوة الملاحظة كما انهم يوفرون لجمهور قرائهم قدرا من الفراسة ، ذلك الغذاء الذي يستمتعون به . فكل قاريء مهما بلغ مستوى ذكائه وثقافته يجد متعة في قراءة القصص المبسطة، خاصة ، وان كل انفعال يتجسم الى حده الاقصى عند التعبير عنه كتابة ام رسما ، فتلك الالوان الزاهية والتعبيرات والوجوه التي التوت من الحقد او الفزع ، والمواقف والعناوين الملتهبة ، كل ذلك يخاطب الخيال في حدّة ، وباعنف الطرق واكثرها اثارة وايحاء ليترك اقوى الانطباعات . ويبدو الجو القصصي شديد التوتر ، وفي مقاطع مترادفة تتوالى فيها مجموعة من الحوادث تجعل القارىء لاهثا مضطربا مقهورا . وتخضع خاتمة المغامرات لمقتضيات النهاية السعيدة وترضي الفضيلة التي تلقى المكافآة وتعاقب الجريمة .

ولكن الفضيلة تكافأ ، في هذه القصص ، بالثراء بمظاهر سطحية من القوة ، وينتصر الضعيف ، في نهاية الامر لا لأمانته او وفائه ، بل لان نهاية القصة تحتم قهر القوي . ولا يتردد البرىء عن معاقبة المذنب ، طبقا لمبدأ العين بالعين ، وهكذا يظل قانون الغاب سائدا على الحياة .. وهكذا نجد في القصص استغلالا لحاجة الانسان الى حلول متفائلة (١٧) ، ولكنها حلول غير واقعية .

وتندرج قصص المقاومة ضمن قصص البطولة ، وهي لا تجنح الى الخيال جنوح البوليسية بل تحمل ، في العادة ، مضامين هادفة وواقعية ، وكمثال على ذلك ما تنتجه البلدان الاشتراكية في الصحافة والسينما والتلفزيون، حيث تنير خيالات الاطفال وتحفز حماسهم ، وتجعلهم يقفون عند حقائق تكتنف لهم آفاقا واسعة .

كما تندرج ضمنها أيضا قصص المغامرات العامة التي يجد فيها الاطفال متنفساً ، بسبب رغبتهم في الحركة الحرة المنطلقة . وقد اغتنمت أجهزة

النقافة التجارية شغف الاطفال بالمغامرات فقدمت لهم سلاسل من المغامرات المثيرة جعلت الاطفال يرون حياتهم اليومية الاعتيادية مملة راكـــدة حين يقارنونها بحياة القصة .

وهناك لون آخر من قصص البطولة تتخذ شخصيات لها تصــــارع الحياة من أجل اهداف سامية كأن تدافع عن قضية عادلة او تثابر من اجل اسعاد الانسانية عن طريق الاكتشاف أو الاختراع او مكافحة المرض ، وما الى ذلك . وقد تكون شخصياتها واقعية وقد تكون خيالية .

وقد دعا كاتب الاطفال السوفيتي « ليف كاسيل » الى ادخال المفكرين والكتاب كأبطال في قصص البطولة ، حيث قال :

« ان واضعي قصص الاطفال يهتمون بان يكون أبطالهم من امثـال الطيار الروسي تيتشكالوف الذي عبر القطب الشمالي ، أي من النمـــاذج البشرية التي تمتاز بعمل من هذا القبيل ، ولايهتمون بان يكون في ابطالهم أمثال ماياكوفسكي ، الشاعر العظيم ، ممن يمتازون بعظمة فكرية أو أدبية ، فهل معرفة ماياكوفسكي وامثاله من عظماء الشعراء والكتاب وعباقرة الفكر ، يجب أن تظل وقفاً على الناس الكبار دون الاطفال ؟ »(١٨)

وقد أشار توماس كارليل في محاضرة له عن « الابطال وعبادتهم » الى ان البطل او الرجل العظيم في مستويات النمو الثقافي المختلفة يظهر على صور شتى ، فقد يكون جنديا او من رجالات الادب . وفي حلم البطولة الـذي ينسجه الطفل حول نفسه يكون البطل أحد رجال الشرطة او رجال اطفـاء الحريق أو طبيبا أو معلما او جنديا أو ملكا او طيارا او سائق سـيارة أو رجل دين أو نافخ بوق .. وقد يكون البطل قويا باسلا او على جانب مـن الذكاء ، ولكن لابد له ، الى جانب ذلك ، من أن ينجح من حيث أخفق الزعيم المعترف به في القصة ، فهو ليس شجاعا أو ذكيا فحسب ، بل هو أشـــجع الجميع واشدهم ذكاء ، وقادر على التدليل على قدرته الشاملة ، او معرفتـه

المحيطة بكل شيء أو كلتيهما ، وهي الصفات التي كان يراها في أبيه اثنـاء طفولته • وهكذا تستمر القصة في اظهار الاعتراف العام بتلك الصفات(١٩)

ولابد من التنبيه الى خطر ترجمة قصص البطولة الاجنبية الى اللغـة العربية بدون تحفظ ، لان غالبيتها تنطوي على مثل وقيم واخلاقيات تعبر عن مجتمعات مختلفة • كما ان هذه القصص زاخرة بالمواقف الحادة ، أو ربما الشجاعة والذكاء والمهارة التي تثير دهشة اطفالنا ، وحين لا يجدون لها أمثلة في واقعنـــا فانهم يميلون الى الاعتقاد ان البطولـــة والشجاعـة والعبقرية والمهارة ••• للاجانب وحدهم •

كما لابد ان ننبه في ختام حديثنا عن قصص البطولة الى نقطتين : اولاهما ان قصص البطولة ، بوجه عام ، ذات أثر ايجابي كبير في الطفـولة ، لانهـا ترضي أكثر من حاجة من حاجاتهم ، وهذا يقتضي امداد الاطفال بفيض منها مع الحرص على اختيار نماذج مناسبة • وثانيهما : ان قصص البطولة يمكن أن تتخذ لها ابطالا حقيقيين أو خياليين من واقع حياتنا • ولكن من الافضل أن تكون البطولة فيها جماعية •

المبحث الخامس

قصص الخوارق

بسبب تعلق الاطفال بالبطولة والمغـــامرة والحركة المنطلقة ، عملت أجهزة الثقافة التجارية على امطار الاطفال بوابل من القصص التي تتجـاوز قصص البطولة الى قصص الخوارق ، كقصص الرجل الخارق للطبيعة وقصص رعاة البقر وروايات خيالية يأتي ابطالها بالمعجزات •

وتمتلك هذه القصص مشاعر الاطفال بشدة ، بل هي تلاقي اقبال حتـى اولئك الذين تخلو نفوسهم من الحوادث العنيفة او المثيرة •

والرجل الخارق للطبيعة يتخذ لـه اسماء كثيرة ومـا (سوبرمان)الا واحد من اولئك الابطال •• ويظهر البطل في هذه القصص خالدا لايغلب ولا يقهر ، قواه غير اعتيـادية ، يأتي بالمعجـــزات ويتخلص من اعسر المواقف بسهوله ، يقتلع المباني والجسور بيديه ، وتكفي نظرات عينيه الحادة لخذلان اعدائه ، ويستخدم القوى العلمية استخداما لا يتفق ـ في كثير من الاحيان ـ مع الاسس والنظريات العلمية ، تنبعث من رؤوس أصابعه أشعة مميتة ،

ومن فمه ينطلق النرر ، وهو لايهرم ولا يسوب ولا ينزوج ولا يعم بحباة خاصـة •

وهذه القصص تمثل للاطفال ما يتوقون الى تحقيقه في حياتهم • وتأثيرها فيهم يتعدى الانفعال الموقت عند المناهدة ، ويظهر ذلك في سلوك «المحاكاه» الذى يقوم به الاطفال ، أي محاكاة السوبرمان في حركاته • ومع هذا فان الجانب الاخطر من هذا هو ما تنطوي عليه هذه الانمـــاط السلوكيـة ؛ مما يترسب في نفوسهم نتيجة لمثل هذه المؤثرات من اتجاهات فردية او عدوانية نحو الحياة والمجتمع ، بل ان مثل هذه المؤثرات قد تدعم لــــدى الاطفـال اتجاهات نفسية هروبية نتيجة الحلول الخرافية التي يتصورونها بالنسبة الى حياتهم ومشاكلهم الخاصة • هذا بطبيعة الحال احتمال لما قد ينجم عن أمثال هذه القصص • وهنا يثير بعض المتخصصين في الطفولة وفنون الاطفال بعض التحفظات خلاصتها : ان الطفل لايتأثر تأثيرا سلبيا من مشاهدة مثل هـذه القصص او الاستماع اليها أو قراءتها الا اذا كان لديه استعداد سابق لذلك• ولكن المعلوم ان الاستعداد تخلقه ظـــروف الحياة وما فيها من صراعات وتناقضات يتعرض لها الطفل في نموه ، فهو يرى نماذج مختلفة ، بل متناقضة من الشخصيات ومن العلاقات ، ويتعرض لنماذج مختلفة ، بل متناقضة ، من سلوك الآخرين نحوه ، ويحدث هذا في مرحلة يغلب عليه فيها الشعور بالقلق والعجز والرغبة في النمو واكتساب القوة • ولهذا فان حالته النفسية تكون مهيأة للتأثر بمظاهر القوة القاهرة التي يتمناها لنفسه في مواجهـــة مواقف الحياة العديدة التي يكون فيها مغلوبا على أمره[٢٠]•

ومن الشخصيات الاخرى التي اهتم بها القصاصون في هذا اللون شخصية طرزان • ومع ان هذه الشخصية لا تمتلك كل مزايا الرجل الخارق للطبيعة الا انها تنتقل في الفضاء ، وتتفق مع الحيوانات لشن الحروب • وهناك اليوم أكثر من ٣٠٠ صحيفة يومية غربية للاطفال تنشر قصص طرزان المصورة الى

جانب العديد من الكتب والافلام السينمائية والتلفزيونية ، حيث يجد فيها الاطفال والراسدون حلماً وموضوعا للهروب من الواقع •

وفي قصص رعاة البقر يبدو البطل يحمل اسما من اسماء الحيوانات ويستطيع التخلص من المقالب والافخاخ ، لانه ذكي وقوي وسريع الحركة ، وهو يستهدف القضاء على الهنود الحمر ، ويبرر أعماله هذه بالدفاع عن البيض وسعيه لان يحتلوا مواقع أرفع لهم •

وتسود في قصص طرزان وقصص رعاة البقر وفي كثير من قصص الخوارق الحديثة اتجاهات عنصرية ، حيث يتولى البيض البطولة ، ويتولى الملونون ادوارا ثانوية ، وتتجسد في كثير منها الاستهانة بالحياة الانسانية وازدراء الاجناس الملونة •

ويتميز ابطال قصص الخوارق ، في الغالب ، بالجدية والاكتئاب والعنف الشديد ، وبخروجهم على القوانين والاعراف والتقاليد •

ويشوب التطور القصصي ، في هذه القصص كثير من الافتعال والفبركة ، حيث تتلاحق الوقائع العنيفة ، بين قتول وحروب وفيضانات وحرائق وفواجع حتى تنتهي القصة بتمكن الرجل الخارق للطبيعة من النجاة والانتصار في آخر لحظة •

وحكايات الجان القديمة هي أقرب ما تكون الى قصص الخوارق الحديثة ، لان هذه الحكايات الشعبية تطغى عليها الخوارق •

ولكن البطل في حكايات الجان لايقوم بالحدث الخارق بنفسه وانما يعتمد على شخصية خارقة يكسب ودها بجميل يصنعه لها أو فضيلة تفتنها أو كلام يخلبها ، وهي متعددة المصادر ، تتكرر فيها المحاور وتنزع – في كثير من الاحيان – الى غاية وعظية أو تعليمية • ومن هنا استقرت في سفح الكيان الاجتماعي ، واتخذت وسيلة من وسائل التسلية والترفيه ، كما اتخذت اداة لاثارة انتباه الطفولة •

ويلاحظ في هذا اللون من الحكايات قلة عدد الشخصيات ، اذ هي لاتكاد تتجاوز البطل او البطلة والمنقذ الخارق والشخصية الشريرة ، ويغلب عليها الانفعال الحاد في المواقف وضروب الصراع ، ولكنها تنتهي بخاتمة سعيدة دائما بفضل الشخصية الخارقة من عالم الجان(٢١) .

وهذه القصص تتميز بنزوعها المؤثر ، وبالروعة المفاجئة التي تخلفها النهاية السعيدة . وابطالها بسطاء عصاميون في العادة ، يبلغون اهدافهم بعد سلسلة من المخاطر بمساعدة الجان ، ويعيشون سعداء ، وتجتمع في ابطالها جميع الخصائص التي يتمناها المرء لنفسه .. فالبطلة تتميز بالجمال الخارق والشفقة والاحتشام ، ويمتاز البطل بالشجاعة والحذق(٢٢) .

والجان كائن خارق غير منظور ـ في العادة ـ وهو اما خير ومعين ، واما شرير خبيث ، واماشقي ساخر . ويعيش على الارض وبينه وبين الانسان أكثر من سبب . وكان الناس يعتقدون بوجوده في جميع انحاء العالم . وله في كل مكان الخصائص نفسها ، فهو قادر على التشكل والاستخفاء ، وقد يكون ماردا يطاول الجبال او يكون قزما يصغر عن الاطفال ، ويعيش تحت الارض أو عند سفح جبل او تل أو بين كومة من الصخور .. وكثيرا ما يتشكل باشكال البشر او باشكال الحيوان (٢٣) .

واذا كانت قصص الخوارق الحديثة تبعد الاطفال عن واقعهم فان حكايات الجان السحرية التي ترتبط معها برباط وثيق ذات خطر اكبر في نفسيات الاطفال ، لانها تدفع بهم الى الخوف والجبن .

يقول الدكتور ملاك جرجس في كتابه « مشاكل الاطفال النفسية » :

« ان الصورة الغريبة المفزعة التي نعلمها لاطفالنا في بعض كتب المدارس وفي مجلات الاطفال .. والقصص الرخيصة لها اكبر الضرر على نفسية الطفل ، وتدفع به الى المخاوف الشديدة .. ان القصص الخرافية التي

تلعب العفاريت والسحرة والجن البطولة فيها ، كفيلة بخلق الطفل جبانا يعاني من قلق نفسي مدمر وخوف شديد من المجهول » •

ويتحدث عن طفلة في التاسعة من عمرها ، كانت شديدة الذكاء ، دائمة النجاح بتفوق في المدرسة حدث فجأة ان تدهورت صحتها تدهورا شديدا في المدرسة وفي البيت ، نتيجة اصابتها بحالة قلق نفسي شديد • وكان من مخاوفها انها كانت تخشى أن تتحول الى قطة ، او تفاحة يأكلها الناس •

ويشير الى انه عند بحث الاسباب تبين ان الطفلة قرأت قصة عن ساحر سحر طفلا فحوله الى قط ، وسحر طفلا اخر فحوله الى تفاحة ولان الاطفال يتقمصون ما يقرأون وما يسمعون ، فقد وضعت الطفلة نفسها مكان الطفل ، واصبحت تعيش في رعب دائم خشية أن يقابلها ساحر فيحولها الى قطة •• او الى تفاحة ، ولا تعود طفلة مرة اخرى •

وقصص الخوارق اليوم التي تنتشر انتشارا واسعا في مجلات متخصصة للاطفال ليست حديثة العهد ، لاننا نجد الرجال الخارقين للعادة في الاساطير القديمة والخرافات والحكايات الشعبية ، وكل ما في الامر ان ابطال قصص الخوارق يفتعلون استخدام حصائل المخترعات الحديثة كتبرير لهم للاتيان بالمعجزات والخوارق ، كالتطواف في سفن الفضاء او توجيه الاشعاعات القاتلة او إمطار السماء صناعية •

وقصص الخوارق الحديثة تنمي خيالات الاطفال لما فيها من مواقف مشبعة بالخيال ولكنها من الجانب الاخر تمجد البطولة الفردية مثلما تمجد العنف والقوة • وهي تثير انفعالات الاطفال كالخوف والغضب والفرح معا ، كما انها تثير فيهم التفكير ••

وهي لا تصلح للاطفال الصغار حتى ما بعد الحادية عشرة والثانية عشرة، لان الاطفال في هذه المرحلة يفتنون بالبطولة والابطال •

المبحث السادس

القصص الفكاهية

يقبل الاطفال على القصص الفكاهية والطرائف والنوادر اقبالا شديدا ، ولهذا نجد صحفا .وافلاما تجارية ـ في الغالب ، تتخصص في اضحاك الاطفال، ونجد من يذهب الى القول : ان وسائل ثقافة الطفل جميعا ينبغي ان تركز على جوانب الاضحاك دون غيرها من الجوانب .

ولا اعرف اسباب استعداد الاطفال للضحك اكثر من الكبار ، فقد اختلف علماء النفس في الاتيان بوجهات نظر مختلفة ، فوجدت نفسي في موضع لا استطيع فيه الانحياز الى رأي محدد .

ومع هذا فقد يكون شدة تعاطف الاطفال في مقدمة اسباب ذلك . فالطفل الذى يتصور ان الحيوان المسكين الذى سقط من علو شاهق ، في احد افلام والت ديزني لابد ان يكون قد مات ، فاذا به يجده ينهض امام ناظريه لكي يواصل حركاته البارعة في خفة ونشاط . وهكذا لا يملك الطفل سوى ان يضحك لتلك المفاجأة السريعة التي تنتقل به من التعاطف الى الضحك وبالعكس (٢٤) .

والواقع ان القصص الفكاهية والطرائف والنوادر والالوان الفكاهية الاخرى لا تستهوي الاطفال فحسب بل هم ينفعلون ويتأثرون بها •

وهنا لابد من ان نفرق بين فكاهة للاطفال تضحكهم لمجرد الضحك ، واخرى تغرس فيهم مثلا ومبادىء اخلاقية ، وثالثة تنبه اذهانهم وتدفعهم الى التفكير ، ورابعة تشيع فيهم رغبات انسانية وتملأ حياتهم بالمرح والانشراح، وخامسة تنمي فضلا عن ذلك ثروتهم اللغوية •

واری ان الطفل لا يمكن ان يكتفي بلون واحد من هذه الالوان دون غيرها •• انه يستمرئها كلها رغم ان هناك تفاوتا في درجة الاستجابة بين طفل وطفل بل نجد مثل هذه الفوارق بين شعب وشعب ايضا •

وبعض القصص الفكاهية قد لا تبعث الضحك في الاطفال ، اذ هي قد تحمل مضمونا جادا ، ولكنها تتخذ لها دوما جوا مرحا •

ونحن نخطىء حين ننتظر قهقهة عالية بعد تلوان كل قصة فكاهية ، لان الضحك قد يكون وسيلة نقي بها انفسنا من الآلام ؛ آلام المشاركة الوجدانية ، حيث يهبنا الضحك شيئا من المناعة ضد الآلام •

ويؤكد عالم النفس مكدوگال ان هناك علاقة بين الضحك والتعاطف او المشاركة الوجدانية ، ذلك انه لما كان للانفعالات الرقيقة دور مهم في الحياة النفسية ، فقد اوجدت الطبيعة حيلة بيولوجية هي الضحك ، حتى تقينا من اثارة الشفقة البالغة والتعاطف الزائد على الحد مما يمكن ان تتعرض له بسبب ما لدينا من قدرة على التأثر الانفعالي والاحساس بآلام الاخرين ، وآلام النفس ايضا • فالضحك ضرب من المناعة النفسية التي تحول بيننا وبين التأثر بما يعرض للاخرين او للنفس من مشاكل بسيطة ، مما نشهده حولنا باستمرار ، فنجد انفسنا مضطرين - باعتبارنا كائنات اجتماعية - الى الاخذ بقسط منه ، ومعنى هذا ان الضحك استجابة للألم الرقيق ، لان مفتاحه هو المواقف التي تسبب لنا الضيق او الكرب او الآلم ، ونضحك

حتى نخفف من الانفعالات الرقيقة والتأثرات الوجدانية الكثيرة وعواطف الشفقة المفرطة . وهنا لابد من التفريق بين الابتسام الـذي هو رد فعل للسرور ، وبين الضحك الذى هو رد فعل للألم(٢٥) ..

ويدخل ضمن ذلك ، الضحك الناجم عن شعور المرء بالتفوق على الاخرين ، ونحن نرى ان ممثلي الفكاهة في المسرح والسينما والتلفزيون يتعمدون الوقوع في الخطأ ، ويصرون على ان يكون تصرفهم شاذا لكي يشعروا المشاهدين بالتفوق وليثيروا فيهم عاطفة الضحك .. كما ان فرص التحرر من الكبت الاجتماعي هي احدى دواعي الضحك ، والتي تضاف اليها ان ايماننا بان الحياة تسير وفق نظام معين وتناسق مستمر ، لا يكاد يختلف، واعراف لا تكاد تتبدل ، لذا فان بعض المخالفات لسنن الحياة ونظمها وتقاليدها تدعو الى الضحك ، ولكن ما يتمسك به الناس من مثل واخلاقيات تحول دون الاسترسال في الضحك حينما تزداد حدة تلك المخالفات (٢٦) .

يقول شارلي شابلن : «ان الناس يتعاطفون معي بحق حينما يضحكون ، وحينما يزداد الطابع التراجيدي على الحد ، يبدأ الناس بالضحك .. « ويقول والت دزني : « الناس كثيرا ما يتعاطفون حينما يضحكون ، ولما كان الاطفال قد يتعاطفون بشكل زائد على الحد ، فانهم قد يجدون انفسهم مضطرين الى ان يغلقوا عيونهم حينما يكونون ازاء المواقف المروعة » . وكثيراً ما يواجه الانسان مواقف الخوف والهلع والقلق بان ينفجر ضاحكا.. وعليه فان الضحك لا ينم عن الفرح دائما .

وما تستهدفه القصص الفكاهية ليس القهقهة التي يبعثها الهزل العابر، بل تستهدف اثارة تفكير الطفل وتنمية ذوقه واذكاء احساساته ، وبعث الاشراق والتفاؤل في نفسه ، ويمكن عن طريق القصص الفكاهية زعزعة الخرافات والاوهام والعادات والتقاليد والعقائد العتيقة وتأصيل قيم ومفاهيم واخلاقيات جديدة . والذي يمنح القصص الفكاهية هذه القوة والتأثير هو ارتكازها على المفارقات الناجمة عن التناقض في الحياة والمجتمع مضمونا واعتمادها على الايحاء غير المباشر في جو بعيد عن التوتر اسلوبا .

ان النكتة الفنية هي التي لا تستهدف الاضحاك فحسب ، وانما تريد، في الوقت نفسه ان تقول شيئا اخر ، تريد ان تسخر من شيء في حياة الانسان ، اجتماعيا كان ام اقتصاديا ام سياسيا ، وتمثل بذلك وترا حساسا بين اكبر مجموعة من الناس ، محدثة فيهم ما يشبه الاثر التطهيري الذى اشار اليه ارسطو في كلامه عن شروط العمل الفني .

والفن ، اي فن ، لا يمكن ان يكون شكلا بغير مضمون ، او مضمونا بغير شكل . وفي كثير من القصص الفكاهية او النكت يتوفر عنصر واحد هو الشكل ، ذلك الوعاء البراق الذي قد يبهر الناس لحظة ، ولكنهم حين يتطلعون الى داخله لا يجدون شيئا .. هذا الشيء المفقود هو المضمون . وهو العنصر الاخر الذي يمكنه ـ بالاضافة الى الشكل ـ ان يسبغ على القصة الفكاهية صفة الفن الجميل .(٢٧)

والنوادر والدعابات والنكات هي مراحل اولى لابداع القصص الفكاهي ، ولابد من توفر العنصر الذهني فيها جميعا ، لانه الاساس في فن الفكاهة ، وليس كل ما يضحك يمكن ان يسمى فكاهة .

وقصص الفكاهة تتميز بالقصر والبساطة ، وتكون عقدتها في النهاية وتستمد موضوعاتها من الحياة اليومية او في احيان اخرى تبتعد عن الواقع فنرى شخصياتها شاذة او غريبة ، ونشهد احيانا فيها حوادث لا يمكن لها ان تحصل في الحياة الاعتيادية .

وترجع بعض اصول قصص الفكاهة الى الحكايات الشعبية المرحة التي تداولها الشعوب المختلفة . وتشير الدراسات الفولكلورية ان اجيالا متعاقبة ظلت تردد بعض الحكايات المرحة مئات السنين ، وبلغ من انتشارها ان رددتها اكثر الشعوب في العالم رغم تباعد المسافات وقلة الاتصال في تلك الفترات .

ومن الاشكال القصصية الفكاهية البسيطة : النكتة ، وهي ـ في العادة ـ تلميحة الى شيء خفي . وتتميز ـ النكتة المناسبة للطفل بتناسبها مع

قدرات الاطفال على اكتشاف معنى ذلك التلميح من تلقاء انفسهم •

اما النادرة ، فهي حكاية قصيرة تتركز حول موقف يبعث على الفكاهة وهي اطول نسبيا من النكتة او هي « الاقصوصة التي لا تطول الى درجة الحكاية الهزلية ولا تقصر الى النكتة » وهي تعكس صورة للمجتمع في فترة ما وفي مكان ما •

والحكاية المرحة ، هي الاحدوثة القصيرة المنثورة او المنظومة التي تحكي نادرة او سلسلة من النوادر ، وتنتهي الى موقف فكه مرح ويؤخذ موضوعها من الحياة اليومية

ويأخذ الناس موضوعات هذه الالوان من الحياة اليومية، لذا تندر فيها الخوارق، « وقد تقوم بين الناس على تسجيل مواقف يمتاز بعضها بالمفارقات المضحكة او الاخطاء التي تصل الى الجماعات ، وبعضها تظهر فيه الاكاذيب والمبالغات المفرطة ، وبعضها تلعب فيه الحيل العابا مضحكة ، وبعضها يقوم على بلادة افراد في المجتمع (٢٨) »

والحكايات والقصص الفكاهية تشابه في بعض جوانبها قصص الهزليات المصورة Comics ، وهي تعتمد في حوادثها على المصادفات النادرة المثيرة ، كما تنتهي ـ في الغالب ـ بصدفة غريبة ، لذا تبدو في اكثر الاحيان مختلفة في بنائها القصصي •

ويلاحظ اليوم ان وسائل « ثقافة » الطفل التجارية تعطي الفكاهة النصيب الاوفر ، مستغلة ميل الاطفال الى الضحك والمرح • ففي ميدان الصحافة ، نجد صحفا متخصصة في فبركة الفكاهات من خلال النكت والنوادر وقصص الهزليات •

وعلى اية حال ، فان طابع الفكاهة والروح الخفيفة ينبغي ان تظل دائما سمة مهمة من سمات الوان ادب الاطفال عموما لا من خلال القصص الفكاهية وحدها •

المبحث السابع

القصة التاريخية

قرأنا تاريخنا في المدارس وكأنه مجموعة من الحوادث التي يسلسلها الزمن وحده ، دون ان نجد ما يربط بين الاسباب والنتائج • وكتب علينا ان نحول ذاكراتنا الى خزائن تطفح باسماء الامكنة والارقام والازمنة ، كما كتب عينا ان تثبت في عقولنا ـ من خلاله ـ افكارا ومفاهيم خاطئة •• وسرت تلك الافكار والمفاهيم بيننا مثلما تسري العملة الزائفة ، تتداولها دون ان تتبين مواضع زيفها •

قرأناه ، ولم نلمس فيه بطولات الشعب بينما احيط اقزام بهالات التمجيد •• وعرضت لنا بعض الوقائع وكأنها مسلسلات بوليسية او جرائم ثأر ، او مؤامرات غادرة • وطلب الينا ان نحفظ على ظهر قلب اعداد القتلى الذين ذبحوا بالسيوف وأولئك الذين دفنوا في الخنادق احياء ونحفظ الى جانب ذلك اعداد المغانم نعاجا وماعزا •

ولم نستطع ان نتدبر ـ من خلال ذلك ـ مسيرة تطور المجتمع وطبقاته

الاجتماعية وكفاح قوى الشعب . فكان من نتيجة ذلك ، ان ارتسمت في اذهاننا صورة غير واقعية عن شخصيتنا القومية .. هذا مع علمنا ان الصورة التي يرى المجتمع فيها نفسه وتراثه تشكل له جانبا من مستقبل مسيرته بصرف النظر عن ضخامة ذلك التراث او ضآلته .

وتاريخنا العربي المدون، هو مزيج من الحقائق والاوهام، وقد كتب بعضه افراد تأثروا بمؤثرات البيئة القبلية والطائفية والعنصرية . كما كتب بعضهم فصولا بدوافع عصبية ومذهبية ، وبعضهم الاخر كانت النزعات البدوية طاغية عليهم ، ولا يمكن ان تفصل بين كتابة التاريخ والسلطات المستبدة التي سيطرت على العرب قرونا عديدة ، والتي صبغت التاريخ بالصبغة التي ارادت. يضاف الى ذلك ان اكثر المستشرقين الذين كان لهم دور في كتابة جانب كبير من تاريخنا كانوا متأثرين الى حد ما بالفكر الغربي..وهناك من سطر التاريخ على انه مجاميع من العبر والتجارب ، وفي هذا تجريد للمسيرة الانسانية الطويلة المرهقة عن نضالها من اجل التقدم ، لان احداث التاريخ سلسلة متكاملة الحلقات لا يمكن فصل الواحد عن الاخرى ، ولا يمكن لحلقة ان تتكرر بذات الملامح اكثر من مرة واحدة ، وتكررها يعني وهدة في المسيرة الانسانية وانتكاسة لها(٢٩) .

وحتى اليوم ، ما تزال نزعات اغلب مؤرخينا ذات طابع تقليدي ، قد لا تختلف كثيرا عن النزعات التقليدية القديمة ، كما ان كثيرا من مؤرخينا متأثرون بالفكر الغربي بسبب عوامل عديدة .

وباختصار ، يمكن القول ان تاريخنا لم يفهم بشكل سليم ، كما انه لم يكتب بعقلية علمية . وليس عيبا ان يتضمن تاريخنا شوائب لا حصر لها ولا عد ، بل المعيب ان نبقى على ذات الخط ، ونتمثل بذات المفاهيم البالية ، ولا يمكن ان نتجاهل ان تواريخ الامم الاخرى لا تخلو من كثير من الشوائب والاوهام .

ويشير كثير من المفكرين الى ان بعض جوانب الماضي لا تقف حجر عثرة فقط بل لها نتائجها النفسية والاجتماعية الضارة لدى الامم والشعوب، اذ كثيرا ما تتولد في صفوف المجتمع عقد عديدة من بينها ما يسمى : بمركب الغرور ، الذى يصرف تلك الامم والشعوب عن تقبل ما هو جديد بحجة عراقة الماضي ووجوب اعادته من جديد .

ودراسة تاريخنا اذلم تستكشف القوانين الاساسية للتطور الاجتماعي والقوى الصانعة للحياة والمحركة لها ، وهي ان لم تجعل من الدارس يحس بالارتباط العضوي بالمجتمع باعتباره فردا فيه يعطي عن طريق ذلك الارتباط دفعا لعجلة التطور ، فان تلك الدراسة لا تعني شيئا .لان التاريخ ليس تجميعا للوقائع ، ولا هو مجموعة وقائع او معاهدات او ارقام ، بل هو هذه كلها متداخلة ومتفاعلة ، ومؤثرة ومتاثرة . (٣٠)

ودراسة التاريخ العربي ، تظل غير فاعلة ان هي ظلت تفصل بشكل مصطنع بين تاريخ هذا القطر او ذاك لاننا بذلك نسقط ابرز ميزة من ميزات الشعب العربي وهي التاريخ المشترك .. واذا كانت قوى الاستعمار قد توزعت الاقطار العربية فيما بينها فان هذه الاقطار قد واجهت مجتمعة لونا واحدا من الاضطهاد والاستعمار الذي لم يختلف في جوهره ، وان اختلفت مظاهره .

واذا كان هذا شكل التاريخ العربي بوجه عام فان تقديمه للاطفال يظل اكثر حساسية واشد خطرا ، وعلى ذلك يستلزم تقديم هذا الزاد الثقافي الى الاطفال في وجبات لذيذة طيبة ، يستمرئونها بملء نفوسهم ، لتشبعهم وتسمنهم .

ان تقديم التاريخ للاطفال يستند الى مرتكزات أساسية من الضروري ان تدخل في حساب من يحاول كتابة التاريخ للاطفال ، وتتقرر هذه المرتكزات من خلال الجوانب التالية :

١ - يرتبط التاريخ بالزمان ، ومفهوم الزمان بالنسبة الى الاطفال

مفهوم غامض ، ومدلولات الرموز الزمانية كالاسبوع والشهر والسنة والقرن غير واضحة في اذهان الاطفال ، لانها رموز مجردة •

وقد اثبتت تجارب « استرت » و « ريبلو » انه يتعذر على الطفل قبل سن التاسعة او العاشرة ادراك المدلولات الزمنية التاريخية • ولهذا السبب نجد استيعاب الاطفال للحوادث التاريخية قبل هذه السن لا يتعدى حفظ تواريخ هذه الحوادث ، دون ان تكون لديهم القدرة على تتبع الادوار التاريخية ، وربط هذه الادوار ربطا يدل على ادراك يتضمن معنى التتابع الذي يدل على التطور [٣١]•

ويرى « برت » ان تلذذ الطفل بالتسلسل الزمني والسبب والنتيجة محدود الى حد ان كثيرا مما يقدم له الآن بشكل تاريخ هو فوق مستواه العقلي

٢ ـ يرتبط التاريخ بالمكان ، ومع ان مفهوم المكان اكثر وضوحا من مفهوم الزمان لدى الطفل الا أن هذا البعد غير واضح ، ويتزايد وضوحه بنمو الطفل عقليا وعاطفيا واديبا •

٣ ـ يجد الاطفال صعوبة بالغة في ادراك مفهوم حركة التاريخ لاعتماد هذه الحركة على البعدين آنفي الذكر معا

٤ ـ ان وقائع التاريخ وحوادثه لاتقع تحت خبرات الطفل المباشرة •

٥ ـ ان الوقائع والحوادث تتميز بتشعبها وتعقدها ، اذ منها ما هو سياسي ومنها ما هو اجتماعي ومنها ما هو فني •• ومنها ما يتصل بافراد ومنها ما يتصل بجماعات مما يجعلها ثقيلة على قدرات الطفل •

ويدفع هذا اللا توافق « الظاهر » بين طبيعة التاريخ وطبيعة الطفولة بعض المربين الى المناداة بضرورة ترك تعليم مادة التاريخ الى ما بعد هذه المرحلة من نمو الانسان حتى تنضج مفاهيم الزمان والمكان لدى الطفل وتنمو قدراته على الادراك المجرد • ولكن تبدو لمعظم المربين انه من

الضروري للاطفال أن يعرفوا كيف يضعون أنفسهم وتدريجيا وبشكل صحيح في سياق الزمن وفي مكانهم من المجتمع ، ثم ضمن النوع البشري كله الذى ليس له وجود خاص الا من خلال الزمن . ومن المعروف ان تعليم التاريخ نفسه للاطفال يساعدهم على تحقيق هذا الامر . ويمكن للتاريخ أن يدرج نمو مفهومي الزمان والمكان لديهم وان يعمل على تنميتهما ، فاذا كان الاطفال ينزعون في السادسة والسابعة من أعمارهم الى رؤية الحوادث وهي « تسبح حرة » في فراغ ، أي دون اطاري الزمان والمكان ، فأنهم يبدأون بادراك العلاقات الزمانية بشكل أفضل في الثامنة والتاسعة ، وان بقيت مغشاة بستار من الابهام ، أما في الحادية عشرة والثانية عشرة فانهم يصبحون اكثر انسجاما وتفهما لها وتبدأ غشاوة الغموض بالانقشاع . ومن الضروري التنويه الى أن الطفل المعاصر قد أصبح أكثر قدرة على التغلب على تلك الصعوبات الفكرية من طفل الماضي ، وان مفاهيم الزمان والمكان والحركة لم تعد بعيدة عن ذهنه بعدها عن ذهن هذا الاخير ، لان الافق المحدود بالبيئة الحسية المباشرة لطفل الماضي أصبح أفسح وأوسع بالنسبة الى الطفل المعاصر بفضل وسائل الاعلام المختلفة وخاصة الوسائل السمعية ـ البصرية كالتلفزيون والسينما(٣٢).

بعد هذا .. ما الذي نستهدفه اذن من الادب التاريخي المقدم للاطفال ؟

ان الاطفال هم صناع المستقبل ، صناع التاريخ الجديد ، وهم لايمكن لهم أن يبدأوا من الصفر ، كما ليس من الصحيح أن يبدأوا من وعي خاطىء بالتاريخ ...

وهذا اللون الادبي يهيء للاطفال أن يتلمسوا ، بعض التلمس ، ان الواقع الذي يعيشون فيه هو حصيلة عوامل متفاعلة مع بعضها ، وان المستقبل هو ثمرة عوامل تتعامل في واقعهم ، والجهود التي تبذل اليوم

هي التي تقرر صيغة الغد ، وان للانسان القدرة على التغيير والتطور وعلى تشكيل حياة جديدة باستمرار .

كما يمكن ان يدخل في روعهم معاني العمل الجماعي والتعاون بين الافراد والجماعات ، فلا يكفي أن يعرف الأطفال شيئا عن الصروح والآثار الشامخة التي خلفها الاقدمون ما لم يتعلموا ان ذلك كله لم يقرر له أن يكون لولا تضافر جهود البشر وتعاونهم .

ويسهم هذا اللون الادبي في تنمية الحاسة الاجتماعية ، ذلك ان البحث في العوامل المؤدية الى اللامبالاة والانزواء والانطواء من جانب الافراد يؤكد أهمية التنمية الاجتماعية للاطفال عن طريق تأكيد أهمية شعور الفرد بدوره في المجتمع ، كما يمكن ان يسهم في تنمية الولاء للوطن وتأجيج الشعور الوطني والقومي لدى الاطفال « فالتاريخ عامل اساسي في تحريك الوعي القومي ، وتنميته بين أفراد الامة يثير في الطالب روح الثقة والاعتزاز . وتحرك الوقائع والاحداث فيه الفكر الحر وتعمقه ، وتكسبه الخبرة وتمده بالعبرة »(٣٣).

والتاريخ الموجه قوميا من أقدر مواد المعرفة الانسانية على بناء الروح الوطنية والقومية بناءً صلدا ، ولاسيما اذا تلمسه المواطن منذ مرحلة الطفولة وانفعل باحداثه ..

ويمكن للاطفال من خلال التاريخ أن يميزوا بين القيم والمفاهيم المتناقضة ، كأن يفهموا ان الصراع ضد الطبيعة من أجل الخير العام قيمة أساسية في حياة الانسان ، وصراع الجماعة ضد الطامعين قيمة أساسية ، ولكن صراع الجماعة من أجل السيطرة على غيرها ومن أجل حرمانها من حقوقها أو صراع الانسان من أجل اغراض انانية هي قيم سيئة . ومن خلال ذلك يتبينون معاني الخير والشر في الحياة الانسانية .

وفوق هذا وذاك يمكن للتاريخ أن يثير تفكير الاطفال وينمي ويوسع من آفاق خيالاتهم ، ويشبع من فضولهم .

وقد يتبادر ـ بعد هذا ـ الى ذهن القارىء انني أفضت في الحديث عن التاريخ قبل ان اتناول القصة التاريخية ، ولكني أرى ان التاريخ في حد ذاته ليس الا قصة طويلة ، رغم افتقارها الى بعض عناصر القصة .

يشير المربون ان اكثر ألوان الادب حيوية وامتلاءً بالصورة الحية الموحية للاطفال ، واقواها جاذبية ومتعة لهم هو القصة . ويقول المؤرخ لافيس « ان تعليم التاريخ للاطفال يجب ان يكون تتابعا من القصص كالتي يرويها الاجداد للاطفال » .

والمربي « لوري » يرى انه « لا يمكن ان يكون التاريخ للاطفال منطقيا سببيا ، ولايمكن ان يكون كذلك في سن السابعة عشرة الا بقدر جزئي ، ولكنه يمكن ان يكون دائما ملحمة أو تمثيلية أو اغنية ، وان التاريخ حتى في سن العاشرة يجب ان يكون حكاية تروى » .

اما المربي جونسون ، فيقول : « ان كل نوع من التاريخ هو تاريخ اطفال اذا عرض باسلوب من الامثلة المحسوسة والتمثيل المادي للاشياء والاعمال والاوصاف اللفظية والقصص الغنية بالمادة التي تساعد على التخيل والحالات العقلية التي ترتبط ارتباطا مباشرا بالاشياء مما يمكن ان يتصوره الطفل في وضوح » (٣٤) .

والقصة التاريخية هي تسجيل لحياة الانسان ، ولعواطفه وانفعالاته في اطار تاريخي ، ومعنى هذا انها تقوم على عنصرين ، اولهما : الميل الى التاريخ وتفهم روحه وحقائقه ، وثانيهما : فهم الشخصية الانسانية وتقرير اهميتها في الحياة (٣٥) . وهي في واقعها الادبي مزيج من الحوار غير المباشر والترتيب الزمني للاحداث مع وصف للامكنة والاشخاص والحالات الاجتماعية والطبيعية التي تمر بشخصيات القصة . فالقصة كنمط كتابي ـ قادرة على نقل المعرفة التاريخية الى الاطفال ، كما انها اقدر ألوان الادب على توليد الاتجاهات المرغوب فيها لديهم ، وترسيخ القيم المعنوية ، وذلك عن طريق استثارة

مشاركتهم العاطفية للنماذج من السلوك الانساني التي تقوم بتقديمها وللمواقف الانسانية التي تصورها (٣٦)

والقصة التاريخية ، اسلوب من اساليب اخراج المحتوى التاريخي وعرضه ، وهي قد تتخذ نواة لها سيرة شخصية تاريخية ، وقد تتخذ اي موضوع تاريخي اخر تحرك فيه من تراه من الشخصيات وتصف فيه اوضاعا شتى (٣٧) .

ويبحث كاتب القصة التاريخية في العادة عن بيئة القصة في كتب التاريخ ، يستخلص منها اوصاف البيئة الطبيعية والاجتماعية ، ويلتقط اوصاف الملابس واخلاق الناس وعاداتهم في تلك الفترة ، وهو ـ بطبيعة الحال ـ لا يتقيد بها تقيدا تاما ، انما يستعين بها على تصور الفترة ، ويترك لخياله اللمسات الفنية الاخيرة ، التي تصهر هذه المادة وتمزجها مزجا تاما وتحيلها الى مهاد ملائم تتحرك عليه الحوادث ، وتسعى فيه الشخصيات (٣٧) . وكاتب القصة التاريخية يختلف عن الكاتب الذي يستمد موضوعه من الحياة العصرية المحيطة ، لانه مضطر الى الاعتماد على الخبرة التي تأتيه بالواسطة ، اذ يجمع مادته القصصية من مصادر التاريخ (٣٨) .

وهناك من كتاب القصة التاريخية من يدعو الى عدم التقيد بالتاريخ اذا ما اعترض التطور الفني للقصة ، وتطويع الحقيقة امام البناء القصصي ، وهناك اخرون يكتفون بتقديم الحقيقة في بناء قصصي ، واخرون يصورون الحقائق تصويرا خياليا .

ولا يمكن اعتبار الحكايات الشعبية ذات السمة التاريخية ضمن هذا اللون القصصي رغم احتوائها على بعض الحوادث التاريخية ، لانها تضم الى جانب ذلك خرافات وشطحات خيالية ، اضافة الى انها لم تستهدف في الاساس الحقيقة بل كانت تعنى باغراض اخلاقية قبل كل شيء .

والتاريخ الذي تصوره الحكايات ليس كالتاريخ الذي نعرفه ، بل هو تصوير للحياة الوجدانية التي عاشها العامة في ظل احداث كبيرة او في ظل

شخصيات كبيرة ، فالحروب الصليبية ، يمكن ان نجدها في التاريخ حملات ومواقع وملوكا وهزائم وانتصارات ، ونجدها في الحكايات الشعبية معارك انتصر فيها الخير بكل السبل ، بما في ذلك القتال واتيان المعجزات والخوارق، ونجدها نوازل نزلت بالمسلمين ، فتصدوا لها فرسانا ومحاربين وتجارا وعلماء، ثم اولياء قادرين ، واتباعا ودراويش شجعانا .

وبسبب الحرص على تحقيق المغزى الاخلاقي في الحكايات الشعبية نجدهم يضعون هارون الرشيد او سيف بن ذي يزن او الظاهر بيبرس او عنترة وكأنهم اشخاص عاشوا في فترة واحدة .. انهم ينظمون هؤلاء الاشخاص في سلك واحد ، دون نظر الى فوارق الزمان والمكان ، واذا كان الغرض الاخلاقي يحقق بان يصرع ابو زيد ألفا في معركة واحدة فانهم ينشئون مثل هذه المعركة انشاءً ، ويصرعون الالف فارس بضربات السيف وطعنات الرمح ودقات الابر (٣٩) .

ومع ان « تراجم السير » ليست قصصا . الا اننا نلاحظ فيضا من تراجم السير تنشرها صحافة الاطفال في مختلف بلدان العالم ، وخاصة في البلدان الغربية على انها قصص تاريخية تتحدث عن ابطال عسكريين ورحالة ومغامرين وقراصنة ، واحيانا تتناول اشخاصا خياليين يأتون بالاعمال الكبيرة ، واحيانا تصل بها القدرة الى الاتيان بالخوارق .

اما الصحف اليسارية فهي وحدها ـ بحكم اخلاصها لمبادئها ـ اعتنقت فكرة معالجة التاريخ على اساس حياة الناس انفسهم ، وعلى اساس حركات تقوم بها جماعات كبيرة واعية لا على شكل سلسلة من ابطال خارقي القدرة . وقد انتجت في هذا المجال قصصا طريفة عن الثورتين الروسية والفرنسية والحرب العالمية (٤٠) .

ولما كانت الصحافة التجارية توجه عناية اكبر الى الوحدة المسرحية في سياق القصة ، وتحاول تركيز الاهتمام في واحدة او اثنتين من الشخصيات

الرئيسة ، فقد تعمدت اغفال تقديم اي ايضاح انساني للشخصيات التاريخية او شخصية اخرى لا تناسب التصوير الخيالي(٤١) .

وتورد الدكتورة ليلى الدباغ في دراستها المقدمة الى حلقة العناية بالثقافة القومية للطفل المقامة في بيروت في ايلول ١٩٧٠ مجموعة من العناصر التي يمكن ان تتوفر في القصة التاريخية ، منها :

- ضرورة استناد القصة التاريخية الى نواة تاريخية حقيقة .

- ان يعمل الكاتب ، قبل تركيبها حول النواة ، على تحليل تلك النواة او الموضوع الذي يجب ان تدور حوله الى الافكار الرئيسة التي تتضمنها ، والشخصيات التي يراد تحريكها في نطاقها حتى تكون القصة بكل مركباتها واضحة تماما للقارىء الصغير .

- تحديد الكاتب قبل صياغة القصة الصور التي يمكنه بها تقريب تلك الافكار الى الاطفال ، على ان تكون تلك الصور مرتبطة بخبرتهم الحسية المباشرة ، اولها مشخصات في اطار بيئتهم ، كما عليه ان يتمثل الحركة التي يجب ان تقوم بها الشخصيات في القصة لتنقل الافكار والمشاعر والاتجاهات نقلا خفيا الى الاطفال .. اي دون شعور منهم بانها تفرض عليهم فرضا .

- بدء القصة القصيرة بتمهيد يكون الغرض منه اثارة انتباه الطفل وتشويقه لمتابعتها .. وقد يكون التمهيد الطلب الى الطفل القارىء ملاحظة صورة في الكتاب تمثل بعض شخصيات القصة او تدور حولها او حول بعض نواحيها او يكون التمهيد ربطا مع حادث حاضر يتحسسه الطفل مباشرة في بيئته ، او ربطا مع احداث سابقة او اية خبرة سالفة لدى الطفل .

- تحديد الاطارين الزماني والمكاني لموضوع القصة اما بكلمات « منذ زمن بعيد جدا » او « بعد الحادث الفلاني » - اذا كانت للطفل خبرة به - او بتقريب مفهوم البعد الزماني الى ذهن الطفل عن طريق ربطه بعمر الطفل نفسه. او عبر خط زمني بسيط وواضح ومرسوم او عبر لوحة زمنية .. وذلك

بحسب مرحلة نمو الطفل الذي يكتب له ، اما الاطار المكاني فيحدد كذلك بحسب مرحلة نمو الطفل اما بالقول « في مدينة كذا البعيدة عنا ، او البعيدة جدا ... » او بموازنة بعد المكان ببعد مكاني معروف ومألوف لدى الطفل.

ـ تقديم وصف للمجتمع في تلك البيئة وخاصة في مجالات : الطعام ، والمسكن ، والملبس ، وحياة اطفاله وهواياتهم ، وبعض العادات والاعمال .

ـ توضيح الشخصية في الاطار الوصفي ، اذا كانت القصة تدور حول ترجمة شخصية ما وتحريكها فيه ، وتوضيح اعمالها مع التأكيد على ما بذل ما فيها من فكر عملي ، ومشقة .

ـ ان يفصل الكاتب نسبيا في المواقف التي يراد التأثير فيها ، او تكوين اتجاهات معينة من خلالها مع شحن الاسلوب اللغوي بطاقات عاطفية تعمل على ذلك التكوين والتثبيت .

ـ ان تكون المعلومات المقدمة للاطفال في القصة زاخرة بوصف مسهب ودقيق وملون بالف لون ولون . ومن المستحسن ذكر اشياء صغيرة قد تبدو للراشد تافهة . فمن هذا التفصيل المسهب تتكون لدى الطفل انطباعات عامة اهم بكثير من الانطباعات الناجمة عن سرد مجموعة من الحقائق الجافة . فاذا كان الحديث يجري حول معركة حربية خاضها بطل القصة مثلا فلا بد من وصف للسلاح الذى حارب به ولباسه ، واى نوع من المطايا ركب وكيف كر وفر او صال وجال .

ـ ان يكون الاسلوب اللغوي حيا وجذابا ومشوقا وزاخرا بالصور الحسية .

ـ ان ترافق متن القصة صور ورسوم واشكال ، وان تتم الملاءمة بين هذه الصور والرسوم والاشكال والمتن والمادة الموضوعة للتوضيح .

المبحث الثامن

القصص العلمية

كان سعي الانسان حثيثا منذ اقدم الازمنة لان يعرف العالم وظواهر الكون . وهذا السعي اشد حدة لدى الاطفال .. فالعالم يبدو امامهم غريبا ؛ يتعاقب فيه الليل والنهار ، وتتوالى الفصول ، وتقع كل يوم ظواهر مدهشة دون ان يعرفوا لها سببا او تفسيرا ، لذا تراهم يتساءلون بالحاح عن كل شيء.. وفي احيان كثيرة يواجهون المخاطر بحثا عن حقيقة معينة .. انهم مغرمون بالاستطلاع .

وحب الاستطلاع ، من اثمن صفات الانسان ، ولن يقف العالم ساكنا طالما كان هناك اناس يسألون : لماذا ؟ كيف ؟ وماذا لو ؟ .

وحب الاستطلاع ، هو حقا دافع كبير للابداع ... ويولد هذا الدافع في الطفل حتى قبل ان يستطيع الكلام ، ويأخذ بالظهور ، قبل ان يستطيع ان يحبو ، وكلما نما الطفل اصبحت تقصياته اكثر تعقيدا واوسع مدى بكثير .

ومع ان الطفل يندفع نحو الاستطلاع منذ صغره من تلقاء نفسه ، الا ان

هذا الاتجاه بحاجة الى تشجيع واشباع دائمين • ويمكن اثارة هذا الحب دون فرض لان هذا الفرض يشيع في نفس الطفل الضيق • وتتخذ سبل اثارة هذا الاتجاه سبلا شتى •

ويمتلك الاطفال قدرة كبيرة على التخيل ، ولكن هناك تخيلا انشائيا او تكوينيا واخر هداما ، ويؤدي الاول الى البناء بينما يؤدي الثاني الى الهدم ، لان الاخير يبعد الطفل عن عالم الحقائق الى عالم الاوهام كتخيل العفاريت والاشباح وما الى ذلك •• وتستهدف القصص العلمية ، بين ما تستهدف ، حفظ اتزان خيالات الطفل والحيلولة دون انزلاقها الى الاتجاه الثاني •

وحب الاستطلاع والتخيل عمليتان تمضيان معا في طريق واحد في الاطفال الاسوياء ، ولكنهما تتداخلان او تتقابلان في الاطفال غير الاسوياء •

والخيال اثمن ما يستكله الفرد والمجتمع ، وكان المربي الانكليزي المشهور ولتون Y. Welton يقول : « ان رقي النوع الانساني من ألفه الى يائه يرجع الى شيئين هما : تخيل امور افضل من تلك التي في بيئتنا ، وبذل الجهود في سبيل ابرازها الى عالم الحقيقة • وما الكنوز التي ورثناها عن الماضي الا صور مجسمة للتخيلات ، سواء في العلوم ، ام الاداب ام الموسيقى ام القانون ام الانظمة الاجتماعية ام الاخلاق ام العقائد الدينية ؛ اذ انه من المستحيل ان يتصور الانسان كائنا أعلى منه منزلة بدون قدرته على التخيل » •(٤٢)

ويقول الشاعر الانكليزي ومؤلف الروايات التمثيلية كريستوفر فراي: « ان اول حاسة يجب علينا ان نهتم بها كي لا تصدأ بسبب عدم الاستعمال هي الحاسة السادسة المتمثلة بالخيال • فالخيال هو الذى يجعل العالم يبدو جديدا لنا كل يوم ، وهو الذي يبعث الحياة في العظام وهي رميم ، لاي موضوع كان فيتغنى بسر الخليقة »(٤٣) •

واذا كان هذا كلام شاعر ، ثروته الخاصة هي خياله ، فأن العلماء والساسة لم يكونوا يختلفون عن ذلك ، وهاهم العلماء يقولون : « يجب ان

نسمح لا خيلتنا ان تسرح في اقل الامكانيات احتمالا ، ويجب ان يكــــون الباحث الاصيل قادرا على ان يحلم وان يثق في احلامه •• » بل ان فلاد يمير ا • لنين المعروف بجديته ، يقول : « ليس من المعقول اغفـــال دور الخيال في العلوم ، وحتى في اكثرها جدية وصرامة » • فالخيال هو روح الفنون والعلوم والاداب ، ومحرك الابتكار ، وهو القوة التي رافقت تطور الانسان ، دافعة ومفسرة وملهمة • وهو الاساس في كل نشاط ابداعي ، علميا كان ام تكنيكيا ام فلسفيا (٤٤) •

ولو تذكرنا افضال الخيال على الحضارة في المجالات المختلفة ، لـوجدنا ان جميع من يدين لهـم العـــالم بالتقدم والابتكـار والاختراع والابـداع كان لخيالاتهم الخصيبة دور بارز فيما ابدعوه ••

ونحن اذا اجبرنا الطفل على التقليل من خيالاته ، والتزام حدود الواقع الملموس ، قتلنا كل بهجته بالحياة • ويكفـــي لادراك قيمـــة الخيال باعتباره ينبوعا للفرح بالحياة ــ مثلا ــ ان تتذكر احوالنا نحـــن الكبار ، وكيــف ان فرصتنا المحدودة للمرح والحبور هي في الارتداد الى براءة الاطفال وانطلاقهم في الخيال ، سواء في التصور او التمني او اللعـــب •• وليس عيـب الحياة الجادة في نظر الرجل الحكيم سوى ضآلة جانب الطفولة البريئـــة ، وضمور الخيال في اعمالنا واهتماماتنا الواقعية •• ولهذا نتلمس الترويح عن النفس في مجالات تشبه حياة الطفولة اعظم الشبه ، فالروايـــات التمثيلية والقصـــص والالعاب التي نمارسها عندما نلهو هنا وهناك ، انما هي تنفيذ محكم لخيالاتنا عندما كنا اطفالا (٤٥) •

ويبسط الخيال آفاقه الى ما وراء مـا هو ملموس واضـــح ، ويعين على تصور امكانيات جديدة ، ، والربط بين الافكار التي تبدو ــ اول الامـــر ــ متباعدة ، وتوجيه الحقائق القديمة توجيها حديثا •

ودور المخيلة لا يقل عن دور العقل نفسه في تفهم الحقائق ، بل هـــي عين العقل التي ترى ما هو غير منظور ، وتقدر الجمال المستور في البواطن ،

وهي تنمو في الطفل مع نموه ، وتختلف في مداها من طفل الى آخر • وقد اثبتت التجارب تفوق المخيلة في ادراك كثير من الحقائق •

ومع ان ادب الاطفال عموما له نصيب كبير في تنمية خيالات الاطفال الا ان القصص العلمية في مقدمة ما يثير خيالاتهم وينمي قدراتهم العقلية ، حيث ان كل اثارة سليمة في خيال الطفل لها دورها في تهذيب تفكره الطفل والتمهيد لأن يتسع عقله لمنطلقات ومفاهيم ومعلومات جديدة ••

والقصص العلمية التي اختلقها الانسان في العصور السحيقة هي قصص خيالية صرفة ، وظلت كذلك ، حتى وقت غير بعيد ، حيث بدأت بعض الحقائق تحتل موقعها لتمازج الخيال •

ففي القرن التاسع عشر ، وبعد النهضة التي شهدها العالم في جميع المجالات ، برز الى الوجود ادب جديد هو الادب العلمي الخيالي ، وهو ادب يتخذ من الظواهر العلمية وارهاصاتها المقبلة ، والتنبؤ بها ، وانعكاسات ذلك كله على عالم المستقبل ومصير الانسان كأساس ترتكز عليه الحوادث ؛ انه درب يصور المستقبل من وجهات نظر مختلفة (٤٦) •

واهتمامات الانسان منذ عصور ما قبل التاريخ بآماد بعيدة كانت اهتمامات كونية ، قبل كل شيء ، فقد تطلع الانسان بعيدا الى الكواكب والاجرام السماوية قبل ان يتفحص مواقع اقدامه على الارض ، واطلق لخياله العنان وارسل بصره نحو الافاق البعيدة قبل ان يعي واقعه ، وحاول ان يسبر غور الاجواء البعيدة ، قبل ان يتعرف الى دواخل نفسه ، وربما ما يزال يحذو ذات الحذو لذا لا عجب ان وجدنا ان علم النفس هو احدث العلوم ، بينما كانت علوم الفلك والأرصاد من اقدم العلوم •

ولكن ، رغم سعي الانسان الحثيث ، في ازمانه البعيدة ، لمعرفة اسرار الطبيعة والكون لم يستطع التعرف الى تلك الاسرار فراح ينسج الخرافات

والاساطير محاولا كشف الغوامض والوقوف على الاسرار واحتواء الطبيعة من خلالها •

وحيث ان عصر الاساطير قد انتهى منذ ازمان بعيدة ، لان العقلية التي انشأتها قد انتهت ، فقد كانت بعض قصص الخيال العلمي بديلا عن الاساطير• وقد هيأت الاكتشافات العلمية العظيمة لكتاب كثيرين ان يطلقوا لاخيلتهم العنان ليكتبوا قصصا تتحدث عن المستقبل وافاق الحياة •

وقد كتب الروائي الفرنسي جول فيرن (١٨٢٨–١٩٠٥) عددا من الروايات عن رحلات خيالية ضمن اطار علمي في جو من التنبؤات استبق بها حدود العلوم المعروفة في عصره ، منها « خمسة اسابيع في بالون » و « رحلة الى باطن الارض » و « رحلة من الارض الى القمر » و « اعماق المحيط » و « حول العالم في ثمانين يوما » •

وظل جول فيرن Jules Verne اثنين واربعين عاما يواصل التأليف ، وانتج خلال هذه الفترة اكثر من مئة من المؤلفات ، وكان يصف مشاهد يتخيلها في رحلات برا ، وبحرا وجوا وفي جوف الارض وتحت سطح الماء ، وفي انحاء القمر وكواكب السماء •

وقد تنبأ جول فيرن بكثير من المخترعات المعروفة اليوم ، وفي مقدمتها : الطائرة ، والغواصة ، والمدفع الذري ، والسينما ، والتلفزيون والقذائف التي توجه من بعيد • وقد تحققت نبوءات الكاتب واحدة بعد واحدة ، واصبحت امرا واقعا •

وفي كتاب له بعنوان « الملايين الخمسمئة » ـ تنبأ بمستقبل العلاقات بين فرنسا والمانيا ، فتخيل فرنسيا ينشىء مدينة ضخمة ، والمانيا يخترع مدفعا بعيد المدى لتدميرها ، ولم تمض عدة سنوات حتى كان الالمان يضربون باريس ، في الحرب العالمية الاولى بمدفع سموه (برتا) نصبوه على مسافة

بعيدة منها • وفي الحرب العالمية الثانية ضرب الالمان لندن بقذائف اطلقوها من الساحل الاوربي [٤٧] •

كما كتب هربرت جورج ديلز H. G. Wells (١٨٦٦ – ١٩٤٦) « آلة الزمن » عام ١٨٩٥ اردفها بقصص علمية اخرى – اشهرها « الرجل الخفي » اضافة الى مؤلفات في التاريخ [٤٨] ،وابدعت مخيلته مادة سماها كافوريت ، اذا طلي بها جسم من الاجسام حجبت عنه جاذبية الارض[٤٩] •

وفي عام ١٨٩٦ اصدر الكاتب الروسي فيدروف كتابا عن الملاحـــة بين الكواكب ، وكان من شأن هذا الكتاب – رغم ما فيه مـــن عبث – ان بعـــث اهتماما كبيرا بهـــذا الموضوع في نفس عالم روسي اسمـه تسيولكوفسكي (١٨٥٧ – ١٩٣٥) والذي يعتبر اول واضع لاسس علم الملاحة الفضائيـــة • وهو صاحب النبوءة التي قالها عام ١٩١٣ [ان البشرية لن تقنع بالبقاء طويلا على هذه الارض ، بل انها ستجتاز في البداية تخوم الجـو ، ثـــم تفتح الفضاء كله حول الشمس] •

ونشر تسيولكوفسكي نفسه ، والذى يعتبر ابو علم الفضاء السوفيتي ، في عام ١٨٩٣ كتاب « فوق القمر » كملحق لمجلة (حول العالم) وكان حـدثا مهما في تاريخ هذا اللون من الادب ، فهو اول كتاب علمي خيالي يكتبه عالم • وكان التحليق في الفضاء آنذاك يعتبر ضربا من الخيال، وكان يصور بطلا يسافر الى القمر في الحلم ويتحدث الى عالم القمر • وكتب عام ١٩١٨ قصة « خارج الارض » وفيها يسافر ابطاله على ظهر سفينة صاروخية الى الفضاء [٥٠] •

وكتب الكسي تولستوي روايته المعروفـــة « هيبر بولويد المهندســـ جارين » التي يطرح فيها قضية العصر وهي استخدام العلم الذي اصبح قوة هائلة لمصلحة البشر • وتصور رواية (ايوليتا) التحليق الى المريخ ، ويشهد فيها ابطال الرواية عاصفة تغير البناء الاجتماعي في الكوكب •

ومن الكتاب اللامعين في هذا المجال السكندر بيليابيف (١٨٨٤–١٩٤٢)

الذي يطلق عليه لقب جول فيرن السوفيتي ، وقد اشتهر بشخصية اختياند ـ الرجل الضفدع ـ ثم بشخصية اربيل ـ الصبي الذي يحلق في الجو كالطيور ، ويقوم ابطاله برحلات عجيبة ويطيرون الى القمر والزهرة ويغوصون الى اعماق المحيطات فهم باحثون في ميدان العلم والتكنيك ، مخترعون ، مدهشون ، نفوسهم عامرة بالشجاعة والمخاطرة .(٥١)

وشهد اواسط هذا القرن ازدهار قصص الخيال العلمي ، وتوجهه الى الاطفال اضافة الى الكبار . وقد ساهم في ذلك عدد ممن تهيأ لهم نصيب من الثقافة العلمية ، وبعضهم من العلماء والاساتذة . واكثر تلك القصص تتناول المستقبل ، لذا اسميت قصص الخيال العلمي بقصص المستقبل .

ويلاحظ ان هذا اللون من الادب يشيع بشكل واسع في البلدان الصناعية المتقدمة ، ومع ان بعض كتاب هذه القصص من العلماء الذين يمتلكون قدرات ادبية ، الا ان اغلبها من تأليف الادباء انفسهم الذين يستعينون بحصائل العلم الحديث ويضفون اليها لمسات خيالية .

وقد يبدو للوهلة الاولى ان الجمع بين العلم والادب في هذا اللون الادبي فيه شيء من الافتعال . ولكن واقع الحال يشير بوضوح الى ان الادب يتأثر بالعلم ، كما ان العلم يتأثر بالادب .

ويقول هرلان اليسون ، وهو احد كتاب علم الخيال :

« لا شك ان كتاب الخيال العلمي قد اوحوا الى العلماء بافكار تتعلق بميادين كثيرة في الطب والكهرباء والجيولوجيا وغيرها ، كما ان المؤلفات التي اصدرها هؤلاء الكتاب اعطت مفاهيم شتى لعلم الخيال الذي اخذ يتطور بتطور العصر » . (٥٢)

ومما يؤخذ على قصص الخيال العلمي تركيزها على الآلة اكثر من تركيزها على الانسان ذاته .

وهناك اعتقاد ان ادب الخيال العلمي سيجتذب في المستقبل مزيدا من

القراء ، لان تدفق الافكار العلمية والتكنولوجية الجديدة والاثارات العقلية التي يندر توفرها في الالوان الاخرى من الادب والحبكات الدقيقة والتحليقات في اجواء الخيال ، كل هذا يؤلف اجزاءً من عناصر السحر العديدة التي تفيض بها القصص العلمية . (٥٣)

والمؤسف ان القصص العلمية لم تجد طريقها الى الطفل العربي الا في حدود ضيقة ، وفي دراسة قام بها مركز البحوث في وزارة الثقافة في مصر عن قراءات الاطفال تبين منها ان الاطفال لا يقبلون على هذا اللون من القصص . (٥٤)

ولاشك ان العيب لا يمكن في الطفل ذاته ، بل بما يطرح له مما يسمى جزافا « قصصا علمية » حيث تفتقد الى عناصر القصة العلمية ، وتخلو من التشوق .

المبحث التاسع

الاساطير

ابرز تفريق كاد يجمع الدارسون للفولكلور عليه ، هو ذلك الخط الفاصل بين علم الاساطير ، اي المثولوجيا ، وبين الفولكلوريات ، فالاسطورة تطلق على الشعائر عند قيامها بوظيفتها العقيدية في تفسير ظواهر الكون والطبيعة بمنطق العقل البدائي ، وتعليل العادات والتقاليد والمراسيم بمنطق من هذا العقل ايضا . فاذا تجاوزت هذه الوظيفة ، وعدلتها الى وظيفة اخرى ، او انفرطت عقدتها ، وتداخلت عناصرها فيما يصدر عن العاديين من ضروب النشاط والسلوك ، لم تعد مادة اسطورية بالمعنى الصحيح، وانما اصبحت مادة فولكلورية واصبحت من عناصر الادب الشعبي(٥٥) . وهذا يعني ان الاسطورة لا تقع ضمن الحكايات او الموروثات الشعبية بل تتبع جانبا آخر مستقلا هو علم الميثولوجيا .

ولكن الاسطورة قريبة الى الحكاية الشعبية ، حيث يمتصها الشعب ويحتضنها ، ويرددها ، وينقلها من مكان الى مكان ومن زمان الى زمان

ويحورها ويغيرها حتى تنتهي يوما ما الى اديب فيسجلها •• ولكنها في الاساس من تأليف ادباء او شعراء او كهان لا تنتقل الينا اسماؤهم •

ولا تلتزم الاسطورة في موضوعها بالحقيقة المحسوسة المعقولة ، بل تتجاوزها الى المبالغة تارة والى الاعجاز تارة اخرى ، وتجتهد رغم هذا في الظهور بمظهر الحقيقة الخالصة وتلتمس من السامع اليها ان يأخذها مأخذ الجد ويحملها محمل الصدق (٥٦) •

وقد ارتبطت اسطورة الطقوس بعبارات الانسان الاولى بمختلف اشكالها وطرائقها ، وجنحت الاسطورة التعليلية الى اختلاق كائنات روحية لها دور في تنظيم العالم او تخريبه ،وقد اوهم بعض رجالالدين الناس بانهمعلى علاقة بتلك الارواح الخيرة او الشريرة فوجد السحر طريقة الى حياة الناس ، أما الاسطورة التاريخية فقد كانت تشتمل على حوادث خارقة للعادة وابطالها يصلون الى مراتب الآلهة •

ويبدو ان الانسان البدائي ، وهو يعيش الاسطورة ويؤديها لم تكن غايته ان يعيد تمثيل الطبيعة او التشبه بها ، وانما كان يعيش في الطبيعة محاولا احتواءها (٥٧) •

تقول اديث هاملتون المختصة في الاساطير الاغريقية : « ان الاسطورة ما هي الا تعليل لاحدى الظواهر ، الطبيعية ، مثل كيفية خلق هذا الشيء او ذاك في الكون ، كالناس والحيوانات والاشجار ، والشمس ، والقمر ، والنجوم ، والزوابع ، وانفجار البراكين ، وباختصار كل ما له وجود، وكل ما يقع في هذا الكون الفسيح •• والاساطير ماهي الا العلم القديم ، وهي نتائج محاولات الانسان الاول لتعليل كل ما يقع تحت بصره وحسه » (٥٨)

وعليه ، فالاسطورة ، كما يصفها الباحث الانكليزي ، سير ج • ك جوم محاولة لتفسير علوم عصر ما قبل العلوم ، لانها تحدثنا عن علة خلق الانسان ،

وعلة الظاهرات الطبيعية ، وتفسر لنا الاسرار الخافية وراء صفات الحيوان (٥٩)

وهي بشكل اوسع قصة تعليلية ، تفسر مأثورات الناس حول العالم ، وما وراء الطبيعة ، وتفسر ايضا ابطالهم ومعتقداتهم وغيرها . وغرضها تفسير وجود العالم ، والحياة ، والموت ، والانسان والوحوش والطقوس المقدسة ، والعادات ، وماالى ذلك من الظواهر الغامضة .وبتعبير اخر تمثل الاجوبة التي يقدمها التخيل الانساني للمشكلات التي تتعلق بكيفية حدوث الاشياء ، انها تحاول ان تجيب بالتخيل على الاسئلة التي ينشد العلم - فيما بعد - ان يجد لها حلا عن طريق التعليل المقنع (٦٠) .

ففي اسطورة يونانية تتناول بتحليل بدائي قصة اكتشاف النار ، وتشير الى ان بروثيوس Prometheus صعد الى السماء واختلس النار من محفة الشمس الملتهبة في غفلة من الالهة ، وهبط على الارض خفية ، بعد ان قاسى من العنف والعذاب والالم صنوفا والوانا ، وقدمها هدية الى قومه يستخدمونهافي قضاء مآربهم ،وقد كانت قبل ذلك ملكا للالهة المتازين يحتفظون بجذوتها وهي دائمة الاشتعال في مقارهم على قمم الجبال ، ويحرصون على الانتفاع بها دون بني الانسان لكي لايرتفع الانسان الى بعض الدرجات في سبيل رقيه الى مستواهم (٦١) .

وفي الشاهنامة ورد عن بطل يدعى « هشنك » انه قذف يوما افعى بحجر كبير فأخطأها وتوارت الافعى الا ان الحجر اصاب صخرا قائما فانبعث من شدة الصدمة لهب تطاير شرره وسطع نوره ، فكان هذا اول عهد الناس بالنار . (٦٢)

ومع هذا فهناك بعض الاختلافات في تحديد معنى الاسطورة ، ولكن هذه الفوارق لا تعنينا هنا . والاساطير ، بوجه عام ، واقع ثقافي شديد التعقيد ، وهي تحكي كيفية نشوء هذا الشيء او ذاك وفق تفسير الانسان

البدائي الذي يستعين بالآلهة المفترضة او الكائنات الخارقة في تعليلاته ، بما في ذلك تفسيره لظواهر الحياة والطبيعة والنفس والكون •• انهـا تخيـلات الانسان وتعليلاته لما يحيط به •

وقد تخطت الانسانية عهد الاساطير منذ امد بعيد ، ولا يمكن ان نجد في الوقت الحاضر من يكتب الاسـطورة ، وتبدو لنا الاسـطورة اليـوم « اكذوبة كبيرة » بعد ان كانت بالامس البعيد عقيدة راسخة •

والاساطير بهذا المعنى ، مادة لا تناسب الاطفال •• ولكـن بعض كتب الاطفال ومجلاتهم تشير احيانا الى بعض الحكايات الشعبية او الخرافات عـلى انها اساطير ، ويشكل هذا خلطا كبيرا بين الاساطير كعقائد وشعائر قديمـة وبين موروثات ادبية شعبية •

المبحث العاشر

الحكايات

الحكايات جزء من الادب الشعبي • وللحكاية معنيان ، اولهما واسع يشمل ألوان السرد القصصي الذي يتناقله الناس جيلا عن جيل • وثانيهما خاص يراد به الحكاية الشعبية او حكاية الواقع الاجتماعي الذى يحياه الناس أو ينتظرون أن يحيوه •

وحكاية الواقع الاجتماعي ـ تدعو في العادة ـ الى تأصيل القيم الاخلاقية الايجابية ، وتكشف عن الصراع الطبقي وعلاقة الجماعات الشعبية بعضها بالبعض الآخر • وتنصف هذه الحكاية ـ في الغالب ـ أبناء الشعب الكادحين(٦٣)•

ويمكن أن تدرج ضمن الحكايات ، بمفهومها الواسع انماط كثيرة من الموروثات الشعبية مثل : الحكاية الشعبية ، والحكاية الخرافية ، والحكاية المرحة ، وحكاية الحيوان ، وحكاية التجارب الشخصية ، وحكاية الشطار •

وقد تدرج الاساطير احيانا ضمن هذه الموروثات ، ولكن واقع الحال

يقرر ان الاساطير تخضع لعلم مستقل ، هو علم الميثولوجيا أو علم الاساطير ، حيث خلدت الانسانية بعض الحكايات وصبغتها بهالة من القداسة ، وتجاوزت بها الحدود الاقليمية الى المجال العالمي ، فكانت الاساطير •

والحكايات ، كانت فيما مضى ، ألهية العامة ، وكانت ـ في الوقت نفسه ـ مهربا لهم من مواجهة الظلم والكبت ، وعن طريق الاسقاط ، كان الناس ينتقمون ، عبر الحكايات ، ممن يقهرونهم ، ويبطشون بهم ، ولكنها بقدر ما كانت مهربا ، كانت مصيدة مغلقة متقوقعة ، بل حفرة شبيهة بالقبر الواسع يغرق فيها الجميع ، رغبوا ام لم يرغبوا(٦٤)•

وتتناول ـ فما يلي ـ بعض انماط الحكايات :

الحكاية الشعبية

ظهرت الحكاية المروية قبل عصر التاريخ بآماد بعيدة • وظلت الشعوب تتناقلها جيلا عن جيل • وبذا احتلت موقع الاسبقية بين الفنون التي تذوقتها الانسانية ، وأمست أقرب الاشياء الى التاريخ الشفاهي لخيالات الانسان وتصوراته واخلاقياته وحياته العاطفية عبر العصور •

ولا يمكن أن نجد شعبا دون أن نجد له حكايات شعبية ، مهما كان ذلك الشعب بدائيا ، بل ان البدائية شرط لازم لوجود الحكايات الشعبية •

والحكايات الشعبية ليس لها مؤلف واحد معروف ، بل هي حاصل ضرب عدد كبير من ألوان السرد القصصي الشفاهي الذى يضيف اليه الرواة أو يحورون فيه أو يغفلون منه ، وفقا لما يستهدفون منه • والحكايات الشعبية تظل تعبر عن شخصية الجماعة لا شخصية الفرد ، وهذا ما يجعل من الصعوبة أن تنسب الى مؤلف معين ، لذا كان النقاش حاميا حول نسبة بعض الوان الادب الشعبي الى مؤلف بعينه حيث قيل : « لو وجد ذلك ، لكان على

سبيل الشهرة او الانتحال ، كالخلاف الذي ما يزال يشتجر حول هوميروس وحول مؤلف اغنية رولان»[٦٥].

وكان الفيلسوف الالماني (هردر) الذي أوحى بفكرة جمع الحكاية والاغنية الشعبية من مختلف أرجاء المانيا في بداية القرن التاسع عشر ، يصر على أن مبدع هذه الفنون الشعبية هو الشعب لاغير ، وتابعه في ذلك (الاخوان گريم) اللذان جمعا « حكايات البيوت والاطفال » رغم انهما قد اشارا الى بعض القدرات الفردية الممتازة في الرواية .

ويقابل هذا رأي قال به العالم الالماني « هانز ناومان » ويذهب الى أن الشعب لايبدع شيئا جديدا ، وانما يعيد صياغة موجود ابدعه أفراد متميزون ، ومن قبيل هذا الرأي ما يقول به العالم السويدي (سيدوف) من أن المأثورات الشعبية لاتنتمي الى الشعب بكامله ، وانما هي تلحق بأفراد بذواتهم هم الحفظة والرواة . واشار الى الدور الذى يقوم به الفرد في الحكاية عالم آخر هو « ازادفسكي » الذى تأثر به كثير من الباحثين في ابراز أثر القاص الفرد منذ أن أعلن رأيه عام ١٩٢٦ .

ومن الآراء الجديدة رأي يقول : ان مجهولية المؤلف لاتعني لاشخصية المؤلف ، فهو شيء ينبغي أن لانهمله ، ورغم أن باحث الادب الشعبي يبحث عن الاتجاه الجماعي في خلق هذا الادب الا ان الافراد المنتجين الاوائل هم سبب الفرق بين الشعب الناقل للادب وغير الناقل ، ومن هذا الرأي تنتج رأي آخر يقول : اذا نظرنا الى احد الاثنين : الفرد ام المجتمع ، نقع في خطأ جسيم ، حيث ان الفرد يبدع والمجتمع يتلقف ، ومع الزمن يحور ويحور ، ويسلم الى من يليه من الاجيال حتى يكتب لهذه النصوص التواتر[٦٦].

وتتشابه الحكايات الشعبية ـ الى حد ما ـ لدى الشعوب المختلفة ، لانها ترجع الى اصول عالمية مشتركة ورثتها الاجيال عن الامم البدائية ولكن تلك الحكايات تظل مطبوعة بطابع البيئة التي تروج فيها ويظل كل شعب يحكيها

بطريقته الخاصة التي تتأثر بما ينشأ لدى الناس من مواقف ازاء حياتهم الواقعية وما يحيط بهم من ظروف وتحديات •

والادب الشعبي ، بما فيه الحكايات ، لا يقتصر على ما يتناقله الناس من جيل الى جيل ، بل هو اشمل من ذلك ، حيث يمتد ليشمل النصوص المبثوثة بين طيات الكتب ورددتها جماهير الشعب في حينه ، وسجلها الكتاب كحقيقة ودليل على تيارات الفكر السائدة في ذلك الحين •• وعليه نجد ادبا شعبيا مرويا واخر مكتوبا (٦٧) •

وقد استمد كثير من قصاصي الاطفال من الحكايات الشعبية افكارا لقصصهم ، ولاقت تلك القصص هوى في نفوس الاطفال ، وسعدوا لابطالها الذين يتحركون بحرية ؛ دون حواجز او قيود ، وانسوا بالحيوانات التي تتكلم وتتصرف مثل تصرف الانسان ، والنباتات التي تطير وتتحرك وتضحك وتقرأ الشعر ، والادوات الجامدة التي تروح وتجيء وتقرع الطبول وتغني • واثيرت مشاعر الاطفال وسط اجواء التضحية والبطولة والصدق والعدل ، حيث ينتصر الخير دوما ويخذل الشر •

وللحكايات الشعبية كثير من الطرافة والجاذبية والشاعرية ، وكثيرا ما استلهمها احسن الكتاب والرسامين وواضعي الالحان واستوحوها في ابداع مؤلفاتهم ، وكان بوشكين الشاعر الروسي الكبير (١٧٩٩ — ١٨٣٧) يحب الاستماع الى الحكايات التي كانت تحكيها مربيته العجوز ، وقد كتب يقول عن تلك الحكايات : ما ابهج تلك الحكايات ! ان كل واحدة منها قصيدة شعر (٦٨) •

وكثير من الحكايات الشعبية ما تزال تقدم للاطفال بنفس الصيغ القديمة ، دون حذف او تشذيب • وفي هذا مصدر خطر ، لان الحكايات الشعبية تعكس في موضوعاتها تصورات الانسان القديم ، وآراءه وطبائعه وافكاره وتأملاته ، خاصة وان كثيرا منها قد احتفظت بصيغها القديمة دون

ان يعتريها التغيير منذ مئات السنين ، مع علمنا ان بعضا منها لم تتخذ صورتها التي هي عليها اليوم الا في عصور متأخرة .

اجل ، ان كثيرا من الحكايات الشعبية هي وليدة عصور العبودية والاقطاع ، وتشتمل ـ في الغالب ـ على مضامين غيبية وقدرية ، وهي بالاساس لم تكن معدة للاطفال بل كان يتداولها الكبار في تلك العصور . وعلى ذلك ، من الخطأ ان نعتبر تلك الحكايات التي تعبر عن واقع غير واقعنا زادا للطفولة ، رغم انها تتضمن عبرا واخيلة توسع المدارك ، ولكنها ـ في معظمها ـ تخلق في الطفولة روح العدوان والوحشية وتبرز صور الخوف والقلق (٦٩) .

وبالوسع تحوير الحكايات الشعبية ، وابراز الجوانب التي تشجع على الوئام والتعاون ومحاربة المعتدي واستحصال الحق ، بحيث تبدو ملائمة للحياة المعاصرة ، لانه لا يحق لنا ان نجعل من طفولتنا حبيسة اخيلة وتحليلات وتصورات وتأملات مجتمعات متخلفة (٧٠) .

وقد دعا الكاتب والصحفي الفرنسي بيير كامي في ١٩٧٢ الى تجديد الحكايات الشعبية ، حيث اطلق صيحته المشهورة قائلا : « اطفالنا لم يعودوا ابرياء » واخذ الحوادث على نحو ينسجم مع الفكاهة ، متلاعبا مختلف ، مستغلا الحوادث على نحو ينسجم مع الفكاهة ، متلاعبا بالحديث حينا وبالحدث حينا اخر . واشهر ما نشر لكامي ، هو قصة « القبعة الخضراء » المعروفة باسم « ليلى والذئب » ، حيث تناول هذه الحكاية من رؤية مختلفة ، واستعان بالحوادث والكلمات ذاتها مع تبديل في المشهد الاول ، واضافة مقدمة الى المشهد الثاني ، وتحريف وقائع ما حدث بين ليلى والذئب .. ويشير كامي الى ان : الكبار يكررون افكارهم رغم علمهم بانهم يخطئون ، ويتساءل : كيف يتسنى لوالدَي ليلى ان يرسلا بابنتهما الى جدتها وهما يعرفان ان الذئب قد افترس طفلة من قبل !

وهناك من يرفض رفضا قاطعا اى تحوير في الحكايات الشعبية بحجة

الحفاظ على اصالة التراث الشعبي ، ولكن فات على اولئك اننا حين نقدم الحكاية الشعبية للاطفال يمسى امر الحفاظ على اصالة التراث الشعبي غير قريب من اذهاننا ، اذ نستهدف اشباع بعض حاجات الطفل ، ومساعدته على النمو . ولا شك انه يمكن السعي لصيانة التراث الشعبي عبر مسارب اخرى لا تمر بالطفولة . ومع هذا يظل هدفنا : الطفل لا الحكاية الشعبية ذاتها .

والذى يهيء لنا تحوير الحكايات الشعبية ، انها تتميز بالمرونة ، اذ اننا نعلم ان الحكايات الشعبية تنتقل من شخص الى اخر بحرية ، فيضيف اليها هذا شيئا من عندياته ، وقد ينسى او يتجاهل شيئا اخر .. وهذه المرونة جعلتها قابلة للتطور والتطويع ، فاصبحت اكثر طرافة . فالناس يهذبونها ويجعلونها اكمل على مر العصور .. وعلى هذا ، ما الذي يحول دون ان نقوم بدورنا بتقديم زاد شهي للطفولة ، تستمرئه وتستطيب ملذاته ؟!

اننا نرى ان تطوير وتطويع الحكايات الشعبية بحيث تمسي ملائمة للاطفال ، هو جزء من عملية تطوير فن شعبي عريق ،لا يمكن ان تظل له قيمة ما لم يتجدد . اما ان نضع هذه الموروثات الشعبية في نعش من المخمل فهذا لا يعني اننا نصونها بل ندفع بها الى الانقراض والموت ، تماما مثلما نفعل حينما نقدمها الى الاطفال بكل ما فيها من مظاهر العدوان والغيبية فندفع بنفوس اطفالنا الذين سينفرون منها بعد حين الى التهلكة ، وندفع بهذه الموروثات الى الجحيم .

وهكذا يبدو من الضروري تجديد افكار بعض الحكايات الشعبية والخرافة ، وحذف كل ما يشوبها من الابهام الذى يقف الطفل قبالته محتارا ، ووضعها في قوالب ادبية جديدة . ولكن هذا لا يعني ان نمسخ تلك الحكايات مسخا ، فتمسي شيئا مشوها . واذا ما وجدنا انفسنا مرغمين على ذلك المسخ والتشويه فينبغي ان نعترف اننا في حِلٍّ من الاعتماد عليها .

ولكن ينبغي الحذر ازاء الحكايات الشائعة بين الاطفال ، ان هذه

الحكايات لا يجوز التلاعب بها بأي شكل من الاشكال ، ذلك ان الاطفال سرعان ما يكتشفون اي تحوير فيها فيبدو لهم الامر مربكا •

وقد يستشهد البعض بحكايات كثيرة قدمت الى الاطفال في فترات متعددة بكل مافيها من شطحات خيالية او تعليلات سقيمة او حوادث تلعب بها الاقدار ، ومنها حكايات الاخوين گريم Jacoband Wilhelm Grimm ، حيث بدأ هذان الاخوان الالمانيان عام ١٨٠٦ بحماس لجمع الحكايات التي يحكيها الاباء للابناء ويتحاكاها الكبار والصغار في منطقة هسن (الجزء الاول) وفي منطقة حول مونستر وباريبون بمقاطعة فستفاليا ، وكذلك في منطقة كاسل ، وضما الى جانب ذلك حكايات من النمسا ومن بوفن وغيرها (الجزء الثاني)• وكان الاخوان گريم يلتقطان الحكايات من افواه الرواة ، ويسجلانها كما هي، لا يمدان ايديهما الى مضمونها قط ، وانما يتناولان الاسلوب فيهذبانه ويصبان الكلام في قالب متجانس ، فاخرجا من الاصل الشفهي ما كان به من كلمات غريبة لا قبل لكثيرين بها واستبعدا الكلمات الاجنبية والاخرى التي لا تناسب الاطفال ، فجاء الاسلوب متشابها وفريدا في نوعه •

على ان هناك ملاحظات اساسية لابد من الانتباه اليها وهي انه في الوقت الذي كان الاخوان يواصلان عملهما في جمع الحكايات لم تكن النظرة الى الطفل قد تبلورت بشكل علمي سليم ، حيث كان ينظر الى الاطفال على انهم رجال صغار ، وانه باستثناء احجام اجسامهم فلهم من الصفات ما للرجال •

يضاف الى ذلك ان الاخوين گريم قاما بعملية جمع للحكايات المتداولة في بعض المناطق والتي يحكيها الاباء الى الابناء ، ولم يكن بحسبانهما ان تمسي هذه الحكايات اسسا وقوانين لحياة الاطفال في كل زمان ومكان • لقد كان الاخوان گريم يستهدفان حماية تلك الحكايات من الاندثار قبل كل شيء ولم يكونا يستهدفان ان تكون زادا للاطفال •• وتفصح لنا المقدمة التي وضعها الاخوان گريم لحكاياتهما عن ذلك بوضوح (٧١) •

لقد حرص الاخوان كريم على ان تكون حكاياتهما في متناول ابسط الافهام والمدارك ، ولكنهما حرصا في الوقت نفسه على ان تحتفظ بجزء كبير من طابعها الاصلي ، وبذلا جهودا كبيرة لابراز المضمون الاصلي لتلك الحكايات ، وحاولا ان يبعثا في تلك الحكايات ما كان لها من اصالة وفطرة (٧٢) .

وهناك قصص معروفة كثيرة طورت لتلائم اذواق الاطفال وقدراتهم العقلية والعاطفية واللغوية وفقاً لما استجد من اسس ونظريات في مجالات التربية وعلم النفس والاعلام .. وبذا ادخلت على تلك الحكايات معارف وافكار ومعلومات جديدة ، واقتطعت منها مقاطع كثيرة .. لتؤدي دورها في تنمية عقول واخيلة الاطفال وتحول دون ان تجعلهم في نطاق عالم غريب عما يرونه ويسمعونه .

والحكايات التي نسبت الى عدد من المؤلفين ، هي في الغالب حكايات شعبية ، اجرى واضعوها عليها تعديلات كبيرة ، فحق لهم ان ينسبوها الى انفسهم ..

ويبدو من ثنايا رواية حياة ايسوب الذي ولد عام ٦٢٠ قبل الميلاد ، انه كان يتناول ـ احيانا ـ حكايات شعبية عديدة اثناء سنوات حياته التعيسة الغامضة وحتى اللحظات التي سبقت اعدامه بقليل(٧٣) . وعليه فهو لم يكن مؤلفا لكل ما نسب اليه من حكايات ، بل كان محورا فيها ومهذبا لها .

والكاتب المعروف هانز كرستيان اندرسن (١٨٠٥ ـ ١٨٧٥) الذي كتب القصص العديدة للاطفال ، كان قد استمد كثيرا من قصصه من الحكايات القديمة ، وكل ما قام به هو تهذيب وتطوير بعض الحكايات التي يتداولها الناس انذاك لتمسي ملائمة للاطفال .

وكان اندرسن ، قد كتب بعض القصص والمسرحيات للكبار فواجه هجوما عنيفا من النقاد .. فسبب ذلك فقدان ثقته في جيله ، فوصف ذلك

الجيل بانه : قاصر ومحدود التفكير لانه لم يقدر على فهمه وتقديره حق قدره ، فكان ذلك سببا في اتجاهه الى جيل اخر جيل طيب لا يعرف الحقد ، يمد في عمر شهرته سنوات طويلة لا تعوض ما ضاع من عمره فحسب ، بل تمتد بعد وفاته اجيالا اخرى وهذا ما يفسر تلك العبارة التي وردت في رسالة يقول فيها « لقد شرعت في كتابة بعض القصص الخيالية للاطفال انني اريد ان اكسب الجيل القادم » فوضع كتيبا يضم بعض الحكايات ذات الطابع الاسطوري للاطفال منها (القداحة) (كلاوز الصغيرة والكبيرة)

وكان من ملامح العصر الذي عاش فيه اندرسن الاهتمام الزائد بالحكايات الشعبية فلم يكن اي بيت في الدانمراك يخلو من كتب حكايات الاخوين گريم والكاتب الالماني هوفمان وكان لهذه الحكايات فعل السحر على اندرسن . ولكنه لم يكتف برواية تلك الحكايات بل كان يهضمها ثم يخلق منها شيئا جديدا نابعا من عالمه الخاص (٧٤) .

وكان الكاتب الروسي الشهير ايفان گريلوف (١٧٦٨ - ١٨٤٤) قد أظهر في كثير من قصصه شخصيات من الحيوانات تنبض بالحياة ، وتوضح مظالم الحكم في روسيا القيصرية في وقت كانت تسود فيه الرقابة الشديدة، ومع ان بعض حكايات گريلوف كانت ذات صلة باحداث واقعية وأشخاص حقيقيين مثل الهزائم والانتصارات أمام نابليون ، الا ان بعضا منها كانت تطويعا للحكايات الشعبية .

وهكذا كان الحال بالنسبة الى لافونتين وفيدروس وغيرهما ، حيث كان لهم الفضل في تطويع حكايات شعبية ما يزال البعض يصر على وجوب ابقائها على ما هي عليه !

ويبدو لي ان أقل واضعي الحكايات تأثيرا بالحكايات الشعبية السائدة هو الرسام ليوناردوفنشي ، الذي كتب مئات الاقاصيص الرائعة من وحي مخيلته ، لكنه استمد بعضا من الحكايات الشعبية وطوعها لتلائم الحياة

الجديدة التي كان يحياها المجتمع • بل أن (برونو نارديني) حين أعد (حكايات واساطير) ليوناردوفنشي ، أعاد صياغتها من جديد ، حيث قال في مقدمته لتلك القصص : « •• ولما كنت أحد مواطني توسكانيا ، ولست غريبا عن هذه اللغة التي مازالت حية ومعاصرة منذ عهد ليوناردو فقد أعدت صياغة هذه الحكايات ، كما قمت بشرحها وتقديمها بلغة العصر في صورة تعكس روح صاحبها »(٧٥)•

ونكتفي بهذه الأمثلة للرد على من يريد للحكاية الشعبية أن تقدم للاطفال بقضها وقضيضها •

ب ــ الحكايات الخرافية

الخرافات لون من ألوان الحكايات يتناقلها الناس جيلا عن جيل ، وتتناول تفسير كثير من أسرار الحياة ، وهي تختلف عن الاساطير في أن الاولى تناقلها الناس بلغتهم الدارجة في الوقت الذي احتفظت فيها الاساطير بلغة فصيحة ، كما أن الاسطورة ترجع الى ما قبل الاديان ، اما الخرافة فقد ظهرت بعد الوثنية ، ولذا يغلب عليها الطابع التعليمي والتهذيبي •

وتتخذ الخرافة شكل سلسلة من المخاطرات التي تلعب فيها الخوارق دورا واضحا ، حتى يستطيع البطل تحقيق هدفه • وتتمثل هذه الخوارق بقوى مرئية أو غير مرئية كالجن والمردة والعفاريت والغيلان والحيوانات التي يتحكم فيها السحر •

وابطال الخرافات يظهرون دون ملامح نفسية محددة ، ولهم أنماط شخصية متشابهة ، ولا يستطيع السامع أن يتعرف الى ما يعتمل في نفوسهم من صراع داخلي بشكل واضح رغم أن صور البلادة والذكاء ، او الشجاعة والجبن ، وغيرها من المزايا والصفات ترسم للخرافة وفقا لما تقتضيه مجرياتها•

وتبدو الخرافات مقطوعة الجذور بالمكان والزمان ، حيث انها تأخذ

شكلا عالميا ، لانها تستمد مادتها من العقائد الدينية والاساطير التي تتحدث عن الالهة ، او الابطال الذين سرت فيهم دماء الالهة ، او انصاف الآلهة •

وقد يبدو الحافز لتناقل هذه الحكايات هو التسلية والامتاع ، ولكن الامر غير ذلك ، حيث ان هذه الخرافات ما هي الا وسيلة لتفسير بعض الظواهر التي يلحظها الانسان كما انها اداة تنفيس له عن احلامه ومكبوتاته، حيث ان كثيرا من تصورات الانسان القديمة تنعكس في اجزاء من الحكاية الخرافة •

وبعض الخرافات ، بوضعها الحالي ، لاترجع الى عصور قديمة ، اذ انها لم تتخذ الصور التي هي عليها اليوم الا في عصور متأخرة •

وقد كانت المجتمعات اكثر ايمانا بالخرافة من ايمانها بالاسطورة ، بل ان كثيرا من البقاع العربية في اقسامها الحضرية والقروية ما تزال تؤمن حتى الان بكثير منها ، وهي لا تختلف بهذا كثيرا عن اناس في الغرب ما يزالون ، حتى اليوم ، يؤمنون ببعض هذه الخرافات(٧٦)•

واول ما يسترعي النظر في الحكاية الخرافية هو اتجاهها الاخلاقي ، فهي تكافيء الخير بالخير والشر بالشر ، ثم هي تصور الامور كما يجب ان تكون الحياة(٧٧)

ويعود اندماج الطفل مع الحكاية الخرافية الى عوامل متعددة، منها التصوير المتطرف للشخوص ، حيث ان مقدرة الطفل على التجريد محددة للغاية ولذلك فان ذلك التصوير المتطرف يلائم الاطفال ، كما ان الطفل لا يهمه تحليل الشخصية وانما يهمه صفاتها •

كما يرجع اعجاب الطفل بالاشكال الشيطانية الى قدرتها السحرية ، حيث تتوق نفسه المفعمة بالرغبات الى تحقيق الشيء الجميل والخيالي ، والشخوص الخيرة هي وحدها التي توصل البطل الى تحقيق اهدافه • اما الشخوص

السحرية الشريرة فليست سوى تعبير عن العقبات النفسية التي تعترض طريق تحقيق تلك الرغبات .

وعدم تحديد الحكاية الخرافية للوسط الاجتماعي الذي تعيش فيه شخوصا تحديدا دقيقا ، كما هو الحال في عدم تحديدها لملامح الشخصيات يتفق وخيال الطفل الذى ينساب في سرعة مع مجرى الحوادث ليعرف الكثير ويعيش تجارب جديدة توصله في النهاية الى الهدف الذي يجلب له الرضى النفسي لانصاف الضعيف من سطوة القوي .. ولعل هذاهو سر حب الطفل لبطل الحكاية الخرافية ، ذلك البطل الذي يتحرك بخفة ورشاقة دون اي معوقات مكانية او زمانية حتى يصل الى هدفه بمعونة القوى المساعدة والقوى السحرية (٧٨) .

والخرافات بوجه عام سهلة خالية من التعقيد ، لذا فهي قريبة الى مدارك الاطفال ، يضاف الى ذلك خصوبتها واشتمالها على عجائب وبطولات وغرائب وطغيان مشاعر الوفاء والتضحية والصدق والعدل ، كل هذه تجعل الاجواء الروائية تستهوى الاطفال وتجتذبهم .

ولكن في كثير من تلك الخرافات ، ما يبث في نفوس الاطفال الذعر والخوف والقلق والانانية والكراهية والجبن ، وما يدفع بهم الى الايمان بالغيبيات والتفكير الخرافي والقبول بالتفسيرات « المطمنة » والتحليلات الواهية والقوالب الجامدة ..

وتكمن خطورة«بعض» الحكايات الخرافية الشفاهية في انها تتناول الطفل وهو في المهد، فتزرع فيه السلبيات واحدة بعد الاخرى، وتعلمه ـ بسبب كون ابطالها كذلك ـ الهروب من المسؤولية ، ونزعة التبرير ، ورد الامور الى القدر والى ارادات مستترة ، والاندفاع والطيش عندما يكون التروي والحذر ضروريين، والجبن والتواكل عندما تدق ساعة الجد ، وتعلمه التقليد والتقيد بالقوالب والشكليات الجاهزة ، والايمان بالخوارق والحماس اللفظي (٧٩) .

واذا كان الاطفال يتشوقون الى الخرافات ، فان ذلـــك لا يبرر تغذيـة عقولهم وعواطفهم عليها ..

ولكن يمكن ان نجد بعض الحكايات الخرافية التي يمكن أن تشيع في نفوس الاطفال النشوة ، وتخصب خيالاتهم .. وهذا يستلزم ان نحسن الاختيار وفق ضوابط ادبية وتربوية .

الفصل الثاني

شعر الأطفال

الاطفال ميالون الى الايقاع • فالطفل ، منذ ايامه الاولى ، يكف عن البكاء ، ويهدأ ، وقد يستسلم للنوم العميق حين تأخذ الام بالربت على قفاه برقة ، وحين تهز بمهده ذات اليمين وذات الشمال ، في ايقاعات متكررة •

ويظل الطفل يأنس الى الايقاعات خلال سنوات نموه واذا ما نما احساسه الايقاعي نموا سويا ، فانه يلعب دورا مهما في حياته « لان الايقاع يسهل له حركاته حتى يجعلها آليه وهو من ناحية اخرى يبعث فيه القوة ، ويزيد قابليته على الانتاج ، ويوفر له جميع الحركات العضلية غير اللازمة ، وينشر المرح في عمله اليومي • ومع ان الايقاع شيء جسمي الا انه يعتمد على يقظة الاحساس ونشاط الشعور • (١)

ولا يجد الطفل الايقاع في الشعر وحده ، بل يجده في الموسيقى ، وقد يجده في كثير من المقطوعات النثرية ، ولكن ما يميز الايقاع في الشعر هو التركيز ، مما دعا البعض الى القول ان « الشعر صعب الفهم على الاطفال » •

ويستمد الشعر ايقاعاته من اوزانه وقوافيه وكلماته ، لذا ترى الاطفال يستطيعون ترديد الكلمات الموقعة ، ويصل الامر بهم الى تكرار انغام من الشعر لا يفهمون له معنى .

وشعر الاطفال ، اضافة الى انه يلبي جانبا من حاجاتهم الجسمية والعاطفية ، فهو باعتباره فنا من فنون أدب الاطفال - يسهم في نموهم العقلي والادبي والنفسي والاجتماعي والاخلاقي .

وقد فتشت ، هنا وهناك ، بين دواوين محمد عثمان جلال وابراهيم العرب ومعروف الرصافي واحمد شوقي وجبران النحاس وغيرهم الكثيرين فلم اجد ما يصلح لطفل اليوم .

وعدت الى كتب « القراءة العربية » التي ندرسها في طفولتنا ، استعيد ما ارغمنا على حفظه ، فلم اجد شعرا يمتلك القدرة على مداعبة الطفولة وابهاجها واشباعها ، وفتشت بين الجديد الذي يكتب في مجلات الاطفال فخاب مسعاي ، وظلت مقطوعة الطفل الشعرية في ذهني مثلما هي في ذهن الطفل حلما .

لقد وجدت نظما ، لايجد الطفل فيه ما يخاطب وجدانه او يهز انفعالاته او يثير خيالاته او يحرك احساسات الجمال في نفسه .. ووجدت اوزانا وقواف وايقاعات رنانة او كسولة خامدة ، ووجدت الفاظا وتعبيرات فخمة ، قد تكون مفعمة بالصور والمعاني المجردة احيانا ، ولكنها بعيدة عن الصور التي يمكن لاذهان الاطفال تصورها .. ووجدت ابياتا من الحكم والامثال والحقائق التي لا يستوحي الطفل منها شيئا .

وشعر الاطفال لم يظهر الى الوجود الا بعد ان تغيرت النظرة الى الطفل بوقت قصير .. ويمكن القول ان بداية القرن العشرين تشكل اولى المنطلقات لهذا اللون الادبي .

ومع ان شعر الاطفال يتناول كل ما يمكن لالوان ادب الاطفال الاخرى

ان تتناوله ، الا انه يتخذ صيغة ادبية متميزة • حيث يمكن ان يجد الاطفال انفسهم من خلال هذا اللون الفني وقد حلقوا بعيدا في اجواز الفضاء يلقون بالتحية على عوالم جديدة ليستمعوا الى من يرد عليهم باحسن منها ، او ان يتجاوزوا ابعاد الزمان والمكان ليصافحوا الشعوب التي اقامت الحضارات عبر الحقب او تقدموا الحاضر الى المستقبل ليكشفوا شيئا من لفائفه المبهمة •

وليس هذا فقط ، بل يجدون من خلال شعرهم طيورا تؤدي اجمل الالفاظ والتعابير رغم انهم لم يروها يوما تنبس ببنت « منقار ! » ويجدون الى جانب ذلك الجوامد والدمى تتحرك وتعبر عن انفعالات نفسية بارعة وتأملات جميلة •

وليس بالوسع ايراد أمثلة لما يتضمنه الشعر من افكار ومعان وخيالات • « لانه ليس هناك قيود على الموضوعات التي يعالجها الشعر • اذ انه يعالج اي شيء تحت الشمس • ولكن الطريقة التي ينبغي ان يعالج بها هذه المحتويات هي التي تخضع للتحديد • والقدرة الفنية تقتضي التعبير في كلمات قليلة واحتواء عدد كبير من الخبرات في سطور قليلة » وتوضيح ان ما ترك دون ذكر لا يقل دلالة عما ذكر ، وكل ذلك يحتاج الى مهارة فائقة في استخدام الكلمات •• واذا كانت القافية والنغم والاسلوب ــ مع ما لها من اثر في التركيز المطلوب ، عناصر مقيدة للشاعر ، الا انها في نفس الوقت ذات اثر في الطفل » [٢] •

ورغم ان مضامين شعر الاطفال لا يمكن ان ترسم لها حدود ، الا ان من الضروري ان لا تنطوي على تقرير حقائق ومعلومات ، لان الشعر يتمثل في إضفاء لمسات فنية على جوانب الحياة لتمسي لوحات فنية زاخرة •• واذا كنا ــ نحن الكبار ــ قد تحجرت قلوبنا على كثير من مفاتن الحياة والطبيعة ، فان قلوب الاطفال الغضة يمكن ان تجد متعة غامرة اذا ما رسمت في اطار فني جميل ، يسهل عليهم تصورها وتذوقها •

ويلعب التصور دورا مهما في تقرير الادب وتذوقه • لذا يلجأ مخرجو

الكتب والبرامج والافلام الى الاستعانة بالوصف الدقيق واللوحات والصور والرسوم ، محاولين ان يوضحوا بها للاطفال ما يريد المؤلف التعبير عنه ، حتى يستطيعوا ان يعيشوا ، بقدر الامكان ، في جو ما يسمعونه او يقرأونه . فلكي يتذوق الطفل الادب ينبغي ان يحيا جو الخبرات الخيالية التي يوحي بهـا . وبعض الاطفال يمتازون على غيرهم بقدرتهم عـلى ان يتصوروا ان موضوع تفكيرهم قد اصبح شيئا حقيقيا ، وقد يتجاوز تصورهـم حدود ما يضعـه الكاتب ، في بعض الاحيان . وقد قيل ان طفلة سمعت ترجمة لاحدى قصائد « آرثر والي » اليابانية البسيطة ، وعندئذ اخـذت تصف القريـة التي ورد ذكرها في القصيدة وصفا احتـوى على عناصر لم تكـن في القصيـدة على الاطلاق . (٣)

ولكن الاستاذة « اوليف هويلر » اشارت في دراسة سيكولوجية الى ان ربط تذوق الادب ، بما في ذلك الشعر ، بالتصور ، ليست خاطئة ، ولكنها تخلو من الدقة . ونادت بوجود عامل اخر اطلقت عليه « البقاء Duration » الذى قالت بانه لا يقل في الاهمية عن التصور . وذكـرت ان الاستمتاع الكامل باحدى القصائد لا يكون ممكنا الا اذا امتزجت الصور وما تحملـه من معان بالانفعالات المصاحبة لها ، وتداخل بعضها مع بعض ، وان ما تسميه « بالبقاء » هو ما ينتج عن هـذا الامتـزاج ، ومن تدفـق مستمر للفكر والوجدان او حركة دائمة موصولة .. وتقول الاستاذة « هويلر » ان ابحاثها تشير الى ان محاولة تكوين الصور واضفاء الوضوح والتفصيل عليها يعوق تذوق الاب . وقد يصبح التذوق في بعض الحالات سهلا بالاستعانة بالخبرات الماضية التي ألمّ الطفل لاول مرة عن طريقها بالاشياء التـي يحاول المعلـم – مثلا – ان يثير فيها خياله . فمجرد وجود الصور ، سواء اكانت من صنع الطفل ، أم المعلم ، او كليهما ، لا يكفي للتذوق الكامل ، واستنتجت (هويلر) من ذلك ان « من المقطوع به ان فهـم القصيدة ، والاستمتاع باجوائهـا ،

يتوقفان على الانتقال للحالة المزاجية ، التي كانت مسيطرة على حواس الشاعر وقت نظمه للقصيدة • [٤]

★ ● ★

ولو حاولنا تتبع بعض المحاولات لتقديم الشعر الى الاطفال لوجدنا ان الشاعر احمد شوقي (١٨٦٨ - ١٩٣٢) يقف في مقدمة الذين حاولوا ذلك اضافة الى كونه من اوائل من دعا الى العناية بأدب الاطفال • فقد قدم نحو عشر مقطوعات شعرية ونحو ثلاثين قصة شعرية على السنة الحيوانات [٥] محاكيا في ذلك الشاعر الفرنسي لافونتين « ١٦٢٠ - ١٦٩٦ »

وقد قال شوقي عن قصصه الشعرية في مقدمة الشوقيات عام ١٨٩٨ :

« جربت خاطري في نظم الحكايات على اسلوب لافونتين الشهيرة • وفي هذه المجموعة شيء من ذلك فكنت اذا فرغت من وضع « اسطورتين » او ثلاث اجتمع باحداث المصريين واقرأ عليهم شيئا منها فيفهمونه لاول وهلة ويأنسون اليه ويضحكون من الكثرة • وانا استبشر لذلك واتمنى لو وفقني الله لاجعل للاطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للاطفال في البلاد المستحدثة منظومات قريبة المتناول ، يأخذون الحكمة والادب من خلالها على قدر عقولهم• والخلاصة انني كنت ولا أزال ألوي في الشعر عن كل مطلب ، واذهب من فضائه الواسع في كل مذهب • وهنا لا يسعني الا الثناء على صديقي خليل مطران صاحب المنن على الادب ، والمؤلف بين اسلوب الافرنج في نظم الشعر وبين نهج العرب ، والمأمول اننا نتعاون على ايجاد شعر للاطفال والنساء ، وان يساعدنا الادباء والشعراء على ادراك هذه الامنية » •

ولكن يبدو ان احدا من الشعراء لم يستجب آنذاك لدعوة شوقي ، بمن فيهم خليل مطران نفسه •• كما ان شوقي عزف فيما بعد عن الاستمرار في هذا الاتجاه •

ومن يتفحص مقطوعات شوقي وقصصه الشعرية ، يجد ان بعضها ذات

سمات رمزية يصعب على الاطفال فهمها ، يضاف الى انها في مجملها ذات ألفاظ لا يتسع لها قاموس الطفل اللغوي ، كما لا يتسع لها قاموسه الادراكي • وكذا يمكن القول بالنسبة الى مقطوعات الشاعر معروف الرصافي « ١٨٧٧ - ١٩٤٥ » •

وكان قد سبق شوقي والرصافي في نظم القصص الشعرية شعراء عديدون ، في مقدمتهم محمد عثمان جلال (١٨٣٨ - ١٨٩٨) في ديوانه « العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ »(٦) وهو ترجمة لامثال لافونتين في مئتي قصة شعرية •

اما الشاعر ابراهيم العرب « المتوفي عام ١٩٢٧ » فقد نظم تسعا وتسعين قصة شعرية في ديوانه « آداب العرب »(٧) منها ما هي على لسان الحيوانات•

وبعد ذلك بفترة غير قصيرة اصدر جبران النحاس ديوانه « تطريب العندليب »(٨) عام ١٩٤٠ وتضمن سبعا وتسعين قصة شعرية مأخوذة اكثرها من امثال لافونتين •

ولكن هذه الدواوين الثلاثة لم تكن للاطفال اساسا • « وقد شاع هذا اللون من القصص الشعري فيما بعد لدى جماعة ابولو في مجلتها الادبية التي صدرت في ايلول ١٩٣٢ حتى كانون الثاني ١٩٣٤ ، وكانت تنشره تحت باب « شعر الاطفال » • ومن بين الذين نشرت لهم : الصاوي محمد شعلان ، بركة محمد ، علي عبدالعظيم ، وكامل كيلاني »(٩) •

ورغم صدور عدد اخر من الدواوين ، الا ان محمد الهراوي (١٨٨٥ - ١٩٣٩) يعد اول من انصرف بجد نحو شعر الاطفال ، فأبدع مقطوعات شعرية يتناسب كثير منها مع مستويات الاطفال الادراكية واللغوية من خلال منظوماته الشعرية « سمير الاطفال للبنين »(١٠) و « سمير الاطفال للبنات »(١١) وكل منهما في ثلاثة اجزاء ، ثم « اغاني الاطفال »(١٢) في اربعة

اجزاء . كما كتب عددا من القصص المنثورة . ولكن شعره في الغالب ـ كان شعرا تعليميا .

واذا سارعنا الخطى ، ونحن نستعرض دواوين الاطفال ، فلابد ان نتوقف عند شاعر قصد التوجه الى الاطفال بعد ان فقد ثقته في جيله ـ كما يبدو ـ هو الاستاذ سليمان العيسى . وقدم هذا الشاعر مقطوعات تفوق مستوى ادراك الاطفال ، واستخدام الفاظا يصعب على الاطفال تبين معانيها . ويبدو ان الاستاذ العيسى منتبه الى ذلك ، حيث يقول :

« ربما تعمدت الرمز ، والصعوبة في الالفاظ ، والغرابة في بعض الصور، ربما كانت بعض العبارات فوق سن الطفل ، كل ذلك اعتمده واقصده في كثير من الاناشيد لايماني بقدرة الطفولة على الالتقاط ، والادراك بالفطرة ؛ صغارنا يفهمون باحساسهم المتحفز اكثر مما يفهم الكبار احيانا بعقولهم الصلبة المرهقة ... وهدف اخر .. اريده من هذه الكتابة لعله اهم ما يدفعني الى ان يكون نتاجي كله شعرا حتى الان .. انه الموسيقى .. اريد ان يغني الصغار . للحفظ والغناء .. اكتب لهم اناشيدي ومسرحياتي الشعرية قبل ان تكتب للقراءة ، والفهم ، والتفكير .. ولتبق بعض الصور صعبة غامضة .. لتظل في اعماق الطفل كنزا صغيرا يشع ويتفتح باستمرار ، ويوحي له على مر الاعوام .. عندما يكبر ستكون له هذه الاسرار الغامضة زادا له ، وذخيرة متواضعة ، يضيف اليها ما يشاء ويبني فوقها ما يشاء »(١٣)

ولكننا نعلم ان الغرض من تقديم الشعر للاطفال هو خلق استجابات ذهنية لديهم تجعلهم في موقع جديد ، يشاركون فيه الشاعر حالاته الوجدانية يوم ابدع مقطوعته ، ويتذوقون مواقع الجمال عن طريق الصور الملهمة والافكار الجميلة التي تدفع بهم الى التأمل والتفكير ، وتهيء لهم فرص الاستمتاع ، لا تقديم صيغ يحفظونها دون ان يتبنوا ما فيها من ايحاءات . واحتواء الشعر على افكار او كلمات غامضة تسبب اعاقة التلقائية في تقبل الافكار والقيم والمفاهيم ، وتحول دون معايشة الاطفال للشعر والتأثر به .

وحفظ الشعر ليس الا مهمة جانبية من مهام شعر الاطفال • واستعدادهم لحفظ قصيدة ما ، لا يعني انها تلائم اذواقهم ومداركهم• وحتى لو استعادوها مرة تلو مرة ، ، فان هذا لا يعبر عن تذوقهم لها ، خاصة وان علماء النفس يؤكدون ان للطفل قدرة على التذكر الآلي •

ووضوح التذكر الالي Rote memory عند الاطفال الصغار يفسر لنا قدرتهم على استرجاع الاناشيد دون اى فهم للمعنى ، ويرجع تفضيلهم للاسترجاع الذي لا يقوى على الفهم الى ان قدراتهم العقلية محدودة ، ولهذا يلجأون الى التذكر الاسترجاعي الالي ـ ولكن حين ينمو الطفل عقليا ، وتكون مادة الحفظ في مستوى ادراكه ، نجده يفضل التذكر القائم على الفهم ، وهو يبذل في الحفظ مجهودا اقل في حفظ المادة غير المفهومة(١٤) •

وتذوق الشيء معناه ـ كما يقول د • ستانلي جاكسون ـ ادراك قيمته ادراكا يجعلنا نشعر به شعوْرا شخصيا مباشرا ، وفي نفس الوقت نسعر حياله برابطة وجدانية ، تدفعنا الى تقديره وحبه والاندماج فيه بحرارة • واذا كان التذوق امراً يغلب عليه الوجدان او الانفعال ، فانه الى جانب ذلك ايضاً يتصل بالتفكير ويحتاج الى قدر من الفهم، ولهذا نكون اكثر استعدادا لتذوق الشيء اذا فهمنا معناه (١٥) •

ونحن لا ننفي ان كثيرا من كلمات شعر الاطفال التي لا يعرف لها الطفل معنى بادىء بدء ، قد تصبح ضمن قاموسه اللغوي والادراكي حين يستطيب ايقاعات القصيدة وموسيقاها ويفهم افكارها ومعانيها • الا ان اقحام كلمات والفاظ وافكار تفوق المستوى النفسي والاجتماعي والادبي للطفل فان ذلك يحول دون فهم الطفل للشعر ومن ثم عدم الانفعال به •

ويمكن القول ان شعرا للاطفال لم يظهر في واقعنا الادبي بعد ، وكان الشاعر سليمان العيسى قد اكد ذلك منذ بضع سنوات حين قال : « ادبنا العربي يكاد ان يكون فارغا فراغا محزنا من ادب الاطفال ولا سيما شعر الاطفال »(١٦) •

وبسبب ذلك هناك من يدعو الى انتقاء بعض القصائد الشعرية البسيطة التي يمكن العثور عليها في تراثنا الشعري القديم او المعاصر •• ولكن هـذا الشعر لم يكتب اساسا للاطفال حتى وان بدت فيه بعض ملامح البساطة ، ولم يراع الشعراء فيه مستويات الاطفال الادراكية والخيالية ، يضاف الى ذلـك ان الصور الحسية والذهنية التي رسمت فيه غير متواجدة اليوم في واقع الاطفال ، ان لم تكن بعيدة عنه كل البعد •

والواقع اننا نجد اليوم في بلدان العالم المتقدمة ألوانا رائعة من شـعر الاطفال ، يستمتعون به من خلال الاذاعة المسموعة والمرئية التي استطاعت ان تخلق جمهورا من الاطفال يستعذبون سماعه ، خاصة ، حين ترافقه الموسيقى التصويرية او المؤثرات الضوئية او الرسوم المعبرة ، فتزيد من حرارته ودفقه•

كما ان الكتب والمجلات تقدم للاطفال فيضا مـن المقطوعات والقصص الشعرية ، ويتولى مخرجو تلك الكتب والمجلات بعث الحياة فيها عن طريـق اخراجها اخراجا يجتذب الاطفال ، مستعينين بالرسوم الملونة التي يبدعهـا فنانون كبار لا مجرد رسامين لا يمتلكون غير المهارة اليدوية في الرسم •

واكثر الوان شعر الاطفال شيوعا هو الشعر القصصي •

واذا كان من الضروري الاشارة الى القسمات العامة للشعر المناسـب للاطفال ، فاننا نكتفي بايراد الجوانب التالية :

ـ استخدام الكلمات التي يتسع لها قاموس الاطفال اللغوي والادراكي ، وان تكون الكلمات ذات انسجام خاص •

ـ ان يتجانس اللفظ مع المعنى ، اي ان يكـون اللفظ رقيقاً في المواقـف الرقيقة ، وان يكون قوياً في المواقف القوية •• وان يتناسب اللفظ مع المعنى ، بعيدا عن الحشو المخل ، والقصور الذي لا يفي بالمعنى •

ـ ان يطفح شعر الاطفال بالايقاع والموسيقى اللذين يوحيان بمعان تتجاوز المعنى الذي تدل عليه الالفاظ •

- ان يحمل افكاراً وقيماً تمد الاطفال بالتجارب والخبرات ، وتجعلهم اكثر احساسا بالحياة وان تكون تلك الافكار واضحة ، يستطيع الطفل ان يدركها •

- ان يشيع الخيال المنشىء في شعر الاطفال ، لان ابرز ما يميز المعاني في الشعر انها تنقل الاطفال الى آفاق رحيبة •

- ان يكون شعر الاطفال الصغار مرتبطا بحواس الطفل والخيالات المستندة الى تلك الحواس ، وان يكون شعر الاطفال الكبار مرتبطاً بالخبرات والصور الذهنية العامة •

- ان تكشف كل مقطوعة شعرية فكرة او جانبا من جوانب الجمال في الحياة والطبيعة •

- ان لا يتسع شعر الاطفال للعواطف والانفعالات الحادة كالحزن والقلق واليأس والحب المشبوب ، وما الى ذلك •

- ان تتوفر فيه الجاذبية التي تدعو الاطفال الى التعاطف مع ايقاعاته وافكاره وما ينطوي عليه من انفعالات ، من خلال الحيوية التي يضفيها الشاعر والصور الحسية والذهنية التي يرسمها والصيغ الطلبية كالاستفهام والنداء التي يدخلها ، فتجعل الطفل اكثر انشدادا •

- ان تكون لغة شعر الاطفال لغة عربية فصيحة بسيطة •

- ان يتلاءم شعر الاطفال ، شكلا ومضمونا ، مع مستويات نمو الاطفال الادبي والعقلي والعاطفي والاجتماعي • لان لكل مرحلة من مراحل الطفولة ما يناسبها من الشعر •

الفصل الثالث

موسيقى الأطفال وأغانيهم

كثيرا ما كان هشام ، الذى لم يبلغ الثالثة من عمره بعد ، يردد لوحده ، عبارة « حبك .. حبك .. حبك نار » وكنت اتساءل :

هشام .. هذا الذي يحيا اليوم بداية مرحلة الواقعية والخيال المحدود بالبيئة يغني هذه الاغنية .. فما الذى يا ترى يفهم منها !؟ .

انه يفهم شيئاعن كلمة « حبك » لانها تتكرر امامه كل يوم مرات عديدة، وخاصة حين يغرقه اخوه بالقبلات ويكرر على مسمعية « احبك » .. انه اذن يفهم الحب كشيء رائع ... ولكن ما الذي يفهمه حين يقترن الحب بالنار .. النار التي نحذره دوما من خطرها ؟ !

لا شك ان ذلك محيّر لنا مثلما هو محيّر لهشام الصغير ، خاصة وانه ما يزال في مرحلة من الادراك يربط بين الكلمات والمفاهيم البسيطة ربطا ماديا لا منطقيا .

اذن ، نحن اوقعنا الطفل في حيرة ، في وقت ينبغي لنا فيه ان نجنبه مثل هذه المواقف في مثل هذا العمر ، اضافة الى اننا فرضنا عليه كلمات من خارج قاموسه اللغوي ٠

واطفالنا « طربا » يطربون لاغاني الكبار ، ويرددونها بكل ما فيها من افكار مهزوزة ، وعواطف ماجنة ، وانغام ناشزة ، اضافة الى انها لا تناسب طفولتهم ولا تناسب حناجرهم ولا امكانياتهم في الاداء بدلترديدهم لكلمات منغمة جميلة ، والحانا رخيمة عذبة خاصة بهم تعمق في نفوسهم قيما جمالية وتسمو بعواطفهم ، وتثير في وجداناتهم نوازع فنية ، وتنمي اخيلتهم ، وتنزع عن نفوسهم رواسب من العواطف الغامضة او الحزينة ، وتحرك احساساتهم ومشاعرهم وتمنحهم لونا من المتعة ٠

ومن حق الاطفال ان يتسابقوا الى سماع اغاني الكبار وترديدها لانهم لم يجدوا اغانيهم الخاصة ، فظلوا نلمآى لا يجدون ماتستمرئه اخيلتهم ، ولا ما تستطيبه مسامعهم غير ذلك السيل الغريب عنهم والذي لا يمكن الا ان يزيد في فقرهم الى التخيل والتذوق والاستمتاع ٠

واغاني الكبار هي تعبير عن آلام الكبار وآمالهم وتجاربهم وذكرياتهم ، وفي كثير من الاحيان تبدو تلك الآلام والذكريات والتجارب والآمال خليعة ماجنة ٠ فقد حملت كثير من الاغاني الكبار في وطننا العربي مفاهيم وافكاراً رخيصة وانطوت على انفعالات متشنجة وعواطف سقيمة وخيالات هشة ٠

ومثل هذا الفيض الذى يتدفق على مسامع الاطفال ذو اثر ضار في الطفولة ، بل وحتى لو توفرت اغان للكبار تصور الحياة تصويرا امينا ، وتجسمها في كلام جميل ولحن عذب ، وصوت ساحر ، فهي اغان للكبار وحدهم ، لان لأغاني الاطفال خصائص تميزها كثير من القسمات عن اغاني الكبار ٠

والموسيقى هي لغة النغم التي تتخذ لها شكلا فنيا خاصا من اشكال

التعبير ، او هي شعر يتخذ من الانغام بديلا عن الالفاظ . فانغام الموسيقى هي عبارات لحنية تنطوي على ما للكلمات من معان . وعلى هذا فالموسيقى هي بناء ادبي يخاطب عقول الناس ومشاعرهم فتتحرك له وتتأثر به .

وهذا اللون الادبي له بنيانه الخاص وخصائصه المتميزة وقدراته الواسعة التي لا تتوفر لغيره من الاجناس .

ومع اننا نسمي الموسيقى لغة ـ لان اللغة ، اية لغة ، تتألف من كلمات تعبر عن رموز ذات دلالة ، والانغام هي الاخرى لون من تلك الرموز ذات الدلالة ـ الا ان هذه اللغة الموسيقية تتجاوز حدود اللغة التي قد تقف عند حد معين في التعبير عما يجيش في النفس .. كما انها من جانب اخر لغة يفهمها الناس دون الاستعانة بقاموس او معجم . فانت قد تنتشي لموسيقى ابدعتها مخيلة فنان حتى لو كنت تجهل لغته ، لذا قيل عن الموسيقى انها لغة عالمية ، تحدث الناس جميعا كبارا وصغارا ، متخطية قيود الزمان والمكان .

والموسيقى تهدىء من المشاعر المتشنجة ، وتخفف من اعباء الانسان ، كما انها تلهب الروح الوطنية ، وكذا يمكن ان تكون وسيلة لتغيير الافكار ، ومصدرا للالهام ، ومن ذلك ما حدث في بروكسل حينما انصتت الجماهير الى إحدى الاوبرات التي شحنتهم بالالهام فهرعوا ليشعلوها ثورة عارمة انتهت بانفصال بلجيكا عن هولندا (١) .

وتعتبر الموسيقى مصدرا غنيا بالبهجة سواء اكان الفرد مجرد مستمع ام كان يقوم بدور ايجابي في العزف والغناء ، والسلوك الايقاعي يرمز للكثير من نشاطاتنا في الحياة ..

كما ان الطب في سبيل الكشف عن قيمة الموسيقى كوسيلة علاجية مصاحبة . فمثلما وجد الطب العقلي ان للموسيقى اثرا فعالا في حالات الامراض العقلية ، كذلك وجد في الصناعة ان الانتاج يزداد عن طريق رفع الموسيقي للروح المعنوية وقتل الملل . ويذكر علماء وظائف الاعضاء ان الجزء

الاكبر مما نسميه بالتعب هو في الغالب ظاهرة عقلية اكثر من كونها جسمانية، وانه علامة من علامات الملل اكثر من كونه تعبا عضليا ، وتلعب الموسيقى دورا في تخفيفه • (٢)

ويذكر المربون ان الموسيقى اداة من ادوات التربية الخلقية والحسية والعاطفية ، ووسيلة من وسائل التعليم •

والاغنية مظهر من مظاهر الموسيقى تستعين عادة بالشعر الى جانب الانغام •

الموسيقى
والاطفال

يطرق الغناء اذان الاطفال منذ ايام المهد الاولى ، عن طريق ما يسمى باغاني المهد او اغاني الترقيص ، حيث ينصت الاطفال الى اصوات الامهات اللواتي يغنين اغنيات ذات ايقاع رتيب في الغالب ، لتهدئة الاطفال وبث الطمأنينة في نفوسهم وذر النوم في عيونهم •

وهذه الاغنيات تشيع في جميع بلدان العالم ، وتتناول اقاصيص شعرية قصيرة منغمة او مجرد تصويت لحني •

ويحفل تراثنا الشعبي بوافر من هذه الاغنيات ، وهي تتناول ،في غالبيتها قيما ومفاهيم اخلاقية وآمالا وتخيلات حالمة • وفي احيان اخرى تنطوي على مضامين مرعبة او يائسة او حزينة •

وتبدأ حاسة السمعوظيفتها بعد ايامparseمن ولادة الطفل، ولكن التأثربالموسيقى عزفا أم غناء ، يختلف من طفل الى اخر ، ولكن جميع الاطفال الاسوياء ، جسميا وعقليا ، يتأثرون بها ، بشكل او باخر خلال الاشهر الاولى من اعمارهم •

ويجد الاطفال لذة في تقليدهم لبعض الاصوات • وقد اظهرت التجارب ان الاطفال ذوي الاستعداد الموسيقي يمكنهم ترديد النغمات الموسيقية

القصيرة في النهر الثامن او التاسع من اعمارهم[٣]. اما الاطفال الاعتياديون فانهم يبدأون تقليد الاصوات مع بداية العام الثاني من اعمارهم .

وحين يوقع الطفل بعض الايقاعات او يردد بعض الانغام او الاغنيات ، فانه يمارس لونا من الوان اللعب في الاصوات ، واللعب في حد ذاته حاجة من حاجاته الاساسية له دوره في اثراء عالمه المادي والخيالي .

كما ان اللعب ، بوجه عام ، يعبر عن الحالة النفسية للطفل تعبيرا صادقا لما يمتاز به من صفات الحرية والتلقائية المصحوبة بالمتعة وهو يدفع الطفل الى الاستمتاع والفحص والتنقيب والابتكار ، ويكسبه الخبرة تلو الاخرى ، ويسهم في نموه . ولهذا يعتبر اللعب وسيلة للنمو ، وهو رمز للصحة النفسية السليمة ، اضافة الى كونه نوعا من انواع العلاج النفسي لانه وسيلة لمعالجة الاطفال غير الاسوياء بتعديل سلوكهم وحل مشكلاتهم [٤] .

والاطفال ، في صغرهم لا يكتفون بمحاكاة بعض الاصوات بل يتعدون ذلك الى اصدار اصوات منغمة تعبيرا عما يختلج في نفوسهم من انفعالات كما هو الحال في تعبيرهم عن الفرح او السعادة مثلا .

ولكن هذه الاشكال من التعبير هي تعبيرات بدائية او بسيطة ، وقد تظل البدائية والبساطة تلازمها اذا لم يتم العمل على تنميتها تنمية سليمة .

والمؤثرات السمعية التي تتناهى الى مسامع الاطفال في صغرهم تعمل رويداً على تكوين اذواقهم الموسيقية .. ومن هنا يبدو دور البيئة التي يحيا فيها الطفل في تشكيل ذوقه للموسيقى .

والمعروف انه من النادر ان نجد طفلا لا يمتلك القدرة على التأثر بالموسيقى، لذا فان ابراز هذهالقدرة يتوقف على مايستمع اليه فيصغره، حيث ان ذاكرة الطفل الفنية تسجل على السواء اللحن الجميل واللحن الردىء بغير تمييز ، لذا كان من الاهمية بمكان اشباعه بالموسيقى الطيبة حتى يصبح ذا

ذوق جميل ، وان تبعد عن اذنيه كل شاعرية ملتوية ، وكل ما هو رخيص[٥]. والاطفال الذين تشيع في بيوتهم او بيئاتهم اغنيات رديئة يكون لها اثرها السيء في تربية حواس سمعهم .

ولا شك ان الطفل يستقبل في بيئته اصواتا مختلفة ، منها ما هي اصوات موسيقية ، ومنها ما هي غير ذلك . وتربية حاسة السمع ترتبط بتكوين شخصية الطفل ، وبدون هذه التربية يفتقد الطفل ذكاءه السمعي . والمرحلة المهمة في نمو الطفل موسيقيا هي مرحلة ادراكه تركيب الاصوات وتركيب الجمل الموسيقية وعلاقتها ببعضها ، ويترتب على ذلك استمتاعه بالموسيقى التي يسمعها ، ونمو قدرته الذهنية على اكتشاف الجمال فيها . والحكم على العمل الموسيقي الجيد او الرديء . ولا يستطيع الطفل ان يصل الى هذه المرحلة ن نمو شخصيته الموسيقية الا اذا مر بمرحلة تربية وظائفة السمعية بنجاح . وهكذا فان تربية الوظائف السمعية هي القاعدة الاساسية لتربية الحاسة الموسيقية الكامنة في الطفل[٦] .

وتنمية ذوق الطفل تبدأ منذ عمر مبكر ، ويمكن ان نعوده وهو في مرحلة « الواقعية والخيال المحدود بالبيئة » على التمييز بين درجات وانواع الاصوات الرقيقة ، وذلك عن طريق تعويد اذنيه على سماع الموسيقى والاصوات الصادرة عن الطبيعة والكلام المنغم والالقاء الحسن . ولكن حسن استقبال الموسيقى من خلال الاذن بشكل صحيح لا يكفي لتنمية الاحساس الموسيقي ، اذ لابد من ان يلازم ذلك تأثر نفسي داخلي ، « وهناك موسيقيون قد تدربت آذانهم تدريبا غاية في الجودة ، ولكنهم مع ذلك لا يحبون الموسيقى حبا حقيقا ، ولا يحسون اثرها في اعماق نفوسهم ، وهناك آخرون لم تتدرب آذانهم ذلك التدرب الموسيقي ، ولكنهم رغم هذا النقص الموسيقي في حاسة سمعهم يعتبرون فنانين حقيقيين سماعا وانتاجا واداء » [٧]

وموسيقى الطفل تعمل على انضاج شخصيته ، وتكاملها بوجه عام ، وعلى انضاج الجانب الوجداني بشكل خاص .. حيث انها تربي ذلك الجانب

وتعمقه بالخبرات الحية •• وتعده للتناغم مع المعاني والقيم المجسدة في العمل الموسيقي الاصيل • وهذا امر له اهميته ، فكما اننا نعمل على تنمية الجانب العقلي من شخصيات اطفالنا ، وتنمية الجانب الاجتماعي منها ، يتعين ان ننمي، فضلا عن ذلك ، الجانب الوجداني ، ذلك لان الجوانب الثلاثة مرتبطة ومتكاملة ، واذا ما حدث تخلف في واحد منها تاثر الجانبان الاخران واختل توازن الشخصية [٨] •

ويدخل في اطار ذلك كون موسيقى الطفل اداة تطبع ضمائر الاطفال وامزجتهم بطابع فني ، وتنمي احساساتهم بالجمال • وتهيء الفرص لحسن استخدام اوقات الفراغ ، واكتشاف الامكانات والطاقات • وحين يشارك الطفل في الاغاني الجماعية فانه يكتسب شعورا بكيانه كوحدة لها دورها في الجماعة •

يضاف الى ذلك ان الموسيقى تشيع البهجة في نفوس الاطفال ، وتشبع ميلهم الى الايقاع والحركة ، وتثري خيالاتهم • وتزيد قوة تعبيرهم الادبي واللغوي •

اما عن قيمة الموسيقى في التربية فانها ذات شأن ، وقد ادرك ارسطو (٣٨٤ – ٣٢٢ ق • م) منذ حين قيمة الموسيقى في هذا المجال ، فتحدث عن ذلك حديثا مسهبا ، حيث قال عن الغاية الاساسية للموسيقى ، بانها وسيلة للاستمتاع العقلي ، وان لها مع ذلك مزايا خلقية ، لانها تبث في النفس الشجاعة والاقدام ، والميل الى الرقة والعطف في التعامل ، وتثير العواطف والانفعالات الطيبة • وعلى هذا فهو يرى ان من الموسيقى ما هو متعة وتهذيب للعقل ، ومنها ما هو مقوّم للاخلاق ، ومنها ما هو مروح للنفس ومهدىء للاعصاب • [٩]

وقال افلاطون (٢٠٥ – ٢٧٠) في كتابه الجمهورية :

« ان الموسيقى علم تجب معالجته كالرياضة البدنية ، فالاولى تهذب النفس وتصلح ما فسد منها والاخرى تقوي الجسد » ، وقال : « ان

الموسيقى غذاء النفس ، ومبعث الاتزان وهي منحة آلهة الفنون الحرة التي تحول فينا من شاذ متنقل الى محكم ثابت ، وترد كل تنافر الى جناس متناسب، وتبصرنا طريق الهدى » • كما قال « اننا نعلق اهمية قصوى على التربية الموسيقية لان الايقاع والتناسب يغوصان الى ابعد الاعماق من اغوار الروح، ويسيطران اقوى سيطرة عليها ، حاملين رقة الشمائل ، ومؤثرين في الانسان ما يجعله رقيق الشمائل اذا احسن المنهل »

وتعنى بلدان العالم المتقدمة اليوم بموسيقى الاطفال ، حيث تدرس التربية الموسيقية كمنهج دراسي في المدارس ، اضافة الى اهتمامها بانتاج الاغاني لتقدم من خلال محطات الراديو والتلفزيون او تقدم لهم في نواديهم واماكن تجمعاتهم •كما تطبع في كتب جذابة ملونة مع النوتات الموسيقية المبسطة •

وكان مؤتمر التربية الموسيقية الذي نظمته اليونسكو في بروكسل عام ١٩٤٨ قد بحث موضوع التربية الموسيقية في مدارس العالم ، واصدر توصيات تؤكد على ضرورة الاهتمام بالموسيقى ودعمها من قبل الجهات المختصة نظرا لاهميتها التربوية ، حتى ان المؤتمر ذهب الى ابعد من ذلك ، فافرد بحوثا خاصة حول اثر الموسيقى في التربية وتقويم الجانحين •

وعالج هذا الموضوع المؤتمر الثاني للمجمع العربي للموسيقى الذي عقد في طرابلس (ليبيا) عام ١٩٧٢ • وكانت توصيته الاولى الموجهة الى وزارات التربية في الوطن العربي : ان تعطي مادة التربية الموسيقية من الاهتمام في المدارس ما تعطي لمادة اللغة العربية •

الموسيقى

المناسبة للطفل

- من المناسب بناء موسيقى ترافق اوجه نشاط مختلفة كالاعمال والالعاب والرقصات والتمثيليات والمسرحيات والقصص الشعري •
- من المناسب بناء موسيقى واغنيات جماعية •

ـ من المناسب بناء موسيقى تستهدف تربية الاذن قبل كل شيء للاطفال الصغار ، لان التذوق الموسيقي يعتمد على خبرة حاسة السمع •

ـ من المناسب بناء موسيقى تستهدف تهذيب الالفاظ والكلمات ومثل هذه الاغاني تصلح للاطفال الصغار ايضا ، حيث تساعدهم على نطق الالفاظ والكلمات بشكل صحيح•

ـ من الممكن تهذيب كلمات بعض الاغاني الشعبية والاستفادة من الحانها الدافقة •• ويستمتع الاطفال بمثل هذه الاغاني لانها قريبة اليهم •

ـ من الضروري ايجاد مقطوعات موسيقية للاطفال ، لا تستعين بوسائل تعبير اضافية كالكلمات ، بل تكتفي بالاداء الموسيقي وحده •

ـ يترتب ان تتلاءم الحان الاغاني واذواق جمهور الاطفال ، مع العمل على الارتفاع بمستويات اذواقهم شيئا فشيئا ، ولا شك ان للالحان اهمية كبيرة في اغنية الطفل، وكثيرا ما يستمتع الاطفال بترديد اغان ذات ألحان جميلة رغم انهم لا يفهمون معاني كلماتها •

ـ ينبغي ان تتميز الالحان بالحركة كي تحتفظ الموسيقى بقوتها على التعبير• ويستمتع الاطفال كثيرا بالحركة والايقاع •

ـ ان تخرج اغاني الاطفال في معانيها عما ألفناه ـ نحن من اغان ذات نوازع فردية ضيقة •

ـ ان تتناسب موسيقى الاطفال غناء وعزفا مع مراحل نمو الاطفال الحسي والادراكي والوجداني • لان ما يناسب الاطفال فيمرحلةالطفولة المبكرة لا يناسب الاطفال في مرحلة الطفولة المتأخرة •

ـ ان تحمل كلمات الاغاني معاني صادقة تجسم الحياة بكلام جميل عذب• وان تكون الاصوات المؤدية للغناء ساحرة جذابة •

ـ ان تفيض اغاني الاطفال بكلماتها والحانها بالمرح والتفاؤل •• وان تكون

كلماتها وتعابيرهـــا يسيرة يســـهل على الاطفال فهمها ، وان توحـي اليهم بمعان وافكار وصور قريبة الى عالمهم وافاق خيالاتهم • وان تكون طافحه بالامل والقوة والثقة بعيدا عن كل ما يثير احزان الطفولة ويدعوها الى الاتكالية والخمول والتحسر •

ـ ان تتناسب الاغاني التي يؤديها الاطفال مع المستوى الادائي اضافة الى المستوى الادراكي لهم •

ـ ان يكون اسلوب الاغاني سلسا واضحا حافلا بالصور الجميلة المشرقة •

ـ ان تتناول موضوعات ومعان وشخصيات واسماء محببة الى الطفولة •

وهنا لابد ان نشير الى ان اغاني الاطفال ليس بالضرورة ان يغنيها الاطفال انفسهم • بل ان احب الاغنيات اليهم هي التي يغنيها الكبار •

الباب الرابع

وسائط الأطفال إلى آبائهم

الفصل الاول

صحافة الأطفال

المبحث الاول

نظرة عامة

يقال ان اول صحيفة للاطفال اصدرها بين ١٧٤٧ -١٧٩١ في فرنسا اديب لم يفصح عن اسمه ، واتخذ اسما مستعارا هو « صديق الاطفال » واطلق نفس الاسم على الصحيفة ، وخالف ذلك الاديب في كتاباته منهج اتباع جان جاك روسو الذين كانوا يحرصون على التربية الاستقلالية الطبيعية . وامتازت كتاباته بالسهولة والرشاقة . وقد نقل عن طريق صحيفته الى الاطفال الفرنسيين قصص الاطفال في البلدان الاخرى من اللغات المختلفة . وبذلك استطاعت ان تسد فراغا كبيرا من ميول الاطفال ، وان تشبع رغبتهم في القراءة المسلية الممتعة بعيدا عن النصائح والارشادات الاخلاقية والتعليمية . وكانت هذه المجلة بعثا لحركة الكتابة للاطفال (١) .

ولكن اكثر الذين يتحدثون عن نشأة صحافة الاطفال يقولون ان اول صحيفة للاطفال في العالم ظهرت عام ١٨٣٠ في فرنسا • وبعد حين اصدر بولتيزر ملحقا لجريدته « العالم World » عام ١٨٩٦ في الولايات المتحدة الامريكية ، يضم رسوما لمغامرات طفل في شوارع نيويورك •

وقد سبق ذلك صدور صحف خاصة بالتلاميذ تحت اشراف هيئات علمية او تربوية تعنى باخبار المدارس والدراسة وتستهدف غرس المعلومات العلميةوالادبية والفنية في اذهان التلاميذ •

وفي الوقت الذي كانت فيه اكثر الصحف الاولى مجرد صحف تسلية او اشبه بشرائط فكاهية يقبل عليها الكبار المتعبون في شبهقراءة او قراءة يسيرة لا عناء فيها ، كانت الصحف الاخرى صحافة مدرسية • اما صحافة الاطفال العامة ، فيبدو انها ظاهرة عصرية لم يلتفت اليها احد الا بعد ان تغيرت النظرة الى الطفل باعتباره كائنا له خصائصه المتميزة •

وتتضح اليوم فوارق عديدة بين الصحف المدرسية وصحف الاطفال العامة •• وتحديدنا لما تعنيه الصحافة المدرسية تضع لنا بعض مؤشرات تلك الفوارق •

فالصحافة المدرسية ، التي تتولى اصدارها المدارس ، تعني بوجه خاص بالحياة المدرسية ، باعتبارها مجتمعا متميزا ، كما ان هذه الصحف تلتزم ـ في الغالب ـ بمادة صحفية محددة ، تستهدف تطوير الحياة المدرسية وتربية الطلاب تربية فكرية الى جانب التعليم والثقافة والترويح • وبعض الصحف المدرسية تخطت اسوار المدرسة الى البيئة • والذي يميز هذه الصحف انها تخاطب جمهورا قريبا الى التجانس من جوانب عديدة • ويشارك المعلمون والتلاميذ ، عادة ، في تحريرها • وهناك صحف مدرسية تتولى اصدارها جهات تعليمية او معلمون او مربون وتوزع ، في الغالب ، على تلاميذ وطلبة المدارس•

واذا كانت صحافة الكبار هي واحدة من الادوات الفاعلة في تكوين

الرأي العام ، فان صحافة الاطفال هي اداة من أدوات تشكيل الطفولة ، وتهيئتها لتكون طاقة خلاقة ، في حاضرها ومستقبلها •

ولصحافة الاطفال خصائص تميزها عن بقية وسائط مخاطبة الطفولة منها : كونها فنا بصريا يعتمد على الكلمة المطبوعة والصورة واللون ، وهذه العناصر تتميز بالثبات حيث يستطيع الطفل ان يقرأها أو يتمعن فيها أو يستمتع بها مرة بعد مرة ، في أي وقت يناسبه ، وحسب ذوقه •• كما ان الانتظام الدوري هو خصيصة ذات أهمية في صحف الاطفال ، لانه يميزها عن الكتابة المتقطعة المتباعدة •

ولصحافة الاطفال ، باعتبارها وسيطا من وسائط مخاطبة الطفولة ظروفها الخاصة ، وهذه الظروف ، تفرض ـ بين ما تفرض ـ اسلوبا خاصا بها ، يشعر الطفل بخفته وسهولته وجماله ، وتوحي له الكلمة المطبوعة بالفكرة المانعة المؤثرة ، وتهذب الصورة ذوقه ، وتتيح لخياله أن ينطلق ، وتغري الالوان بصره ، وعند هذا تكون الصحيفة رفيقة حبيبة للطفل ، تقدم له الحقيقة والفكرة دون أن تتعبه او ترهقه ، بل هي تدخل المتعة معها الى نفسه • والاطفال يطمحون الى معرفة الحقائق دائما ، ولكنهم يريدونها دون عناء كبير ، تستعين صحف الاطفال بمختلف الفنون الادبية والتشكيلية لتبدو امام الطفل مشوقة مغرية يسيرة •

ولصحافة الاطفال دورها البالغ في تنمية الطفولة عقليا وعاطفيا واجتماعيا وادبيا ، لانها اداة توجيه ، واعلام ، وامتاع ، وتنمية للذوق الفني ، وتكوين عادات ، ونقل قيم ومعلومات وافكار وحقائق ، واجابة لاسئلة الاطفال ، واشباع لخيالاتهم ، وتنمية ميولهم القرائية • وهي بهذا تؤلف أبرز أدوات تشكيل ثقافة الطفل ، في وقت اصبحت الثقافة فيه ابرز الخصائص التي تميز هذا الفرد عن ذاك وهذا الشعب عن ذاك •

المبحث الثاني

انواع صحف الاطفال

هناك صور مختلفة ومتعددة لصحف الاطفال .. فبالنسبة الى الشكل تقسم الى مجلات وجرائد ، وبالنسبة الى المضمون تقسم الى صحف جامعة ، واخرى هزلية ، وثالثة اخبارية ، ورابعة رياضية ....، وبالنسبة الى الجهات التي تتولى اصدارها هناك صحف تصدر عن الهيئات والمنظمات واخرى تصدر عن شركات للنشر بقصد الربح ..

أما بالنسبة الى مراحل نمو الاطفال ، فهناك صحف خاصة بالاطفال في مرحلة الواقعية والخيال المحدد بالبيئة (٣ ـ ٦ سنوات) ، واخرى للاطفال في مرحلتي الخيال المنطلق والبطولة (٦ ـ ١٢) وثالثة للاطفال في مرحلة المثالية أو الرومانسية (من ١٢ الى نهاية مرحلة الطفولة) .

ونجد صحفا خاصة بالبنات على نطاق محدود .

ونتناول فيما يلي بعض انواع صحف الاطفال ، ونشير الى اننا لم نتبع اساسا محددا في تصنيفنا هذا ، بل اكتفينا بتناول أكثر التسميات

شيوعا • مع العلم ان هناك تصنيفات من حيث الموضوع ، واخرى من حيث الاسلوب ، وثالثة من حيث أعمار الاطفال •

الصحف الجامعة :

وهذه الصحف هي من أكثر صحف الاطفال شيوعا ، وتعنى في العادة بنشر المغامرات والقصص والمسلسلات المصورة والطرائف والفكاهات والمسابقات والمعلومات العامة والاخبار والتحقيقات والاعمدة القصيرة • وتشكل الصحيفة الجامعة أو صحيفة المنوعات اضمامة ملونة يتبارى الاطفال لاحتضانها •

وهذه الصحف التي تعتمد على التنوع لاتريد للملل ان يتسرب الى نفوس الاطفال ، بل تريد أن تنقلهم من هنا الى هناك في أوقات قصيرة كي يظل شوقهم في تجدد مستمر • والتنوع لايعني الاختيار العشوائي لأشتات متفرقة ، كما قد يحسب البعض ، بل يمثل لوحة متكاملة تمتزج فيها الالوان الادبية والفنية بصورة متناغمة يجعلها في مجملها قطعة أدبية وفنية تثير ذوق وخيال وذهن الطفل ، دون أن يتسرب اليه شيء من السأم •

والتنوع لايشمل المضمون وحده ، بل يتعداه الى الشكل ، اسلوبا ولغة ، كما يشمل أيضا اخراج المواد على صفحات المجلة ، ويصل التنوع أحيانا الى الالوان والرسوم والحروف •

ويشارك في تحرير هذه الصحف عديد من الكتاب والمحررين والفنانيين ، كل يبدع باسلوبه الخاص ، دون الخروج على الخط العام ، ولكن بعض الصحف الجامعة تكتفي بتنويع موضوعاتها دون التنوع بالاساليب والاشكال الفنية •

صحف المسلسلات المصورة :

يجد الاطفال في البلدان الغربية ، بوجه خاص ، في أسواق الكتب والمجلات فيضا من صحف الهزليات المصورة Comics • وهذه الصحف

تعتمد على النكتة السريعة التي كثيرا ما تكـــون مقلبا او خدعة او محاولـة يائسة ، وقد لاتكون الا مغامرة أو جريمة ، وقوامها في العـــادة الرسوم المتتابعة التي تمثل كل واحدة مشهدا كاملا مع مسمع قصير مطبوع ، منها ما يضحك ومنها مالا يضحك .

واساس الهزليات باعتبارها سلسلة من الرسوم ، هو الصورة الهزلية المفردة ، وهذه الاخيرة كانت قد دخلت الصحافة الامريكية في السادس عشر من شباط عام ١٨٩٦ ، حينما نشرت صحيفة World مسلسلا مصورا[٢] .

ورغم ان صحف الهزليات المصورة هي من الصحف الشائعة كثيرا في أميركا واوربا وبعض البلدان النامية ، الا انها تواجه نقدا شديدا يصل الى حد القول انها تفسد خيال الاطفال ..

وهنا ، ننبه الى ان تقبل الاطفال لهذه الصحف وتسـابقهم من اجل الحصول عليها لايعني انها مناسبة لهم ، لان الاطفال لا يمتلكون القدرة على تبين مواطن الضرر فيها .

ان الصور المتتابعة التي تملأ صفحاتها ، تبلبل ذهن الطفل وتربكه ، اضافة الى ان الرسوم المتجاورة بهذه الشاكلة تضعف بعضها بعضا ، وبذلك تفقد الرسوم قيمتها الجمالية .

وهي أيضا ، تحد من خيال الطفل في مشاهد محددة تكون في الغالب واضحة كل الوضوع بحيث يسهل على الطفل فهمها ، دون الرجوع الى المادة المكتوبة الى جانبها . ولهذا آثاره الضارة في الطفل ، لان السرد الذى يرافق الرسوم الذي يتحدث به الابطال يكون عادة خاطفا وسريعا ، وقد لايشكل اسلوبا ادبيا يجد فيه الطفل ما يمتعه كما لا يجد فيه ما يثري ثقافته .

. يضاف الى ذلك ان الهزليات المصورة تفوّت على الطفل فرصـة اثـراء قاموسه اللغوي .. واخطر من ذلك انه بمرور الـزمن يعتاد عـلى القراءات السريعة العابرة ، ويكتفي بالمشاهدة دون القراءات الجادة المطلوبة .

وفي اميركا واوربا صيحات عالية ضد صحافة الكوميكس ، وهـــذه الصيحات تقول ان خيال الاطفال قد اصيب بالمرض لاسباب عديدة من ابرزها هذا اللون من الثقافة التي تمثل ارخص ثقافات العصر •

ويقول نانس لارك في كتابه « دليل الاباءالى قراءات الابناء » وهـــو يتساءل :

« لماذا يقرأ الاطفال مجلات الكوميكس ؟

ثم يجيب »

اولا : لان مجلات الكوميكس ترضي رغبة الطفل في الحركة والمغامرة

ثانيا : الحوادث تتحرك بسرعة ، والحوادث الاعتراضية قليلة وقصيرة وهذا يعني اشباعا •

ثالثا : انها سهلة القراءة ، بل ان الامي يستطيع فهم القصة مـن الرسوم والصور •

رابعا : ان من الميسور الحصول عليها بارخص الاسعار ، لان مادتهـا رخيصة

خامسا : ان الجميع يقبلون عليها • فتحكم الاطفال هنا نفسية القطيع ، حتى ان الذي لا يقرأها يصبح غريبا •

سادسا : ان هنالك اطفالا كثيرين لا يجدون شيئا اخر يقرأونه ، فهـم لا يعرفون شيئا عن الكتب او كيفية الحصول عليها •

وفي كتاب « الاطفال والكتب » اشارت مؤلفته الامريكية ماري هيل ان مجلات الكوميكس قد تضاعفت وزاد فيضها ، وغمرت الاسواق من اجـل الربح المادي على حساب الاطفال المتوترين ، حيث يقرأها من الاطفال مــن الاولاد بين (٦ سنوات الى ١١ سنة) ٩٥٪ ومن البنات ٩١٪ ومن الرجال ٤١٪ ومن النساء ٢٨٪ وتشير المؤلفة ، الى ان تلك الصحف تدرب الاطفال على ارضاء

رغباتهم السريعةالملحة ثم ينتهي استمتاعهم بها بانتهاء القراءة، دون ان ترسب في نفوسهم قيمة انسانية واحدة ، كما انها لا تدربهم على القراءة الجادة والبحث والدراسة .. ، وقد تؤدي بهم الى ان يخلطوا بين الواقع والخيال ، ويصبحوا اشبه بالبلهاء والمعتوهين(٣) .

والمشكلة الكبيرة هي ان هذا الاسلوب قد سيطر على صحافة الاطفال في بعض البلدان النامية ، ومن بينها اقطارنا العربية ، حيث نجد صحفا في القاهرة وبيروت وغيرها من العواصم العربية تتولى اغراق الاطفال بهذا الفيض من الثقافة الرخيصة .

وتتخذ كثير من المسلسلات المصورة من الحيوانات ابطالا لها مثل الرسوم التي تنتجها شركة والت دزني وتغرق بها مجلات كثيرة في العالم .

ويلاحظ ان المسلسلات المصورة اخذت تنتشر في الصحافة الى حد كبير بعد ان ظهرت افلام الكارتون ولاقت اقبال الاطفال .. ولكن النجاح الذي تحقق لافلام الكارتون لا يمكن ان يتحقق للمسلسلات المصورة من خلال الصحف ، نظرا لاختلاف طبيعة وقدرات الفلم عن طبيعة وقدرات الصحيفة .

وعلى اية حال فان هذا اللون وما يشابهه من الحكايات السهلة رغم انها تصنف في قائمة الادب ، الا انها لا ترتبط بالادب الا برباط رقيق (٤) .

صحف الاطفال الاخبارية :

تعنى صحافة الاطفال الاخبارية بالانباء وتفسيراتها بشكل خاص ، ولكنها لا تقتصر على ذلك ، اذ نجد في مثل هذه الصحف الى جانب ذلك : قصصا وحكايات وطرائف وتقارير وتعليقات ورسوما كاريكاتيرية وتحقيقات صحفية . ولكن الغلبة تظل في مثل هذه الصحف للطابع الاخباري .

ويتصور البعض ان الاخبار ، كأخبار ، لا تهم الاطفال ، وهكذا يتصور الاطفال ايضا .. ولكن الاخبار في الواقع ليست حوادث مجردة ، بل هي تصوير ذهني لتلك الحوادث وتقرير عن المواقف والافكار .

والحوادث ، في حد ذاتها ، قد لا تعني شيئا كثيرا ، ولكن بفضل الصور الذهنية التي نشكلها لها من خلال الصياغة المناسبة يمكن ان نجعلها مادة حية ترضي فضول الاطفال وتروي تعطشهم لمعرفة العالم الذي يحيون فيه ، اذا ما تجاوزنا الحوادث ذاتها الى كشف المعاني الجوهرية لها •

ويظل الاطفال في حاجة الى الاخبار ماداموا يتصفون بالفضول والقلق والخوف ، اذ ان هذه العوامل هي في مقدمة اسباب ظهور الاخبار وانتشارها• وقد قيل في تعريف الخبر انه تسجيل لمحاولات الانسان المثابرة من اجل اختراق ستر ذلك الغموض البعيد الذي يكتنف افقه •

والصحف الاخبارية تعني ، في العادة ، بأخبار الاطفال ونشاطاتهم والعابهم ومبتكراتهم وهواياتهم في كل مكان • ومع هذا فليسست مثل هذه الاخبار هي احب ما يريده الاطفال ، لان الاطفال ليسوا اصحاب قضية ، لذا لا يلتفت كثير منهم الى اخبار الاطفال الآخرين قدر ما يعنون بالصور المصاحبة للاخبار • وكل خبر قد يهم قطاعا من الناس ، ولكن ليس هناك خبر يثير انتباه الجميع في كل مكان (٥) •

ولذا ، لاتكتفي هذه الصحف بأخبار الاطفال في الدنيا فقط ، بل تتعدى ذلك الى نشر اخبار الابطال والبطولات ، مستندة الى ميل الاطفال الشديد لان يكونوا قريبين من هؤلاء الابطال ، وخير وسيلة لاقامة هذه القربى هي نقل الاخبار والتقارير عنهم •

وتعنى هذه الصحف عناية خاصة باستعراض النشاطات المختلفة في شتى ميادين الحياة العامة كالرياضة والسياسة والعلوم والفنون وشؤون البيت والمدرسة ، وكل ما يرتبط بشكل او باخر بحياة الاطفال من بعيد او قريب •

ومن اولى مزايا الخبر ، ان يتجاوب مع عامل الوقت ، وتظل معايير تقييم الخبر في جدته ، وبروزه ، وضخامته ، وغرابته ، ونتائجه المرتقبة ،

ومساسه بعالم الطفل واهتماماته وخيالاته ، كما يظل تأثيره في : الصياغة المناسبة والصور الذهنية التي نرسمها له ، ولا شك ان اي خبر لا يمكن ان نقدمه للاطفال بنفس الصيغة والصور الذهنية التي نقدمه بها الى الكبار ، وليس هذا حسب بل اننا ونحن نتحدث عن الطفل والخبر لابد ان ننزع من اذهاننا كثيرا مما علق بها عن الخبر بمفاهيمنا نحن الكبار . لان بعض الاخبار التي يتلهف الكبار لالتهامها تبدو باهته اذا ما قدمت للاطفال وما يزال الكبار يولون الاخبار «الرقطاء» عناية خاصة « ولهذا وجدنا وكالات الانباء العالمية عموما تميل الى التركيز على اخبار الحروب وصراع القوى والكوارث الطبيعية بدلا من التركيز على اخبار التطورات الايجابية»(٦) .

والمعروف ان هناك مذهبين اساسيين في نشر الخبر في صحف الكبار ، الاول يعتمد اولا واخيرا على اثارة القراء بالاستناد الى عنصرين هما غرابة الاخبار والسمة الدرامية لها ، والثاني يعنى بالاخبار ذاتها وفقا لما لها من اهمية . وصحافة الاطفال لابد لها ان تجمع بين المذهبين معا عن طريق الاهتمام بالاثارة بقدر والاهتمام بطبيعة الخبر ذاته بقدر اخر .. اي ان لانقدم للاطفال من الاخبار ما يشبع فضولهم الى الغرابة فقط ، بل نسعى من اجل اثارتهم باخبار ذات اهمية وقيمة تجعلهم اكثر احاطة بالعالم واكثر تحمسا لمزيد من المعرفة . ومن الضروري ان نضفي دوما ــ من خلال الصحف الاخبارية ــ الى حياة الاطفال الطمأنينة والثراء النفسي والابتعاد عما يقلقهم ويبعث الفزع في نفوسهم .

ومن خصائص الصحافة الاخبارية البساطة في الصياغة والتعبير كي لا يجد الطفل صعوبة وجفافا فيها .

وعملية التبسيط كثيرا ما تكون اصعب من الخلق والابتكار الفني ذاته، ولذلك لا يقوم بمهمة التبسيط سوى مبدعين من نوع جديد ، يتقنون الفن الصحفي ، ويهضمون المسائل العويصة ، ويحلون غوامضها بحيث يستطيعون الحديث عن اعظم الحقائق بابسط الالفاظ . ومن لا يستطيع هضم المادة

يسرف في العادة ، في استخدام المصطلحات ويعجز عن الايضاح ، بل قد يبلغ به الامر ان يقول النوافه والبديهيات في اعقد الالفاظ واشق المصطلحات واصعب العبارات ، فضلا عن ان عملية الهضم نفسها لا تكفي ، وذلك لان التبسيط يتعرض لدى الهاضمين لخطرين كبيرين هما الايجاز الغامض او الاطناب المخل .. لذا كان لزاما استخدام الاسلوب الذي يحافظ على المضمون ويسكن المعنى في اللفظ المناسب .

وصحافة الاطفال ، لم يتيسر لها النجاح لولا تطور الفن الصحفي وتفوقه في خلق اسلوب جديد للتبسيط والتجسيد والمسرحة الخلاقة للمعاني ، اضافة الى تطور لغة صحافة الطفل في حدود المحصول اللغوي للاطفال (٧) .

ويلاحظ ان كثيرا من صحف الاطفال الاخبارية في العالم قد انحدرت نحو الهاوية ، ففي بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية ، اضطرت كثير من صحف الاطفال الاخبارية الى التوقف ، بعد ان صارعت من اجل البقاء سنوات عديدة ولم ينتشلها من مصيرها المحتوم التجاؤها الى اجراء المسابقات واعتمادها على مراسلين من الاطفال والكبار .

ومع هذا فان هناك صحف اطفال اخبارية كثيرة في مختلف بلدان العالم تحظى بحب الاطفال ، ومنها ما يصدر على شكل مجلات اسبوعية انيقة ، ومنها ما يصدر على شكل جرائد نصفية Tabloid وهي تتناول اضافة الى الاخبار التعليقات والاعمدة والقصص والمسابقات واللقاءات مع الشخصيات الاجتماعية والفنية والادبية التي يعرفها الاطفال او التي ينبغي لهم ان يعرفوا عنها ، وتجيب عن اسئلة الاطفال ورسائلهم ومكالماتهم الهاتفية عبر ابواب خاصة .

ومن بين الصحف الاخبارية مجلة American Newspaper Boys وقد انشئت عام ١٩٢٧ وهي شهرية للاطفال بين ١٢–١٧ سنة – ومجلة American Newspaper and Weekly News Review وهي اسبوعية

انشئت في واشنطن عام ١٩٣١ وتتوقف في اشهر العطلة الصيفية ومجلة Australian Children's Newspaper الاسترالية التي انشئت عام ١٩٥٣ وتوزيعها نحو ٢٠٠٠٠ نسخة ومجلة Canadian High News

وانشئت عام ١٩٤٠ في تورنتو في كندا وهي شهرية مخصصة للصبيان بين ١٦ – ٢٠ سنة ومجلة News Time الامريكية التي انشئت عام ١٩٥٢ وتصدر اسبوعيا للاطفال بين ١١ – ١٢ سنة (٨)

صحف الاطفال الرياضية :

الاطفال يحبون الرياضة باعتبارها لونا من الوان اللعب المنظم ، وترنو نفوسهم الى البطولة الرياضية ويبهرهم ابطال الرياضة .

وما تزال صحف الاطفال الرياضية ضئيلة العددفي العالم ، لان صحفهم الجامعة تفتح صفحاتها لمزيد من اخبار السباقات الرياضية ، وتجري مقابلات مع ابطال ونجوم الرياضة والمدرسيين الرياضيين والهواة .

وتقدم مثل هذه الصحف اضافة الى ذلك تمرينات رياضية تصاحبها الرسوم والصور ، لتعرف الاطفال بانواع الالعاب المختلفة وقواعدها الصحيحة .

وتتردد دور النشر في اصدار صحف رياضية في العالم ، استنادا الى رأي يقول ان الاطفال لا يشعرون بحاجة الى متابعة الشؤون الرياضية بقدر ما يشعرون بالحاجة الى ممارسة الرياضة ذاتها .. يضاف الى ذلك ان دور النشر تحقق في صحف الكوميكس وصحف المنوعات ارباحا اكبر .

ومن صحف الاطفال الرياضية المعروفة صحيفة Sport Junier الفرنسية وصحيفة البطل Champion الانكليزية ، ولكن هاتين الصحيفتين تنشران الى جانب الشؤون الرياضية قصصا ومسلسلات ومنوعات مختلفة ، ويقرأها الصغار والكبار معا .

صحف الاطفال الصادرة عن الحكومات والاحزاب والمنظمات :

تعنى الاحزاب والتنظيمات السياسية والدينية في كثير من بلدان العالم باصدار صحف خاصة بالاطفال .

ففي ايطاليا يشرف الحزب الشيوعي على اكثر من صحيفة للاطفال وكذا الحال بالنسبة الى الحزب الشيوعي الفرنسي ، يقابل ذلك قيام احزاب وتنظيمات اخرى باصدار عشرات الصحف للاطفال ، منها الحركات الكاثوليكية التي تتولى اصدار عشرات الصحف عن طريق التنظيمات التابعة لها كتنظيمات الكشافة والحركة المسيحيةللاطفال والشبيبة الكاثوليكية وحركة نشر الايمان اما الحركات البروتستانتية فتتولى هي الاخرى نشر صحف عن طريق حركات الكشافة ونشر الايمان التابعة لها ، يضاف الى ذلك عشرات الصحف الاخرى الصادرة عن تنظيمات اليهود والصهاينة والحركات العلمانية .

وفي البلدان الاشتراكية تشرف السلطة على اصدار صحف الاطفال من خلال المنظمات الحزبية والاجتماعية الاخرى .

فصحافةالاطفال في الاتحاد السوفيتي تتلقف الطفل منذ نعومةاظفاره، لكي تعرفه بزعماء البلاد منذ الثالثة من عمره ، وهناك صحف تصدر للاطفال بين الثانية والرابعة من العمر ، كما ان هناك صحفا اخرى تصدر للاطفال بين الرابعة والسابعة ، اما صحيفة الطلائع اليومية (بيونير سكايا برافدا Pioneer Skaya Pravda) فهي تصدر للاطفال بين العاشرة والخامسة عشرةمن اعمارهم،ويبلغ توزيعها اكثر من ثلاثة عشر مليون نسخة،وهو اعلى توزيع لاية صحيفة في الاتحاد السوفيتي (٩) بل هو اعلى توزيع لاية صحيفة في العالم، اذ ان صحيفة ازفستيا Izvestia التي يبلغ توزيعها اكثر من ثمانية ملايين نسخة هي اوسع صحيفة في العالم كله . (٩)

وتحرص صحيفة الطلائع على متابعة اخبار العالم واحداثه ، وتتلقى عشرات الآلاف من الرسائل يوميا يستفسر فيها مرسلوها عن العديد من المسائل والمشاكل الداخلية والخارجية في مجالات السياسة والاجتماع ، وتعمل الصحيفة على تسهيل عملية تبادل المراسلات بين اطفال الاتحاد السوفيتي وبلدان العالم الاخرى ، كذلك تعمد الى اقامة المسابقات بين قرائها وقراء صحف الاطفال في البلدان الاشتراكية الاخرى ، وتبادل معارض الاطفال الفنية وتبادل الفرق الرياضية للاطفال . (١٠)

وفي لقاء صحفي مع رئيسة تحرير صحيفة الطلائع سئلت فيه عن الصفة المميزة لهذه الصحيفة فردت قائلة (١١) :

« بوسعي ان اقول انها ــ قبل كل شيء اخر ــ تستجيب لمطالب جمهور قرائها . ان الاطفال يمقتون بشدة الآراء المكررة ، ويكرهون المواعظ المضجرة ، ولا يتسامحون اطلاقا في عدم الاخلاص ، وسرعان ما يشعرون بخيبة الامل في المعلمين المملّين غير الموهوبين » .

وحين سئلت : لقد تحدثت الآن عن عدم الاخلاص .. فهل من الصواب ــ من الناحية التربوية ــ التحدث الى الاطفال بصراحة مطلقة عن جميع الاشياء المعقدة والتناقضات الملاحظة في الحياة ؟ الا يؤدي النقد من جانب الكبار الى تقويض نفوذهم ؟

اجابت :

اننا ناقشنا هذه « المخاطر » مرات عديدة قبل ان نقرر نهائيا ان علينا ان نفعل ذلك ، بل ينبغي عمل ذلك ، لان الطفل سيثق بجريدتنا اذا ما وثقت الجريدة فيه .. ان الاطفال يكتبون لنا ، ويسألون النصح . ويتعين علينا ان نرد على كل رسالة وان نقدم لهم العون ايضا ، وعندما يعامل البالغون ــ حتى ولو كانوا من المعلمين ــ الاطفال بطريقة خاطئة ، فنحن لا نعفيهم من الحساب، واحيانا تكون انتقاداتنا غير فعالة بطريقة كافية . وفي هذه الحالة نلجأ الى

مواصلة النقد في العمود الخاص الذي ننشره تحت عنوان « بيونير سكايا برافد تطلب الكلمة » والذى طلبنا من كل من « برافدا » و « ازفستيا » و « كومسومولسكايا » ان تنشرها لنا » .

وبالاضافة الى صحيفة الطلائع اليومية تصدر المنظمة في بعض الجمهوريات ذات الحكم الذاتي ٢٨ صحيفة للطلائع بتسعة عشر لغة من لغات الاتحاد السوفيتي ، وكل طبعة منها تزيد على ١٧ مليون نسخة ، يضاف الى ذلك ٣٥ مجلة للطلائع .

ومن بين تلك المجلات ، مجلة Molodizh'-Mira' التي اسست عام ١٩٤٦ والتي تصدر بعدة لغات ، ومجلة Tekhnika-Molodo Diozhi التي اسست عام ١٩٣٣ ويبلغ توزيعها نحو مليون ونصف ، ومجلة Byarotka التي اسست عام ١٩٢٤ ، ومجلة Pioner التي تصدر بلغات متعددة منذ عام ١٩٢٤ ، ومجلة Pionyeriya التي بدأت الصدور ابتداء من عام ١٩٦٧[١٢] .

وهناك مجلة باسم « مورزيلكا » كانت قد صدرت عام ١٩٢٥ ، وكان يطبع منها في عامها الاول خمس وعشرون الف نسخة ، لكنها اليوم تطبع اكثر من خمسة ملايين وستمئة الف نسخة [١٣] .

والبلدان الاشتراكية عموما تعنى عناية فائقة بصحافة الاطفال ، ويقوم العمل فيها على اسس عملية ، حيث يتولى شؤونها مختصون في مختلف المجالات .

وتتواجد الصحف لمختلف اطوار الطفولة بما في ذلك المعدة للاطفال الصغار الذين لم يلتحقوا بالمدرسة ، حيث تركز هذه الصحف على تنمية هوايات الاطفال وغرس قيم وعادات طيبة في نفوسهم .

ومع بداية دخول الاطفال الى المدارس تقدم لهم صحف تعليمية تعتمد على الالعاب في شرح المواد مع العناية بالتوجيه

الاخلاقي وبث الوعي الاجتماعي والسياسي بين الاطفال ، ويبدوفيها الاهتمام واضحا بمحاولة تنمية قيم اخلاقية ترسخ في اذهان الاطفال مثل : حب الوطن وحب السلام واحترام الشخصيات التي تبني الاشتراكية والسلام ، ومع الاهتمام بالعلوم عامة • الى جانب العمل على غرس النفرة في نفوس الاطفال من كل ما هو سيء وضار ، ولكن غرس النفرة والكراهية يأتي في مراحل متأخرة بعد دعم عاطفة الحب نحو القيم الرفيعة •

وفي مراحل الطفولة المتأخرة تصدر صحف تفيض بالقصص المنتقاة ، مع العناية ببث روح الابتكار عن طريق المسابقات والهدايا كنماذج الطائرات والاجهزة الميكانيكية • وتقدم الهدايا لاهداف تربوية وتعليمية ، تمهد لمهارات النمو •

كما تحرص صحف البلدان الاشتراكية الخاصة بالاطفال على تقديم ابطال القصص ممن يتجسد فيهم العمل من اجل خير الانسانية • ويلاحظ ان حمامة السلام ، مثلا ، تظهر كثيرا كبطلة من ابطال قصص الاطفال اذ تقوم بمغامرات من اجل السلام والخير •• اضافة الى ابراز بطولات من شخصيات معروفة في الادب والتاريخ كنماذج للتضحية والوطنية ، وابراز بطولات الشعوب المكافحة ، ومن خلال ذلك يستكشف الاطفال بانفسهم معاني البطولات (١٤)

وتفسح صحف منظمات الطلائع للطلائعين نشر نتاجاتهم الفكرية ، وخاصة القصص والقصائد والتعليقات على الاحداث والمسرحيات والافلام وبرامج الاذاعة والتلفزيون •

وتعنى البلدان الاشتراكية بتطوير قدرات كتّاب صحف الاطفال بمختلف الوسائل الممكنة بما في ذلك اقامة دورات تدريبية وتنظيم سفرات لهم ، وما الى ذلك •

وتقدم صحافة الاطفال في البلدان الاشتراكية احيانا افكارا اجتماعية وسياسية بصورة مباشرة •• اضافة الى الصيغ غير المباشرة الاخرى(١٥)•

ويمكن القول ان صحف الاطفال في البلدان الاشتراكية تتخذ في فلسفتها منهجا اخلاقيا وتربويا واحدا .

ففي المانيا الديمقراطية مؤسسة صحفية متخصصة في اصدار نحو ٣٠ مجلة وجريدة وهي مؤسسة عالم الشباب Junge Welt وتتولى اصدار تلك الصحف للاطفال قبل سن المدرسة وحتى نهاية مرحلة الطفولة ، كما ان نفس هذه المؤسسة تتولى اصدار صحف للمراهقين والشباب حتى سن الثلاثين . وتوزع هذه الصحف ملايين من النسخ ، بل ان مجلة بومي Pummi توزع ما يزيد على المليون نسخة .

ومن المجلات التعليمية مجلة A.B.C. وهي مجلة نصف شهرية للاطفال بين السادسة والعاشرة ، وتعنى بتعليم الاطفال الحروف والحساب من خلال اللعب ، اضافة الى احتوائها على قصص قصيرة واعمدة صحفية ومقالات ويبلغ توزيعها نحو ٠٠٠ر٦٥ نسخة[١٦].

وتصدر للاطفال بين العاشرة والرابعة عشرة مجلة (امرح وغن) ومجلة (فروزى) ومجلة (تيلمان) .

وتصدر مجلة علمية هي Jugend and Technic وتطبع بالالمانية وتضم مختصرات بالروسية وقد صدرت عام ١٩٥٣ في برلين الشرقية .. ومجلة أخرى هي Junge Generation صدرت ابتداء من عام ١٩٤٧[١٧] .

* * *

ويجد الاطفال في أوربا واميركا مئات الصحف الدينية ، وتتولى اصدارها في الغالب ، الطوائف والمذاهب الدينية المتعددة ، فاليهود والكاثوليك والبروتستانت وغيرهم يصدرون صحف الاطفال مستهدفين غرس الوعي الديني في نفوس الاطفال منذ نعومة اظفارهم ، ويلاحظ ان أغلب تلك الصحف لاتعبأ للخسائر المادية التي تنفقها ما دامت تعمل بين جمهور الاطفال لوجه الله !

ويلاحظ ان أغلب صحف الاطفال الدينية تهتم ببث القيم والاخلاقيات، او تهتم بالقضايا الفنية والادبية ، لذا ليس بالوسع اكتشاف هوية مثل هذه الصحف بسهولة .

ومن بين الصحف الدينية في اميركا صحيفة Adventure للاطفال بين ٩ – ١٢ سنة ، وتصدرها ابتداء من عام ١٩٦٢ « مدارس الاحد للكنيسة المعمودية» في ولاية تنسي، وصحيفة Adventure Time التي تصدر عن دار نشر الكنيسة المعمودية في بنسلفانيا للاطفال بين ٩-١٢ سنة[١٨] ،

وفي ايطاليا تصدر صحف دينية لمختلف الطوائف منها صحيفة Note Dipastorale Giovanile

ومن بين المجلات الدينية الهولندية للاطفال مجلة Aktie ، وتصدرها جمعية شباب المسيح في هولندا . ومجلة Zo التي تتناول جوانب فنية كشؤون السينما والمسرح اضافة الى طابعها الديني العام[١٩] .

ومن المجلات الدينية البلجيكية Nos Routes للاطفال في حدود الثامنة[٢٠] .

ومن المجلات الدينية في المانيا الغربية مجلة Bremer Missionchiff التي تصدرها احدى البعثات التبشرية .

ومن المجلات اليهودية الكثيرة العدد في انحاء اميركا واوربا الغربية مجلة Olomein'u Our World التي تصدر باللغتين العبرية والانكليزية في نيويورك منذ عام ١٩٤٥ للاطفال في حدود الثامنة عن جمعية التوراة[٢١].

وفي جنوب افريقيا عدة مجلات دينية منها مجلة Ubaqa' Lwabantwana الصادرة بلغة الزولو ، وهي نصف شهرية للاطفال بين ٧ – ١٢ سنة ، ويصدرها اتحاد الانجيل ومجلة Ons Zfug التي تصدرها الكنيسة الهولندية الاصلاحية منذ عام ١٩٥١[٢٢].

وتصدر في الكونغو مجلة دينية للاطفال منذ عام ١٩٤٤ هي مجلة Nenolai Imani باللغتين السواحلية والفرنسية(٢٣) .

صحف الاطفال التجارية :

أكثر صحف الاطفال في اميركا واوربا الغربية هي صحف تجارية تتولى اصدارها دور نشر تكون ، في الغالب ، غير متخصصة بصحف الاطفال ، بل تصدر هذه الصحف مع ما تصدره من صحف مصورة للراشدين .

وتتوخى دور النشر في العادة الربح المادي قبل كل شيء ، لذا فهي تعمل من اجل امداد الطفولة بكل ما يجتذبها ، مستغلة تعلق الاطفال بالاثارة.

وتحتكر دور النشر اصدار مئات من صحف الاطفال في اوربا الغربية واميركا ، كما ان بعض دور النشر في البلدان النامية تتولى اصدار مثل هذه الصحف . ويزيد عدد الصحف التجارية الخاصة بالاطفال في البلدان الرأسمالية والنامية عن ثلاثة الاف مجلة وجريدة .

ومن ابرز المجلات التجارية : ميكي ماوس ، وطرزان ، وسوبرمان ، وسبرو ، وتان تان .

ومن الصحف التجارية ماهي صحف كوميكس ، او صحف قصص ومغامرات ، أو صحف جامعة او صحف اخبارية او رياضية .

وابرز هذه الصحف ، ليس لها رسالة اجتماعية او تربوية ، لان همها الاول هو الحصول على أكبر قدر من الارباح ، ومن هنا جاء اعتمادها على الاثارة والمبالغة والتهويل مستعينة بالرسوم الكثيرة ـ في الغالب ـ على شكل مسلسلات مصورة .

ومع ان الصحف التجارية التي تطبع لها نسخ كثيرة في بلدان متعددة تحقق كثيرا من الارباح ، الا ان بعض الصحف الاخرى التي تصدر بطبعة واحدة تواجه أحيانا أزمات مادية ، لذا اغلقت خلال السنوات الاخيرة عدة

مجـــلات أو دمجت معاً ، وكمثــــل على ذلك دمج مجــلة Adventure مع مجلة Rover في مجلة واحدة هي مجلة Rover and Adventure ثم دمج ثم مجلـــة The Wizard معها بعد أن اغلقت لحين ، واصبح الاسم الجديد لها Rover and Adventure Wizard والذي سرعان ما استبدل باسم Rover and Wizard ويبدو انها اتخذت هذه الاسماء المتغيرة لفترات غير بعيدة لتحتفظ بالقراء الاصليين لكل مجلة كي لا يتحولوا الى مجلات جديدة حتى استقرت باسمها النهائي(٢٤) •

وتستعين صحف الاطفال التجارية بمختلف الوسائل لجذب الاطفال من خلال التركيز على المواد المشوقة ونشر الاشرطة المصورة •

صحف البنات :

بسبب اختلاف سرعة النمو الجسمي والعقلي والعاطفي ، واختـــلاف الميول بين الاولاد والبنات في كل مرحلـــة ، اتجهـــت بعض هيئات النشر الى اصدار مجلات خاصة بالبنات وخاصة لمن هن في مرحلة الطفولة المتأخرة ، حيث تتضح الفوارق بين الجنسين بشكل بارز •

وهذه الصحف تلبي أولاع البنات ، لذا نجد هذه الصحف ذات جاذبية خاصة في قصصها ومقالاتها ورسومها وصورها •

والمعروف ان البنات يقرأن اكثر من الاولاد ، لذا تحمل صحفهن مادة مكتوبة كافية نسبة الى صحف الاطفال العامة •

والاولاد يولعون بالمغامرات والقصص البوليسية ، اما البنـــات فهن لايحفلن كثيرا بها •

ويميل الاولاد الى قراءة المواد العلمية وقصص الرحلات عبر البحار ، وبين الكواكب والنجوم ، أما البنات فهن يفضلن قراءة سير المشـــاهير من

الرجال والنساء ، والروايات الخيالية ، وقصص الحيوان ، وهن يظهـــرن بما يتعلق بالبيت والحياة المنزلية •

ومن بين صحف البنات صحيفة Flipteen Magazine التي تأسست عام ١٩٦٤ في نيويورك وهي للبنات بين ١٣ ـ ١٩ سنة ويبلغ توزيعهـــا نحـو ٥٠٠,٠٠٠ نسخة ومجلة IN, for girl of today, the Woman of tomorrow وقد تأسست عام ١٩٦٥ في اميركا ، ومجلة Young Miss التي كانت تسمى : All Girls وقد صدرت عام ١٩٥٣ ومجلة American Girl ويبلغ توزيعها نحو مليون نسخة وتصدر في نيويورك وكانت قـــد انشئت عام ١٩١٧ ولها طبعة على طريقة برايل للعميان(٢٥) •

صحف الاطفال وفق اطوار الطفوله

تختص كل صحيفة من صحف الاطفال بطور معين من اطوار الطفولة، وليس هناك صحيفة يمكن ان تناسب مرحلة الطفولـــة بجميع اطوارها • • وقد سبق ان اشرنا الى ان اولى خصائص ادب الاطفال ، انه يتناسب مع كل طور من اطوار الطفولة • فما يصلـــح للاطفال في طور الواقعيـــة لا يصلح للاطفال في طور البطولة •• وهكذا •

وعلى هذا نجد ان كل صحيفة من صحف الاطفال تتوجه الى جزء من جمهور الاطفال ، وقد تعلن الصحيفة ذلك على صفحتها الاولى كان تقـــول « للاطفال من ٦ ـ ٨ سنوات » مثلا ، او « من ٩ ـ ١٢ » وقد تضمر ذلـــك ولكن في كلتا الحالتين يضع محرورهـــا لذلك حسابا •• اما الصحف التي تعلن انها لمن هم بز ٧ الى ٧٧ سنة او بين ٨ الى ٨٨ سنة فهي تطلق نكتة باردة •• مع انها تعني انها للاطفال الذين تزيد اعمارهم عن السابعة او الثامنة ويمكن للكبار ان يجدوا فيها المتعة « والكبار يؤلفون جزءاً من قارئي ادب الاطفال اضافة الى ان الطفولة تظل في نفوس بعض الكبار » (٢٦)

وهناك مجلات كثيرة للاطفال الصغار الذين لم يتعلموا القراءة والكتابة بعد ، وهذه المجلات تعتمد على الرسوم والصور ، وحين تستعين بالكتابة ، فهذا يعنى ان الكبار مدعوون الى قراءتها ليعيدوا روايتها للاطفال الصغار .

من بين مجلات الاطفال الصغار صحيفة Bilanz التي تصدر في النمسا ، وتوزع نحو ٤٥ الف نسخة في حجم التابلويد Tabloid وهي مخصصة للاطفال في سن الرابعة وصحيفة Blue Triangle التي اسست في لندن عام ١٨٨٤ ، وهي مخصصة للاطفال في سن الثالثة وصحيفة Canton التي اسست عام ١٩٦٦ وصحيفة Dal Buco Della Sperratura اللتان تصدران في ايطاليا للاطفال في حدود الرابعة . وصحيفة Funzel لمن هم في الثالثة ، وصحيفة Freier Blick التي تصدر على مقاس تابلويد وهاتان الصحيفتان تصدران في المانيا الغربية (٢٧)

اما الاطفال الذين يبدأون القراءة في نحو السادسة فلهم صحافة خاصة بهم ، وكمثال على ذلك مجلة ABC. Zeiting التي انشئت في برلين الشرقية عام ١٩٤٧ للاطفال بين ٦ ـ ٨ سنوات ، ويبلغ توزيعها نحو ٦٥٠ ألف نسخة . ومجلة Canteceleer المخصصة لاطفال السادسة في هولندا والتي يبلغ توزيعها نحو ٦٠٠ نسخة وصحيفة Giselaner المخصصة لاطفال السادسة ، وقد اسست عام ١٩٥٥ في المانية الغربية ويبلغ توزيعها نحو ٩٠٠ نسخة (٢٨) .

وللاطفال بين السادسة والسابعة تصدر صحف عديدة منها Roadrunner الاسبوعية التي بدأت الصدور منذ عام ١٩٦٩ ، وصحيفة She's Josie التي يبلغ توزيعها نحو خمسة ملايين نسخة ، وكلتا هما تصدران في اميركا .

وتصدر صحف للاطفال الذين لا تتجاوز اعمارهم التاسعة منها صحيفة Deryn التي اسست في ويلز عام ١٩٦٣ وصحيفة OKKI التي اسست في

هولندا عام ١٩٥٣ ومجلة Champuk التي تصدر بالانكليزية والهندية في نيودلهي منذ عام ١٩٦٦ لمن هم بين السادسة والتاسعة •

ولما بعد ذلك تصدر صحف اخرى مثل مجلة Adventurer الانكليزية التي بدأت الصدور منذ عام ١٨٩٢ للاطفال بين ٩ ـ ١٤ سنة ومجلة Cymru'rplant في ويلز لمن هم بين ٩ ـ ١٢ سنة ، وصحيفة Czechoslovak Youth التي تصدر بالجيكية والانكليزية في براغ لمن هم في العاشرة منذ عام ١٩٦٥، وصحيفة Find Ingout التي ابتدأت الصدور في انكلترا منذ عام ١٩٥٩ لمن هم بين ٨ ـ ١٢ سنة ومجلة مجلتي العراقية التي بدات الصدور منذ نهاية عام ١٩٦٩ لمن هم بين ٩ ـ ١٢ سنة ، ومجلة Freundschaft النمساوية التي اسست عام ١٩٢١ لمن هم بين ٨ ـ ١٢ سنة والبالغ توزيعها نحو ٤٨ الف نسخة • ومجلة Fripounet-Marisette الفرنسية الاسبوعية المخصصة للاطفال بين ٨ ـ ١٤ سنة • وكانت قد بدأت الصدور منذ عام ١٩٤٥ ، ومجلة Fun for Middlers الامريكية لمن هم بين ٨ ـ ٩ سنوات ، والمجلة الاسبوعية الامريكية Worlds of Cheer التي بدأت الصدور منذ عام ١٨٧٦ لمن هم بين ٩ ـ ١٤ سنة •

وللاطوار التالية نجد صحفا اخرى خاصة ايضا منها على سبيل المثال مجلة Action الامريكية لمن هم بين ١٢ ـ ١٤ سنة وجريدة المزمار العراقية لمن هم بين ١١ ـ ١٤ سنة ، ومجلة Accenton Youth الامريكية لمن هم بين ١٢ ـ ١٥ سنة ومجلة Youth التي اسست في ويلز عام ١٩٤٠ لمن هم بعد الرابعة عشرة ، ومجلة Jeugd الهولندية التي اسست عام ١٩٢٢ لمن هم بين ١٢ ـ ١٦ سنة •

وهناك صحيفة تتولى اصدار صحف متعددة لتغطي مرحلة الطفولة بجميع اطوارها . (٢٩)

ويلاحظ ان هذه الصحف لم تتبع اطوارا محددة بسنوات ثابتة وفق ما اشرنا اليه في باب « جمهور الاطفال » . ويعود ذلك الى تداخل تلك الاطوار الى حد ما ، كما ان تحديد بدايات ونهايات هذه الاطوار تختلف باختلاف البيئات والثقافات .

وهناك صحف كثيرة ذات طابع فني ، حيث تعنى بشؤون الافلام والسينما والمسرح وغيرها من الفنون منها صحيفة Diskus لمن في الثامنة من اعمارهم ، وقد اسست عام ١٩٥٠ في المانيا الغربية على شكل تابلويد وصحيفة His World التي انشئت عام ١٩٦٧ في هوليود ، وصحيفة Jevnesse and Deux Mille الفرنسية ، وصحيفة الكندية ، وصحيفة Childrens Theatre Review الامريكية .

ومجلات اخرى ذات طابع علمي منها صحيفةTekhnika Molodo Diozhi السوفيتية التي توزع نحو مليون ونصف نسخة وقد انشئت عام ١٩٣٣ .

وهناك صحف خاصة بالعميان تكتب على طريقة بريل Braille منها صحيفة Illuminator التي بدأت الصدور في امريكا منذ عام ١٩١٠ للاطفال في سن الثالثة ، عن مدرسة بنسلفانا الغربية وصحيفة اخرى اسست عام ١٩١١ (عددا أيلول وحزيران) في نيويورك (٣٠).

وهناك مجلات للاطفال تصدر طبعات خاصة للعميان منها صحيفة American Girl وصحيفة Current Events التي اسست عام ١٩٠٢ وصحيفة Curren Science وصحيفة Jack and Jill Magazine وكلها صحف امريكية .

وهناك عدد من مجلات الاطفال الصم ، منها مجلة Vriend التي انشئت عام ١٩٠٦ في هولندا (٣١) .

المبحث الثالث

الفنون الصحفية

في صحافة الاطفال

تستوعب صحافة الاطفال الواناً ادبية وصفية متعددة ، ولكن هناك من يرى ان صحف الاطفال ينبغي ان تقتصر على التسلية والهزليات والثرثرات الضاحكة والالغاز والمسابقات .. ولكن هذا الاتجاه لا يقوم على اساس صحيح .. لان للطفولة ميزاتها وخصائصها وحاجاتها التي لا يمكن لتلك الالوان وحدها ان تلبيها .

وتنقل صحافة الاطفال مضامينها ، في العادة ، عبر الوان ادبية وصحفية متعددة ، من ابرزها : القصة ، والشعر ، والخبر ، والتحقيق الصحفي ، والحديث الصحفي والمقال ، والعمود .

وقد تناولنا القصة والشعر والخبر ، وتتناول فيما يلي بعض الالوان الصحفية .

- التحقيق الصحفي :

السؤال الذي يردده الاطفال باستمرار مبدوءاً بكلمة الاستفهام لماذا ؟ يجيب عنه التحقيق الصحفي •

وصعوبة التحقيق الصحفي تكمن في : كيف نقدم الجواب للاطفال بطريقة مقبولة عن كثير من الاسرار والحقائق والمعاني والمفاهيم باسلوب سلس ولغة مشوقة ، بحيث يستطيعون من خلاله استجلاء الاجابة عما يشغل اذهانهم ، ويزدادون احاطة بالبيئة والعالم •

ونحن نعلم ان الاطفال يستمتعون ببعض الاخبار ، وينشدّون الى سماعها ، ولكنهم ، في الغالب ، بعد كل خبر يساءلون : لماذا ؟ لماذا حدث هذا ؟ ولماذا لم يحدث ذاك • كما انهم يتساءلون مثل هذا التساؤل بعد ان تتناهى اليهم معلومات وحقائق ومفاهيم غير متكاملة ويكوّن الجواب ما نسميه بالتحقيق الصحفي

والحياة حافلة بالحوادث والوقائع ، ويجهل الاطفال جوانب متعددة عنها ، والمناهج الدراسية لا يمكن لها ان تعنى كثيرا بمثل هذه الوقائع والحوادث التي تحيط بعالم الطفل ، لذا ُوجد التحقيق الصحفي في صحافة الاطفال كأحد الالوان الفنية لتفسير هذه الوقائع والحوادث واسباب وقوعها والمشاركين في صنعها •

ويتناسب التفسير الذى يرد ضمن التحقيق الصحفي مع قدرات الطفل العقلية والنفسية والعاطفية والاجتماعية ، كما يخضع للقيم والمبادىء التي يريدها المجتمع لاطفاله •ويتعامل التحقيق الصحفي ، في العادة ، مع حوادث ومشكلات واقعية ، لذا كان هذا اللون الصحفي ابعد ما يكون عن الخيال •

والتحقيق الصحفي لا يكتفي بسلاسة الاسلوب او بساطة التراكيب والتشويق والاثارة ، بل يستعين بالصور من اجل ان تكون الحقائق المحمولة بين طياته اكثر وضوحا وطرافة وجاذبية •

وتتعدد انواع التحقيق الصحفي ، حيث نجد تحقيقات تفسيرية وارشادية ، وتعليمية ، وتحقيقات امتاع وتسلية ولكن التحقيق الصحفي الجيد هو الذي يجمع جميع او بعض هذه الجوانب مرة واحدة •

ومن اكثر قوالب التحقيق الصحفي ملاءمة للاطفال هو الذي يتخذ قالب القصة •

ـ الحديث الصحفي :

في نفوس الاطفال حب شديد لاستطلاع احوال الاخرين ، والوقوف على اسرارهم ، لذا تراهم يلصقون باذانهم عند الابواب ، وينظرون من شقوقها او من مداخل مفاتيحها ، محاولين ان يسمعوا ويروا ما يدور بين الناس من صراع •

ويحمل الاطفال اعجابا بالقادة والمبدعين والمغامرين ، ويسرهم ان يطلعوا على احوالهم وافكارهم ، ولهذا كان الحديث الصحفي فنا محببا للاطفال •

والحديث الصحفي يستطيع ان ينقل الاطفال عبر الزمان والمكان ليجعلهم وكأنهم امام الشخصيات والحوادث •

ومع ان الحديث الصحفي مع الشخصيات البارزة له اهمية خاصة ، الا انه يمكن ان يتم ايضا مع شخصيات اعتيادية حققت نجاحا معينا في مجال معين ، او حتى مع المغمورين الذين يمكن ان يجد الاطفال في افكارهم ونشأتهم ما يدعوهم الى التأمل والتفكير •

ولا يتعرف الاطفال من خلال الحديث الصحفي على هذه الشخصيات وانماط تفكيرهم ، وما يحملون من قيم ومفاهيم ووجهات نظر فحسب ، بل يتعرفون الى المثل التي قادتهم الى النجاح ، والصعاب التي اعترضتهم ، والاساليب التي استعانوا بها لتذليل تلك الصعاب •

والاحاديث الصحفية مع الشخصيات المحبوبة تمتع الاطفال ، وتدفعهم الى التمثل بها ، ولهذا تحرص صحف الاطفال على اجرائها مع الشخصيات الناجحة كي تكون اداة الهام للطفولة ، رغم ان الاطفال يرحبون بان يتعرفوا على حياة وتفكير الاشرار واللصوص والفاشلين •

ونحن نجد ان كثيرا من الادباء والكتاب والعلماء حين يستعيدون ذكريات طفولتهم يشيرون الى تأثرهم بدرجات مختلفة بشخصيات معينة ، فهذا شاعر تأثر في طفولته بشاعر مبدع ، وهذا عالم كان في طفولته قد تأثر بشيء من افكار ونظرات عالم معين ، وهكذا •

والحديث الصحفي ، ليس مجرد اسئلة واجوبة ، بل هو عملية حوار درامي تتكشف من خلاله الافكار والانطباعات ، ويكون بطلاه ، في الغالب اثنان هما المحرر والشخصية • ولكن يمكن ان يتم الحديث مع أكثر من شخصية واحدة •

وهناك احاديث صحفية للرأي ، تتضح من خلالها الافكار ووجهات النظر والتأملات ، وأحاديث التسلية لامتناع الاطفال واسعادهم ، واخرى للاخبار والحقائق وتتم من خلال لقاء مع مختص او شاهد عيان •

ويصاغ الحديث الصحفي المناسب للطفل على شكل قصة اخبارية ، تشتمل على مقدمة مثيرة •

والذي يكسب الحديث الصحفي الجاذبية هو نبض الحياة فيه ، ويتمثل ذلك في عرض افكار جديدة ، وغربلة الحديث من النصائح والارشادات المباشرة ، وتصوير الشخصية تصويرا معبرا ، بحيث يجد الطفل نفسه وكأنه قبالة المتحدث •

ـ المقال :

ليس بالوسع تحديد اطار ثابت لمقال الطفل ، ذلك لان المقال لا يرتبط بقالب تعبيري محدد ، ولا يلتزم شكلا ادبيا معينا •

وابرز ما يميز المقال ، هو انه يخاطب الطفل مخاطبة الصديق للصديق، ينقل له الفكرة او الرأي بدعة وهدوء وسلاسة وكأن علاقة وطيدة قد قامت بين الكاتب والطفل منذ امد مديد ، ومهدت للاول ان يتحدث الى الثاني حديثا وديا مباشرا .

وكاتب المقال يحدّث الاطفال عن كل شيء ، من وجهة نظر فيها شيء من الموضوعية وشيء من الذاتية ، وهي ليست نظرة الباحث او العالم او المحاضر او الدارس ، لان المقال ليس بحثاً علمياً ولا محاضرة ولا درسا او قصة ، بل هو نظرة جديدة تتعامل مع خيال وذوق واحساسات الطفل .

ويتضح في ثنايا المقال ، عادة ، ما ينم عن احترام الكاتب لشخصيات وقدرات الاطفال ، من خلال التساؤل الذي يطرحه عليهم احيانا ، او استطلاع ارائهم في فكرة او موقف ، او وضعهم في موضوع الحكم ازاء قضية ، او اثارتهم لابداء ارائهم ، او اجراء ما يشبه المسامرة معهم ، دون املاء او استعلاء . ولكن ، مع كل هذا يظل المقال تعبيرا عن رأي الكاتب ، ولكنه ليس تعبيرا ذاتيا بقدر ما هو تعبير عن الوجدان الجماعي .

لذا لايغالي كاتب المقال في استعراض عواطفه وانفعالاته بشكل مثير ، وكانت الاديبة الانكليزية فرنجينيا وولف تقول :

« .. ان المقال يجب ان يبدأ بداية تملك مشاعر القارىء ، وتوقظه من سباته حتى يشارك الكاتب خبراته النائقة المدهشة الغريبة ، بل ان الكاتب قد يصطحب صديقه القارىء محلقين في عالم الخيال ، او انهما قد يغوصان معا باحثين عن دور الحكمة ولكن على اية حال لا يجوز اثارة القارىء اثارة ما » (٣٢)

واسلوب المقال هو اسلوب بسيط يخلو من التعقيد ، وكان ديفو الذي تقبل الاطفال بعض ما كتب ، يقول :

« اذا سألني سائل عن الاسلوب الذي اكتبه قلت انه الذي اذا تحدثت

به الى خمسة آلاف شخص ممن يختلفون اختلافا عظيما في قواهم العقلية ـ عدا البله والمجانين ـ فانهم جميعا يفهمون ما اقول » •

وهناك انماط متعددة من المقالات منها المقال الكاريكاتيري الـــذي يجسد رأيا ما او مفهوما ما في سرعة وسخرية ، ولكن بقوة وجاذبية ، ويعتمد على تجسيم بعض عيوب الاشياء او التشخصيات او الافكار او القيـــم • والنمط الثاني هو مقال الاعتراف الذي يتضمن خواطر او حوادث او طرائف يصادفها الكاتب ويضفي عليها لمسات وابعادا اجتماعية وانسانية ليجد فيهـا الاطفال الهاما ومتعة وتعبيرا للحياة وتصويرا للنفس الانسانية •

اما المقال العلمي ، فيتميز بانه يستمد من العلوم العامة مادتـه ، ويجد الاطفال فيه حقائق وافكارا ممتعـــة ، يزيد الكاتـــب في قوة تأثيرها بفضل الوشائـــج التي يقيمها بينها وبين الحياة ، والحيويـــة التي يضفيها عليها ، والصور العقلية والخيالية التي يرسمها لها •

ويطمح بعض كتاب المقال العلمي الى امداد الاطفال بمعلومات وحقائق غزيرة ، ورغم شرعية هذا الطموح ، الا ان الاطفال لا يتقبلونـه برضى ، لذا لابد من الانتباه الى انه ليس المهم اغراق الاطفال بالمعلـــومات والحقائـــق والافكار العلمية من خلال المقال العلمي ، بل المهم هو اشباع الطفل بغـــذاء علمي وفني وخيالي يقوده الى التفكير اولا والثقة بقدرة الانسان الخلاقـــة ثانيا ، وبفاعلية العلم المبدعة ثالثا •

والمقال العلمي الجيد هو الذي يبتعد كثيرا عن استخدام المصطلحات العلمية ، على اساس ان ذلك عبء لا قبل للاطفال به • والاطفال في ـ لغتهم العادية ـ يميلون الى الابتعاد عن المصطلحات وخاصة في مراحل اعمارهـــم الاولى ، فهم حين يريـــدون وصف شيء صلب يكتفون بالقول (انه مثـل الحديد) مثلا اذ هم يوحون بالمعنى فقط •

يضاف الى ذلك ان المقال العلمي الجيد يتضمن معلومات وحقائق وآراء

وافكارا علمية بشكل مبسط ، تبدو امام الاطفال واضحة ممتعة ، لان الاطفال يكرهون المواد الجافة او المعقدة .. ولكنهم بنفس الوقت ينفرون من المواد الساذجة لانهم يجدون في ذلك احتقارا لقدراتهم .

العمود :

هو لون من الوان المقال ، ولكنه يتخذ له عنوانا ثابتا ، ومكانا ثابتا في الصحيفة ، وهو يتناول موضوعات مختلفة ببساطة وايجاز ، فهناك عمود سياسي واخر رياضي وثالث فني ... وقد يتناول فكرة صغيرة توحيها مشكلة من مشاكل الاطفال او رسالة من رسائلهم او مكالمة من مكالماتهم الهاتفية او خبر من الاخبار يعرفه الاطفال من قبل ، او شأن من شؤون الصحيفة ، وهذا الاخير في العادة ، يكتبه رئيس التحرير ضمن العمود الرئيس .

وعلى هذا يمكن ان تكون اية قضية ارتبطت بعقول واخيلة الاطفال او يمكن لها ان ترتبط موضوعا للعمود الصحفي .

المبحث الرابع

اخراج صحف الاطفال

يتألف البناء الشكلي للصحيفة ، مجلة كانت ام جريدة من وحدات على الورق ، وهذه الوحـــدات هي مجموع الحـــروف والصور والرسوم والفواصل والهوامش والاطر والنقوش والمساحات الكائنة بين الســطور والفراغات الاخرى والمساحات اللونية .

وشؤون هذه الوحدات ينتظم في فن التايبوغرافيا او فـــن الوحدات المطبوعة . ويؤلف الاخراج الصحفي جانبا من هذا الفن ، اذ يتناول طرق اختيار وتوزيع هذه الوحدات على الصفحات لتؤدي اهدافا أدبية وفنية ونفسية معينة ، تتمثل في جمال الصفحات ووضـــوح مضامينها ودقتهـــا وصدقها في التعبير وسهولة قراءتها .

والاخراج الصحفي ، مع انه فن قائم بذاته ، الا انه يستند الى حصائل ومستخلصات الفن التشكيلي من جهة ، وعلم نفس الجمهور القارىء ،

وعلم وظائف الاعضاء ، وبصورة خاصة ما يتعلق بحاسة البصر من جهة أخرى • والقراءة ـ في حد ذاتها ـ ليست مهارة تربوية فقط بل هي عملية عضوية •

والمخرج الصحفي الفنان هو الذي يحول المادة المخطوطة الى مادة مطبوعة نابضة بالحياة والجاذبية عن طريق توزيع الوحدات على الصفحة البيضاء ليجعل منها لوحة فنية ذات جمال ، ومعنى ، وشخصية •

ولكن المخرج ، رغم انه فنان ، له حرية في ابداع فنه ، الا ان الحرية الحقة هي التي تفرض مزيدا من المسؤوليات والضوابط •• وتتمثل هذه المسؤوليات والضوابط في اعتبارات تمليها الاسس الصحفية والادبية والنفسية والفسيولوجية والجمالية •• ويظل الابتكار تحت مظلة هذه الضوابط هو الاساس في صحة الاخراج •

ويراعي مخرجو صحافة الاطفال الاسس النفسية والفسيولوجية والفنية للاخراج الصحفي ، بما في ذلك ميول الاطفال واذواقهم وقصر فترة انتباههم والالوان التي ترتاح لها عيونهم •••

فعلى صعيد الاسس الصحفية او الفنية يراعي المخرجون الهدف الموضوع للمادة الصحفية بحيث يمكن له أن يبرز بوضوح • ولهذا يدس المخرجون انوفهم بين ثنايا المادة المخطوطة ليتذوقوا رائحتها قبل اي شيء ، ومن ثم يقررون هيكل الهندسة المناسبة للصفحات والالوان وفقا لذلك •

وتدخل ضمن الاسس الفسيولوجية للاخراج احجام الحروف المناسبة والالوان والفراغات والعناوين التي تناسب قدرات الاطفا لالذهنية والعاطفية والحسية ، بما في ذلك قدرات حاسة بصر الطفل •

وفي جميع الحالات يهدف المخرجون الصحفيون الى تشكيل وحدة فنية تناسب قدرات الطفل على استخدام عينيه وتيسر له القراءة وتنمي قابلياته على التذوق الفني ، وتساعده على تكوين صور ذهنية ايجابية •

وتميز الوحدة الفنية التي ينشدها المخرجون ، في العادة ، عناصر ذات أهمية منها : التوازن ، سواء أكان متماثلا ام متباينا • والايقاع ، الذي يسهل انتقال عيني الطفل بين الكلمات والسطور والمساحات اللونية والصور والعناوين والصفحات دون تعثر او ملل • والتناسب والانسجام من خلال توافق الوحدات الطباعية وتناغم بعضها مع البعض ومع الالوان التي تظهر بهـا •

وعلى هذا فلابد أن يكون اخراج صحافة الاطفال متميزا عن صحافة الكبار ، ما دام جمهور الاطفال يختلف عن جمهور الكبار ، وما دامت المواد الصحفية المقدمة للاطفال تختلف من حيث مضمونها واسلوبها عن المـواد المقدمة للكبار •• ولاشك ان شكل ومضمون صحيفة الطفل شيئان مترابطان ومتفاعلان ، يكمل احدهما الآخر ، ولا يمكن لمضمون الصحيفة ان يترك أثره المطلوب في الطفل الا من خلال شكل فني يغري الطفل ويجذبه • وشكل الصحيفة يخدم مضمونها في العادة •

الرسوم :

تمثل الرسوم في صحافة الاطفال وحدة طباعية اساسية ، وتشمل الصور الفوتوغرافية ، والاشكال المرسومة كالرسوم الكاريكاتيرية والواقعيـة ، والتوضيحية •

ومع اننا نتناول الرسوم ضمن باب الاخراج الصحفي الا انها في الواقع ليست عنصرا اخراجيا فحسب ، بل هي مادة صحفية حية ، لها قيمة جمالية واعلامية وثقافية كبيرة • وقد تفوق المادة المكتـوبة في تأثيرها ـ في بعض الاحيان ـ كما انها كثيرا ما تفوق الاشياء التي تصورها في قدرتها على توضيح كثير من الوقائع والمفاهيم • لذا لم يقتصر استخدامها على الصحافة بل تعدتها الى السينما والتلفزيون والمسرح •

ومنذ فجر التاريخ كان الانسان يسجل على الصخر برسـوم ملونة قصته مع الطبيعة القاسية وكواسرها الضارية • وبذا كان الانسان قد عاش

عصر الرسم قبل ان يعيش أي عصر آخر •• وعبر مسيرة الانسانية الطويلة ظلت الرسوم ـ لغة وفناً ـ اداة للتعبير والتصوير • ورغم مرور الاحقاب الطويلة الا ان الانسانية ما تزال تحيا ذات العصر •

وقد قدرت الانسانية منذ أزمان متقدمة اهمية الفنون التعبيرية كالرسم والنحت كوسائل تزيدمن كفاءة الاتصال بين المربي والدارس ، واعتبر شيرون Cicro (١٠٦ ق • م ـ ٣٤ ق • م)للرسوم اهمية كبرى في الاتصال لانها تساعد على تذكر المجردات • وقال سينكا Senca (٤ ق • م ٦٥ م) ان الناس يصدقون الرؤية أكثر من تصديقهم الكلام • لذلك اهتم بالرسوم على الرمل في التعليم [٣٣] •

والرسوم الجميلة الملونة تربي ذوق الطفل ، وتلفت نظره الى مواطن الجمال فيها ، والى انسجام الالوان واتساقها • كما انها اداة لتربية حاسة البصر • والبصر هو الذي يطلع الاطفال على المؤثرات الضوئية ، وعلى ألوان الاشياء واشكالها وامتداداتها وابعادها •• والعين التي أحسن تمرينها تستطيع ان تدرك فروقا لونية لاتدركها العين غير المدربة •

كما ان الرسوم تغني المعلومات المقدمة للطفل بالاحساسات المقابلة • ففي قصة من القصص لايكفي عرض القصة بالمادة المطبوعة بل لابد من أن ترافقها الرسوم • وفي معركة بطولية ، لايكفي سرد البطولات سردا ، بل لابد من أن يصاحب ذلك تصوير يقطر بالحياة ، ويصدق هذا بالنسبة الى المفاهيم والمثل التي لابد ان ترافقها مدلولات حسية • والاطفال لا يفهمون المجردات فهما حقيقيا ، ولا يحبون الخوض فيها • والاحساس الذي تتركه في ذهن الطفل هو اساس المعرفة ، ولولا هذا الاحساس لما عرفنا شيئا عن العالم الخارجي ، ولما استطعنا دراسة ومعرفة قوانينه واستخدامها لصالحنا•• والاستناد الى الاحساس في التربية سواء اكان عن طريق الرسوم ام غيرها هو مرحلة من مراحل التربية ينتقل بعدها الطفل الى التعليم المجرد عن

المحسوسات ، ولكن كلما كانت تربية الطفل الحسية قوية ، كان تعليمه المجرد ـ فيما بعد ـ اسهل منالا واقرب الى النجاح(٣٤).

فالرسم تعين خيال الطفل على الانطلاق وتشكل صور ذهنية عن المواقف والافكار . وهذه النقطة على جانب كبيرة من الدقة ، لان الرسوم التي يرسمها رسامون مبتدئون او غير متخصصين في الرسم للاطفال ، او مجرد رسامين مهرة يفتقدون الى الروح والذوق الفني ، كل هؤلاء يمكن ان يؤثروا تأثيرا سالبا في ذهن الطفل وخيالاته ، لانهم يحبسون خيالات الاطفال في افاق محدودة .

وما يرسمه الاطفال بأنفسهم هو نوع من التعبير ، وبسبب اعتماد الطفل على الرسم في ذلك ، اضافة الى ما للرسوم من تأثير في نفسه ، فقد اعتمدت وسائل ثقافة الطفل ـ بما فيها كتب الاطفال ومجلاتهم ـ على الصورة المرسومة اعتمادا كبيرا . واستعانت ـ الى حد ما ـ بالصور الفوتوغرافية ايضا . وقد ذهب البعض الى القول ان الرسوم والصور تناسب الطفل اكثر من اللغة المكتوبة او الكلام المباشر ، ذلك ان الكلمة المكتوبة تستدعي بعض الجهد لقراءتها وفهمها ، في الوقت الذي لا تستدعي فيه الصورة كل ذلك ، لان الطفل يجد المتعة في التطلع الى الصورة .

ولهذا تصدر في البلدان المختلفة صحف وكتب لا تضم غير صفحات قليلة تعتمد على الصور والرسوم فقط . وهذه الصورة والرسوم بمجموعها تؤلف ـ في الغالب ـ قصصا قصيرة او معلومات عن اداب المائدة اوالطريق اوعن عالم الحيوان ، ويتقبلها الاطفال الصغار الذين تتراوح اعمارهم سن ٣ ـ ٦ سنوات بشغف عظيم ، لانهم يستطيعون قراءتها من خلال رسومها ، خاصة وان الرسوم والصور تفوق الكلمة في قوة تأثيرها وسهولة فهمها ، وطول فترة التأثير بها ، لانها تخاطب عيني الطفل وفكره وذوقه وخياله .

وبوسع الاطفال اليوم في مختلف اعمارهم ان يفهموا كثيرا من القصص المصورة ، حتى وان كانوا لا يعرفون اللغة التي تصدر بها تلك المجلات او

الكتب ، معتمدين على الرسوم وما تحمله من تعبيرات ومعان • ففي مجلة ايطالية مصورة للاطفال ـ مثلا ـ يستطيع الطفل العربي ان يتعرف الى مضامين كثير من القصص بمجردة التمعن في رسومها حتى وان كان يجهل لغةالطليان •

وقراءة صورة ليست بتلك السهولة دائما ،وكثيرمن الصور يقف الكبار امامها حيارى لفترة غير قصيرة ، لان الصورة في حد ذاتها ليست الشيء ذاته بل هي تمثيل للشيء • لذا وجب ان تكون الصورة المقدمة للطفل بسيطة ، واضحة ، خالية من كثير من التعقيدات والتفاصيل المربكة ، وان تتناسب وخبرات الطفل ومعلوماته وقدراته • والمعنى ليس في الصورة ذاتها بقدر ما هو في من يشاهدها • وهي ليست الا مثير بصري يوحي بالمعاني ويرتبها •

وما يزال بعض رجال التربية عندنا يتخوفون من تسلل الاتجاهات الحديثة في كتب الاطفال ومجلاتهم ، ولكن التجارب التي اجريت في الخارج اثبتت ان الطفل يرحب بمختلف الالوان الفنية الجميلة ، فكتب ، الاطفال ومجلاتهم الحديثة هي في الواقع معارض متجولة يشاهد فيها الطفل احدث الاتجاهات والمدارس والمذاهب الفنية • وهذا يهيء له ان يتعرف الى لغة العصر في المجال الفني • (٣٥)

واذا كانت صحف الاطفال الصغار (٣ ـ ٦ سنوات) تعتمد على الرسوم وحدها ، فان الانسجام والتوازن بين المادة المكتوبة والرسوم لابد ان يتوافر للاطفال بعد سن السادسة •

والرسوم باعتبارها عناصر بصرية تعتمد على نمو حاسة البصر ، كما تعتمد على قدرات الطفل العقلية عموما ، اضافة الى اعتمادها على مدى ثقافة الطفل ، لان فهم الرسم يرتبط بثقافة الطفل نفسه ، شأنه في ذلك شأن اللغة اللفظية ، بل يسمي البعض الرسوم : لغة غير لفظية • ، وهي بهذا ابعد من ان تكون وسيلة من وسائل التعبير الجمالي فقط •

واكثر الرسوم شيوعا في صحافة الاطفال هي الرسوم الكارتونيـــة Cartoons ، والكاريكاتيرية Caricature ويقصد بالرسوم الكارتونيـــة تلـــك التي تعبر عن افكار وحـــوادث ومواقف في الوقت الـــذي يصور الكاريكاتير الشخصيات قبل اي شيء اخـــر • ويلاحظ ان كثيرين يريدون الرسوم الكاريكاتيرية كلاً من الرسوم الكارتونية والكاريكاتيرية ، مصدر هذا الخلط اعتماد اللونين على اسس واحدة في الرسم •

وتعتمد الرسوم الكاريكاتيرية على ابراز السمات الواضحة او الشاذة، ويقال ان اصل كلمة كاريكاتير مأخوذة من كلمة لاتينيـــة تفيد معنى الرسم الذي يبالغ في ابراز العيوب ، لكن هناك رأيا يقول انها مأخـــوذة عن كلمة كاريكير الايطالية التي تفيد معنى : يبالغ •

واهم ما يميز الكاريكاتير هو قوة تأثيره الانفعالـــي الراجع الى قـــوة التعبير وعنفة وعمقه ، وقد يعالج الكاريكاتير موضوعا كاملا او قصـــة او حادثا او تعليقا على حادث بالسخرية او التمجيد او الهجاء او التأييد او المدح او الذم • (٣٦)

ويعاب على الكاريكاتير انه يتحيز الى جانب واحد مـــن الموضوعات الشائكة التي تختلف فيها وجهـــات النظر بأن يضخّم بعض العناصر ويتفّه العناصر المضادة ، وبذلك فهو يضلل ، اذ يوحي بعدم وجود وجهة نظر غير الوجهة التي يمثلها ، بينما توجد في الواقع وجهات نظر متباينة • (٣٧)

والرسوم الكارتونية والكاريكاتيرية تناسب الموضوعات ذات الطابـــع الهزلي او المرح •

وتشيع الى جانب هذا اللون من الرسوم الوان اخرى في صحافة وكتب الاطفال منها الرسوم الواقعية التي تناسب المضامين التاريخيـــة والعلميـــة والثقافية ، والرسوم الزخرفية التي تناسب الموضوعات الخيالية او الشعبية •

خصائص

الرسوم المناسبة للاطفال :

تتميز الرسوم المناسبة للاطفال في مجلاتهم بمجموعة من الميزات ، من ابرزها :

- ان تكون الصور والرسوم جميلة من وجهة النظر الفنية •
- ان تناسب مستويات نمو الاطفال العاطفية والعقلية والفنية والحسية •
- ان تستخدم الالوان فيها ، مع مراعاة درجات التباين اللونيـــة ، وفي حالة اظهار الاضواء والظلال تنبغي مراعاة الدقة التي تفرضها على اللوحة •
- ان تعبّر الصور والرسوم عن الفكرة الرئيسة والافكار الثانوية الاخرى بشكل دقيق •
- ان تكون الرسوم معبرة عن البيئـــة التي تعبر عنها المادة المكتوبـة زمانيا ومكانيا •
- ان يتم التوازن بين المادة المكتوبة وبين الرسوم • فليس مـن المناسب ان تطغى الصور على المادة المكتوبة كما هو الحال في صحف المسلســلات الهزلية Comics التي تحصر خيالات الاطفال في افاق محدودة ، وتجعلهم فيما بعد مجرد باحثين عن القوالب الجاهزة التي لا تستوجب شيئا مـن العناء • لان رسوم المسلسلات الهزليـة لا تسـتلزم في العادة غير قـراءة سطور قليلة الى جانب الرسوم التي تتضح من خلالها وقائع وحـــوادث القصص •
- ان تشكل الرسوم مع المادة المكتوبة وحدة فنية متكاملة من خلال الترابط الوثيق بينهما •

الالوان :

تدرك الاشكال من خلال الالوان •• واللون خاصية ضوئية بصرية ، تعتمد على انعكاس موجات الضوء على السطوح • والاجسـام التي تعكس

كل الموجات نبدو بيضاء ، بينما تبدو الاجسام التي تمتص كل الموجات سوداء •

وتستقبل حاسة البصر الالوان من خلال انعكاس الموجات ذات الترددات المختلفة ، وتتأثر الخلايا العصبية بها ، وتنقلها عبر العصب البصري الى المخ •

وللون دور مهم جدا في الفن ، لان له اثرا مباشرا في الحواس • وربما وضع اللون في مجموعة متوالية تتقابل ومجال الانفعالات ، فيتقابل اللون الاحمر مع الغضب ، والاصفر مع الفرح ، والازرق مع النسوق ، وهكذا •• واغلب الظن ان هناك تفسيرا فسيولوجيا بسيطا لهذا التقابل ، حيث ان العامل الذي يحدد السرور ، او عدم الارتياح ، هو عدد الذبذبات التي تصطدم بها موجات او اشعة الضوء شبكية العين •• كما ان للون نواحيه السيكولوجية ، فبعض الناس يحبون ، او يكرهون ألوانا معينة لانهم يربطون بينها وبين ما يحبون ، او يكرهون ، فهم يحبون اللون الاخضر مثلا، لانهم يربطون بينه وبين الربيع ، او يحبون اللون الازرق لانه يذكرهم بالسماء •• وهم يكرهون اللون الاحمر لما له من ارتباط عندهم بالخطر • (٣٨)

ويختلف تأثير الالوان في النفوس باختلاف الثقافات والمجتمعات كما يختلف باختلاف خبرات الافراد واحساساتهم وانفعالاتهم فيما يتصل بالالوان المختلفة ، ويفضل اغلب الاطفال الالوان الدافئة الزاهية ، بينما يفضل الكبار الالوان الهادئة • وهناك بوجه عام ، الوان تبعث على السرور والبهجة ، اذ تجلب الهدوء والارتياح الى النفس ، بينما هناك ألوان اخرى تثير في النفس الكآبة • فاللون الاحمر من الالوان المثيرة التي ترمز الى القوة والعنف والدم وشدة التأثر ، وهو رغم ذلك لون يفضله الكثيرون ويرتاحون اليه ، لانه من الالوان الزاهية المشرقة • واللون الازرق يرمز الى الصفاء والهدوء ، وكذا الحال بالنسبة الى اللون الاخضر ، فهو لون مهدىء وترتاح

الى رؤيته النفس • ويبعث الاصفر في النفس البهجة والفــرح ، بينما تبعث الالوان البنفسجية القاتمة والسوداء شيئا من الكآبة [٣٩] • وتعبر الالوان الأرجوانية عن الخصوبة والرخــاء • ولكــن المخرج الصحفي او الرسام لا يعتبر هذه الارتباطات قوانين قاطعة • [٤٠]

ولا تستخدم الالوان لمجرد النواحي الجمالية وحدها ، بــل تستخدم لتسهم في تحقيق التمييز بين مكــونات الاشياء ، وابــراز العناصر المهمة ، وتسهيل ادراك العلاقات وتأكيدها ، وزيادة واقعية الخبرات وجذب الانتباه، والتشويق • [٤١]

والاطفال يختلفون في استجاباتهم للالوان ، فبعضهــم يميلــون الى الالوان الصارخة كاللون الاحمر والالوان القريبة منه ، وبعضهم يميلون الى الالوان الهادئة كالخضراء والزرقاء •

وتلون كثير من الرسوم بغير ألوانها الاعتياديــة تبعاً للضوء او تعبيرا عن حالات وظروف نفسية معينة ، كتلوين بعض الوجوه باللون الاحمــر تعبيرا عن العنف والقسوة ، او باللون الاخضر المزرق تعبيرا على الحقد •

الفصل الثاني

كتب الأطفال

المبحث الاول

نظرة عامة

كل منا يتذكر ـ ولا شك ـ لقاءه الاول مع الكتاب ، وهو ، في الغالب، لقاء مع الكتاب المدرسي ، الذي لم يكن جذابا ، وكان في لغته وموضوعاته واسلوبه كثير من الجفاف ، كما كان يخلو من الصور والرسوم والالـوان الجميلة .. ولو كان الكتاب الاول ملائما لمستويات عقولنا وميولنا ونمونا اللغوي ، جذابا ، زاهيا ، لادخل السرور الى نفوسنا ولا صبح اكثر تاثيرا فنيا، ولوجدناه كبارجة كبيرة تنقلنا الى عوالم اخرى . وجواد يطوي بنا شيئا من الازمنة واخرى من الامكنة ، وشاشـة تعرض لنا ألوانا من الفنـون تنمي أذواقنا الفنية ، وتجعلنا اكثر احساسا بالجمال .

ولا شك ان لتلك العلاقة بينا في طفولتنا وبين الكتاب اثارها الواضحة فينا اليوم • ألم تروا اولئك الذين يعزفون عن الكتب اليوم عزوف الذباب عن نسيج العناكب ! ألم تروا اولئك الذين يجمعون الكتب لغرض الجمع ، او اولئك الذين لا يحسنون اختيار ما يقرأون ، او اولئك الذين يرددون ما قرأوه في الاندية والمجالس كالببغاوات دون ان تكون لقراءاتهم تاثير في حياتهم ! ؟ •• ان هؤلاء جميعا لم تكن لقاءاتهم الاولى مع الكتاب حميمة ـ في الغالب ـ لان الكتاب لم يقدم نفسه اليهم في طفولته كرفيق مهيب •

وكم من مرة كانت الكتب الاولى سببا في اقبال الاطفال على القراءة الواعية المستمرة ، مثلما كانت في مرات اخرى سببا في نفرة اطفال اخرين وعزوفهم عن القراءة •• ولاشك ان للكتاب نفسه وللظروف المصاحبة لتقديمه الى الطفل اثرها الفاعل في هذا او ذاك •

كتب الاطفال الاولى تضع لهم خطواتهم على طريق معرفة الناس ، سواء اكانوا يقيمون حواليهم ام بعيدا عنهم ، حيث يقفون عند طباعهم وعاداتهم وعواطفهم وطموحاتهم واهتماماتهم واعمالهم وحضارتهم ، كما انها تفتح اذهانهم على ما اعتدنا ـ نحن الكبار ـ ان نسميه « خيرا » وذاك الذي نسميه « شرا » ، فتنمو مقدرتهم على اتخاذ المواقف الصائبة •

ويعتاد الاطفال ـ من خلال الكتب ـ على الكلمة المطبوعة التي تفتح امامهم عوالم من الصور وتنمي قوة خيالاتهم (٤٢)•

ومن خلال هذا او ذاك يقف الطفل عند مواقف جديدة غير التي يصادفها في بيئته كل يوم فتتنامى رويدا رويدا حواسه ومداركه وتتطور ملكة تفكيره •

ان اي مثقف لا يستطيع الا ان يشير الى ما لا يقل عن كتاب واحد كان له الاثر الكبير في حياته بشكل ما •

ويرى الخبير الفرنسي « موريس فلورانت » ان كتب الاطفال تقودهم الى التفكير والتأمل وطرح الاسئلة على انفسهم وعلى الاخرين ؛ او بمعنى اخر تؤهلهم للمرحلة التالية التي هي مرحلة المراهقة •

ويرى ان الهدف الاساس لقراءة الكتب هو تأمين الارتباط المستمر بين نمو الطفل الجسدي ونمو تفكيره وادراكه مع تجنيبه اي انقطاع يمكن ان يحصل في نمو شخصيته لدى انتقاله من مرحلة الى مرحلة ، خاصة وان العصر الراهن يحتاج بصورة دائمة الى زيادة معلومات الطفل التي يمكن ان يلبيها الكتاب وينمي الرغبة في اكتساب معارف جديدة • (٤٣)

ويشير الشاعر الفرنسي بول ايلوار الى ان الكتاب يعطي القارىء العلوم والمعلومات والانفعالات ، وان الكتاب اذا قرىء من قبل شخصين فانه يقيم جسرا يربط بينهما ، ويستطيع هذا الشخصان اللذان اطلعا على الكتاب مثلا ان يختلفا في تقييمهما له من خلال الاختلاف الايديولوجي والاجتماعي والديني ولكن الكتاب يستطيع ان يقربهما بعضهما الى بعض بالرغم من ذلك لانهما سيحصلان معا على ثروة مشتركة •

وللكتاب تأثيره في الطفل لما له من قدرة على تغذية الصفات الانسانية النبيلة في نفسه ، وتمكينه من تذوق الجمال وتقييمه ، وتعريفه الى كثير من المعارف والقيم ، اضافة الى امتاعه وادخال السرور الى قلبه •

ويؤكد الخبير الفرنسي فلورانت ، ان قدرة الكتاب تنبع من كونه يقدم الافكار والقيم والمفاهيم والمعلومات الى الاطفال مثبتة على الورق ، حيث يتيسر لهم ان يتعاملوا معها وقتا طويلا باناة وتوأدة ، كما يمكن لهم ان يعودوا اليه في اي وقت يشاءون ، في حين لا يتهيأ لهم ذلك من خلال الاذاعة او التلفزيون او السينما او المسرح ، اذ كثيرا ما تغيب عن اذهانهم الصور والقيم بعد وقت غير طويل •

وللكتاب ميزة اخرى انه يبقى بالاضافة الى ذلك الوسيلة التي يمكن

اصطحابها في لحظات الوحدة واوقات الراحة لتدخل في نفس الطفل الانس وتزوده بشتى العلوم والمعارف والصور •

والذي يميز كتاب الطفل عن مجلته هو ان الكتاب يضم لونا ادبيا معينا في الوقت الذي تشكل المجلة اضمامة ملونة من القصص والصور الادبية الاخرى والاخبار ، ولا يمكن لاحدهما ان يكون بديلا عن الاخر لان لكل منهما دوره في حياة الطفولة •

وهناك مطبوعات تأخذ من الكتاب مادتــه ومــن المجلة الصدور في مواعيد ثابتة ، وهي في هذه الحالة تاخذ حالة وسطا بين الكتاب والمجلة ، حيث تصدر في سلاسل متلاحقة، تأخذ كل سلسلةموضوعا معينا ، ففي الوقت الذي تتناول فيه سلسلة معينــة موضوع الاتصالات بين الناس منذ اقــدم العصور ابتداءا بالحمار حتى مركبات الفضاء ـمثلاً ـ ، تتناول سلسلة اخرى موضوعا اخر كالفضاء مبتدئة بتصورات الانسان الخرافية عــن الفضــاء وصولا الى معارف الانسان الحديثة عن الكون •

وتقسم كتب الاطفال من حيث مضامينها الى : كتب قصصية ، وهــي التي تتضمن قصة او مجموعة من القصص سواء كانت قصصا واقعيــة ام خيالية ام بوليسية ام تاريخية ام علمية ام اجتماعية ام دينية ، او كتب علمية، وتستهدف ايصال الافكار العلمية للاطفال والاجابة عــن تسـاؤلاتهم في مجالات العلوم عموما ، وكثيرا ما تتخذ هذه الكتب شــكل سؤال او جواب او تتخذ بناء ادبيا قريبا الى القصة ، او على شكل رحلات علمية بين البقــاع والبحار والمحيطات او بعيدا في الاجواء بين السحب ، او في الفضاء بــين الكواكب والنجوم والمجرات • والكتب الدينية ، وتســعى الى تبســيط المعلومات الدينية للاطفال ، وتستعين في العادة بسرد قصص الانبياء والوقائع والمثل والحكم الدينية ، ومثل هذه الكتب اذا لم تُقدَّم مضامينها بشــكل ادبي وسليم فانها قد تلقي في نفوس الاطفال الصغار الخوف والهلع خاصة اذا

تضمنت قصصا عن الاولياء والجان وغيرها من الامـور التي لا يمكن تقديم كل الاجابات للاطفال عنها بشكل مقنع حيث ان تظل تلك الجوانب مبهمة امام الاطفال ويظلون يتساءلون عنها بالحاح • وكتب الشعر والاغاني والاناشيد، وكتب الحوليات ، ودوائر المعارف والمعاجم المصورة ، وكتب الرحـلات ، والكتب التاريخية وكتب المشاهير •

ومن جانب آخر تقسم كتب الاطفال وفقا لمراحل نمو الاطفال ، حيث نجد كتبا خاصة بالاطفال الذين ما يزالون دون سن المدرسة ويطلـق عليها كتب الاطفال الصغار ، وكتب اخرى للاطفال الذين تتـراوح اعمارهم بين ٦ ــ ١٢ سنة ، وكتب اخرى لمن هم اكبر من ١٢ سنة •

المبحث الثاني

كتب الاطفال الصغار

في تقديمنا لفصل « قراءات الاطفـال » اشرنا الى العوامـل الاساسية التي تؤثر في مدى استجابة الطفل للكتاب • وقد قسمت تلك الاستجابات ابتداءً من السنة الثالثة •• ووجدنا أن مراحل نمو الاطفال عقليا وعاطفيا ونفسيا واجتماعيا ولغويا من جانب ، وطبيعة البيئة التي يحيا فيها الطفـل والاستعداد الذي يكتسبه الطفل من تلك البيئة من جانب آخر ، تقرر نوع وطبيعة استجابة الطفل نحو الكتب •

والسنوات التي تسبق دخول الطفل الى المدرسة تشكل مرحلة حاسمة من حياته ، لما لها من تأثير كبير في مستقبله ، وتشير البحوث والدراسـات النفسية والاجتماعية ان الطفل يمر في هذه الفتـرة بمرحلة تربوية تفـوق خطورتها أية مرحلة تربوية مقبلة •

ومن هنا تتأتى خطورة الثقافة للطفل خلال هذه المرحلة ، وخطورة توجيهه توجيها سليما ، ولكن اذا كان من اكبر الاخطاء التبكير بتوجيـه

الطفل توجيها مقنناً قبل الموعد المناسب او تأخير توجيهه الى ما بعد فوات الوقت الملائم ، فان هناك خطأ آخر لايقل خطورة هو : الخطأ في طـــرق واساليب التوجيــه •

وقد نشأ خلال السنوات الاخيرة اهتمام جدي بهذه المرحلة في بلدان العالم المتقدمة ، على وجه الخصوص ، فأنتجت الافـــلام القصـــيرة التي يستطيع الاطفال الصغار فهمها ، وقدمت لهم برامج تلفزيونية ومسرحيات وكتب ومجلات •

وبهذا ظهرت اضافة جديدة من ادب الاطفال لاولئك الذين لم يتعلموا القراءة والكتابة ولم يدخلوا المدارس بعد •• واطلق على هذه الاضافة : أدب الاطفال الصغار •

واذا كانت صورة هذا الادب واضحة بعض الوضوح من خـــلال التلفزيون والمسرح ، فهي من خلال الكتاب والمجلة تثير التساؤل : اذ كيف يمكن لاولئك الذين لم يتعلموا القراءة والكتابة بعد أن « يقرأوا » الكتب والمجلات ؟!

والاجابة عن ذلك يسيرة ، ذلك ان كتب الاطفـــال الصغار تعتمد على الصورة قبل الكلمة ، حيث يجد الاطفال كتابا في صـــفحات قليلة يزدان بالرسوم الجميلة المتتالية التي تشكل في مجملها قصة قصيرة او فكرة بسيطة صغيرة • ويستطيع الطفل في هذا العمر من فهم عـــدد غير قليل من تلك القصص والافكار بنفسه ، ولكن في كثير من الاحيان يتولى الاب او الام معاونة الطفل في تقليب صفحات الكتاب ، ومتابعة وقائع القصـــة أو تبين الفكرة التي تعبر عنها الرسوم •

وبعض كتب الاطفال الصغار تكتفي بالرسوم وحدها عندما تستطيع الرسوم ابراز حوادث القصة وفكرتها ، وفي احيان اخـــرى تكتفي بكلمـــة واحدة او مجموعة كلمات في الصفحة الواحدة ، لتكون عونا للام او الاب

في قراءة حوادث ومضمون القصة ، واحيانا تتصدر الكتاب مجموعة من السطور ، هي القصة بكاملها ، بينما تحوي الصفحات الاخرى رسوم القصة فقط •

وكتب الاطفال الصغار ، ذات اشكال جذابة ، ورسومها زاهية ، وصفحاتها سميكة مصنوعة من الورق والمقوى او القماش او البلاستك •

ولا تقتصر كتب الاطفال الصغار على القصص المنثورة ، بل تتوفر كتب تتناول موضوعات متعددة كالشعر والغناء والمعلومات •

ومن كتب الاطفال الصغار ما لها مزايا اللعبة ، كالكتب التي تطوى طياً ، أو تفك وتشكل تشكيلات مختلفة ، والكتب التي يمكن للطفل أن يحولها الى مجسمات كالقطارات والسيارات والعمارات ، وترفق مع بعض هذه الكتب دمى صغيرة تتحرك بين أقسام القطارات او السيارات او العمارات ، كما ترفق مع بعض الكتب دمى عديدة تمثل كل أشخاص القصة ، بحيث يتسنى للطفل أن يستعيد القصة من خلال الدمى ، ويرتبها شخصية بعد شخصية حسب ظهورها في القصة ، معتمدا في ذلك على رسوم الكتاب ذاتها •

وقد يستهين البعض باهمية الكتب للاطفال في هذه المرحلة ، واولئك ، ولاشك ، يجهلون تأثيرها القوي في نفوس الاطفال •• فهي تنمي في أعماقهم أفكارا واتجاهات نفسية واحساسات وخبرات جديدة ، وتقوي قدراتهم على الملاحظة الدقيقة ، وتفتح أمامهم آفاقا واسعة من المعرفة والاكتشافات ، وتعد واحدة من المنبهات القوية المحيطة بالطفل ••

فمن خلال نقل الراشد ـ أما كان ام أبا أم أخا أكبر ـ الى الطفل مضامين الكتاب ، يتزايد نمو الطفل اللغوي ازديادا واضحا ، حيث يتعرف الى مفردات وتعابير جديدة ، اضافة الى تعرفه الى نطق الكلمات بشكل صحيح ، وقد لايتهيأ للطفل ذلك كله في هذا العمر دون الكتاب •

والاصغاء ، الذي يقولون عنه انه فن ، يمكن ان يعتاده الطفل منذ

صغره ، عن هذا السبيل ، لان مضمون الكتاب الجيد يجـذب الطفـل ويسحره ، فينتبه ، بكل جوارحه ، الى ما ينقل اليهمنه ، ولاشك ان الاصغاء الجيد هو الاساس الذي يتيح للطفـل تقبل قيم ومفاهيم وافكار كثيرة في مستقبل حياته .

يضاف الى ذلك ان علاقة تعاطف متينة تقوم بين الطفل والراشد ، أبا كان ام أما ام أخا اكبر ، حين يجد الطفل من يعنى به ، ويقدم لـه قصصا وأفكارا لذيذة ، واجابات عن كثير من التساؤلات التي قد تعن له . وهذه العلاقة هي أساس الشعور بالثقة بين الطفل ومن حـوله ، وهي كفيلة بالاسهام في منحه الثقة كي يجتاز اساليب مرحلة الطفولة الاولى .

ومن خلال الصور المعبرة يستوحي الطفل خيالات تزيد في آفاقه ، حيث تفتح له السبيل لتخيل صور تفوق تلك التي يراها ، وبمرور الوقت يبدأ في توقع تنائج معينة ، ويصدر أحكاما ، ويكتسب قـدرة على فهم العلاقات بين الاسباب والنتائج الى حد ما .

وفوق هذا وذاك فهي تنمي الـذوق الفني لدى الاطفال من خـلال صورها الجميلة التي تشكل الوانا من الفنون التشكيلية .

وهذه كلها تضاف الى دور هذه الكتب في تنمية علاقة وطيدة بين الطفل والكتاب قبل سن المدرسة . والطفل الذي تقع عيناه على الكتب لاول مـرة عند دخوله المدرسة يميل الى الربط بين الكتب وبين وضعه الجديد الـذي كثيرا ما يهاب منه او يرفضه ، وعنـد ذاك تظـل النفرة بينـه وبين الكتاب مستمرة حتى بعد انهائه دراسته .

ولا شك ان مادة الكتاب ، في هذه المرحلة ، من حياة الطفل ، تلعـب دورا بارزا في تنمية احساس رقيق لدى الطفل ينم عن رضاه عن نفسه اولا وعن الكتاب ثانيا . وعليه ينبغي ان لا تكـون مادة الكتاب ساذجـة دون مستوى الطفل او صعبة لا تتسع لها قدراته ، لان سذاجتها تجعله يستهين بالكتاب ، و تفقد في نفسه روح التحدي ، ولا يجد في الكتاب تلبية لحاجة

من حاجاته • وصعوبتها توقع الكتاب في دائرة نفرة الطفل ، وعند ذاك قد تكون العلاقة ـ عندما يساء تقديم الكتاب المناسب للطفل ـ نقطة افتراق بين الطفل والكتاب في وقت يراد للطفل فيه ان يشعر بحاجة طبيعية الى رفقة دائمة مع الكتاب ، والاستمرار في التعلم ، استنادا الى الخبرات السعيدة الاولى •

ويمكن من خلال هذه الكتب تناول حكايات صغيرة ، قصيرة ، ابطالها في الغالب ، من الحيوانات ، كما يمكن تناول معلومات عامة ، وكل ما يغرس فيهم قيم الاعتماد على النفس والمثابرة والشجاعة ، وحب الطبيعة والرفق بالحيوان ، وحب الوالدين ، وآداب المائدة والمحادثة ، والنظافة ، فضلا عن اسباغ روح المرح على حياة الاطفال •

ان تكوين العادات الصحيحة لدى الاطفال من اهم اغراض التربية الخلقية ، لان كثيرا من جوانب السلوك تقوم عليها • ومعاونة الطفل منذ نعومة اظفاره على تكوين العادات السليمة من خلال الكتب ـ الى جانب ادوات ووسائل اخرى ـ هي من اساسيات توجيه الاطفال •

ويستلزم الحذر الشديد والدقة في مخاطبة الطفولة في هذا العمر ، لان اكتساب الطفل لاي عادة سيئة سيكون لها تاثير سلبي كبير في نفسه ، اضافة الى ان تعلم عادة سيئة في البداية يعرقل كثيرا من العادات الطيبة • وتصحيح اية عادة سيئة يستغرق وقتا طويلا وقد لا تؤدي المساعي الى نتيجة مجدية •• ان الاطفال في هذا العمر يمتلكون مرونة واستعدادا تمهدان لانشاء العادات والقيم الطيبة •

والمؤسف اننا لا نجد كتبا لاطفال هذه المرحلة من مراحل الطفولة في الوطن العربي وقد نجد احيانا كتبا مترجمة فقط ، هي في حد ذاتها غير مناسبة لاطفالنا •

والطريف ان بعض كتب الاطفال لهذه المرحلة في بعض بلدان تتناول موضوعات غريبة • ففي السويد مثلا تصدر كتب للاطفال الصغار تتحدث عن كثير من جوانب الحياة ، بما في ذلك قضايا الجنس (٤٤) •

المبحث الثالث

كتب الاطفال في العالم

بعد اختراع الطباعة ، صدرت كتب عديدة تضم حكايات شعبية وخرافات ، وكان في مقدمتها خرافات ايسوب التي طبعت بين عامي ١٤٧٥ – ١٤٨٠ .

ولم تكن تلك الخرافات الشعبية مخصصة للاطفال ، ولكن كان يمكن لهم ان يجدوا في بعضها شيئا من المتعة . وقد أدخلت بعض تلك الخرافات والحكايات في المناهج الدراسية المقررة .

واعقب ذلك صدور كتب دينية عديدة منها على سبيل المثال كتاب « وصية لابن » لفرانسيس اوزبون عام ١٦٥٦ .

وفي عام ١٦٥٨ صدر اول كتاب مصور للاطفال .

وبعد ترجمة الف ليلة وليلة الى اللغات الاوربية ابتداء من عام ١٧٠٤ ، وغيرها من الحكايات والاقصاصيص العربية ، والشرقية عموما ، اخذ

الكتاب الاوربيون ينسجون قصصا للاطفال من وحي تلك الحكايات والاقاصيص .

ورغم ذلك ، فان اهتماما حقيقيا بكتب الاطفال لم يكن ظاهرا آنذاك .. بل ان جان جاك روسو اكتفى بكتاب واحد هو « روبنسون كروسو » للطفل « أميل » .

واول من اصدر مجموعة وفيرة من كتب الاطفال هو الناشر والاديب جون نيوبري (١٧١٣ - ١٧٦٧) اذ تولى معدد من المؤلفين تبسيط عدد كبير من قصص الكبار وتقديمها الى الاطفال في سلاسل كتبه ، منها رحلات جاليفر ، وروبنسون كروسو ، وغيرها من القصص والحكايات الشعبية والخرافات .

ولكن مع بدايات هذا القرن حدث تغير هائل في عالم ثقافة الطفل وكتبه ومجلاته . ويصل الاهتمام بكتب الاطفال اليوم مرتبة متقدمة . ففي الاتحاد السوفيتي يجد ٧٠ مليون طفل يتكلمون ٥٧ لغة ما معدله ٣٫٥ كتاب جديد لكل طفل ، وهذه النسبة توازي ما يصدر من كتب الاطفال في انكلترا تسع مرات ، وفي الولايات المتحدة الامريكية اربع مرات . ورسوم تلك الكتب في الغالب ، ذات طابع واقعي بعيد عن التجريدية . وتتولى اصدارها عشرات الدور المتخصصة بنشر كتب الاطفال ، ينصرف فيها عدد كبير من الكتاب والرسامين والعلماء والمربين والمختصين بشؤون الطباعة . وتصدر هذه الدور في العام الواحد ما يزيد عن الف وخمسمئة كتاب بملايين النسخ ، منها الكتب القصصية ، والكتب العامة ، والكتب العلمية المبسطة والعلمية الخيالية ، وكتب الشعر ، وكتب الفنون التشكيلية والموسيقية ، والكتب التي تتحدث عن مشاهير العالم في مجالات الفكر المختلفة ، وكتب الرحلات وتطبع بعض هذه الكتب باكثر من ٣٠٠ ألف نسخة . (٤٥)

ومن بين هذه الكتب ما هو مترجم عن لغات اخرى ، ومن ابرز الكتاب الذين يترجم لهم هناك الكتاب الانكليز والامريكان ، والفلنديين والهنود

والبولنديين والبلغار ، وغيرهم • وفي عام ١٩٦٤ ترجمت كتب اطفال من ٧٢ لغة الى مختلف اللغات في الاتحاد السوفيتي

هذا ، مع العلم ، دار النشر الاولى لكتب الاطفال ، قد انشئت خلال الايام الصعبة لمولد الاتحاد السوفيتي ، وكانت اول دار نشر لكتب الاطفال في العالم • ويزيد اجمالي الكتب التي صدرت عنها وعن الدور السبعين الاخرى المتخصصة بالنشر للاطفال ، حتى الان اكثر من ٤٥٠٠ مليون نسخة •

وتركز الكتب التي تصدرها دور النشر السوفيتية على تغذية صفات العطف ، وامداد الاطفال بالقابلية على تقييم الجمال وتشويقهم الى الوقوف على ما ضيهم وحاضرهم ، وادخال السرور الى نفوسهم ، لكي ينشئوا فيهم القوة والشجاعة وحب العمل الجماعي وحب الانسان ، مع تعريفهم بدولتهم، وكان مكسيم غوركي يقول :

« يجب ان نكتب للاطفال كما نكتب للكبار • ولكن يجب ان نبذل عناية خاصة واهتماما كبيرا بما نكتب للاطفال ، فالاطفال يتطلعون الى شيء مثير وغير عادي •• فلنقدم لهم هذا الجديد ••

وفي المانيا الديمقراطية تعمل (دار نشر الاطفال ـ برلين) على اصدار كتب خاصة بالاطفال ، لمختلف مراحل الطفولة ، وهي تستعين بكبار المؤلفين والرسامين والمختصين بشؤون الكتب والمكتبات • وكانت هذه الدار قد اسست عام ١٩٤٩ ، واصدرت منذ ذلك التاريخ هذه الدار اواسط عام ١٩٦٦ اكثر من ٨٥ مليون كتاب • وقد احتفلت هذه الدار عام ١٩٧٤ بالعيد الخامس والعشرين لتأسيسها ، واعلنت عن انتاجها ١٢٥ مليون نسخة من كتب الاطفال •

ورغم ان اهتمام الدول الاشتراكية بكتب الاطفال اوسع واكبر بكثير من اهتمام البلدان الغربية بوجه عام ، الا ان شركات واتحادات دور النشر

الغربية تقوم بدور كبير في اصدار الوان الكتب الخاصة بالاطفال ، وهي في غالبيتها ذات طابع تجاري ، باستثناء الكتب التي تتولى التنظيمات الدينية والسياسية اصدارها •

ففي انكلترا تقوم دور النشر الخاصة بنشاط واسع لنشر الكتب التعليمية وكتب الاطفال ، حيث ان وزارة التربية هناك لا تقرر كتبا معينة على التلاميذ في اغلب المواد ، بل تضع المناهج ثم تقيم المعارض الدائمة للكتب التعليمية ليطلع عليها المعلمون لاختيار افضل الكتب التي تعالج الموضوعات الواردة في المناهج ، وهم يختارون اكثر من كتاب في كل مادة كي لا يتحول التلاميذ الى ما يشبه الآلة الحافظة او آلة التسجيل ، كما انهم لا يفرضون اتجاها معينا او وجهة نظر محددة في اي من المواد ، ويدربون الاطفال على تجميع المعلومات من عدة كتب ، ويعملون على تنمية قراءات الاطفال ودفعهم الى بذل الجهد لالتقاط المواد الدراسية من بين صفحات كتب عديدة ، كي لا يصبحوا سلبيين او مجرد متلقين •• اذ يرون ان كتابا واحدا مقررا يجعل من الكتاب مقدسا ، وهمهم هو تحطيم قدسية كتاب واحد ، وعدم احاطة كتاب، مهما كانت قيمته بهالة من القدسية التي تحول بين الطفل وبين كتب اخرى وكتاب اخرين •

وعليه ، لا تتضح هناك فوارق كبيرة بين الكتاب المدرسي وبين الكتاب الثقافي ، حيث انهما يتداخلان ويتمزجان في كثير من المواد مثل اللغات والعلوم والاجتماعيات والرياضيات ولكن الى جانب ذلك تتوفر كتب اخرى ، تباع في حوانيت الكتب ، ويشتريها الاباء والاطفال وتزود بها المكتبات المدرسية ، وتشتمل على القصص والحكايات وشؤون المعرفة الاخرى » (٤٦)

وفي ايطاليا يلاحظ ان ٨٠٪ من كتب الاطفال مترجمة عن مؤلفات لكتاب غير طليان ، فالكتب المقدمة لهم غريبة عنهم ، وكثير منها ، اما

مجموعات من المعارف والمعلومات المدرسية ، كدوائر المعارف ، او مجموعات من القصص المليئة بالمغامرات التي تدور اغلبها حول الحرب العالمية الثانية ، وبالذات في الفترة التي احتل فيها النازيون ايطاليا ، وتستهدف هذه القصص تأكيد معنى سياسي : هو ان ايطاليا تقاوم النازية والفاشية ، وانها كانت مع الحرية .. وذلك بهدف ربط عجلة البلاد والاطفال بالغرب والفكر الغربي . (٤٧)

وتتدفق على ايطاليا كتب المسلسلات والمغامرات الامريكية التي تعمل على تخريب عقول الاطفال .

المبحث الرابع .

كتب الاطفال في الوطن العربي

في الوقت الذي عم العالم كله اهتمام واسع بكتب الاطفال ، ظل الطفل العربي دون كتاب خاص به .. واذا اردنا ان نقول الحقيقة كلها ، فان كتبا قليلة صدرت للاطفال بمبادرات شخصية بادىء الامر وقد استغلت مؤسسات « ثقافية » اجنبية ذلك الجدب في عالم ثقافة الطفل العربي ، فعملت على نشر عدد من الكتب المترجمة ، وتعاونت مع مؤسسات نشر عربية في هذا المجال ، واغدقت على بعض الكتاب والمترجمين بالاموال كي ييسروا لها هذه المهام . ولم تكن تلك المؤسسات « الثقافية » الاجنبية تريد للطفل العربي ان ينمو نموا سليما ، ولا شك ، بل كانت تهدف الى تكريس الاتكالية والانانية واللاابالية في نفوسهم ، وتسريب المفاهيم الاقليمية الى قلوبهم الغضة ، وابعادهم عن واقعهم ، ليشبّوا ، فيما بعد ، غرباء عن الحياة ، متمردين ، ناقمين ، جبناء لاتربطهم وحدة فكرية او ثقافية محددة الابعاد بقدر ما تمزقهم اشتات من الافكار والمفاهيم المتناقضة .

وبذلك ، وجدت تلك الكتب الطريق الى قطاع محدود من الاطفال .

وكانت حجة القائمين عــلى اصدارها ، واولئك الذين فتحوا اذرعتهم لها — من غير الاطفال — : ان اطفالنا وجــدوا فيها كثيرا من اللـــذة . ولكن هذه الذريعة مردودة ، لان تلك « اللذة » التي تحملها تلك الكتب المترجمـــة منبعها « المخدر » .

وهذا لا يعني اننا نريد حجب كتب الاطفال الاجنبية عموما عن اطفالنا ومنع ترجمتها الى اللغة العربية ، ولكننا نشير هنا الى اتجاه كانت قد خططت له « جهات » انشئت بالاساس في بعض الاقطار العربية لتتولى تسهيل مهام الغزو الثقافي ، فانتقت من كتب الاطفال الغربية ما يحقق لها ذلك .

هذا بالنسبة الى بعض كتب الاطفال الاجنبية التي رشـــق بها اطفالنا رشقات خفيفة ناعمة كانت شديدة الوقع في تأثيرها .

وكان يوازي هذا الاتجاه ، اتجاه اخر لا يقل ضررا عن الاتجاه الاول ، وهو تقديم اشتات متفرقـــة من حكايات العرب وايامهم ومعاركهم وامثالهم بشكل عشوائي ، لم يستند الى اسس سليمة تتفق مع قدرات الاطفال العقلية والخيالية واللغوية ، ولم تجر عمليات انتقاء وتنقية مناسبة لتلك الحكايات والايام والمعارك والاقوال والامثال ، بل قدمت بكل ما فيها من جفاف ومن قيم سلفية ، واحيانا كثيرة ، بلغة عربية غير معاصرة . وقد كان لهذا اثره في عزوف الاطفال عن قراءتها .

وفوق هذا وذاك ، فقد صدرت بعض كتب المعلومات والمعارف العامة ذات الطابع المدرسي ، وقد قيـــل عنها انها كتب اطفـــال . لكن الاطفال لم يأبهوا لها كثيرا لانهم لم يجدوا فيها ما يجتذبهم .

ولكن لابد من الاشـــارة الى ان كتبا ذات مضامين تراثية واخـــرى مترجمة صدرت بمستوى جيد ، ولكنها كانت نادرة الى حد بعيد .

وخلال السنوات الاخيرة ، وبالذات عند مطلع السبعينات بدأ الوعي باهمية كتاب الطفل يتسع فوجدنا مؤسسات عربية تعنى بشؤون كتاب الطفل

في العراق وتونس ولبنان ، وهذه العناية يمكن ان تكون منطلقا لاصدار كتاب الطفل المناسب ٠

وفي المؤتمر الاول لثقافة الطفل الذي عقدته وزارة التربية والتعليم في مصر من ١٤ الى ١٦ مارس ١٩٧٠ تنبه المؤتمرون الى ذلك الفيض من كتب الاطفال الذي لم يكن يشتمل الا على عدد قليل مناسب ، حيث جاء في توصيات ذلك المؤتمر :

[لو حاولنا احصاء الكتب الصادرة باللغة العربية لوجدنا ان عددها نسبيا غير قليل ، ولكن اغلبها تميز بطابعه الضعيف ٠ لذا فان المؤتمر يناشد العاملين في ميدان اصدار كتب الاطفال من مؤلفين ورسامين وناشرين ومن اليهم ان يجعلوا لمعايير الجودة والاتقان المكانة الاولى من اهتمامهم بصرف النظر عن « عدد » الكتب التي يصدرونها] ٠

والواقع ان كتاب الطفل يواجه مشاكل خاصة به ، اضافة الى ان مشكلة الكتاب بوجه عام تؤثر هي الاخرى على كتاب الطفل ، بما في ذلك قلة انتاج الكتب ككل في الوطن العربي ٠

والاحصائيات بهذا الشأن تشير الى ان انتاج الكتب في الوطن العربي يبلغ حوالي خمسة الاف كتاب في السنة اي ١٪ من المجموع العالمي الذي بلغ عام ١٩٦٩ حوالي نصف مليون كتاب ، وهناك فجوة فيما يخص الكتب العلمية ، اذ ان ٤٠٠ كتاب فني كل عام لا يلبي حاجة الاقطار العربية التي تواجه مشاكل التطور والتنمية ٠(٤٨)

وعلى هذا فان معدل الانتاج السنوي في الوطن العربي يبلغ ٤٠ كتابا لكل مليون نسمة مقابل المعدل العالمي البالغ ١٤٠ كتابا ، وعدد النسخ ٤و٠ لكل فرد مقابل المعدل العالمي البالغ ٣ر٢ ٠

وفي عام ١٩٧٠ كانت كتب الادب والكتب العامة تمثل ٢٠٪ من المجموع او حوالي الف كتاب ، طبع منها ثلاثة ملايين نسخة بينما كان ينبغي

ان تصل الى اربعة الاف كتاب بثمانية عشرة مليون نسخة حسب حاجات الحد الادنى • (٤٩)

وفي عام ١٩٧٠ بلغ عدد الاطفال دون سن الخامسة عشرة ٥٤ مليونا في الوطـــن العربي او ٤٥٪ من مجموع السكان ، منهم ٣٢ مليونا يمكنهم القراءة ، وهم يحتاجون الى ما لا يقل عن ١٥٠٠ كتاب سنويا باثنين وثلاثين مليون نسخة •

عيوب اخرى في كتب الاطفال في الوطن العربي :

اضافة الى ضعف مستوى كتب الاطفال في الوطـــن العربي عموما ، وضآلة عددها نسبة الى سعة جمهور الاطفال ، هناك جوانب ضعف اخرى ، من ابرزها :

١ ــ نحن نعلم ان كل طور من اطوار الطفولة له خصائصه وحاجاته الخاصة ، وهذه الخصائص والحاجات تفرض لكتاب الطفل في كل مرحلـــة شكلا ومضمونا ، يتناسب وقدرات الطفل النفسية والاجتماعية والعقليـــة واللغوية •

ولكن هذا الجانب الاساسي في ادب الاطفال غائب الى حد بعيد ، فما تزال كتب الاطفال ذات طابع شامل • ففي كتاب واحـــد نجد قصة يمكن ان تصلح لاولئك الذين لم يصلوا سن المدرسة الى جانب قصة اخرى لا تصلح الا لاولئك الذين شارفوا على اعتاب المراهقة ، بل قد نجد الى جانب ذلـــك قصة ثالثة لا تصلح للطفولة اساسا • وهـــذا لا ينطبق على كتب القصص وحدها بل يتعداها الى جميع الالوان الادبية التي يجدها الطفل في كتابـه • فهذا كتاب « ديني » نجد في الفصل الاول ما يرعب الطفولة ويفزعها عـــن طريق ايراد غيبيات لا يمكن ان يستوعبها الطفل ، وفي الفصل الثاني كلام عن الجنة التي تجري من تحتها الانهار ، والنار الموقدة وفي الفصل الرابع عودة الى ما هو مفزع ومخيف من خلال كلام ينطوي على ما معناه : ان الموت آت اليكم ياتاركي الصلاة •

ونجد كتابا اخر ذا صبغة علميـة يتناول فصولا عن « اصل الانسان » يقول ان اجدادنا كانوا قرودا يتسلقون الشجر ويرقصون . ولا شـك ان الطفل غير قادر على فهم مثل هذه الامور .

ويمكن ان نجد أمثلة كثيرة تكشف لنا عن عدم توافق مضامين كتب الاطفال مع مراحل نموهم .

يضاف الى ذلك اننا نجد كتبا لا تتلاءم في لغتها واسلوبها مع ذخيرة الطفل اللغوية ، ونجد اخرى تتحدث بلغة بدائية ساذجة في الوقت الـذي ينبغي فيه ان تتناسب الالفاظ والعبارات طرديا مع الحصيلة اللغوية للطفل .

اما بالنسبة الى كتب الاطفال الصغار التي تقدم لاولئك الذين لم يتعلموا القراءة والكتابة بعد ، فان دارا للنشر لم تجرؤ حتى اليـوم على اصدارها لان بعض تلك الدور تتوخى الربح المادي ، وهـي لا تريـد ان تجازف في بدايات لا تتوقع لها مثل ذلك الربح .

٢ ـ هناك كثير من الكتب الصادرة للاطفال لا تلتزم الدقة العلميـة ، وحجة بعض كتابها ، اننا يمكن ان نقدم للاطفال ما يمتعهم ويسـليهم دون اعتبار لتلك الدقة ، ولكن من قال ان التحرر من الالتزام العلمي هو سبب لامتاع الاطفال وتسليتهم .. ان الكتابة الفنية للاطفال توجب مزيدا مـن الالتزام بالدقة . والكاتب المجيد هو الذي يلتزم هذا الجانب ، ويضفي عليه ما يمتع الاطفال وما يثيرهم وما يجذبهم . ونحن حـين نقـدم المعلومات والافكار الخاطئة للاطفال سنواجه صعوبة بالغة في تصحيحها في مسـتقبل الايام ، فضلا عن ان تلك المعلومات الخاطئة التي تقدم للطفل لاتتيح لـه ان يتعرف على الحياة تعرفا صحيحا .

٣ ـ ومن حيث الشكل ، وما يـزال اخراج كثير من كتب الاطفـال العربية ضعيفا ، فاغلب الكتب المترجمة تنقل الرسوم الاصلية ، وبعض تلك الرسوم تصور جوانب من الحياة والتفكير والعادات والازياء تختلف عما هو متعارف عليه بيننا .

وبعضها ، لا تستعين بالرسوم اطلاقا ، وهذا نقص كبير ، لان للرسوم دورها الكبير في تنمية الذوق الفني للطفل ومساعدته على تكوين صور ذهنية جديدة لمضمون الكتاب ، اضافة الى ان الرسوم والالوان تبعث في نفس الطفل الرضى •

وبعضها الاخر ، تستعين بالرسوم ، ولكنها تجعل منها خلفية للكتابة ، وفي هذه الحالة قد تغطي الكتابة على الرسوم ، او قد تغطى الوان الرسوم ، على الكتابة وبذا تفقد الصورة تاثيرها •

وكثير من تلك الكتب تطبع بحروف ناعمة يضجر الطفل من قراءتها ، واخرى تزيد في تعقيد القراءة عن طريق تشكيل اواخر الكلمات في الوقت الذي ينبغي فيه تشكيل الكلمات الصعبة التي يمكن ان تؤدي دون تشكيل الى معنى اخر •

ومع ان هناك دور نشر عربية عديدة اخرجت كتبا ذات طباعة انيقة ورسوم جذابة الا ان هذا لم يجنبها الوقوع في اخطاء ادبية وفنية وعلمية عديدة •

ويصف احد الفنانين المشرفين على احدى سلاسل كتب الاطفال الحديثة، كتب الاطفال العربية •

« •• انها تحمل قصصا فاشية •• والكتاب يسقط على الطفل من فوق، فاللغة ليست لغته ، والصور او الرسوم ليست من عالمه ، والخط ايضا غريب عنه ، حيث نختار لغة معقدة ، ورسوما تزيينية او توضيحية لافكار تربوية قديمة وخط رقعي او نسخي معقد ايضا » (٥٠)

المبحث الخامس

شكل الكتاب

حين يقف طفل عند مجموعة من كتب الاطفال ، في حوانيت البيع ، نجد انه يلقي بنظره اليها فترة قصيرة ، ثم يمد يده لالتقاط واحد منها .. ويبدأ في تأمل غلافه وتقليب صفحاته ، وقد يعيده الى موضعه ليلتقط كتابا اخر ، ويتطلع الى غلافه ويقلب صفحاته ، ويتأمل رسومه الداخلية .

ترى ، ما الذي يدفع الطفل الى التقاط هذا الكتاب ، ثم ما الذي يدفعه بعد ذلك الى اعادته لالتقاط كتاب اخر .

في البداية قد يستهويه جمال الغلاف ، او حجم الكتاب او عنوانه ... وبعد ان يقلب صفحاته ، قد لا يجد فيه الطباعة الانيقة التي تجتذبه ، او الرسوم التي تشوقه ، او الالوان التي تسحره ، او الورق الذي يستهويه ، فيلقى به جانبا ، وقد يجد هذه كلها اضافة الى المضمون الذي يشوقه ، فيحتضن الكتاب برفق .

اذن ، هذا يعني ان الاطفال يريدون كتبهم جميلة ، ذات احجام مناسبة،

وطباعة انيقة ، وحروف واضحة ، واغلفة قادرة على الاحتمال .. اي ان يكون اخراجها جيدا وتصنيعها ممتازا اضافة الى المضمون الجيد .

والاخراج الجيد هو التعبير الشكلي الصادق الجميل عن المضمون ، وهذا يعني ان الاخراج الجيد يهدف الى اغراض جمالية كجاذبية الكتاب ، واخرى تطبيقية تحقق الوضوح والدقة والصدق في التعبير وسهولة القراءة ويسر الفهم .

ويحتل اخراج الكتاب اهمية في استهواء الطفل ، وفي تنمية ميله لقراءته، لذا اهتمت مؤسسات النشر المختلفة باخراج كتب الاطفال اخراجا انيقا جذابا وامسى اخراج كتب الاطفال عملية صناعية فنية .

اما الجوانب الاساسية التي يستند اليها اخراج كتب الاطفال فهي :

اولا : جاذبية الغلاف ، والوانه ، وحركته :

الغلاف الجميل ، هو الوجه الذي يطل على الاطفال ، فتسرهم اطلالته ، فينجذبون نحوه ، وكثير من الاطفال ينتقون كتبهم لجمال اغلفتها .

ومن المناسب ان يكون في غلاف الكتاب شيء كثير من التعبير عن مضمون الكتاب ، وان تكون الوانه متناسقة بدرجة عالية ، وان يكون تصميمه مبسطا خاليا من التعقيد ، وان يثير في مجمله شيئا من مكامن الطفل او يلبي شيئا من حاجاته النفسية .

ويراعى ان تكون اغلفة كتب الاطفال متينة كي لا تكون عرضة للتلف السريع .

ثانيا ــ جمال تصميم الصفحات الداخلية :

لا يشكل الغلاف الشيء الرئيس في الكتاب ، مادام الطفل سيطوي بعد حين صفحة الغلاف الاولى منتقلا الى صفحاته الداخلية ، والطفل سرعان ما يلقي بالكتاب جانبا اذا لم يجد في صفحاته الداخلية ما يلبي له حاجاته في

التذوق الفني الجميل •• وعليه ، لابد ان يكون تصميم الصفحات خاليا من التعقيد ، وان تزدان الصفحات بالرسوم المناسبة التي تزيد في وقع الكلمة المكتوبة ، وتمنحها ابعادا جديدة •

ومن الضروري وضع الرسوم في اماكنها المناسبة على الصفحات ، وان تكون متفقة في تفاصيلها الى حد ما مع النص المكتوب ، وهذا لا يعني اننا ندعو الى الاتفاق الكامل ، لان الرسوم في كتب الاطفال ، ليست وسائل ايضاح بقدر ما هي لمسات فنية اخرى تضفي على النص الادبي قوة تعبير وجاذبية •

اما الالوان ، فمن الضروري مراعاة تناسبها مع مراحل نمو الاطفال وبيئاتهم وحياتهم الاجتماعية ، اضافة الى تناسق الالوان ذاتها •

ويجد الاطفال في بعض بلدان العالم كتبا على جانب من الاناقة ، فقد صنع بعضها من البلاستك ، واخرى من القماش المعطر ، او ورق المقوى الصقيل • وصدرت في باريس عام ١٩٧١ مجموعة من الكتب جميع حروفها من صور الحيوانات والزهور الملونة التي تزيد في استمتاع الطفل بالقراءة وتنمي ذوقه الفني •

وهجرت بعض دور النشر اصدار الكتب بشكلها المستطيل المألوف ولجأت الى اصدار بعضها على شكل حيوانات واشجار ودمى وما الى ذلك •

وتدخل ضمن جمال الصفحات الداخلية ، اضافة الى التوزيع المتناسب بين الرسوم والكلمات ثلاثة عناصر اساسية هي : علامات الوقف ، وشكل الكلمات ، والحروف •

ويلاحظ ان كثيرا من كتب الاطفال العربية ، تغفل علامات الوقف اغفالا تاما ، وتبدو مادة الكتاب ، وكأنها جملة واحدة لا تنتهي الا مع نهاية الكتاب •

ان علامات الوقف ، لا تمنح الصفحات جمالا فحسب ، بل تحمل معنى

خاصاً في حد ذاتها ، كما انها تفك ما يتراءآى للطفل من تشـــابك بين الجمل ونقوده الى ادراك الجمل واحدة بعد الاخرى ، فالاطفال يحبون الجمـــل القصيرة الواضحة ، ويحرصون على ان يحصلوا على النتائج بسرعة •

و... لايبرر لنا الاكثار من علامات الوقف ، ولكـن يمكن الاكتفاء بالنقطة الدالة على الوقف التام في نهاية الجملة ، والنقطتين الواحدة عـــلى الاخرى بعد فعل القول ، والفاصلة الدالة على الوقف القصير ، اضافـة الى علامتي الاستفهام والتعجب •••

ومن الضروري الالتزام بقواعد ثابتة للتنقيط ، لان هذا يساعد الطفل على ان يفهم ما يقرأه بسرعة •

اما ضبط الكلمات بالشكل فهي تؤلف صعوبة من صعوبات القراءة للاطفال ، لانها تعرقل انطلاقتهم في القراءة • ولكن هـذا لا يعني ان تتجاهل الضبط الصحيح للكلمات ، وعليه فان الامر يستلزم الدقــة الفائقة في ضبط بعض الكلمات بالشكل والتي يمكن ان يقع فيها الطفل في الخطأ لو تـركت دون تشكيل •

اما بالنسبة الى الحروف ، فيلاحظ ان بعض كتب الاطفال تطبع بحروف ناعمة او تخط بخطوط صغيرة ، ولكن هذا يــؤذي عيـــون لاطفال ، لان المعروف ان نمو العصب البصري ، والتوافق الحركي البصري ، غير مكتمل لدى الاطفال ، لذا وجب الالتزام بهذه الحقيقة البيولوجية بتقديم الكتب لمن هم دون العاشرة بخط الخطاط او ببنط كبير (٣٦) وان يتم التدرج بعد ذلك في ابناط المطبعة • (٥١)

ومع هذا ، يظل خط الخطاط في كتب الاطفال اكثر جمالا اذا ما تفنن الخطاط في رسم خطوطه ، وابتعد عن الالتزام بالانماط التقليديـة للخطوط في مراحل الطفولة المتأخرة •• ولكن بالنسبة الى الاطفال الصغار من المناسب اما تكون الخطوط قريبة من حروف المطابع الى حد كبير كي لا يحس الطفل الصغير بفروق كبيرة بين الحروف التي يجدها في كتابه المدرسي ، وكتابـه الاخر الذي يقرأه قراءة حرة •

المبحث السادس

موسوعات ومعاجم ومفكرات الاطفال

لقد اتسعت آفاق المعرفة اتساعا واسعا ، ولم يعد بامكان اي كان ان يلم ببعض من هذه الجوانب مرة واحدة ، لذا كان من الضروري ان يتيسر المستودع الذي يضم خلاصات وافية لمختلف الحقائق والمفاهيم والافكار والمعلومات الادبية والعلمية والفنية والتاريخية وسير الاعلام ، وغير ذلك من جوانب المعرفة ، وهذا المستودع هو الموسوعة او دائرة المعارف .

وهناك نوعان من دوائر المعارف ، منها تحمل معلومات عامة موجزة ،دون الاقتصار على تقديم تعريف للكلمة او تقديم لمعناها بل يتعدى الامر ذلك الى تناول وصف شامل للمسمى او المصطلح ، بما في ذلك تاريخه وعلاقته مع المسميات او المعطيات الاخرى .. ومثل هذه الموسوعات هي الموسوعات العامة .

اما النوع الاخر منها فهو الموسوعات المتخصصة التي تتناول فرعا

واحدا من فروع المعرفة ، كموسوعة خاصة بالحيوانات ، او الزهــور ، او الطائرات او الاجهزة البيتية او سير الادباء والعلماء وما الى ذلك •

وهناك موسوعات تجمع بين النوعين ، وهي الموسوعات الاستعراضية التي تتناول نشوء وتطور جانب واحد من الانشطة الانسانيــة ، كنشــوء وتطور الاختراعات والاكتشافات ، وما الى ذلك •

ويشير مؤرخو التاريخ الثقافي ان صدور دائرة المعارف البريطانيــة «بريتانيكا» عام١٧٧١ ودائرةالمعارف الفرنسية «انسيكلوبيدية» فيالاعوام بين ١٧٥١ ـ ١٧٧٢ ، ودائرة المعارف الالمانيــة « بروكهاوس » بين الاعــوام ١٧٩٦ ـ ١٨٠٨ ودائــرة المعارف الامريكية ، « امريكانا » بين الاعــوام ١٨٢٩ ـ ١٨٣٣ كانت تعتبر من الاحداث المهمة في حياة تلك الشعوب •

وقد عنيت الامم المتقدمة باصدار الموسوعات للاطفال لما لها من أهمية في ثقافة الطفل ، حيث يستطيع الرجوع اليها لاستجلاء ما يستغلق عليه من الافكار والمعلومات •

ورغم اهمية الموسوعات للاطفال ، الا اننا في وطننا العربي ، لم نروِ ظمأ اطفالنا بدائرة معارف عربية ، وكل ما صدر من موسوعات صغيرة لهم كان ترجمة لموسوعات اجنبية عملت بعض المؤسسات الاجنبية على تقديمها لاطفالنا تغذية للغزو الفكري وهي في مجملها غير قريبة الى بيئات اطفالنا •

والاطفال مشغوفون بالاستطلاع ، كثيرو التساؤل ، يشعرون بحاجـة دائمة الى ان يعرفوا كثيرا من الحقائق والمعلومات • ولا شك ان الموسوعات تروي ظمأهم وتجيب عن تساؤلاتهم بسهولة ويسر ودقة •

والاطفال يشعرون طيلة فترة طفولتهم بشيء من الغربة عن واقعهــم والعالم • وهذه الغربة لا تخف وطأتها الا عن طريق تعرفهم الى كل ما يعن في خواطرهم •• وحين نضع موسوعة بين يدي الطفل ، فاننا نعمــل على شده

الى واقعه •• ونعرفـــه الى الدنيا وشـــعوبها واحيائها النباتية والحيوانية وجغرافيتها وتأريخها ••

يضاف الى ذلك ان الموسوعات في حد ذاتها تقود الطفل الى التنقيـــب والبحث كما تقوده الى تساؤلات جـديدة يمكـــن ان يجد لها اجابة بـــين صفحاتها •

والموسوعات المعدة للاطفال تأخذ في اعتبارها قـــدرات الطفل وفـق مراحل نموه المختلفة ، حيث تصدر موسوعات للاطفال الصغار ، واخـرى للاطفال متوسطي الاعمار ، ثالثة للاطفال الكبار •

المعاجم :

قد لا يستعين كثير من الكبار بالمعاجم اللغوية ، ولكن الاطفال جميعا بحاجة ماسة اليها لانها تحتـــوي على معاني الكلمات المستخدمـــة في ادب الاطفال وفي المناهج الدراسية وفيحياتهم الاجتماعية ، مشروحة شرحا مبسطا وافيا ، يستطيعون من خلالها ان يتبينوا جميع الدلالات التي ترمز اليها كل كلمة •

ولم نكتف بعض معاجم الاطفال بايراد ما تعنيه الكلمة مـن دلالات ، بل تعدت ذلـــك الى التعرض لا شتقاقاتها ، او جمعها وتثنيتها ، ونعريـــف الافعال ، وادخال الكلمة في جملة مفيدة •

واستعانت المعاجم بالرسوم والصور التي تزيد في ايضاح الدلالات وكل معجم يعد لمرحلة معينة من مراحل الطفولة •

المفكرات :

ويدخل ضمن هذا الفصل نوع اخر من كتب الاطفال هو « المفكرات » التي تخصص لكل يوم من ايام السنة صفحة واحدة تحمل في اعلاها تاريخ

ذلك اليوم بتقويم واحد او اكثر • وتخصص مساحة مناسبة على الصفحة لقصة قصيرة او فكرة موحية او معلومة لها ارتباط بذلك التاريخ ، الى جانب رسوم معبرة وتخصص المساحة الباقية من الصفحة للطفل ليسجل فيها مواعيده او برنامج عمله او ذكرياته •• وهذه المفكرات مقسمة حسب مراحل نمو الاطفال حيث يستخدم الطفل في السنة السابعة مثلا غير المفكرة التي يستخدمها طفل في الثامنة ، وهكذا •

واطفالنا في الوطن العربي لم يجدوا بعد معاجم ومفكرات خاصة بهم •

الفصل الثالث

مسرح الأطفال

المبحث الاول

نظرة عامة

العمل المسرحي شكل اخر من اشكال الادب ، ومع هذا فهو يستعين بالفنون والاداب جميعا ويقدمها متناغمة على خشبته في اتساق وانسجام .

ومع ان المسرحية في الاساس هي قصة او رواية ، الا ان للقصة او الرواية افاقا واسعة بينماترتبط المسرحية بامكانيات المسرح وامكانياتممثليه افاقا واسعة بينما ترتبط المسرحية بامكانيات المسرح وامكانيات ممثليه وقدرات جمهوره ، بينما يمكن للقاص ان يذهب الى ابعد من هذه الحدود . وكثيرا ما يتجاوز حدود الزمان والمكان . ولكن القصة او الرواية تتخذ لها شكلا فنيا من خلال المسرح والممثلين والجمهور ، ويضفي المخرج على هذه

العناصر كلها ، بدرجات متفاوتة ، صورا فكرية وفنية ، تجعل الاطفال أمام عالم ينبض بالحياة وتشيع فيه الانوار والاضواء والمناظر والازياء سحرا اخاذا ، في وقت يلقى الطفل القصة او الرواية وسط آفاق خيالاته هو •

من المناسب هنا ان نفرق بين مسرح الاطفال والمسرح المدرسي ، فالمسرح المدرسي هو اشبه ما يكون بمختبر تجارب او معرض لنساطات التلاميذ ، وهو جزء من بقية جوانب المنهج المدرسي ، ويهدف الى اغراض تربوية منها : الكشف عن قدرات التلاميذ وتطويرها ، وتنمية العمل الجماعي التعاوني ، وتنمية اتجاهات اجتماعية مرغوب فيها ، والتوعية القومية بالبيئة والحياة ، وتنمية ميول التلاميذ والاستخدام المثمر لاوقات فراغهم ، وخدمة العملية التعليمية • وسوف نرى ان مسرح الاطفال يستهدف اغراضا اخرى ، ويستعين بوسائل واساليب مختلفة •

المسرح

ولعب الاطفال :

في لغات كثيرة يعني التمثيل واللعب معنى واحدا ، ولا عجب في هذا، فكم يقترب اللعب من التمثيل •

وبولع الاطفال باللعب ، لذا كان التمثيل لديهم ولعا اخر ، بل هم في لَعِبهم يمثّلون • ويذهب البعض الى القول ان الكبار يتعلمون فن التمثيل من الاطفال •

ونحن الكبار نلعب ـ ولا شك ـ ولكن لعبنا ـ في اكثر الاحايين ـ هو لعب عابث ، ان لم يكن نكوصا الى فترات الطفولة • اما لعب الاطفال فهو لعب هادف ، لانهم يلعبون من اجل ان يختبروا العالم ويكتشفوا خباياه ويمضوا في عمليات النمو ، وعليه فما نطلق عليه « عبث اطفال » لا يمثل عبثا حقيقيا •

وللعب اهمية في تكوين شخصية الطفل ، وقد كان الكاتب الكبير

مكسيم غوركي يصف لعب الاطفال بانه وسيلتهم الى ادراك العالم الـــذي يعيشون فيه والذي يتطلب منهم ان يغيروه فيما بعد ٠

وحيثما نجد تجمعا للاطفال نجد نشـــاطا تلقائيا له بعض ابعاد العمل المسرحي ، حيث تختلط فيه الحركات والاصوات ٠

ويرى كثير من علماء النفس ان التمثيل من اهم الوسائل التي تستخدم لتحقيق الشفاء النفسي ، فقيام المرء بتمثيل دور ما في احـدى التمثيليات او قيامه بمشاهدة تلك التمثيليـــة ، يؤديان عادة ، الى نقص التوتـــر النفسي وتخفيف حدة الانفعالات المكبوتة ، وذلك عندما يندمج الممثل او المتفرج في جو التمثيليـــة ويتقمص دورا معينا ٠ ويلاحظ ان بعض التمثيليات تزيـد الاعصاب توترا اذا كان المتفرج غير راض عن الفكرة التي يشاهدها ، او اذا كان الممثل غير راض عن الدورالذي يقوم به ٠ اي أن التنفيس عن الانفعالات الحادة المكبوتة لا يحدث في التمثيليات الا اذا رضى المتفرج او الممثل عن المواقف والشخصيات التي تؤثر فيه ٠ ومن الظواهر النفسية التي يمكن معالجتها عن طريق التمثيل الخجل والانطواء وعيوب النطق (١) ٠

وقد يرتبط معنى التمثيل في اذهان البعض على انـــه وسيلة تقتصر على الترويح ، والتسلية ، وهـــذا الفهم قاصر ، بطبيعـة الحال ، لان التمثيليات وسائل اتصال فعالة للتعبير عن فكرة او مفهوم او شعور معين ، وهي تعتمد في ذلك على اللغة وحركات الجسم وتعبيرات الوجه والاشارات واســـلوب الكلام ٠ وكل ذلك يجعل منها وسيلة ذات قوة اجتماعيـــة هائلة للاعـــلام والتثقيف والتأثير والتوجيه الى جانب الترويح والتسلية الهادفة ٠ (٢)

ويقرر علماء النفس والتربية ان الحيوانات التي هي اقدر على التعلم تكون كذلك اقدر على اللعب ٠ اما تلـــك التي لا تهتدي الا بغرائزهـــا الموروثـة فانها لا تعرف اللعب ، فصغارها تسلك مســـلك كبارها من اول امرها ، دون ان تستطيـــع اضافـــة شيء جديد الى حكمـــة جنسها ٠ اما الحيوانات التي تلعب ، فتلك هي الحيوانات المستطلعة الفاحصة المنقبـــة ،

وهي تكتسب الخبرة في لعبها ، وتزيد خبرتها كلما زاد حظها من اللعب • اما اقرب الحيوانات الينا وهي القردة ، فهي مثلنا تحتفظ بالميل الى اللعب حتى بعد البلوغ ، بيد انه ليس بين صغار الحيوانات ما يشبه صغار الانسان في حرية لعبه ، ودوام رغبته وتفننه في اساليبه • ويوحي ذلك ان في اللعب معنى بليغاً باعتباره وسيلة لنمو الحيوان القابل للتعلم • ويرى البعض ان لعب الاطفال هو الوسيلة التي تنتهجها الطبيعة في تربية الفرد • ويمكن النظر الى اللعب على انه رمز للصحة النفسية ، فاذا لم يقبل عليه فرد ، كان ذلك دليلا على عيب فطري او مرض نفسي • (٣)

واللعب يكسب الاطفال المهارة او القوة او الفهم •• فالطفل يشارك اقرانه في اعداد الخطط وفي تنفيذها ، ووضع القواعد ، واصدار الاحكام ، وما الى ذلك • وهذا ما يعينه على الاستقلال عن الكبار • ويقول احد المربين ان وراء كل لعبة مغزى اكبر مما تراه العين •

المسرح
والاطفال :

تعتبر القصة من احب الوان الادب الى الاطفال ، ولما كانت المسرحية هي « قصة ممسرحة ذات هدف » كما يعرفها ارسطو ، فهي ولا شك ذات تأثير فاعل في الطفولة ، لان القصة في هذه الحالة تقدم الى الاطفال من خلال الحركة بعد ان يضفي اليها فنانون عديدون لمسات من اذهانهم وعواطفهم ، ويجعلوا منها شيئا اخر يدب ويتحرك بقوة ، تحيط به هالات فنية جميلة وسط اجواء دنيا اخرى تنقل الاطفال اليها ، وتترك قدرا كبيرا من الاثر في نفوسهم •

والمسرح يحرك مشاعر الاطفال واذهانهم ، ويغذيهم فنيا واديبا ووجدانيا ، وهم باعتبارهم ـ جمهورا ـ يشكلون بُعدا اساسيامن ابعاد العمل الدرامي الذي يستند الى الممثل والمخرج ـ اذا استثنينا المؤلف حيث حل محله المخرج ـ لذا يؤلف مسرح الاطفال علاقة متسقة بين الابعاد الثلاثة ؛ المخرج ، والممثل ، وجمهور الاطفال •

وبسبب التشكيلة التي يتألف منها العمل المسرحي تراه يجمع بين الادب والفن معا ، فالرواية او القصة ، لاتمثل عملا دراميا ما لم تنتظم في تمثيل وحوار واخراج مسرحي •• اي انها ترتدي رداء اخر يجعلها تزداد حيوية وتصبح اقوى تأثيرا •

ومدى تأثير المسرح في الاطفال واضح كل الوضوح ، فهم يبدون ردود فعل شديدة حيال الاعمال الدرامية التي يشاهدونها ، وكثيرا ما يستغرقون في الضحك او يجهشون بالبكاء ـ اثناء العرض ـ او يصابون بالفزع او يولون هاربين ، او يختبئون تحت المقاعد او يطلقون صرخات عالية ، تبعا للمواقف الدرامية • ولا شك انهم لا يمكن ان يتأثروا بهذه الحدة لو قرأوا قصة المسرحية ذاتها بين دفتي كتاب •

ويغلب على الاطفال الطابع الاندماجي ، والمسرح بخصائصه الدرامية يساعدهم على هذا ، لانه يريهم الحوادث امامهم ، في اماكنها ، وبأشخاصها ، بالاضافة الى مناظره وديكوراته ، واضاءاته الساحرة ، التي تتعاون جمعا على نقل الطفل الى العالم الذي يسعده ان يراه •• اي ان عوامل الايهام المسرحي تتعاون مع خيال الطفل ، وموقفه الاندماجي ، وحالات التعاطف الدرامي الى ان تصل به الى قمة المتعة والانفعال والتأثر اذا احسن الربط بينها، وروعيت الخصائص التربوية والسيكولوجية والفنية المختلفة ، بالاضافة الى خصائص المسرح كوسيط يقدم للاطفال لونا من ادبهم على صورة نص مسرحي جيد • (٤)

ومعلوم ان دور الممثل ان يوهم الجمهور ان ما يجري امام احساساتهم هو حقيقي ، ودور المتفرج ـ في هذا المجال ـ هو ان يوهم نفسه بان ما يجري امامه هو حقيقي ، وكلا الدورين لذيذ ممتع • (٥)

وتتوفر في مسرح الاطفال عوامل متعددة ، منها الايهام المسرحي ، وخيالات الاطفال ، ومواقفهم الانفعالية ، واندماجهم وتعاطفهم • وهذه كلها

تجعل من المسرح ذي تأثير كبير في غرس القيم الجديدة في أعماق الاطفال • حيث يفوق المسرح في تأثيره في الطفولة وسائط الادب الاخرى، فالمعروف ان لونين من التفكير يغلبان على الاطفال هما التفكير الحسي الذي يعتمد على الاشياء الملموسة ، والتفكير الصوري الذي يعتمد على تكوين صور حسية ، اما التفكير المعنوي المجرد فلا يبلغه الاطفال الا في سنوات طفولتهم الاخيرة • والمسرح بهذا اكثر ملاءمة للاطفال من الوسائط الاخرى ، لانه يضع امامهم الوقائع والاشخاص والافكار بشكل مجسد ، وملموس ، ومرئـي ، ومسموع ، في الوقت الذي يقدم الكتاب والمجلة صورا مكتوبـة او مرسومة وتقدم الاذاعة صورا مسموعة ، ويقدم التلفزيون والسينما صورا مرئية ومسموعة فقط •

وهنا لابد من الاشارة الى ان انفعال الاطفال الشديد مع وقائع العمل المسرحي ، لا يعني انهم لا يفرقـون بين ما هو واقع وما هـو مجرد عمل درامي ، انما يكمن ذلـك كله في شـدة ارادتهـم في التقمص والمحاكاة والتعاطف والاندماج ـ اي انهم يندمجون بالادوار ويضعون انفسهم ضمن بعض المواقف ويعايشون الاجواء الانفعالية •

ويمكن القول ان مسرح الاطفال ، هو احد الوسائط الفاعلة في تنمية الاطفال عقليا وعاطفيا وجماليا ولغويا وثقافيا • او هو احد ادوات تشكيل ثقافة الطفل • فهو ينقل للاطفال ، بلغة محببة ـ نثرا ام شـعرا ـ ، وبتمثيل بارع ،والقاء ماتع ، الافكار والمفاهيم والقيم ضمن اطر فنية حافلة بالموسيقى والغناء والرقص •

والمسرح يضع المرايا امام الاطفال ليروا من خلالها واقعهم ، ويدفعهم الى ان يدركوا ان لهم دورا في تغيير ذلك الواقع ، ويقودهم الى التفكير ، واحترام المثل النبيلة والالتـزام بها ، وازدراء المفاهيم البالية ، واشباعهم بروح الكفاح والوطنية ، وتوسيع مداركهم ، وتهذيب وجدانهم ، وارهاف احساساتهم وعواطفهم ، وايقاظ شعورهم ، وامتاعهم ، وادخال الجمال الى حياتهم ، واعدادهم لان يكونوا طاقات خلاقة منتجة •

وقد كتب مارك توين عن مسرح الاطفال يقول :

« اعتقد ان مسرح الاطفال من اعظم مكتشفات القرن العسرين ، وان قيمته التعليمية الكبيرة ـ التي لا تبدو واضحة او مفهومة في الوقت الحاضر ـ سوف تتجلى قريبا •• انه اقوى معلم للاخلاق ، وخير دافع الى السلوك الطيب اهتدت اليه عبقرية الانسان • لان دروسه لا تلقن بالكتب بطريقة مرهقة ، او في البيت بطريقة مملة ، بل بالحركة المنظورة التي تبعث الحماس ، وتصل مباشرة الى قلوب الاطفال التي تعتبر انسب وعاء لهذه الدروس • ان كتب الاخلاق لا يتعدى تأثيرها العقل ، وقلما تصل اليه بعد رحلتها الطويلة الباهتة ، ولكن حين تبدأ الدروس رحلتها من مسرح الاطفال ، فانها لا تتوقف في منتصف الطريق ، بل تمضي الى غايتها » •

وليس هذا فقط ، بل يضع المسرحُ الاطفالَ وجها لوجه امام تجارب جديدة ، ويحفزهم الى التطلع نحو تجارب اخرى • وبذا يوسع من آفاق حياتهم • فضلاعن اجابته على آلاف التساؤلات التي تدور في اذهانهم ، بطريقة شيقة وفي صورة فنية واضحة تعتمد على الايحاءات الخفية التي تتسلل الى نفوسهم بدعة •

يضاف الى ذلك كله ان عرض المسرحيات للاطفال يخلق منهم في المستقبل جمهورا مسرحيا ناضجا ، يتذوق منها الرفيع ، ويزدري منها الردىء • ولاشك اذا زمة مسرح الكبار اليوم في الوطن العربي تعود في كثير من اسبابها الى ان جمهور الكبار اليوم لم يتدرب في طفولته على التذوق المسرحي الفني •لذا نجد جمهور الكبار يتدافع لمشاهدة المسرحيات القميئة او المبتذلة • ولا شك ان الجمهور الذي يتقبل المسرحيات الرخيصة يعجز عن وضع الاسس لايجاد مسرح رفيع !

موضوع
مسرحيات الاطفال :

من يحاول ان يستعرض بعض المسرحيات المقدمة للاطفال ، في اي

بلد من بلدان العالم ، يجد بينها ما يتوخى هدفا تعليميا او ثقافيا عاما ، او فكاهيا او وطنيا او اخلاقيا •• حتى ذهب البعض الى تقسيم مسرحيات الاطفال وفقا لموضوعها • ولكن الناقد ، ـ وحتى الطفل المتفرج ـ لا يمكن ان يقف عند هدف واحد فقط ، لاية مسرحية ناجحة ، لاننا قد نجد في مسرحية ترفيهية قيما اخلاقية ، ونجد في مسرحية تعليمية مفاهيم سياسية وقومية •

ومن هذا يتضح ان مسرحية الطفل يمكن ان تتوخى اكثر من هدف واحد في آن واحد ، ولكنها قد تركز على هدف معين بشكل يفوق تركيزها على بقية الاهداف ، فيمسي الاول هدفا مركزيا للمسرحية ، وتصبح الاخرى اهدافا ثانوية • وفي كل حالة ينبغي ان يظل الهدف الرئيس متكاملا ، وتظل الاهداف الثانوية مترابطة كي لا تبدو المسرحية امام الطفل مفككة او مشوشة •

ويلاحظ ان بعضهم يرى ان المسرحيات الفكاهية هي من احب المسرحيات الى الاطفال ، ولكن هذا الرأي تعوزه الصحة ، فقد وجد ان المسرحيات الفكاهية اقل تأثيراً في جمهور الاطفال من المسرحيات الجادة التي تشتمل على بعض المشاهد الفكاهية ، ذلك ان عرض مشاهدة لمسرحية تتضمن فيضا من الفكاهة تجعل الاطفال يتأففون ؛ انهم يفضلون كثيرا ضحكة عابرة في مسرحية جادة • (٦)

والمعروف ان أولئك الذين يترددون على المسرح من اجل الضحك وحده، لا يؤلفون جمهورا مسرحيا بالمعنى الصحيح ، وعلى هذا ، وما دمنا نسعى الى تنمية شخصية جمهور المسرح من الاطفال ، وجب الابتعاد عن المغالاة في الاضحاك ليكون للمسرح جمهوره من الاطفال الذين يحافظون على ديمومته ويثرونه ، لا مجرد جمهور عابر •

وتقول ناثاليا ساتز اول مديرة لمسرح الاطفال في موسكو :

« علينا ان لانستهدف من خلال مسرح الاطفال خلق مجموعة من

المشاهدين المتفرجين بل ان نكون من الاجيال الجديـدة مناضلين ، بناة ؛ مناضلين للدفاع عن الوطن ، وبناة لصرح مجده » •

وجاء في العدد الاول (١٩٧١) من مجلة « مسرح الطفولة والشباب » التي تصدرها الجمعية الدولية لمسرح الطفولة والشـباب في ايطاليا عن تاريخ الحركة المسرحية للطفل في ايطاليا ، ان (جيسي جراتتو) اهتمت عام ١٩٥٩ بانشاء مسرح للاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين خمسة اعوام الى عشرة ، وكان اهتمامها في اختيار النص المناسب ليس للطفل فقط وانما للأب والأم اللذين يصطحبان الطفل الى المسرح • وقد ركزت جيسي على المسرحيات التي كان لها رنين وصدى في المشاعر مثل « سند ريلا » و « الاميرة الجميلة النائمة » وبدأت بعرضها فلاقت اقبالا وبعد ذلك قدمت مسرحيات من تأليفها هي ، وحازت على نجاح كبير ، واكتسـبت ثقة الاباء والامهـات واقبال الاطفال • فقد كانت تستخدم لغة سهلة وتستحوذ على الجمهور بالمواقـف الحركية الطريفة المسلية • وتميزت كتاباتها بالمهارة الفنية ، فكانت تضحك المشاهدين من اول المسرحية الى اخرها مع ان المسرحية ليست كوميديـة • وكانت تمزج بين الخير والشر وبين مواقف البهجة والحزن ، وتخلق جـوا مريحا يجذب الكبار والصغار ويثبت في نفوسهم بعد العرض لمدة طويلة ، وكان هذا سر نجاح مسرح الاطفال في ميلان • (٧)

وهنا لا بد من التحـذير من اغراق اجواء مسرحيات الاطفال بالحزن او التعاسة التي تبكيهم وتجعلهم يكرهون الحياة • « ولكن لمسـات الحزن الرقيقة تصقل شخصية الطفل وتجعلـه قادرا على تحمل ما قد يصادفـه في الواقع من صدمات • » (٨)

بعد هذا هل يمكن ان تحفز الدراما المتفرجين الصغار على التفكير في قضايا سياسية ؟

بالتاكيد ينبغي ان تحتل مسرحيات الافكار مكانا في مسرح الاطفال بشرط ان لا تكون هذه الافكار ذات مسحة دعائية واضحة ، ذلك ان كثيرا

من المسائل ذات العلاقة بالسلام والتي يهتم بها الكبار قد لا تؤثر في الاطفال لافتقارهم الى التجربة ، ولكن المسرحية التي تعمل على تدعيم حسن الجوار داخل الوطن وخارجه ، والتي تناهض الحرب قد تكون ذات تأثير في الطفولة اذا كان في موضوعها وشخصياتها ما يمتع الاطفـــال • وهذا يعني ضرورة تواري الوعظ امام العرض المشوق • وفي مسرح الاطفال الســوفيتي يتلقى الاطفال مبادىء الاشتراكية ، ومساوىء الرأسمالية ، وشرف العمل ، وتفاهة التمييز العنصري • (٩)

وبشكل عام تصاغ كل الافكار والمشكلات الاجتماعية والمثل الاخلاقية من خلال المسرح صياغة تلقي في نفوس الاطفال كثيرا من المتعة بعيدا عـــن الصيغ التعليمية الصريحة ، لانها في الحالة الاخيرة تقود الطفل الى الملل وتثير شكوكه •

وما دمنا نتحدث عن موضوعات مسرح الاطفال ، فان من المناسب ان نؤكد ضرورة توخي غرس الافكار والعادات الجديدة ومحاربة الاوهـــام والخرافات والتقاليد البالية وتنمية اذواق الاطفال وتحريك ضمائرهم نحو الخير ، وترغيبهم المثل العليا والقيم كالشجاعة الوطنيــة مـــع الاهتمام بما يحفزهم على التفكير الخلاق •

والمسرحيات الجيدة تثير عواطف كثيرة مثل الشفقـــة ، والاحتقار ، والخوف ، والفزع ، والاعجاب ، واذا اثيرت هذه العواطف بطريقة سليمة ـ وهو امر على جانب كبير من الاهمية ـ فانها تنمي في الطفل الاحساســات الطيبة والادراكات السليمة ، اما اذا اثيرت بطريقة رخيصة ، وعلى مستويات زائفة ، او بصورة مبتذلة ، فقد تسبب ضررا • وليس من حق احد ان يثير مشاعر الاطفال بطريقة رخيصة ، ان ذلك اسوأ ضياع في اوقاتهم ، واســوأ هدر لقدراتهم ، انه جريمة في حقهم • (١٠)

وهناك مسرحيات لاترمـــي الى هـــدف واضح ، وكتـــاب مثل هذه المسرحيات يرون ان الهدف لا يكمن في المسرحية ذاتها ، بل في جـذب انتباه

الطفل فترة من الزمن في لهو بريء ليس فيه شيء من الضرر ، ولكننا نرى ان من الضروري ان تتذكر دوما ان الاطفال بحاجة ماسة الى من يساعدهم على النمو السليم ، كما ان المسرح ، سواء كان للصغار ام للكبار ، يعبر عن صراع من اجل حياة افضل وليس وسيلة للهرب من الحياة .

اما بالنسبة الى مواقف العنف في العمل المسرحي ، فان ذلك يتوقف على الجرعة التي تقدم للاطفال ، ولا شك ان تعلم الطفل للعنف ـ في حدود معقولة ـ أمر ضروري لأستخدامه عند الحاجة ، كالدفاع عن النفس ، مثلا ، ولكن العنف ينبغي ان لا يخرج عن الحدود المرسومة له ، لان الامعان في في العنف في العمل المسرحي يولد الخوف لدى الطفل .(11)

وليس المهم ان تكون افكار المسرحية خارقة او ان تكون حافلة بالاحداث والافكار الغريبة ، لقد كان انتون تشيكوف يبتعد دوما عن هذه النماذج في مسرحياته ، ويدعو الى الابتعاد عن هذه النماذج حيث كتب في اكتوبر ١٨٨٧ الى شقيقه بمناسبة اتمام مسرحية « رايفانوف » وهي اولى مسرحياته يقول .

« ان كتاب المسرح عندنا يملأون مسرحياتهم بالملائكة والاشرار والمهرجين .. وانا لا ادري اين يجدون هؤلاء في روسيا .. ولكني اختلف عنهم ، فليس في مسرحيتي ملاك او شرير واحد ولو ان بها بعض المهرجين . » (12)

ويعزف الاطفال عن المسرحيات ذات السمة الغرامية ، بل ان مشهد الغرام القصير الذي لا يؤذي الشعور يبدو في نظر الاطفال سخيفا . ويدهش كثير من الممثلين حين يلمسون رد الفعل الذي تحدثه مثل هذه المشاهد ، اما لماذا لا يستسيغها الاطفال ، رغم مداومتهم على مشاهد افلام الكبار ، فأمر لا يمكن تفسيره . ان اقحام مشاهد الغرام يفسد جو المسرحية ،والاطفال الصغار لا يعيرونها التفاتا ، ومن الثامنة الى الثانية عشر ينظرون اليها بازدراء ، اما الاطفال من الحادية عشرة الى الخامسة عشرة فيخجلون من رؤيتها .. وليس

معنى هذا ان « الجمال النائم » لا يمكن ان تتزوج من الامير وتعيش معه في سعادة ، انها نهاية سارة ، فمن حق شخوص المسرحية ان يتحدثوا عن الحب اذا اذا كان على مستوى رفيع ولكن اذا حدث ان تعانق رجل وفتاة ، بغض النظر عن اتقانهما لهذا الدور ، فان موجة من الاستياء تسود بين الاطفال . (١٣)

وتنتهي مسرحيات الاطفال عادة نهايات عادلة ، هذا ، اذا لم يهدف المؤلف الى اثارة المتفرجين لتصحيح خطأ او اثارة الشفقة على مسكين . ولدى الاطفال احساس قوي بالعدالة ، ويرتاحون الى المسرحية التي يوزع فيها الثواب والعقاب بالقسطاس على من يستحقونه ، ومسرحيات الكبار ، بالطبع ، لا تراعي هذا الامر بالرغم من ان اغلب المتفرجين الكبار يفضلون النهايات السعيدة . ويحاول كثير من المؤلفين رسم الحياة على حقيقتها ـ والحياة لا تخلو، احيانا ، من المظالم .

فهل معنى اختيار المسرحيات التي تتميز بالعدالة المثالية للاطفال اننا نعطيهم صورة غير صحيحة للحياة ؟ واذا كان الامر كذلك ، فلماذا لا تقدم لهم مسرحيات تهيئهم لما سيواجهونه في الحياة ؟ ولماذا لا تقدم لهم صورة واقعية حتى لا يختلط عليهم الامر في المستقبل ؟

ان الاسباب التي تدعو الى تجنب هذا ، معقولة ، اولها ، ان الطفل يحتاج الى ان يعرف اولا المقاييس الصحيحة للعدالة قبل ان يستطيع الحكم على الاعمال الطيبة والشريرة ، واذا ما اقحم الطفل في موقف يكون الخزي جزاء من يعمل الخير ، وينال الغشاش احترام المجتمع ، التبس عليه الامر . ان الطفل ليس على استعداد لتقبل مثل هذه المظالم . ولاداع لان يواجه الطفل كل حقائق الحياة المرة . والطفولة هي المرحلة التي يقوى فيها ادراك الطفل وميوله السليمة واحساسه بالقيم حتى يستطيع مواجهة الواقع حين يصادفه . ولكي يتحقق هذا ينبغي ان يتعرض الطفل لكل ما هو جميل وسار ومثالي . (١٤)

وقد كتب احد المعنيين بشؤون مسارح الاطفال يقول « اننا لا نريد

الكثير من النهايات السعيدة التي تحمل المتفرج على الاستكانة ، وتجعل شعاره ، حسن ، كل شيء قد سار على ما يرام • ان كل مسرحية يجب ان تقدم دافعا الى تطوير احساس المبادأة لدى الاطفال »

ان مثل هذه العاطفة تكون معقولة اذا كانت نهاية المسرحية تدعو الى التفكير لا الى التواكل • ومجمل القول ان اهم ما في الامر هو ان المشاركة الوجدانية ينبغي ان تثار في الموقف المناسب ، والمسرحية الهادئة التي تخلو من شرير قد لا تتيح فرصة اثارة العطف على ما هو جميل والكره لما هو قبيح •

التمثيل المسرحي

للاطفال :

للتمثيل اهميته الكبرى في مسرحيات الاطفال • فالاطفال – رغم ان بعض هفوات الممثلين قد تفوت عليهم – الا انهم شديدو التأثر بالتمثيل البارع • اما التمثيل الضعيف ، فانهم سرعان ما يعزفون عنه •

ويشير المسرحي الروسي قسطنطين ستانلافسكي ان « التمثيل امام الاطفال يشبه التمثيل امام الكبار ، على ان يكون بصورة افضل واوضح وانقى ، ويقبل الاطفال على مسرحهم وكأنهم ذاهبون للاحتفال بعيد ، وهم يشهدون على خشبته اعمالا لمؤلفين كبار »

ويمكن تقسيم مسرح الاطفال من حيث ممثلوه الى :

– مسرحيات يمثل فيها الاطفال وحدهم •
– مسرحيات يمثل فيها الاطفال الى جانب الكبار
– مسرحيات يمثل فيها الكبار وحدهم
– مسرحيات تتولى العرائس اداء الادوار

وتستعين المسارح المدرسية – في العادة بالاطفال وحدهم كممثلين ، كما ان بعض المسارح في بعض بلدان العالم تقصر التمثيل على الاطفال وحدهم

ايضا ، ولكن الاطفال لا يمتلكون القدرة على بعث كل ما تحمل المسرحية من نبض مهما برعوا في التمثيل ، لان نقص خبراتهم وعدم نضوجهم الجسمي والعقلي واللغوي تقف في طريقهم لتقديم ادوار مؤثرة على خشبة المسرح .

وقد دلت التجارب المتعددة في مختلف بلاد العالم ان انجح المسرحيات هي التي يقدمها الكبار البالغون للاطفال ، لان المسرح الذي يقدمه الكبار للاطفال هو المسرح القادر على تقديم قيم فنية مرتفعة ، وهو المسرح الذي يمكن ان ينقل فكر وفن المؤلف والمخرج الى المشاهدين الصغار ولكن لوحظ ايضا ، انه في معظم المسرحيات التي فازت بأعجاب الاطفال ، كان يشترك في بطولتها من البالغين من يبدو مظهرهم وكأنهم في الخامسة عشرة او ما حولها وذلك كجزء من العمل ، على ان تكون عناصر العمل المسرحي قريبة من الطفل ومن عالمه [١٥] .

وقد لوحظ ان ظهور الاطفال على خشبة المسرح يدعم في نفوسهم اسطورة او عقدة « النجوم » .

يقول سيرجي اوبرازتسوف ، مخرج مسرح الدمى المركزي في موسكو ، والذي يحمل لقب فنان الشعب السوفيتي [١٦]

« ... كنت في حوالي الثامنة عشرة عندما عملت مدرسا للرسم في احدى مدارس موسكو . كانت في المدرسة فرقة للتمثيل ، والمسرحية المختارة هي حكاية فيها شخصيات الملك والاميرة والمهرج وشخصيات اخرى . واختار المخرج لدور الاميرة اجمل فتاة في المدرسة ولدور المهرج فتى بدينا قصير القامة « كانت الفتاة لا تزيد عن الثانية عشرة من العمر ولم تدرك حتى ذلك الوقت انها بمثل ذلك الجمال ، ولم يكن الصبيان قد انتبهوا الى جمالها كذلك .. ألبسوها ثوبا طويلا من الموسلين الابيض ووضعوا على رأسها تاجا مذهبا من الكارتون بعد ان حلوا ضفائرها الطويلة واسدلوها على ظهرها ، وعندما ظهرت على المسرح ذهل الجميع لجمالها الباهر .

في اليوم التالي لم تعد الفتاة بقادرة على تعــود تلك التلميذة البسيطة الخجولة مثلما كانت .. لقـد اصبحت محط انظار الاعجـاب ، ودخـل الزيف الى علاقاتها بالاخرين وعلاقـة الاخـرين بها ـ واصبح الموقف يهدد مستقبل الطفلة نفسها ، اذ كيـف تتمكن من مواصلة حياة الطفولة البريئة المرحة حتى تبلغ سن الرشد ، اذا كان لها هذا العدد من المعجبين وهي ما تزال في الثانية عشرة ؟ !

اما الطفل البدين فقد مثل دور المهرج ببراعـة . كان يستطيع بحركة واحدة باصبعـه الصغير ان يحرك القاعة بالضحـك . لقد حقق في ادائه ما يدعى بـ « النجاح » ، ولكن الامر استمر في اليوم التالي ايضا . واصبح من الصعب ان ينفصل عن ذلـك « النجـاح » ويعود تلميذا اعتياديا بين مئات التلاميذ .. اخذ يؤدي حركات دوره في التمثيلية وهو يتقافـز اثناء سيره ، ويلقي النكت المتواصلة في الصف وفي القسم الداخلي حتى غدا من الصعب ان تدخل معه في اي حديث جاد . وكل من يمارس مهنة التعليم يعرف جيدا اولئك الصغار الذين يستمرئون عملية اضحاك الصف الى درجة مهينة للنفس»

« هناك اسلوبان متعارضان للتمثيل الاول هـو ان تسـتخدم اليدين والقدمين والعينين والقلب لتكشف جمال شخصية جوليت ، وهذا هو سبيل الفن ، والثاني ان تستخدم جوليـت لتكشـف عن جمال اليدين والقدمين والعينين والقلب ، وهذا هو المتاجرة بالفن ، .. وقد يجيء هذا الاخير بشكل تلقائي لاواع ، وقد يتقبله الجمهور ، ولكن هذه الـروح الاستعراضية تقتل موهبة الممثل .

هذا لا ينطبق على الممثل فقط بل يشمل المخرج والفنان والكاتـب . وادراك هذه النقطة الحساسة يكتسب اهمية قصوى بالنسبة للمسؤول عن تربية الاطفال بالوسائل الفنية .

ان اختيار طفل ما لاداء دور معين بسبب من مظهره الخارجي هو جريمة بحق الاطفال .

والغرور مرض خطير غير قابل للشفاء في اغلب الاحيان ، ويمكن للغرور ان يحطم العلماء والساسة والفنانين •• والغرور في الفن ولا سيما فيما يتعلق بالاطفال ، مثل كومة من القش يمكن ان تحرق اية مقدرة او موهبة تقترب منها •• يقول المخرج كونستانتين ستانسلافسكي : « يجب على المرء ان يحب الفن في ذاته ، لا ان يحب ذاته في الفن » فكيف يجوز لاحد ان يفعل العكس فيعلم الاطفال « ان يحبوا انفسهم في الفن ؟ »

وعلى اية حال فان تاثيرات سلبية عديدة تصيب الاطفال الذين يمثلون ، سواء كان ذلك للمسرح ام للتلفزيون ام للاذاعة ، حيث لا يلبثون ان يصبحوا شديدي الثقة في انفسهم ، متصنعين ، او مبالغين في رقتهم ، ثم لا يلبثون ان يصابوا بالاحباط بعد ان يفقدوا اهتمام الناس بهم فيما بعد •

والطفل ، حين يمثل ، يعبر عن ذاته ، كنوع من انواع اللعب ، او كوسيلة للتنفس عن طاقاته الابتكارية الخلاقة ، وهو حين يمثل دور الام او الاب – مثلا – فانه ينفذ بخياله الى موقفهما ازاءه ، ويكتسب شيئا من الفهم لاقوالهما وافعالهما ، ويحس كأن مقدرتهما ومواهبهما العظيمة – في نظره – قد انتقلت اليه • وهكذا يستطيع الطفل ، عندما يمثل ، ان يقوم بالاعمال او يتلبس بالاحوال التي يحس في عالم الحقيقة انه عاجز عن فعلها او ادراكها • لهذا ، فالطفل ، عندما يمثل ، انما يعبر عن نفسه ، ولا يعبر عما يريده المؤلف ، ولا ما يهدف اليه المخرج ، ولا ما يجب ان ينقله الممثل الى جمهوره المشاهدين بعكس الممثل المحترف البالغ ، القادر تماما على ان ينقل الى الطفل المشاهد كل القيم والمفاهيم التي تنطوي عليها المسرحية •

ويؤكد المخرجون المسرحيون الذين تعاملوا مع ممثلين من الاطفال ان الطفل الممثل يؤدي دوره في كل ليلة بأسلوب مختلف حسب مزاجه وحالته النفسية ، رغم توصيات وتوجيهات المخرج اليومية ، ودون اية سيطرة واعية بقصد توصيل فكر وفن المؤلف والمخرج الى المشاهدين •• يضاف الى ذلك ان الطفل ، حين يقف على خشبة المسرح ، يحس ، عادة ، ان المسرح مسرحه

وحده ، وان المشاهدين حضروا لرؤيته هو ٠ورغم استمرار التدريب ، فكثيرا ما يسيطر على الطفل الممثل هذا الاحساس ، مما يفسد العرض او يفككه ، في حين ان من اهم اهداف مسرح الطفل هو مساعدة الاطفال على صقل تذوقهم للفنون ، عند المزج بين المغزى والمتعة الفنية ٠ وعلى هذا فان الاداء الفني المتفوق لا يمكن ان يتوفر الا من خلال ممثلين كبار ٠ (١٧)

ولا يمكن للمسرح ان يؤدي دوره الا من خلال التعاطف بين الجمهور والممثلين ، والاطفال الممثلون يعجزون عن نقل الاطفال المشاهدين الى مستوى التعاطف ، يضاف الى ذلك ان الاطفال اكثر تأثرا بالكبار من تأثرهم بأقرانهم، لذا فهم يستجيبون ، ومن ثم يتعاطفون مع الممثلين الكبار اثناء العرض المسرحي ٠

وهذا لا يعني ان يحرم الاطفال من ممارسة التمثيل المسرحي لان للتمثيل دوره في تنمية قدرات الطفل ، ولكن المجال المناسب لقيام الاطفال بهذا النشاط هو المسرح المدرسي الذي يمكن ان يسهم فيه اكبر قدر من الاطفال ، بل قد يساهم الاطفال جميعهم من خلال مشاركتهم الفعلية في التمثيل ، انطلاقا من الرأي القائل ان ليس من المناسب ان يظل الطفل مجرد متعلقٍ او متفرج٠٠ وفي هذه الحالة يشارك الاطفال في العمل والغناء والأنشاد وتتحول قاعة المسرح المدرسي الى حلبة فعلية يشارك فيها الجميع ٠

وتعمد بعض المسارح الى استخدام كبار لهم اصوات اطفال ، او يظهرون على المسرح في ثياب اطفال ، ويلاحظ ان الاطفال المتفرجين لا يسألون عن اعمار الممثلين ٠

وهناك رأي اخر هو ان المجموعة المشتركة من الممثلين الكبار والاطفال هي افضل الصيغ من ناحية المظهر ، وان اكثر المسارح التي جربت الصيغ الثلاث في اختيار الممثلين اهتدت الى ان المجموعة المشتركة هي خير ما يرضى المتفرجين ٠

ولكن هناك مسرحيات لا يصح الا ان يمثلها الكبار وحدهم ٠

فالمسرحيات التي تستلزم مقدرة عاليـــة من الاداء لا يمكن للاطفـــال اجادتها ، حتى وان كانت فكرتها بسيطـــة ، فليس كل الافكار التـــي يفهمها الاطفال يستطيعون التعبير عنها على خشبة المسرح وليس كل الحركات التي يستوعبونها يقدرون على القيام بها •

وفي حديث لمدير المسرح المركزي للاطفال بموسكو ، يقول :

« المسرح المركزي للاطفال يضم بعض الممثلين المبتدئين — من الكبار — الى جانب ممثليه القدامى ذوي الخبرة • والمبتدئون ، مع انهم متخرجـون في المعاهد العليا للتمثيل الا انهـم مستمرون في دراســاتهم في المسرح ، حيث يتدربون بانتظام على اصول النطق وحركات الجسم وتربية الصوت والالقاء، اذ انه رغم ان الاصول الاساسية لفن التمثيل واحدة بالنسبة الى ممثل الكبار وممثل الاطفال ، الا ان الممثل في مسارح الاطفال يجب ان يكـون بارعا في رسم شخصيات الاطفال وشخصيات الروايات الخرافيـــة وروايات الجان ، وغيرها من الشخصيات التي قل ان تصادفها في مسرح الكبار • وهناك بنوع خاص صعوبة في مهمة الممثلة التي تقوم بادوار الاطفال ، فليس من الســـهل العثور على النمط الملائم لهذه الادوار من بين الممثلات ، والممثلة الملائمة من ناحية الهيئة والصوت قد لا تتوفر فيها بقية الصفات اللازمة ، اذ لا يكفي ان تقلد مظهر الطفل وطرقه • واذا كان تصوير الدور لا يعدو مظهره الخارجي فأن المشاهدين كثيرا ما يلاقون صعوبة في التخلص من فكرة ان الولد الممثل هو امرأة • ومهما اتقـن المكياج والملابس فانه بلا شـــك امرأة ، والمتفرج الصغير الصريح لا يتردد في الاعراب عن احتقاره لهذه الفتاة التي تلبس ملابس الفتى ، وعندما يتحقق من انه خـــدع في هذه النقطـــة فانه يتشكك في كل الحوادث التي تجري على المسرح ، وهذا يقلل من القيمة التربوية للروايـــة دون اي اعتبار لمدى براعة الممثلة في فنها • ولكي تكون شخصيـــة من هذا النوع مقنعة فمن الضروري ان تجمع بين الصور الخارجية للدور والصور الحقيقية لما في داخل نفس الطفل ، اي لنفسيته ومنطق سلوكه •

وكل شخص قوي الملاحظة يعرف ان عقلية الولد وتعبيره عن انفعالاته وطريقة استجابته تختلف تماما عن البنت ـ ولكي تنجح الممثلة في ادوار الصبيان عليها ان تعمل بجلد وصبر ، وان تدرس دراسة جدية سيكولوجية الاولاد ، وان تلاحظ بعناية تامة الاسباب الداخلية التي تجعل الاولاد يتصرفون تصرفا مختلفا عن البنات حين يوضع الجميع في ظروف متماثلة •

ولكن المعرفة التامة بالظواهر المميزة لعقلية وسلوك واعمال الاولاد ليست وحدها الاساس الذي ترتكز عليه الممثلة في تصوير الشخصية التي رسمها المؤلف • بل عليها ان تبحث عن المميزات الخاصة الجديدة دائما التي تمكنها ان تعطي تعبيرا ملموسا لفكرة رواية معينة • وحيئذ فقط تستطيع الممثلة ان تخلق صورة فنية لا مجرد تقليد •

ولقد نجحت كثيرات من الممثلات اللواتي يمثلن أدوار الصبيان نجاحا كبيرا وأعطين صورا مقنعة لدرجة ان المتفرجين من الاطفال لم يكونوا هم الذين يعتقدون انهن ـ فعلا ـ اولاد ، بل كان المتفرجون الكبار يعتقدون ذلك أيضا •

ومن الادوار الصعبة أيضا في مسارح الاطفال دور الولد أو البنت التي تكبر في فصول الرواية المختلفة ، كأن ينمو البطل نمواً تدريجيا متغيرا من تلميذ في المدرسة الى شاب ، ففي هذه الحالة يجب ان يمثل الدور نفس الممثل أو الممثلة ، اذ أن المتفرج سيلاحظ التغيير فورا ـ ويجب أن تعطى هذه الادوار للممثل الشاب الذي يجيد تمثيل الاطفال والكبار بنفس المهارة والاقناع •

ومن أهم ما يفيد الممثلات والممثلين في كسب المهارة في التمثيل لادوار الاطفال الاتصال المستمر بمتفرجيهم • وثمة أدوار صعبة اخرى هي تمثيل الجماد او الحيوان ، وفي هذه الحالة يلعب المكياج والملابس وإعداد المسرح دورا مهماً في نجاح المشهد ، وقد قدم المسرح المركزي للاطفال في موسكو ادورا كان تعاطف الاطفال معها شديدا الى درجة ان المسرح تلقى

رسائل كثيرة من التلاميذ معنونة لا باسماء الممثلين ، بل باسماء الشخصيات كأن يقول « عزيزي الكلب زوخا » أو عزيزي « الحصان الاحدب »[١٨] •

شخصيات

مسرح الاطفال :

شخصيات أية مسرحية هي عنصر اساسي لها • ويتولى الممثلون تجسيد الشخصيات على خشبة المسرح بكل ما تحمل من أفكار وصفات نفسية وجسدية •

وما دام الممثلون أدوات نابضة لنقل الاحساسات والافكار الى الجمهور ، فان الدقة في تجسيدهم للشخصيات بحيث يتأثر الطفل انفعاليا بحركاتهم وسكناتهم تمنح المسرحية بعدا اساسيا من ابعاد نجاحها • وهذا يحتم أن تكون اقوال وافعال كل ممثل متفقة والصفات الجسدية والنفسية والاجتماعية لاية شخصية في المسرحية ، كما يحتم ان يبلغ الممثل بالفكرة الى المستوى الذى يحرك عواطف المشاهدين ويشد انتباههم ويستولي على اهتماماتهم ، وعند ذاك فقط ، يشعر الاطفال بشعور الشخصيات ذاتها ، ويتجاوبون معها ، ويتحازون الى جانب من جوانب الصراع ، وينشدون الانتصار لهذا الجانب •

وكما هو الحال في القصص ، يستلزم الامر أن تكون الشخصيات واضحة للاطفال ، وتكون على قدر قليل من الدهاء والتعقيد ، وان يكشف مظهرها عما تنطوي عليه من افكار ، او تكون خطوطها من الوضوح بحيث يكون من السهل عليهم ادراك حقيقتها ، والاطفال تستهويهم شخصيات الابطال النبلاء ، والشخصيات النسائية الشجاعة المحبوبة التي تستطيع أن تحقق ما يحققه الرجال الابطال والتي تستطيع التغلب على العقبات ، كما انهم يحبون الشخصيات الغريبة والهزلية والشريرة ، ويريدون كذلك أن يروا ابطالهم أو البطلة تنتصر على الشرير وتنزل العقاب به ، وهم لا يفرقون كثيرا

بين المسرحيات التي تشتمل شخصياتها على اطفال او التي تخلو منهم ، ويلاحظ ان اكثر مسرحيات الاطفال شهرة ليس بين شخصياتها اطفال(١٩).

الحوار

المسرحي

الحوار عنصر ذو أهمية بالغة في أية مسرحية ، لانه اداة التعبير عما تنطوي عليه من صور وافكار .

ومن خلال الحوار يمكن تقييم اسلوب المسرحية ادبيا .

ويعتمد الحوار على الحيوية والحركة والصوت ، ويمنحه الممثلون هذه الابعاد .

والحوار المناسب للاطفال يشابه الحوار المألوف بين الناس من حيث قصر عباراته واتضاحها ودقتها .

والحوار الطويل يبدو امام الاطفال اشبه ما يكون بالمواعظ والخطب والمناقشات الباردة التي تلقى على مسامعهم دون أن يستطيعوا احتمالها ، فتموت الحياة على المسرح .

والاطفال يتفاعلون مع الاحداث المرئية في المسرح اكثر من تفاعلهم مع الحوار المسرحي ، وهذا يوجب ان يتم التوازي بين ما يتراءآى أمام أعين الاطفال وبين ما يتناهى الى مسامعهم ، وان لايكون الاهتمام بجانب على حساب جانب آخر .

وطبيعة المسرح لا تتيح لجمهور الاطفال فرصا لملاحقة المعاني والتعابير ، وهذا يقضي أن تخلو لغة المسرح من كل تعقيد او استطراد او غموض ، وان تكون معبرة ومركزة . ونحن نعلم ان اللغة السلسة المعبرة تنفذ الى ذهن الطفل بيسر دون أن تبعث في نفسه الملل او الارهاق أو تجره الى الشرود الذهني .

وهنا لابد من التساؤل عن الفصحى والعامية في مسرح الاطفال ، أيهما ينبغي أن تكون لها الارجحية ؟!

ونرى جواباً على هذا انه اذا كنا نرى من اللازم استخدام لغة فصيحة بسيطة في كتب ومجلات الاطفال ، فان من الممكن الاستعانة بالعامية القريبة الى الفصحى في بعض المسرحيات التي تستمد موضوعوتها من بيئة الطفل او البيئة الشعبية • فكما ان من الضروري أن يرتدي الممثلون ـ في هذا اللون من المسرحيات ـ ثيابا شعبية ، ويغنون اغان شعبية ، ويستعينون بالامثال والحكم الشعبية فيها كذلك يمكن استخدام اللهجة الشعبية فيها • وهذا يصح ـ الى حد ما ـ بالنسبة الى المسرحيات الضاحكة ايضا •

اما في المسرحيات ذات الطابع العلمي او التاريخي أو الادبي او الاجتماعي فيقتضي استخدام اللغة البسيطة ، ومن هنا جاء التركيز على استخدام اللغة الفصيحة في المسرح المدرسي •

شروط
اخرى

يضاف الى ما ذكرنا ، وجوب توفر شروط اخرى في العمل المسرحي المناسب للاطفال :

ـ ان تتناسب المسرحيات (في اشكالها ومضامينها) مع نمو الاطفال عقليا ونفسيا واجتماعيا ولغويا • وهذا يعني أن تكون للاطفال ابتداء من الخامسة او السادسة وحتى الحادية عشرة او الثانية عشرة مسرحياتهم ، وان تكون للاطفال بعد هذا السن مسرحياتهم • فالمسرحيات التي يتقبلها اطفال مرحلة الخيال المنطلق قد تبدو تافهة امام اطفال المرحلة التانية •

وهذا يعني ان تتلاءم المسرحيات مع حاجات ورغبات وقدرات الاطفال في كل مرحلة •

ـ أن يكون الحدث الرئيس في المسرحي محددا واضحا ، وان تكون

الاحداث الاخرى مكملة أو مفصلة للحدث الرئيس ، مع الابتعاد عن افتعال الحوادث الفرعية ، لان الحدث الرئيس لا يمكن له أن يتبلور ويتصاعد بشكل سليم الا من خلال تتابع الوقائع والحوادث الفرعية بصورة منطقية محكمة . وبهذا البناء وحده تخلو المسرحية من الحوادث المعقدة والمصطنعة. والاطفال سريعو الانتباه الى أية فجوة تتخلل الحوادث .

– ان لا تكون المسرحية في نصها بعيدة عن تصورات الطفل وعن عالمه ، أو تكون مجرد تلفيقات أو مجرد آراء يستلمها المؤلف فيصبها في قالب مسرحي ، متصورا انها ذات شأن .. الا أن أول ما يقتضيه مسرح الاطفال نصاً يتلاءم مع قدراتهم ويمنحهم خبرة مسرحية .

– انتقاء عناصر مسرحية كفوءة على مستوى المخرجين والمنفذين والممثلين والموسيقيين والمغنين والمصممين . لان النص المسرحي لايتاح له ان يتحول الى قوة نابضة بالحياة على المسرح الا من خلال تلك العناصر . فبالنسبة الى الممثلين لابد من توفر قدرات خاصة فيهم تؤهلهم لمخاطبة الاطفال ونقلهم من مجرد متلقين الى متعاطفين مع الممثلين . ومن انسب المسرحيات تلك التي يؤديها الكبار ، الا اذا كانت هناك أدوار معدة اساسا لادائها من قبل الاطفال . وفي هذه الحالة الاخيرة ، يجب ان لا تقحم المواقف والتصرفات على الممثلين الاطفال اقحاما في ادوار لا قبل لهم بها .

– ان لايبالغ في اظهار الاشرار باشكال منفردة مخافة ان يتصور الاطفال خطأً ان الشر يرتبط بالمظهر الخارجي .

– ان يتم التوازن بين مراحل تطور المسرحية ، دون الاطناب في المشاهد التي لا تستلزم ذلك ، او الاختصار في مشهد آخر الى درجة تخل بالمعنى او لاتهيء للطفل فرصة ملاحقة الافكار او الاستمتاع والتعاطف .

– الابتعاد عن المواعظ او الاسلوب الخطابي الذي يثير جزع الاطفال، وينقلهم من كونهم بعداً مسرحيا كجمهور من اولى خصائصه التعاطف الى مجرد متفرجين .

ـ ان يكون النص نابضا بالحياة ، مثيرا لخيال الطفـل وتفكيره وان لاتكون مشاهده وكأنها مألوفة يمكن للطفل ان يتوقع مجرياتها مقـــدما وكأنها سلسلة من الافكار النمطية .

ـ ان تراعى في المسرحية قدرات الاطفال على التركيز والانتباه ، اذ المعروف ان صبر الاطفال قصير ، وهذا يستوجب انطـــواء المسرحية على مواقف مثيرة او مقلقة او مفاجئة ، او مواقف ترقب او مفارقات او احزان أو افراح . وتؤلف هذه المواقف أدوات شد الى المشاهد المسرحية واحدا اثر آخر ، تاركة الاطفال يتوقعون لنتيجة المسرحية اكثر من حكـــم حتى آخر اللحظات .

ـ استثمار حب الاطفال للطبيعة والحياة لتنمية حبهم للعلم والانسانية وازدرائهم لكل الافكار التي لاتريد للانسانية السلام والرفاه والسعادة عن طريق تنمية عواطف الحب عموما .. واعلاء تعلق الاطفال بالخيال عن طريق تسريب الافكار والمواقف الخيالية الى مسرحياتهم ، على أن لا يكون ذلك بشكل مفتعل ، لان افتعال المواقف الخيالية يثير سخرية الاطفال ، وتقف خيالاتهم رافضة الانسياق اليها .

ـ ان يتفنن الفنيون في شد الطفل من خلال استخدام الانارة والرسوم والاغاني والموسيقى وغيرها من الامكانيات المسرحية لخلق عالم جـــديد ساحر جذاب .. وان يكون الديكور المسرحي مريحا ذا تراكيب بسـيطة وألوان زاهية متوازنة . ويمكن اظهار اكسسوارات مبالغ فيها في احجامها وألوانها او اسباغ صفات انسانية او حيوانية عليها كانطاقها او تحريكها .. وهذا يعني ان يكون الاخراج شيقا واضحا .

ـ مراعاة الابعاد الزمانية والمكانية في المسرحيات التاريخية وما يرتبط بتلك الابعاد من ظروف ومعتقدات .

المبحث الثاني

مسرح الاطفال في العالم

اهتمت دول العالم المتقدمة بمسارح الاطفال اهتماما بالغا ، وتقف البلدان الاشتراكية في مقدمة دول العالم في هذا الميدان .

وتتناول ملامح سريعة عن مدى اهتمام بعض البلدان بمسارح الاطفال .

الاتحاد السوفيتي :

لم تكن مسارح الاطفال في الاتحاد السوفيتي نتيجة جهود فردية ، بل كانت قضية الدولة السوفيتية ذاتها ، حيث عنيت الدولة السوفيتية وهي ما تزال فتية بقضية الطفولة وافتتحت اول مسرح دائم للاطفال في موسكو في الذكرى الاولى لثورة اكتوبر في وقت كانت فيه الدولة تعاني من آثار الدمار والجوع بسبب الحرب .

ويزيد عدد مسارح الاطفال في الاتحاد السوفيتي عن ٤٧ مسرحا

(بشرياً) واكثر من ١١٠ مسارح للعرائس اضافة الى مسارح مزارع الدولة الجماعية ، وهي تنتشر في كافة الجمهوريات •

وهذه المسارح هي مسارح محترفين ، ولكل مسرح فرقة من الفنانيين والفنيين اضافة الى عدد من كتاب الاطفال والمعنيين بشؤون الطفولة •

وتتوالى البحوث في الاتحاد السوفيتي لدراسة جمهور الاطفال دراسة منظمة ، ليقفوا على ميوله وعواطفه واتجاهاته ، ومع ذلك فان المخرجين لا يترددون عن حذف او اضافة بعض المقاطع بعد العروض الاولى قبل الاستمرار في العرض استنادا الى مدى استجابة الاطفال لها •

والمسرح المركزي للاطفال في موسكو هو نموذج لجميع مسارح الاطفال في البلاد ، وهناك عديد من المسارح المماثلة له ، وله صلات وطيدة بمسارح الاطفال كلها ، حيث يعينهم في عملهم الفني وينظم مؤتمرات للمشتغلين فيها في الاقاليم ، ويبعث بالمستشارين عند الضرورة ، وله متحف خاص به يضم معروضات كثيرة تبين تطور تاريخ مسارح الاطفال •

وتقول فالنتين كوليسايف ، مديرة المسرح المركزي للاطفال :

« ان المسرح يحدث جمهوره عن معنى الحياة •• • انه يحدثهم حديثا جادا واحيانا حديثا قاسيا ••• والمتفرج الصغير ما زالت امامه حياة حافلة بالعمل المفيد والجوانب المختلفة من التجارب المثيرة ، ولن تكون هذه الحياة سهلة كالسفينة في البحر الهادى ، لذا يجب ان نعده له •

يجب أن نريه الحياة كما هي على حقيقتها دون أن نخفي عنه جوانبها المظلمة ، ولقد نصح « بلنسكي » الكتاب الذين يكتبون للاطفال قائلا :

« لا تشوهوا الحقيقة ولا تفتروا عليها ولا تزينوها ، ارسموا الحياة كما هي ، على حقيقتها ، بكل ما فيها من سحر وكل ما فيها من عبوس قاس ونحن المشتغلين بالمسرح نعمل بهذه النصيحة •

ومسارح الاطفال تشتمل على طائفة مختلفة من الروايات والعروض اكثر من مسارح الكبار ، فتشمل برامجها روايات سوفيتية معاصرة عن الحياة في الاتحاد السوفيتي ، وروايات عن موضوعات الحياة الاجنبية ، واخرى مأخوذة من روايات الحوريات والجن الشعبية • كما ان بعض الروايات مأخوذة من الروايات الكلاسيكية الروسية والاوربية ، والبعض الآخر تاريخي او عن الثورة او روايات المغامرات او الروايات العلمية او تمثيليات مأخوذة من الاعمال الادبية المؤلفة للاطفال والشباب •

وهذه جميعها تدور حول أنماط وألوان مختلفة من الشخصيات ، بعضها كبير والآخر صغير ، وبعضها معاصر او قديم ومنها شخصيات الحيوانات او الطيور أو قوى الطبيعة او شخصيات حكايات الجن كالسحرة والحوريات والتنين والوحوش الهائلة •

ويكتب لمسرح الاطفال عدد من اكبر الكتاب السوفيت ، حيث ضرب لهم هذا المثال من قبل الكاتبان البارزان الكس تولستوي وكونستانتين ترينيف اللذان ما زالت رواياتهما الممتازة تعرض حتى اليوم في مسارح الاطفال » •

في المانيا
الديمقراطية

وفي المانيا الديمقراطية افتتح اول مسرح للاطفال بمدينة لايبزك عام ١٩٤٦ تحت اسم « مسرح العالم الفني » رغم ان آثار الحرب ماتزال ثقيلة على صدور الناس • وكان من بين اهداف ذلك المسرح ازالة الذكريات المؤلمة للحرب من نفوس الاطفال والبدء فنيا وانسانيا لتحمل مسؤوليات الحياة الجديدة •

ولم يكن لفن المسرح في المانيا الديمقراطية آنذاك تراث وتقاليد توفر له أن ينمو ويتطور ويتغلب على المشكلات التي تواجهه ، ولكن الايمان بقضية

هذا الفن في تنمية الطفولة كان له الاثر في مضي المسرح بخطوات عريضة ، كما أن المسرح السوفيتي قدم العون للمسرح الجديد .

وجمهور هذا المسرح مقسم الى ثلاث فئات ، تتراوح أعمار الفئة الاولى بين ٥ ـ ٨ سنوات ، وتقدم لهم حكايات بسيطة ممسرحة ، ومسرحيات موسيقية او ايحائية مبسطة عن الاوبرا والباليه . والفئة الثانية تتراوح اعمارهم بين ٩ـ ١٢ سنة ، وتقدم لهم مسرحيات تتناول واقع الحياة ومسرحيات مغامرات ، اضافة الى المسرحيات الموسيقية ، أما الفئة الثالثة فتتراوح أعمارهم بين ١٣ـ١٤ سنة ، وتقدم لهم مسرحيات كلاسيكية واخرى معاصرة . وهذه الاعمال اضافة الى اسهامها في تنمية شخصياتهم فانها تؤهلهم ليكونوا جمهورا واعيا للمسرح فيما بعد .

ولكن هذه الحدود بين مراحل الطفولة ليست فاصلة او حدّية او مطلقة بل تتداخل وتتشابك ، ويراعى المعنيون بالطفولة هذا الجانب .

وديكور هذا المسرح بسيط ساحر ، وموسيقاه مثيرة ، وممثلوه على جانب من الحيوية والخفة والمهارة ، يتحدثون باسلوب ممتع وبسيط ومدروس ، لذا يكون التجاوب بين جمهور الاطفال وممثلي المسرح على اشده . ويتضح الصراع بين الخير والشر في اغلب المسرحيات . ويندر ان تعرض مسرحية لا يجد الاطفال فيها ما يؤصل الصدق والشجاعة والاخلاص وحب العمل والحياة والحرية والسلام والألفة بين الناس والرفق بالحيوان والعناية بالنبات .

وفي عام ١٩٥١ افتتح معرض الصداقة في برلين الشرقية كمسرح مركزي للاطفال والشبان ، وكانت اولى مسرحياته « انك الانسان المناسب » لغوستاف فون فانجنهايم .

وقد اكتسب هذا المسرح بسرعة سمعة شهيرة ، وتمكن من ايجاد مجموعة ثمينة من المؤلفات المسرحية الخاصة به ، وتكوين فرقة من الفنانين القديرين وجذب جماهير من الاطفال والشباب .

ويمتلك المسرح الى جانب الاقسام المسرحية التقليدية ، قسما تربويا خاصا ، مهمته تحليل سلوك الاطفال ونفسياتهم وقدراتهم على الاستيعاب في مختلف مراحل نموهم ، لان نفسيات وسلوك وقدوات الاطفال في تبـــدل مستمر ، وردود فعل البيئة المتبدلة تحت شروط الثورة العلمية ــ التكنيكية تؤثر ، هي الاخرى ، في سلوك وقدرات الاطفال • ويقـــوم القسم التربوي بمراقبة سلوك الاطفال في قاعات المسرح اثناء العروض ، وفي فترات الاستراحة، وفي صالات المسرح كأساس للدراسات الموضوعة عنهم[٢٠] •

وتنتشر المسارح الاخرى في جميع المدن الالمانية الديمقراطية •• وهذه المسارح في مجملها تتولى الى جانب العروض المسرحية نشـــاطات اجتماعيـــة متعددة منها قيام الممثلين والفنانين بزيارات مستمرة الى المدارس لتوضـــيح أهداف المسارح للمعلمين والتلاميذ ، والاستئناس بآرائهم حول ما عـرض ويعرض من مسرحيات • كما تعقد المســـارح ندوات اخرى في منظمـــات الطلائع •

الولايات المتحدة الامريكية :

انشىء أول مسرح للاطفال عام ١٩٠٣ ، وكان مسرحا تعليميا ، يشرف عليه الاتحاد التعليمي في نيويورك • ولكن هذا المسرح لم يستمر غير بضـع ســـنوات •

وانشأت بعد ذلك مؤسسات وجمعيات مختلفة مسارح للاطفال منهـــا جمعية الناشئين التي قدمت أول عمل مسرحي لها عام ١٩٢٢ ، وهي مسرحية « اليس في بلاد العجائب » ، وبعد ذلك تولت هذه الجمعية امداد فروعها في بعض الولايات المتحدة بالبرامج المسرحية • كما انشـــأت بعض الكليـــات والجامعات والمدارس المهنية مسارح للاطفال • وحتى الجامعات والكليـــات والمدارس التي لا تشرف على مسارح خاصة بها تتولى كل موسم تقديم مسرحية لاطفال المنطقة • ومن جانب آخر فان عددا من الجامعات والكليات بدأت

أخيرا في تدريس منهج مسرح الاطفال لتخريج فنانين ومتخصصين في هـذا الميـدان .

وللمجالس البلدية في الولايات المتحدة مسارحها الخاصـة بالاطفـال

وهناك مسارح أهلية ثابتة واخرى تتنقل بين المدن والقرى .

أما مسرح الاطفال العالمي الذي أسس عام ١٩٤٧ فله نشاط مسرحي في جميع الولايات .

ويقول الكاتب الامريكي وينفريد وارد في كتابه عن مسرح الاطفال .

« .. غالبا ما يكون الفرق كبيرا بين المسرحيات التي يعتقد الكبار انها تستهوي الاطفال ، وبين المسرحيات التي تستهويهم بالفعـل . ففي الماضـي كثيرا ما كانت جماعات السيدات تقدم مسرحيات خيالية عن اطفال يصعدون الى القمر ويلعبون مع سكان الكواكب ، ثم يستيقظون ليجدوا ان كل ماحدث كان مجرد حلم . أو غيرها من المسرحيات الخفيفة التي تنقصها الحيـوية والموضوع الجيد الذي يستميل قلوب الاطفال .. ورغم ان كثيرا من المسرحيات الركيكة التافهة ما تزال تقدم للاطفال حتى الان ، الا ان مستواها يتجـه الى الارتفاع » .

ويضيف الكاتب قائلا :

« .. ونحن في اميركا ، لم نصل الى الحـد الذي ينظر فيـه الى مسرح الاطفال نظرة جادة ، ونشعر بالزهو حين نقدم لاطفالنا بعض حفلات ترويحية بعد ظهر أيام السبت ، ونقنع بتقديم مسرحيات يستطيعون بها الهرب ، فترة قصيرة ، من عالم الواقع الى مغامرات ساحرة في عالم الخيال .

وما من شك في ان الخطوات التي قطعناها في طريق مسرح الاطفـال كانت سريعة . فمن لاشيء منذ سنوات قليلة ، استطعنا ان نقدم كل عام عدة مئات من المسرحيات في مختلف انحاء البلاد وادخلنا الفرحة الى قلوب مئات

الآلاف من الاطفال • وهذا العمل عظيم وجدير بالتقدير ، ولـــكن ما يزال أمامنا شوط طويل للغاية •

ونحن في حاجة الى فهم اكثر عمقا للاولاد والبنات ، ولابد لنا من دراسة جمهور المتفرجين دراسة علمية متصلة والاستفادة منها ، وهذا يتطلب اخراج مسرحيات لمستويات معينـــة من السن بدلا من اخراجها للاطفـــال عامـة • ومسرحيات الكبار قد تستهوي من تتراوح أعمارهم بين الثامنـــة عشرة الى السبعين ، اما بالنسبة لمسرحيات الاطفال فان فارق ثلاث سنوات في السن يجعل المسرحية تلائم مستوى معين دون غيره •

وزيادة العناية باخراج مسرحياتنا واتناجها سوف يصون الصورةالوهمية في خيال المتفرجين ، ويبعث الحياة في القصة • ونظرا لاننا نعمـل للاطفـــال لذا ينبغي أن لانقدم لهم اتناجا هزيلا ، وتقديم أقصى ما نستطيع من اخراج متقن وتمثيل صادق واتناج رائع • ينبغي أن يكون المستوى الـذي يحافظ عليه كل مسرح للاطفال في هذه البلاد •

فاذا درسنا متفرجينا دراسة دقيقة ، واخرجنا مسرحياتنا اخراجا جميلا ، فاننا نشجع على تأليف المزيد من المسرحيـــات الجيـــدة • اننا نريد لمسرحنا مسرحيات اكثر جمالا واعمق دلالة ، بعضها ملىء بالآراء والافكار التي تعين أطفالنا على تفسير الحياة تفسيرا اكثر صدقا ، وبناء مجتمع أفضل ، واخرى لأثراء جماعاتنا بتنمية احساسها بالجمال وتذوقها الواعي للفن ، وكلها تمـلأ قلوب أولادنا وبناتنا بفرحة غامرة » •

البلدان الاوربية الغربية :

في البلدان الغربية الاوربية لم نجدْ اهتماما على مستوى عال بمسارح الاطفال • ويبدو ان في مقدمة اسباب ذلك انه يفترض في مسرح الاطفال أن

تكون اسعار تذاكر الدخول زهيدة ، لذا عزفت الدور التجارية عن انشـــاء مسارح للاطفال نظرا لما يستلزمه من تكاليف تعجز الموارد عن ايفائها ٠

ولكن المسارح المدرسية تقوم بنشاط مسرحي واسع في جميع المدارس وعلى مختلف المراحل الدراسية ٠

ومن جانب آخر فان مواسم ومهرجانات مسرحية كبيرة تنظم للاطفال في جميع البلدان الاوربية الغربية ٠

المبحث الثالث

مسرح الدمى

الدمية في حياة الطفل

عرف الانسان الدمية قبل أن تظهر ممثلة على المسرح بزمن بعيد . ولعبت أثراً في حياته منذ عصور ما قبل التاريخ .

وهذه آلاف الدمى الصغيرة التي تمثل مختلف الاحياء وجدت في آثار الانسان القديم في بلاد ما بين النهرين يعود تاريخها الى الالف السادس قبل الميلاد . واذا كان الانسان قد استخدم هذه الدمى الصغيرة لاغراض طقوسية دينية ام استخدمها الاطفال للهو واللعب ، أم كحوز تنظيم في القلائد لتفعل فعلا سحريا يحمي حامليها من الشرور والاذى ! فانها ، ولا شك ، كانت تعني شيئا كبيرا بالنسبة الى الانسان آنذاك ، ناهيك عن المنحوتات التي كانت تمثل الرجال والنساء من الآلهة والملوك الذين كانوا ينتصبون في المعابد ، يتعبد لها الناس ويتبركون بها ويقدمون لها القرابين .

وما يزال المنقبون بين الآثار القديمة يعثرون على دمى صغيرة تمثل

مختلف الحيوانات • وقد عثر في مصر على دمى ذات أذرع وارجل متحركة ، مما دعا الباحثين الى التساؤل فيما اذا كانت هذه الدمى المفصلية تشير الى أن هناك مسارح دمى في تلك الفترات الغابرة في التاريخ •

وذكر ارسطو خبر دمى تتحرك تلقائيا اذا أسقط عليها الرمل أو الزئبق ، وقارن هوراس الشاعر الروماني بين الانسان والدمى الخشبية التي تتحرك بشد الخيوط •

ووجدت مجاميع ضخمة من دمى معدنية لجنود وفرسان ومصارعين وعربات وانواع مختلفة من الحيوانات في ايطاليا في مقبرة للاطفال تعود للاتروسكيين القدماء • وكان قد عثر قبل ذلك في مصر على دمى في مقابر بعض الاطفال تعود الى ما قبل الميلاد بمئة وخمسين سنة قبل الميلاد •

واطفال اليوم أشد تعلقاً بالدمى من ذي قبل ، بعد أن تطور صنع الدمى ، واصبحت ذات اشكال جذابة • وهاهم الاطفال اليوم يقضون مع دماهم أوقاتا طويلة •• ومنهم من يسعده ان ترافقه دماه حتى عند خروجه من البيت ، بل منهم من يصطحب دماه الى مدرسته في الايام الاولى لدخوله المدرسة كي يبعدوا عن انفسهم الشعور بالغربة في المحيط الجديد •

والدمية رفيقة الطفل منذ مراحل طفولته الاولى ، وهو يضفي عليها كثيرا من المشاعر والاحساسات ، ويحدثها ، ويضاحكها ، ويدغدغها ، واحيانا يغضب عليها فيخاصمها ثم لا تلبث سورة غضبه أن تهدأ فيعود اليها يتعامل معها برفق كأنها صديق وفي •

وهذا القرب بين الطفل والدمية يجعل الطفل يستمتع بحركات الدمية ورقصاتها واغنياتها ، كما يتقبل ما تقوله له برضا بالغ ، بل ان كثيرا من النصائح التي يعزف عنها الطفل ، في العادة في حين يسمعها من انسان ، فانه يتقبلها حين تحدثه بها الدمية المحببة • ومن هنا يتضح الاثر النفسي لمسرح الدمى • اذ ان خيال الطفل يجعل من الدمية حية حياة كاملة •

ومن جانب آخر يميل الاطفال الى تجريد الاشياء من تفاصيلها وتحليل تراكيبها الى عناصر اولية ـ وهذا ما يبدو جليا في اسلوب رسومهم ـ ولهذا كان تمثيل الدمى مؤثرا في الطفولة ، لان حركة الدمى هي حركة ميكانيكية ومحللة الى عناصرها الحركية الاولية والى اصولها التشكيلة .. فضلا عن ان الدمى من حيث تكوينها كشخصيات مسرحية هي بالضرورة شخصيات مثبتة أي كل منها احادية الصفة[٢١].

مسرح الدمى

مسرح الدمى هو امتداد للدمى التي لعب بها الاطفال اولا ، ولتلك التي عبر بها الانسان في فجر التاريخ عن عالم الروح وما فوق الواقع ، فأسبغ عليها مهابة وقداسة ـ هي في رأيه ـ لايمكن ان ينالها الا الآلهة والملوك والامراء .

ويؤكد المؤرخ شارلس نور بيه انه ليس هناك ما يمنع من أن يكون الطفل قد حدد لاطراف دميته وسائل تحريكها لكي يمنحها اكبر قسط من الواقعية ، وذلك لان الطفل يرى دائما دميته كائنا حيا ، ويتعامل معها على هذا الاساس[٢٢].

وعلى أية حال ، فان الدمية التي « تمثل » على المسرح اليوم هي غير دمية اولئك الذين أسبغوا عليها القداسة ، وهي غير الدمية التي يلهو بها الاطفال ، لان الدمية في هذا اللون المسرحي هي كائن خارق الحيوية ، يفكر ، ويخطط ، وينفذ ، ويتحرك ، ويتكلم ، ويجيب عن كل الاسئلة ، ويحل العقد والمشكلات ويشارك في مختلف البطولات .

ويقوم مسرح الدمى على بعث الحياة في الدمية . وهذه الحياة لاتسحر الاطفال وحدهم بل تثير نفوس الكبار أيضا ، لذا فان مسرح الدمى في نشأته الاولى لم يكن للاطفال ، بل كان للكبار ، وما يزال الكبار يجدون في عروضه متعة كبيرة ، بل أن بعض مسارح الدمى مخصصة للكبار وحدهم .

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية أدى لاعب العرائس الروسي الشهير سيرجي ابرازوف الكثير من العروض العرائسية امام الجنود في جبهات القتال •

ويتميز مسرح الدمى بطغيان الخيال الذي يبتكره الفنان ، انه عالم من الفانتازيا تتسع آفاقه الى حيث تتسع آفاق خيالات الفنان ، وعلى هذا يقال عنه انه مسرح الخوارق ، لان من المألوف أن نجد فيه الخارق للمألوف •

والدمية على المسرح ليست صورة أخرى من الانسان ، تقلده وتحاكيه، تماما مثلما هي ليست لعبة للاطفال ، بل هي هيكل يمثل وفق ما يريده الفنان تمثيلا غير اعتيادي ، لان الدمى لايمكن ان تتحرك وتعبر بنفس الطريقة التي يتحرك ويعبر بها الممثل • كما أن الممثل لايمكن أن يقلدها •• وهذه ميزة ذات أهمية لانها تجعل من الدمية وسيلة تعبير مكتملة « بما توحي به من دلالات رمزية وبما تنطوي عليه من امكانيات تعبيرية ، وهي بهذا تكون أقوى تأثيرا من الممثل بكل آدميته وطاقته البشرية • وهذا جوردن كريج الذي كان يحلم أن يكون ممثله مثل الدمية ، بل وان يتفوق عليها ، وهذا ما أسماه بالدمية الخارقة »[٢٣] وعلى هذا الاساس اكتسب مسرح الدمى ميزة عن المسرح البشري •

فاذا كان المسرح البشري بامكانياته ، ومقوماته ، ومناظره ، ومؤثراته الضوئية والصوتية ، وحيله المختلفة ، يتفق مع تفكير الاطفال الحسي ، ويستطيع أن ينقلهم الى العالم الساحر الخلاب ، الذي يسعدهم أن يعيشوا فيه •

واذا كانت المسرحية الناجحة تستطيع أنْ تستغل عوامل الايهام المسرحي لتجسم امام الاطفال ما يتراءى لهم في خيالهم الايهامي أو خيالهم الابداعي ، وتصل بهم الى درجات كبيرة من الاندماج والتعاطف الدرامي مما يرتفع بهم الى قمة الثقة والسرور •

اذا كان هذا يصدق على المسرح بصفة عامة فانه اكثر ما يكون صدقا بالنسبة الى مسرح الدمى بصفة خاصة ، ذلك لان الفرق بين المسرح (البشري)

ومسرح الدمى يكمن في نوع الممثلين ، فهم في المسرح الاول بسر ، لهم صفات واصوات وامكانيات البشر ، ولا يستطيع (الماكياج) ، ولاتستطيع الملابس وامكانيات الاخراج ، بصفة عامة ، ان تعدل من هـذه الصفات البشرية الا الى قدر محدود .

اما في المسرح الثاني ، فان الممثلين مخلوقات خيالية ، ابدعها خيال المؤلف ، وصنعها موهبة الفنان ، وحركتها ارادة المخرج ، في أطار واسع من الحرية في مجال الابداع الفني لا نظير له في المسرح الآدمي ، وهذا يتيح لمسرح الدمى ان يسبح في عالم الخيال ، مما يصعب تنفيذه على المسرح (البشري) بالاشخاص العاديين[٣٤].

وهناك من يتصور ان مسرح الدمى يبدأ من حيث تنتهي امكانيات المسرح البشري ، ولكن مسرح الدمى لون فني له خصائصه المتميزة ، ويعتمد على النواحي البصرية اكثر مما يعتمد على الحوار اللفظي ، وتزداد قوة هذا الفن واقترابه من خصائصه كلما زادت امكانيـة مرئيـاته في التعبير عن المضمون[٣٥].

ويستخدم مسرح العرائس اليوم في رياض الاطفال والمدارس الابتدائية في كثير من بلدان العالم ، حيث تتم مسرحة المناهج ، واصبح بالامكان تقديم العلوم والتاريخ والاداب وغيرهما من خلاله . ويتيح للتلاميـذ فرصـا للتعاون والعمل الخلاق فيما يتصل بالرسم ، وصـناعة الدمى ، واعـداد الملابس المناسبة ، واعداد الحوار ، وفي عرضها ، وفي اداء الموسيقى المصاحبة للعرض ، وغير ذلك من النشاط المتصل بهذا اللون .

واستخدام الدمى يوفر للتلاميذ خبرات تعليمية ممتـازة ، اضـافة تسليتهم والترويح عنهم ، ومن جانب آخر فان هذا الفن يشكل طريقة مؤثرة في التعبير عن الافكار والموضوعات المختلفة[٣٦].

وتصعب على الدمى التعبيرات والحركات الاعتيادية ، لانها بطبيـ...

ـ سواء في تركيبها أم تحريكها ـ تنزع نحو البساطة أو التهويل ، لكي تركز وتوضح خصائص معينة • لذلك فمن اهم ما يجب مراعاتــه في الدميــة ان تكون على طبيعتها ، وهذا لا يتأتى الا اذا صممت بعد دراســة مستفيضة للشخصية وعلاقتها بالشخصيات الاخرى ، وجو المنطقــة التي تعبر عنــه المسرحية ، وجو العصر الذي تحدث فيه(٢٧) •

وطبيعة الدمى البعيدة عن طبيعة الممثلين في المسرح (البشري) تفرض أن تكون لها خصائصها وفقا للدور الذي تؤديه ، وان تكون اصواتها خاصة بها ، أي أن لا تكون اصواتا اعتيادية • ويميل محركو الدمى الى التكلم من حناجرهم أو انوفهم • ولكن بظهور الآلات الحديثة أمكن التحكم آليــا بالصوت الآدمي • وكان لاعبو الدمى القدماء يستخدمون زمارات مختلفة الاطوال والاحجام لاخراج أصوات متميزة عن الاصوات الاعتيادية •

ومن الدمى ماهي قفازية تلبس باليد وتحركها الاصابع ، وهي صغيرة في العادة ، ومنها ما هي ذات خيوط تحرك بخيوط او أسلاك رفيعة من الاعلى أو الاسفل • أما خيال الظل أو ظل الخيال فان عرائسه تصنع من جلود ، وتوضع خلف ستارة بيضاء ومن خلفها مصباح ، فتنعكس ظلال تلك الدمى على الستارة ليراها المساهدون من الجهة الاخرى •

الفصل الرابع

برامج الأطفال في الاذاعة

المبحث الاول

نظرة عامة

يوم قال الشاعر العربي : ان « الاذن تعشق قبل العين أحياناً » كان على حق ، لان الاذن اداة استماع فني ذات شأن •

وبرنامج الاطفال في الاذاعة هو فن مسموع ، يعتمد على الاذن ، في الاساس ، وحين يحمل مضمونا ثريا ويتخذ شكلا فنيا جميلا ويطرق آذان الاطفال بهدوء ودعة ، ويتناغم مع احساساتهم ، فأنه ، ولاشك ، يسهم في تشكيل وجدانهم ومعاونتهم على النمو السليم •

وبرامج الاطفال في الاذاعة مجال آخر من مجالات الاتصال بجمهور الاطفال • وعلى ذلك ، فمضامينها تؤلف جزءاً من أدب الاطفال •

والاذاعة تعتمد على الصوت فقط ، اي انها تعتمد على حاسة السمع ، وحين تنطلق الاصوات عبر الاثير ، فأن حاسة البصر قد تعطي المجال للاذن لالتقاطها لتتحول فيما بعد الى صور حسية وذهنية ترسمها المخيلة ، وقد لا تعطى مثل هذا المجال حين تكون مشغولة في التطلع الى شيء آخر شاغلة معها الذهن . والاستماع ، في حد ذاته ، يتطلب شيئا من الجهد ، اذ نادرا ما يستطيع الفرد الانصراف الى الاستمتاع دون ان يجد نفسه قد انشغل بنشاط مرئي آخر .

وعلى هذا ، ومن اجل ان تحول الاذاعة دون انشغال الطفل بعيدا عنها، ينبغي لها أن تستولي على مشاعره ، ولن يتهيأ لها ذلك الا من خلال الاصوات الحية والكلمات المعبرة والمؤثرات الصوتية الدافقة والمضامين المثيرة .

والاذاعة اداة اجتماعية فريدة ، ذلك ان المذيع أعمى وأصم مع جمهوره، والمستمع كذلك أعمى وأصم وأبكم مع المذيع ، ومع ذلك فان قوة الاصوات تستطيع أن توحي بصور خيالية هي أكثر من أن تعوض من عدم توفر الرؤية . ذلك ان الصورة تتكون في ذهن السامع دون أن تتقيد بتفصيلات محددة ، فهي لذلك صورة كاملة ، لان السامع يستطيع أن يكيفها حسب ذوقه الخاص[1] .

لذا فالصوت الاذاعي يتحمل اعباء ثقيلة من أجل أن يشد بأذني الطفل اليه رغم افتقاره الى الاضواء والديكور وحركات الممثلين وتعبيرات وجوههم . ومع هذا توفّر له تقديم ألوان فنية زاخرة من أدب الاطفال ، وبهذا استطاع أن يسد ما يعانيه من نقص بابراز صور صوتية تهيء للطفل أن يفهم ما يجري خلف المايكرفون من وقائع .

وبفضل ما اضافته الاذاعة للكلمات والاصوات البشرية والحيوانية والمؤثرات الصوتية من أبعاد جديدة استطاعت ان تحمل بالثقافة بعيدا متجاوزة حواجز زمانية ومكانية ، وان تحمل بها عريضا مخاطبة كل الاجناس

البشرية وكل الاعمار ، بمن فيهم الاطفال ، اينما وجدوا • وبذا انفعل الاطفال بالكلمات وتغنوا بالنغمات المسابة عبر الاثير •

شكل ضمون

برنامج الاطفال

الاسلوب غير المباشر في المخاطبة الاعلاميـة والاتصال الثقافي ضرورة أساسية بوجه عام • والطفل ، بسبب حساسيته المرهفة لا يطيق الاستماع ، بله الأمتثال ، لما يقدم له بشكل مباشر ، خاصة وان الطفل في مجتمعنا هـو « رجل متعب » لانه يحيا في بيئنه ومدرسـنه تحت سماء من النصـائح والارشادات والتوجيهات الآمرة المنفرة ، وهو كثيرا ما يقف حيالها حائرا لايجد الا أن يتحداها ويمرق عليها • فضلا عن أن كثيرا من المضامين التي يتلقاها الطفل ، وفـق الصيغ المباشرة او الخطابيـة ، لا تلبث ان تغيب عن ذاكرته بعد حين • وعندما تعاد اليه من جديد ، يجد نفسه مدفوعا الى النفرة منها بينما هو يتقبل تكرار المواد الادبية المائعة وكثيرا ما يلح من اجل ان تعاد عليه مرة بعد مرة • فهو يلحف عليك من اجل ن تعيد له رواية قصة اعجبته كلما وجدك على استعداد لذلك ، واحيانا لا يوفق في التعرف الى استعدادك للرواية فتزجره ، وعند ذاك يضطر الى السـكوت ، ولكنـه ما ان يستوحي استعدادك بعد ذلك حتى يطالبك من جديد •

وليس بالوسع تحديد صيغ ثابتة الابعاد لطريقة مخاطبة الطفل مـن خلال البرنامج الاذاعي ، ويظل للقدرة الادبية والذوق السليم دوره الكبير في تحديد ذلك • ويمكن القول أن أفضل الصيغ هو الشـكل القصصي ، سواء كان مروياً أم ممثلاً أم ممسرحا أم على شكل ديالوج قصير مثير ، كما يمكن تقديم الاخبار والمعلومات والحوادث على شكل قصصي •

ولما كان الطفل كثير الشرود ولا يقوى على الانتباه الطويل ، لذا كان من الضروري أن تكون مسامع البرنامج موجزة ومكثفة ، وان يجد الطفل في كل فقرة ما يشد انتباهه وما يدعوه الى متابعة الفقرة التاليـة • والروح

الخفيفة التي يخفق بها البرنامج واجواء المرح تقيم بين الطفل والبرنامج معبرا لاتقوى أية موجة عابرة على اجتياحه •

والايجاز في النص الاذاعي لا يبيح لنا ان نختصر الى الحد الذي يمسي فيه من الصعب على الطفل ان يقف على ما نريد بسهولة ، لذا وجب أن يقترن الايجاز بالوضوح لان الطفل يصاب بقرف شديد حين يجد مادة مقدمة له لا يقوى على فهمها ، كما اننا حين نغالي في الشرح والتفصيل نجد ـ بعد حين ـ اننا نتحدث الى انفسنا ، فقد عزف عنا الطفل وتبرم •

ولغة البرنامج الاذاعي هي لغة بسيطة في العادة ، خالية من الالفاظ الغريبة والتركيبات اللغوية المعقدة دون الوصول الى حد السذاجة ، لان الطفل يرى في ذلك استصغارا لشأنه وامتهانا لذكائه •

وبرامج الاطفال ، شأنها شأن كل ألوان ادب الاطفال ، يتعين ان تتحدد وفق مراحل العمر شكلا ومضمونا ، لان اهتمامات وميول وقدرات وحاجات الاطفال تختلف من طور الى طور •

أما فقرات برنامج الطفل فليس بالوسع وضع اطار ثابت القسمات لها• ولكن من الضروري أن يكون للبرنامج خط فكري متكامل ، والا تحول الى مجرد متفرقات منوعة او مختارات لاتربط بينها رابطة ولا يجمعها هدف مشترك ، وحتى ان كان بين تلك المختارات المتفرقة ما هو مفيد ومؤثر فان ذلك لايشفع لبرنامج لاتخضع فقراته في مجملها لفلسفة واضحة •

والكتابة للاذاعة بوجه عام ، لون ادبي له أبعاده وخصائصه المتميزة ، بل هناك من يذهب الى القول انه فن قائم بذاته ، اما الكتابة للاطفال من خلال الاذاعة ، فهي جانب من هذا الفن ، وهي ولاشك اكثر الجوانب صعوبة •

ومن الالوان الادبية التي يمكن تناولها في برامج الاذاعة ما يلي :

ـ المسـرحيات :

لاتتيح الاذاعة تقديم كل الالوان المسرحية لاعتمادها على الصـوت وحده • ولكن هذا لا يمنع من تقديم المسرحيات والالوان التمثيلية الاخرى التي تعد أساسا للاذاعة • وهي تتميز عادة بحبكة بسيطة تهيء للاطفـال فرصة متابعة احداثها والاستمتاع بها ، كما تتميز بالقصر ، وبالاثارة ، والحركة السريعة ، ووضوح الحوادث ، ووضوح الفكرة ، مع الابتعاد عن الاسلوب المباشر في نقل القيم والافكار •

وبالوسع تناول الحوادث والشخصيات الخيالية اضافة الى الواقعية ، مع الحرص على عدم شحن الالوان التمثيلية بالكثير من الاثارة التي تصل الى مستوى التوتر ، لانها في هذه الحالة تعطي مردودا سالبا •

ـ القصـة :

يمكن تناول كل الالوان القصصية ضمن برامج الاطفال ، على أن تتم صياغتها واخراجها بما يناسب امكانيات الاذاعة •

ويتخذ تقديم القصة عبر المايكرفون اشكالا متعددة منها القصـة المقروءة ، والقصة المروية (التي تعتمد على الراوي) والقصة المستندة الى الحوار •

وفي هذه الحالات جميعها لابد ان يكون الالقاء انسيابيا ومعبرا ، وان تستخدم الامكانيات الصوتية بطريقة فنية كالموسيقى التصويرية والموسيقى الخلفية والمؤثرات الصوتية والاغاني • وطبيعة القصة تفـرض اسـلوب الاخراج المناسب وتقرر الاصوات المناسبة ، لكي تصل الى الطفل نابضـة حية تحمل المعاني والقيم •

وهنا لابد من الاشارة الى ان كثيرا من الشخصيات الخيالية التي يصعب تصويرها من خلال التلفزيون يمكن التعبير عنها من خلال الاذاعة عن طريق الرواية مع الاستعانة باصواتها •• كما ان الاذاعـة تهيء للاطفال الفرصـة

لتشكيل الصور الذهنية عن تلك الشخصات وفقا لمستويات نموهم العقليـة والعاطفية ، وخبراتهم الثقافية •

ـ الشـــعر :

الشعر يهز الاطفال ويؤثر في نفوسهم ، والاذاعة هي الوسيلة الفضلى لتقديم الشعر للاطفال •

وتتضمن برامج الاطفال ، في العادة ، قصائد يقرأها الاطفال بأنفسهم ، مجتمعين او فرادى ، اضافة الى ما يقرأه لهم الكبار بطريقة منغمة •

والقصائد المقدمة للاطفال قبل السادسة من اعمارهم تركز على الايقاع والموسيقية أكثر من تركيزها على المعاني •

وتسهم القصائد الشعرية في تدريب اذني الطفل على الاستماع اضافة الى ما تحمله من معان اخلاقية وادبية وفنية ، وما تشيعه في نفسه من الثبات والثقة والمرح •

فقرات خرى :

وتتسع برامج الاطفال في الاذاعة ، اضافة الى ذلك ، للاغاني والالعاب والمسابقات والاخبار والهوايات والريبورتاجات الاذاعية والمقابلات •

مقدمو البرنامج :

هناك من يدعو الى أن يتولى الاطفال وحدهم تلاوة فقرات البرنامج من اوله الى آخره •• وهذا خطأ كبير وقعت فيه كثير من الاذاعات ، وماتزال بعض الاذاعات تقع فيه حتى اليوم • والملاحظ ان الاطفال يتعلقون بكثير من الكبار من مقدمي برامجهم في اذاعات كثيرة في العالم ، ذلك ان هؤلاء وفقوا في ان يقيموا صداقة بينهم وبين جمهورهم مـن الاطفال عبر المذياع ، مثل شخصية ساندمان التي تتخذ شكل رجل في الراديو ودمية في التلفزيون في المانيا الديمقراطية ، وشخصية بايون كوليخانوفيتش في اذاعة بيلوروسيا •

والاطفال في العادة ينتظرون القصـــة او الحكايـــة او المعلومـة او الفكره من رجل او امرأة ، دلك لانهم ينصـــورون ان هؤلاء وحـــدهم يحفظون القصص والحـــكايات ويعرفون الحقـــائق والمعلومات ، وهـم يستبعدون أن يكون اقرانهم الاطفال من مقدمي البرامج على بينة بما يقال في هذا المجال مادامت تلك الفقرة المقدمة جديدة على الطفل مثيرة له •

ومما يتيح لنا في الوطن العربي فرصة أكبر في هذا الميدان ، هو أن ظاهرة احترام الصغير للكبير في مجتمعنا ما تزال قوية ، وبالتالي فان الطفل يُعنى بما يقال له من الكبار اكثر من عنايته بما يقال له من انداده ، يضاف الى ذلك ان الاطفال الذين يتولون تقديم البرامج كثيرا ما يتعرضـون لما يسمي « اسطورة النجوم » •

وهناك من يقول « على مقدم برنامج الاطفال من الكبار ان يكـون لديه الاستعداد لنسيان عمره وما يستتبع هذا العمر من احترام ووقار » ولكن هؤلاء يقولون جزءً من الحقيقة ، فقد اتضح امر اولئك الذين كانوا « يتطافلون » أو « يتصابون » وهم يقدمون برامج الاطفال • واذا كان قد تهيأ لاولئك الذين اتوا بتلك « المقولة » ان شاهدوا الاطفال يتجمعون حول مثل « متطافل » أو متصاب وهم يتضـــاحكون ، فهم ولا نســك يضحكون عليه وهو يمط ببوزه ، وحين يمدون باعناقهم نحـــوه فهم ، ولاشك ، يراقبون أذنيه وهما ترتفعان وتنخفضان ، أو رقبته وهي تهتـز ذات اليمين ودات الشمال ، وهم ، بلا ريب ، سعداء ، وسر سعادتهم لافيما يقدم لهم ، بل بهذا المشهد الذي لا يمكن أن يتواتـــر أمامهم كثيرا ، هـذا بالنسبة الى الاطفال الذين يتجمعون حول « المقدم » في الاستوديو ، اما اولئك الذين ينتظر ان يكونوا قبالة الراديو يستمعون ، فقد تتصور ـ أيها القارىء الكريم ـ انني أقول عنهم مساكين ، ولكن لا ، لانك لن تجدهم الا بعيدا عن الراديو ، مادام لكل منهم ساقان يمكـــن ان تجريا سريعا ، بل

لكل منهم من الانامل ما يمكن لاثنين منها فقط ان تسكت الراديو الى الابد .

ان الطفل يسعده أن تقيم معه صداقة متينة ، وان تحبه وان تحترمه ، وان لاتترفع عليه ، وهو لايريد ان تقلل من شأن شخصيته وتخاطبه وكأنه ما يزال مخلوقا ساذجا لا يقدر على فهمك كما انه لا يريد من الآخرين ان يقللوا من شأن انفسهم ، لذا فهو لا يريد من مقدم البرنامج الكبير ان يضرب وقار كبره عرض الحائط ،-وهو يستهين به ان هو ارتضى التضحية بكبريائه .. انه يريده محترما له وصديقا حميما لايتعالى عليه .

يضاف الى ذلك ان مقدم البرنامج الناجح هو الذى يجيد الالقاء والتحدث الى الاطفال ويبدي استمتاعه بما يقرأ دون افتعال او تكلف ويستطيع من خلال صوته ان يبعث في النص شيئا من الحيوية والتشويق .

وفي بعض الاذاعات يتم انتقاء مقدمي برامج الاطفال بحذر وعناية ، وتقام لهم دورات خاصة قبل ان تنتقل اصواتهم الى اسماع الاطفال .

أما بالنسبة الى المقدمين الصغار فقد لوحظ انهم كثيرا ما يصبحون شديدي الثقة بانفسهم ، متصنعين ، او مبالغين في رقتهم ، وقد يتأصل في نفوسهم الشعور بالعظمة حين يجدون اقرانهم يستمعون اليهم باعجاب واكبار ، ومن جانب آخر قد يصابون عندما يشبون ، بخيبة أمل او احباط ، لانهم يجدون أنفسهم في طفولتهم « كباراً » ثم لايلبثون بعد أن يشبوا أن يجدوا انفسهم بمستوى اقرانهم او أقل منهم .. ولهذا تحترس كثير من الاذاعات من قيام الاطفال بتقديم البرامج .

ولكن لضرورات فنية وادبية يقتضي الامر اشراك الاطفال في تقديم البرامج الى جانب الكبار .

ولا يدخل ضمن التحذير الذي نورده مشاركة الاطفال في برامج

الالعاب والمسابقات والاناشيد ، ذلك ان مشاركة هؤلاء هي مشاركات غير متواصلة ، في الغالب كما انها ليست حكرا لطائفة محددة من الاطفال .

اخراج

برامج الاطفال :

مهمة المخرج الاذاعي هي نقل المادة المكتوبة الى كلمات واصوات ، أو بعث الحياة في النص المكتوب وتحويله الى لوحة فنية تنبض بالقـــوة والاثارة والتشويق .

والبرنامج الجيد هو الذي ينقل الطفل الى اجـــوائه ليعيش فيهـا للحظات ، وهذا لايتم الا بأثارة الطفل وتشويقه ودغدغة خيالاته الرحيبة .

ولما كان البعض قد أطلق على الاذاعة اسم « الاداة العرجاء » بعـــد ظهور التلفزيون ، فان الاخراج الجيد من خلال الاذاعة لا يضع لها عكازة متينة بدل الساق المشلولة ، بل يمنحها ساقا جديدة سليمة ، مادام لها لسان قادر على ايصال الصوت الى المسامع وسط موكب مهيب يسهم المخرج في قيادته لتصبح في موقع لا يضارع التلفزيون حين يخاطب الاطفال فحسب بل تتخطاه قوة وتأثيرا . فالاصوات البشرية والمؤثرات الصوتية والموسـيقى التصويرية والامكانيات الاخرى المتاحة للاذاعة يمكنها اذا ما اسـتخدمت بشكل فني ان تسحر الاطفـال وتشـبع خيالاتهم . والتلفزيون ، ان كان بوسعه ان ينقل الصورة بصدق بالغ فان من الصعوبة ابراز الصور الخيالية التي تهفو اليها نفوس الاطفال . والاطفال يرسمون ، في العادة ، صورا خيالية للاشخاص والحوادث والمواقع من خـــلال ما يتناهى الى مسامعهم ، أما التلفزيون فانه يضيق الخناق عـــلى آفاق الاطفـــال ويسارع الى تقديمها جاهزة في وقت يطلقها الراديو من عقالها .

وما نلمسه اليوم من تدافع الاطفال امام الشاشة الصغيرة ، وعزوفهم عن الراديو ، لايقلل من صحة تلك الحقيقة ، لان الخلل الرئيس هو في برامج الاطفال من حيث النص والاخراج ، لا في الجهاز نفسه كوسيط .

ومتى ما تهيأت للاطفال برامج اذاعية تتكامل فيها الابعاد الاساسية فانهم ولا شك سيجدون فيها ضالة من ضالاتهم •

ولا شك ان اخراج البرنامج الاذاعي أصعب بكثير من اخراج البرنامج التلفزيوني ، لان على المخرج الاذاعي أن يعوض عن الحاسة الناقصة وهي البصر وان يخلق الصور في ذهن الطفل ويمده بالعوامل التي تساعده على تخيلها ورسمها في الوقت الذى تتوفر فيه للمخرج التلفزيوني امكانيات أخرى كثيرة تعتمد على حاسة البصر •

مواصفات اخرى :

أشرنا الى بعض مزايا البرنامج الناجح ، ونشير في أدناه الى بعض آخر ، رغم انه ليست هناك قواعد ثابتة محددة ، لكن ما نشير اليه ليس الا مبادىء عامة :

- ان يثير الاطفال ويجتذبهم ، وان لاتصل الاثارة الى حد التوتر

- لما كانت البرامج عموما تتميز بطبيعة سريعة لايمكن استعادتها أو التمعن فيها كما هو الحال في الكتاب او المجلة ، لذا وجب أن تتميز المادة بالوضوح •

- حيث انه من المستبعد أن يترقب الطفل موعد البرنامج ، لذا لابد من ان تكون مقدمة البرنامج مشوقة ومثيرة • وان يكون لحنه المميز جذابا ، ومن المستحسن ان تسبق برنامج الاطفال مجموعة من اغاني الاطفال الجميلة •

- أن يستمر شد الطفل الى برنامجه ، لان الطفل سريع الشرود والانشغال بأمور اخرى غير الاستماع ، وحيث ان تركيز الانتباه لا يمكن أن يكون الا في موضوع واحد ، لذا فان انصراف الطفل عن متابعة البرنامج أمر محتمل ان لم يكن البرنامج قد استولى على مشاعر الطفل منذ البداية حتى النهاية •

ـ أن يكون البرنامج وحدة متكاملة ، وان لا تحشر أية مادة حشرا ، لان الطفل سرعان ما يدرك انها دخيلة ومفتعلة •

ـ أن تستهدف كل مادة اثارة تفكير الطفل ، اضافة الى ما تنطـوي عليه من قيم وافكار ومبادىء ومعلومات ، لان هناك خشية دائمة من أن تكون برامج الاطفال اداة لتعطيل قدرات الاطفال على التفكير الخلاق ، حين يخضعون تفكيرهم لما يستمعون اليه ويتقبلون ما فيها دون مناقشة أو تمحص باعتبارها صادرة عمن يتوسم فيهم الاطفال الخبرة والمعرفة •

ـ ان تتناسب مضامين البرامج واشكالها مع حصائل الاطفال اللغوية ومستويات نموهم العقلية والعاطفية والنفسية والاجتماعية •

ـ ان تكون المعلومات والافكار دقيقة وصحيحة ، لان اكتشـــاف الاطفال للخطأ يفقدهم الثقة ببرنامجهم • كما ان اكتساب الطفل لخطأ من الاخطاء يستلزم جهودا مضنية لتصحيحه • ولاشك أن من اسباب عـــدم نجاح خطط الارشاد الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية لدى الكبار يعـود الى الطرق الخاطئة في الصغر التي غرست في عقولهم مفاهيم وافكارا خاطئة •

ـ ان تقدم البرامج في الاوقات المناسبة التي يستطيع اكبر عدد من الاطفال الاستماع اليها •

ـ ان يستخدم المخرج كل الامكانيات المتاحة للاذاعة من اجل بعث الحياة في النص وتشكيل لوحة متناسقة مؤثرة منه •

ـ ان تكون الشخصيات صادقة ومعبرة ، وان يتم الابتعاد عن اقحام شخصيات مثالية او كاملة ، لان مثل هذه الشخصيات لا وجـــود لهـا ، والاطفال شديدو القدرة على التمييز • ويستحسن ان تكون لكل شخصية طريقة خاصة في الكلام والتعبير عن نفسها ، كي لايبدو البرنامج راكدا •

المبحث الثاني

برامج الاطفال في العالم

في اذاعات العالم برامج متعددة للاطفال على مختلف اطوار نموهم .

ففي اذاعة المانيا الديمقراطية برامج مخصصة للاطفال في مرحلة من العمر بين ٥ ـ ١٠ سنوات ، وبرنامج للاطفال بين ١١ ـ ١٤ سنة ، وهو برنامج الطلائع . أما الاطفال الذين تقل اعمارهم عن الخامسة فلهم برنامجهم الخاص الذى يتضمن فقرات ثقافية مسلية ، وهو مخصص للاطفال الذين لاينتظمون في رياض الاطفال ، ويسعى الى أن يجعلهم بمستوى اقرانهم في رياض الاطفال ، ليكونوا على استعداد لدخول المدرسة .

وهناك برنامج اسبوعي عن الريف يتناول كل ما يتعلق بالزراعة الحديثة وحياة الفلاحين وحياة النبات والاهتمام بها .

أما برامج الاطفال السياسية فهي تتناول كفاح الشعوب من اجل حريتها ، وتشجع الاطفال على أن يكونوا ايجابيين ازاء اطفال الشعوب الاخرى ، وتتحدث لهم عن اصدقائهم واعدائهم ، اضافة الى تناولها لكثير

من الامور السياسية بسكل يتناسب ووعيهم • يضـــاف الى ذلك برامج القصص والحكايات والتمثيليات والاغاني •

ومن أحب الشخصيات الى الاطفال شخصية (ساندمان) وهو يظهر في الاذاعة كرجل يحدث الاطفال وينثر النوم في عيونهم وفي التلفزيون يمثل دور دمية [٢] •

واذاعة بولندا تقدم ٤٠ دقيقة للاطفال كل يوم بالاضـافة الى اربع ساعات يوم الاحد ، وهذه النسبة تشـــكل ٢٠٪ من الارســـال العـــام وتخضع هذه البرامج لخطة سنوية عامة ، واخرى تفصيليــــة كل ستة اشهر تناقش مع منظمة الطلائع ووزارتي الثقافة والتعليم •

وتتميز برامج الاطفال في بولندا بكثرة اللقاءات والمناقشات الحية مع الاطفال ، وهذه اللقاءات تقدم في الغالب على الهواء دون تسجيل سابق •

وتعنى برامج اخرى للاطفال بالعلم وانتصاراته •

ومن البرامج التي استطاعت جـــذب انتباه آلاف الاطفال ، برنامـــج اخباري يقدم تفسيرا للاحداث المحلية والعالمية ، ويركز على علاقـــة بلادهم بالدول الاخرى ، كما يقـــدم عرضا للمقالات الصحفيـــة المهمة باسلوب مبسط [٣] •

وفي رومانيا اذاعة خاصة بالاطفال واخرى بالشباب ، وهي موزعـــة بحيث ينال كل فريق من الاعمار عناية خاصة •• فهناك ، مثلا ، برامج خاصة بالاطفال الذين لم يبلغوا سن الالتحاق بالمدرسة ، وبرامج خاصة بالكشافة والتلاميذ ، وبرامج تزيد في دعم المعرفة التي يحصلون عليها في المدرســـة ، وتقوية حبهم لتاريخ بلادهم القديم والحديـث ، وحبهم لقادتهـــم الحاليين واسلافهم ممن اضاءوا ظلمات التاريخ القديم بأعمالهم البطولية التي تحفز همم الاطفال اضافة الى برامج تسعى لغرس روح العمـــل في نفوس الاطفال وتعرفهم بجمال بلادهم وتقوي في نفوسهم محبة الاخرين [٤] •

وفي الاتحاد السوفيتي يبلغ حجم متوسط برامج الاطفال اليومية التي تذاع من راديو موسكو عشر ساعات . وكانت البرامج الاذاعية للاطفال قد بدأت بصورة منتظمة ابتداءً من عام ١٩٥١ .

وتحتل البرامج الفنية مكانا هاما في برامج الاطفال ، وتقدم لهم اكثر الاعمال الادبية للكتاب المعروفين ، اضافة الى القصص والحكايات وبرامج لهواة الرحلات العلمية . وهناك برامج لم تصبها الشيخوخة رغم مضي عشرات السنين على مواصلة اذاعتها . (٥)

وفي جمهورية هنغريا الشعبية تقدم الاذاعة برامج قصص وحكايات بعنوان « تصبحون على خير » وتقدم مرتين في الاسبوع برنامجا بعنوان « اليوم تسمعون حكاية من .. » وتستغرق الحكاية بين خمس دقائق الى عشر دقائق .

وتقدم الاذاعة اضافة الى ذلك تمثيليات وقصصا على شكل اوبرات ، حيث يؤلف كبار الملحنين الموسيقى لتصاحب القصص ، وتسجل الحانهم مع فرق الاطفال واوركسترا الاذاعة الهنغارية السمفونية ، وتستغرق الاوبرا ما بين ٤٠ الى ٦٠ دقيقة ، وتصبح بعض الاغاني فيها ذات طابع جماهيري تتردد على افواه الاطفال ، فضلا عن برامج المسرحيات والالعاب والمباريات والحزورات ، وبرامج رسائل المستمعين ، واخرى صحفية واخبارية وموسيقية .

وجاء في التقرير المقدم من قسم الاطفال بالاذاعة الهنغارية الى حلقة برامج الاطفال في الراديو والتلفزيون التي نظمها اتحاد اذاعات الدول العربية في القاهرة عام ١٩٧١ عن مضمون البرامج :

ان الاهداف التي تسعى اليها هذه البرامج هي :

١ ـ مسائل اخلاقية عامة :

وتتضمن الموضوعات الاتية : احترام الاباء والمعلمين والكبار ، ومفاهيم اخلاقية اخرى متنوعة ، مثل العطف والمحبة والمروءة والنجدة ، والتمييز بين الخير والشر وتقدير العمل .. الخ .

٢ ـ اننا نضع في اعتبارنا فئات السن عندما تتعرض لهذا الموضوع . ولهذا يمكن تفسير الموضوعات الاتية تفسيرات متفاوتة،وبطريقة غير مباشرة، حسب فئة العمر : الاحساس بالجماعة ، تقاليد الحياة الجماعية ، الاشتراك في حركات الاطفال ، تقدير العمل ، اختيار المهنة ، النشاط اليومي والمشاركة في العمل اليومي ، ممارسة مختلف اشكال الحياة .. الخ .

٣ ـ الوطنية والاشتراكية :

تساعد الموضوعات السابقة على تنمية النزعة الاشتراكية ،ولكننا نحاول التأثير في الاطفال بتقديم نماذج نوعية . فمثلا ، عن طريق برامج مأخوذة من واقع بيئاتهم ، ومن واقع احداث بلدهم ، ومن تاريخ الامة المجرية ، وتاريخ الحركة العمالية ، تقوم البرامج بجمع المواد الشيقة وتعرضها عرضا شيقا بلغة جميلة سليمة تشجع الاطفال على استخدام اللغة المجرية استخداما صحيحا ، وتبذل عناية كبرى لتعرف الاطفال بتاريخ ربع القرن الاخير ، وبتطور هنغاريا في مجال التحرر والاشتراكية ، وحملهم على احترام ما قدمه آباؤهم وعلى مواصلة الجهود في سبيل التطور والتقدم .

٤ ـ المفهوم الدولي :

لا ينفصل هذا الموضوع عن الموضوعات السابقة ، لان المواطن لايمكنه ان يكون مواطنا حقا الا اذا عرف الشعوب الاخرى ، واحترمها ، وتعرف الى مشاكلها ، ولهذا يكون من المهم ، حسب فئات العمر ، ان يعرف الاطفال ثقافة شعوب العالم ، وان يبتعدوا عن كل نوع من انواع التفرقة العنصرية ، وان يحترموا الاتحاد السوفيتي وان يعجبوا به . وبان يعتزوا بانتسابهم الى المجتمع الاشتراكي ، وبارتباط بلادهم بصداقات مع كثير من البلاد الاخرى ،

وفي الوقت نفسه يجب ان يفهم الاطفال معنى الظلم عبر التاريخ ، وان يدينوا كل شكل من اشكال العدوان ، وان يعبروا بطريقتهم وبوسائلهم الخاصة عن تضامنهم مع الذين يحتاجون الى المساعدة .

ويشير التقرير الى ان هناك قصصا وحكايات تستغرق خمس او عشر دقائق ،وتحقيقات تستغرق بين عشرين الى ثلاثين دقيقة وموضوعات فنية تتراوح بين ثلاثين الى ستين دقيقة ، وبرامج مركبة مدتها ساعة كاملة . ومن اهم ملامح البرامج المركبة ان هناك عنصرا موحدا يربط بين الموضوعات المختلفة التي تتركب منها هذه البرامج . اي هناك وحدة عضوية بين الحكايات والفقرات الموسيقية والمجلة الفنية القصيرة . وجولة الدقائق العشرة والمسرحية القصيرة وبرنامج الموسيقى المقدم من الموسيقيين البارزين ضمن برنامج مركب قوامه ساعة واحدة . وتعاد اذاعة بعض البرامج بصورة منتظمة لتمكين الاطفال من الاستماع اليها نظرا لان الدوام المدرسي مزدوج .

يضاف الى هذه البرامج برامج اخرى تعليمية » .

الفصل الخامس

برامج الأطفال في التلفزيون

المبحث الاول

نظرة عامة

التلفزيون دخل اكثر البيوت ، واجتـــذب اكثر الناس ، سواء كانوا مدفوعين اليه للاستماع ام « لقتل » الوقت ام كانوا يلتمسون فيه بديلا عن النشاط الواقعي الذي يرنون الى تحقيقه عن هذا الطريق او ذاك .. وارتبطت به العيون برباط قد يكون متينا ، وقد يكون رفيعا واهيا .. ومع هذا فهو اداة تأثير في هؤلاء جميعا .

وتتهيأ للتلفزيون عناصر عديدة ، تزيد في متانة المعبر بينـــه وبين عيون الناس واذهانهم . فصوره التي تبدو واضحة ، والمجال المتاح للمخرج لإن يبعث في تلك لصور ابعادا ومعالم جديدة ، اضافة الى قدرة التلفزيون على ان

ينتقل بعيدا عن غرفة البث ليسجل مشاهد حية في اي مكان كانت ، ويعرض افلاما سينمائية الى جانب افلامه الخاصة ، وقدرته على مخاطبة الناس جميعا ، حتى اولئك الصغار الذين لم تتح لهم اعمارهم ان يتعلموا القراءة والكتابة . كل هذه وغيرها الكثير وضعته في موقع رفيع بين اجهزة الثقافة .

يعتمد التلفزيون على حاستين هما السمع والبصر ، وهما تستقبلان الصورة والحركة والصوت ، ويؤكد علماء النفس انه كلما ازدادعدد الحواس التي يمكن استخدامها في تلقي فكرة معينة ، ادى ذلك الى دعمها وتقويتها وتثبيتها في ذهن المتلقي « وتشير بعض نتائج البحوث ان ٩٨٪ من معرفتنا نكتسبها عن طريق حاستي البصر والسمع ، وان استيعاب الفرد للمعلومات يزداد بنسبة ٣٥٪ عند استخدام الصورة والصوت ، وان مدة احتفاظه بهذه المعلومات تزداد بنسبة ٥٥٪ . » (٦)

وفي الوقت الذي تتوفر للاذاعة ثلاثة عناصر هي الصوت البشري والموسيقى والمؤثرات الصوتية يمتلك التلفزيون اضافة الى ذلك عناصر اخرى منها المؤثرات البصرية والحيل السينمائية وتوزيع الاضاءة ، ومازجات الصور وما الى ذلك .

وبفضل الصورة حظى التلفزيون بثقة مشاهديه وتصديقهم له ، لان الصورة من الوسائل التي قلما يرقى اليها الشك ، وحين ترتبط الصورة بالحركة والصوت فان ذلك اكثر مدعاة الى الثقة . يضاف الى ان بوسع التلفزيون التركيز على التفاصيل مما يزيد في قدرته على الاقناع .

ويستولي التلفزيون على مشاعر مشاهدية الى حدما ، في الوقت الذي لا يحول فيه الراديو دون انشغال مستمعيه فكريا او يدويا وبالتالي شرودهم عنه .

التلفزيون والاطفال

المؤشرات القوية التي نومىء الى اثر التلفزيون في الكبار ، تسد الابهام قائما لتشير الى ان اثر التلفزيون في الاطفال اشد واسرع من تأثيره في الكبار .

لذا نرى الاطفال يتجمعون قبالته ، وهم يتركون مقاعدهم ، عند عرض مادة مثيرة ، ليربضوا قريبا منه جلوسا على الارض ، وكثيرا ما يمدون باعناقهم اليه وكأنهم يريدون ان يكونوا اكثر قربا من مشاهده •وهم يتجاوبون مع حوادثه، ويتقمصون شخصياته ، ويقلدون كثيرا من الحركات التي تأتي بها الشخصيات المؤثرة •

وتشير احصائيات عديدة من مختلف بلدان العالم ان متوسط ما يقضيه الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين ست سنوات الى ستة عشر سنة امام الشاشة الصغيرة نحو ١٢ـ ٢٤ ساعة اسبوعيا •

وييسر التلفزيون للطفل ، بسبب جمعه بين الكلمة المسموعة والصورة المرئية ، الاستيعاب من خلاله ، لما لهذا الجهاز من قدرة على تحويل المجردات الى محسوسات ، خاصة وان الاطفال اقدر على ادراك المحسوسات •

ويؤثر التلفزيون في الاطفال باكثر من طريقة منها :

ـ التلفزيون يكسب الاطفال انماطا من السلوك الاجتماعي في حياتهم الاعتيادية وبيئتهم المحدودة • كما انه يلعب دورا مهما ـ سلبيا ام ايجابيا ـ في عملية التكيف الاجتماعي التي تسهم فيها الاجهزة الاخرى كالاسرة والبيئة •

ـ يسهم التلفزيون في بلورة وتغيير الاتجاهات ، ولا يتم ذلك بالاساليب المباشرة ، بل باثارة ردود افعال عاطفية لدى الاطفال من خلال تقديم درامي ذكي ، عن طريق موازنة الافكار المقدمة وتقرير مدى جاذبيتها ونوعيتها ، وطبيعة الشخصيات التي تقدمها • مع العلم ان لكل طفل قابليته الخاصة للتأثر بالتلفزيون • (٧)

ويهيء التلفزيون للاطفال أن يتعرفوا الى اشياء كثيرة منذ صغرهم ، منها ما هي في محيطهم ومنها ما هي بعيدة عنه • والمادة من خلال التلفزيون تمثل بديلا للخبرة الحقيقية فالطفل الذي لاتتاح له مشاهدة حياة الحيوان في

غابة كثيفة ، او سفينة ضخمة تشق عباب البحر ، او مسابقة في قيادة السيارات ، يمكن ان يشاهدها من خلال الناشه الصغيرة •

وتشير بعض الدراسات الى ان الاطفال الصغار الذين يتابعون مشاهدة التلفزيون (*)يسبقون اقرانهم في التعرف الى كثير من الحقائق والمعلومات بما يوازي عاما واحدا ، ولكنهم يفقدون هذه الاسبقية خلال ستة الاعوام الاولى حين يمتزجون بالحياة الاجتماعية •

وعملية مشاهدة الطفل للتلفزيون عملية معقدة تجمع بين احتياجات وانفعالات نفسية عديدة منها الكبت والاعلاء والنقل والتبرير والايحاء والاستهواء والمحاكاة والتقمص •

والتلفزيون ببرامجه وافلامه ، يزود الطفل بخبرات واقعية ، وأخرى متحررة عن الواقع • ويجد في الخبرات الأخيرة هروبا من واقعه الذي قد يلاقي فيه بعض القيود ، وتنفسيا عن الدوافع التي لايجد لها مخرجا في حياته ، كما ان برامج الخيال تشبع كثيرا من رغباته ، اي ان التلفزيون ليس وسيلة تزود الطفل بالمعلومات والافكار والقيم ، فحسب ، بل هو ، الى جانب ذلك يسهم في تشكيل لون من ألوان السلوك • لذا يقال عن اطفال اليوم انهم اول جيل ينشئه ويربيه ثلاثة آباء ، هم : الاب ، الام ، التلفزيون •

لقد غير التلفزيون من حياة الاطفال ، كما غير من عادات الاسرة كلها ، فمغادرتهم البيت قلت ، واخذوا يسهرون اكثر من ذي قبل واصبح هذا الجهاز بمثابة وسيلة للتسلية لا تبارى • اما بالنسبة الى تأثير التلفزيون في حياة الطفل المدرسية ، فقد اجريت دراسات كثيرة حول الموضوع منها

(★) اجرى الدكتور باني الناصر والدكتور عبدالجبار توفيق البياتي عام ١٩٧٣ دراسة عن استقصاء عادات تلاميذ المرحلة الابتدائية في مشاهدة البرامج التلفزيونية وما يفضلونه منها ، ونشرت في جزئين عن مركز البحوث التربوية والنفسية في جامعة بغداد ، ويمكن للقارىء ان يرجع اليها للتعرف الى بعض المؤشرات الخاصة بتلقي الاطفال للتلفزيون في العراق

دراسة في شيكاغو اجريت عام ١٩٥١ دلت على ان ٦٩٪ من تلاميذ المدارس كانوا ينجزون واجباتهم المدرسية قبل مشاهدة التلفزيون ، و ٨٪ كانـــوا ينجزونها بين البرامج المختلفة ، و ٣٪ كانوا ينجزونها اثناء مشاهدتهم • اما الباقون فقد كانت اجاباتهم غامضة •

وفي بحث اخر اعترف خمس التلاميذ بان التلفزيون كان يؤدي بهم اما الى الاسراع في انجاز واجباتهم حتى يستطعوا مشاهدة برامجهم المفضلة واما الى الهائهم اذا حاولوا انجازها • اما الاربعة اخماس الباقية فقــد ذكروا ان التلفزيون لا يعطلهم بحال من الاحوال • ووجد ان ثلث التلاميذ يؤكدون ان التلفزيون قد ادى الى الاقلال من الكتب التي كانوا يقرأونها • اما الثلثان الاخران فقد قررا ان عادة القراءة لم تتأثر بالتلفزيون • كما ان التلفزيون قد اثر في كثير من التلاميذ في اختيار الكتب والمجلات التي يفضلونها ، فقــد اوحى الى اكثر من ١٢٪ منهم بموضوعات جديــدة ، وبالتالي بانواع جديدة من الكتب والمجلات ، واصبحوا يقرأونها بعد ان كانــوا لا يعرفونها ، او يعرفون ، ولكنهم كانوا منصرفين عنها • كما دل بحث اخر على ان التلفزيون قد غرس هوايات جديدة في ٣/١ عــدد الاطفال وأدى الى تغيير في هواياتهم القديمة • ولكن نسبة من التلاميذ قد اجابت بأن التلفزيــون قد قضى على هواياتهم نهائيا دون توجيههم نحو هوايات اخرى تقوم مقامها • وعلى العكس من ذلك وجد ان اربعة اخماس التلاميذ يؤكدون انهم درسوا اشياء كثيرة وعرفوا امورا كثيرة عن طريق التلفزيون • فالبنات أجبن انهن قد تعلمن كثيرا عن الطهي والحياكة والاقتصاد المنزلي وتحسين مظهرهن ، اما الاولاد فقد تعلموا كيف يقتنون بعض الحيوانات (٨) •

وفي بحث اخر اجاب ٣١٪ من التلاميذ ان التلفزيون قد ساعدهم على انجاز واجباتهم البيتية المدرسية بفضل ما ينشره من ثقافة • ولـــوحظ ان نسب من اجابوا بأن التلفزيون يساعدهم على انجاز واجباتهــم البيتية أكثر ارتفاعا لدى التلاميذ الذين تتراوح اعمارهم بين ١٠ ــ ١٢ سنة • كمــا اكد

البحث على القراءة اذ اجاب خمسا التلاميذ ان اقبالهم على القراءة قد قل ، وخمسان اخران اجابا بان الاقبال على القراءة قد استمر كما هو بـــلا زيادة ولا نقصان ، بينما اجاب الخمس الاخير ان الاقبال قد ازداد .(٩)

ومن الاثار المهمة ان التلفزيون بحجزه الاطفـــال في المنزل بعيدا عن زملائهم الذين يلعبون معهم في الشـــارع وفي النادي انما يقضي على جانب كبير من جوانب التنشئة الاجتماعية للطفل ، لان الطفل من سن العاشرة الى الثانية عشرة سيتعلم الشيء الكثير من اختلاطه بزملائه خارج البيت في جو لا يتحقق في المنزل ، كما ان المواد التي يكتسبها عن طريق تفاعله مع زملائه لا يمكن ان يكتسبها من تفاعله مع افراد اسرته ، لان العلاقة بينه وبين افراد الاسرة تؤدي بتفاعله معهم الى اكتساب مواد اخرى غير تلك التي يكتسبها من تفاعله مع اقرانه خارج البيت . فتفاعله مع افراد الاسرة يقوي فيه رغبته في المشاركة الوجدانية مثلا ، ومن ثم الشفقة والعطف واحترام الوالدين . اما تفاعله مع اقرانه خارج البيت فيعوده على التعامل مع الاخرين وكيفية مواءمته بين مواقفهم ومواقفه ، مما يكون له أثر في تشكيل شخصيته .. وعلى أية حال فان حرمان الطفل من اللعب مع اقرانه وتفاعله معهم يقلـــل من فرص تقوية نزعته الاجتماعية وتنشئته ؛ يضاف الى ذلك ان مشاهدة التلفزيون في البيت في جو من السكون المطبق من شأنه ان يقلل من فرص التفاعل بـــين افراد الاسرة وفرص تفاعل الاطفال مع آبائهم واخوانهم مما يؤدي الى نقص في تنشئتهم اجتماعيا عن طريق الاسرة .(١٠)

وكانت قد اجريت دراسة لاختيار الفروض السببية لتأثيرات التلفزيون في الاطفال في انكلترا ما بين ١٩٥٦ ، ١٩٦٥ ، وبلغ حجم العينة ٤٧٣ طفلا ، تتراوح اعمارهم بين ١٣ ، ١٤ عاما و ٤٥٤ طفلا ، تتراوح اعمارهم بين ١٠ ، ١١ عاما ممن اعتادوا على مشاهدة التلفزيون ، وقـــورن هؤلاء الاطفـــال مع اطفال مجموعات لها نفس الاهمية ، ومكونة من اطفال من نفـــس السن والجنس ومن نفس المستوى العقلي والذهني ، ومن نفس البيئة الاجتماعية

مع فرق انهم لا يشاهدون التلفزيون ، كما درس الباحثون حالة ٣٧٦ طفلا من « نورفتش » قبل وبعد حصول عائلاتهم على جهاز التلفزيـــون ، وكان هؤلاء الاطفال يجيبون عـــن بعض الاستقصاءات ، وهم بصدد قراءة ما بين ايديهم من صحف ، كما وضعت اسئلة لمعلمي هؤلاء الاطفـال ، وتم تحليل محتوى البرامج التلفزيونية • ونرى من المناسب ان ننقل موجزا على شكل سؤال وجواب لاهم نتائج هذا البحث :

س ـ من هم الاطفال الذين يشاهدون التلفزيون في سن مبكرة جدا ؟

ج ـ انهم الاطفال الذين تكون لهم رغبة شديدة في انواع التسلية الجاهـزة •

س ـ كم يخصص الاطفال من الوقت في الاسبوع لمشاهدة التلفزيون ؟

ج ـ من ١١ الى ١٣ ساعة في الاسبوع لدى الفريقين ، أي ان الوقت المخصص لمشاهدة التلفزيون يتعدى الوقت المخصص لاي نشاط آخر من أنشطة اوقات الفراغ •

س ـ ما هي العوامل التي تؤدي الى التقليل من الاهتمام الموجـه الى التلفزيون ومن الوقت الذي يقضى أمام الشاشة ؟

ج ـ هذه العوامل هي ذكاء كبير وحياة نشيطة والمثال الذي يعطيـــه الآباء للابناء •

س ـ هل يتتبع الاطفال عددا كبيرا من البرامج الموجهة الى الكبار ؟

ج ـ نعم •

س ـ أي نوع من البرامج يفضله الاطفال ؟

ج ـ ثلاثة ارباع الاطفال يفضلون البرامج الموجهة الى الكبار وبوجه خاص قصص الاجرام المثيرة والمشوقة ، اما اهتمامهم بالبرامج السياســية والافلام التي تعتمد على وثائق واقعية وبالمناقشات فقليل • وحتى البرنامج

الذي يقدره الجمهور اكبر تقدير لم يلتفت اليه غير ثلث مجموع الاطفال .

س ـ هل يمكن تنمية ذوق الاطفال بأن نقدم لهم افلاما نعرف مسبقا ان اهتمامهم بها قليل ؟

ج ـ لقد لوحظ ان الاطفال ، عندما لايتوفرون الا على شبكة واحدة للتلفزيون ، ينتهون الى مشاهدة وتقدير برامج لم يكونوا بحكم العادة ليختاروها من تلقاء أنفسهم .

س ـ ما الذي يستهوي الاطفال ويروقهم في التلفزيون ؟

ج ـ وجود التلفزيون دائما في متناول الاطفال يسمح لهم بقتل الوقت .. المتعة الحاصلة من الاطلاع على الاخبار ... الموضوعات والبرامج المألوفة او الاعتيادية تطمئن الاطفال وتمنحهم الشعور بنوع من الاطمئنان والاستقرار ... التلفزيون يدخل التغيير ، ويحرض ويشوق .. ويتيح الفرصة للانعتاق والافلات ... وللتعرف على النفس .. ويظهر للاطفال شخصيات لطيفة ومحببة يشعرون معها بالتعاطف .

س ـ الى أي حد تتأثر افكار الطفل بما يشاهده على شاشة التلفزيون ؟

ج ـ ان قيم التلفزيون في الاطفال تؤثر تاثيرا قويا عندما تقدم لهم في شكل دراما ، وعندما تكون لهذه القيم علاقةبافكار أو بقيم تكون حساسيتهم مستعدة لقبولها ، وعندما لايكون بامكان الطفل الحصول على أخبار او معلومات في الموضوع من أبويه أو زملائه الاطفال .

س ـ ما الذي يخيف الاطفال في برامج التلفزيون ؟

ج ـ ان ما يخيف الاطفال هو التشخيص الواقعي للعنف ، وليس العنف الذى يصاغ في قوالب فنية . وكذا الاحداث الخيالية لبرامج « الرعب » أو البرامج المخصصة للمجالات الخارقة للعادة . والطفل يخاف بسهولة اكبر عندما يتفرج وحده في الظلام .

س ـ ما هي انماط السلوك العدائي التي تحمل - اكثر من غيرها - الاطفال على الاضطراب ؟

ج ـ نادرا ما يكون ذلك عائدا الى استعمال الاسلحة النارية بل يعود ذلك بوجه خاص الى استعمال الخناجر او السكاكين وغيرها من الآلات الحادة او القاطعة ، وكل ما يجعل الحيوانات في خطر •

س ـ هل تجعل هذه البرامج الاطفال عدوانيين ؟

ج ـ ليس هناك ما يبرهن على هذا ، الا انه لا يوجد كذلك شيء يبرهن ان لهذه البرامج تأثيرا حسنا على الاطفال •

س ـ هل يحسن التلفزيون المستوى العام للمعلومات ؟

ج ـ نعم ، وبصورة واضحة ، وذلك عند صغار الاطفال او قليلي الذكاء فقط •

س ـ ما هي آثار التلفزيون في العمل المدرسي ؟

ج ـ يلاحظ ان المشاهدين من الاطفال الاذكياء ، يميلون الى القيام بعمل أقل جودة من العمل الذي يقوم به الاطفال الآخرون •

س ـ ما هو أثر التلفزيون في أوقات الفراغ :

ج ـ يلاحظ ان أصغر المشاهدين سنا يقل ترددهم على السينما ، ويلاحظ ان جميع الاطفال قد انقطعوا عن الاستماع للراديو خلال فترات من الوقت ، وذلك عندما أصبح في امكانهم مشاهدة التلفزيون ، كما ان مطالعة الكتب قد تضاءلت بدورها في البداية ، غير انها عادت الى مستوى عادي بعد ذلك ، يضاعف التلففزيون ميل الطفل الى استقبال الآخرين عنده في البيت ، كما اتضح ان الزمالات الطارئة وغير الراسخة تعاني بعض الفتور •

س ـ ما هي آثار التلفزيون في حياة الاسرة •

ج ـ يجعل التلفزيون افراد الاسرة يرتبطون بالبيت ارتباطا أكبر ، دون أن يزيد في توطيد الروابط التي تجمعهم •

س ـ هل يجعل التلفزيون الاطفال راكدين ؟

ج ـ لم يكتشف الباحثون اية صحة على وجود مثل هذا الاثر •

س ـ هل يجعل التلفزيون الاطفال اكثر نشاطا وفاعلية ، وهل يدفعهم الى صنع بعض الاشياء والى المشاركة في بعض المسابقات والى زيادة بعض الاماكن المهمة ، والى الانصراف الى هوايات جديدة ؟

ج ـ لا ، بوجه عام •

س ـ ما هي آثار التلفزيون في الراحة في الليل وفي البصر ؟

ج ـ يلاحظ في داخل الأسر التي تملك جهاز التلفزيون ، أن الاطفال ينامون بوجه عام في وقت متأخر بعشرين دقيقة • غير انهم يطفئون الانوار بصفة أسرع ولا يلعبون الا قليلا في فراش النوم • ولا يوجـد ، من بين الاطفال الذين لهم بصر ضعيف ، عدد من بين المشاهدين اكثر منه من بين الاطفال الآخرين(١١) •

ومهما يكن من حال فان نتائج حدية لايمكن الوصول اليها عن أثـر التلفزيون في الاطفال ، لان أي دراسة من هذا القبيل تستلزم اتباع أكثر من منهج علمي في البحث ، كما تستلزم اتساع اطر البحوث لأبعاد زمانية طويلة ، لان تأثيرات التلفزيون تؤلف مجمل التراكمات التي تترسب في نفوس الاطفال على آماد غير قصيرة • يضاف الى ذلك صعوبة دراسة هذه التأثيرات في حد ذاتها ، وفيما اذا كانت بالفعل كآثار للتلفزيون وحده ، فضلا عن احتمال ، اختلاف هذه التأثيرات في البيئات المختلفة مما لا يقطع بصحة تعميمها • ولكن القول الذى يبدو أكثر معقولية هو ان التلفزيون يقوي من الصفات الموجودة لدى الطفل أصلا ، فالاطفال الكسالى يجدون فيه فرصة للامبالاة والسلبية ، والاطفال الاذكياء يجدون فيه فرصة ذهبية لاشـباع خيالاتهم

وتنمية عواطفهم ، ولغتهم ومعارفهم • وكل طفل يتأثر فيه بشكل يختلف عن الآخر •

وتلافياً لما قد يتعرض له الاطفال من سلبيات نتيجة انشدادهم الى برامج التلفزيون العامة ، هناك من يدعو الى آن تتم مشاهدة الاطفال للبرامج تحت اشراف ذويهم • ولكن هذا الاسلوب يبدو غير عملي لاسباب عديدة تتعلق بالاطفال من جهة ، وبذويهم من جهة اخرى ، اضافة الى ارتباطها بطبيعة التلفزيون نفسه •

أما الحل الأمثل الذى نراه ، فهو الاتساع في رقعة البرامج المخصصة للاطفال ، واثراء هذه البرامج بمواد خصيبة مشوقة ، والعمل على اجتذاب الاطفال اليها بشتى السبل ، واشباع الاطفال بكل الالوان الفنية التي تتناسب ومستويات نموهم كي تزيد من تعلقهم ببرامجهم وتطفىء ظمأهم الى برامج الكبار • الى جانب قضية أخرى ذات أهمية ، وهي : ان نضع في حسابنا عند وضع برامج الكبار أن جمهورا غفيرا من الاطفال يتلقونها ، وعليه لابد من تهذيبها حماية لهم •

برامج الاطفال :

أمام برامج الاطفال في التلفزيون مجالات واسعة تغني الاطفال ثقافيا وتثري حياتهم ، وتزيد في متعتهم • فالقصص والحكايات والتمثيليات والمسرحيات والشعر والموسيقى والغناء والاخبار والمسابقات والالعاب الفردية والجماعية والهوايات وسير الابطال والمبدعين ، كلها تتيح لثقافتهم ان تنمو وتتبلور ، وتسهم في تنمية قدراتهم اللغوية والعاطفية والاجتماعية والنفسية ، وتشارك في تربيتهم الخلقية ، وتشيع في نفوسهم البهجة ، وتدفعهم الى التفكير الانشائي •

وبرنامج الاطفال الجيد ، هو الذي يشيع شيئا من خيالات الاطفال ويجعلهم اكثر احاطة ببيئتهم وعالمهم الذى يعيشون فيه ويلتزم باسس منها :

ـ ان يتسع البرنامج لالوان أدب الاطفال المناسبة للتلفزيون ليشكل اضمامة ملونة ، وان تراعى فيه الخصائص الفنية لكل لون ادبي نسبة الى امكانيات التلفزيون •

ـ ان تستخدم امكانيات التلفزيون بشكل فني دقيق بما يتفق ومراحل نمو الطفولة ، كأستخدام المؤثرات البصرية والحيل السينمائية ، وان تشيع الحركة والحيوية في البرنامج كله •

ـ ان تتخذ البرامج لها خطا فكريا واضحا ، وان لاتحشر أية مادة حشرا مهما كان لها من أهمية •

ـ ان تستخدم اللغة العربية الفصيحة السهلة التي تناسب ثروة الاطفال اللغوية ، وان لاتستخدم اللهجة المحلية الا في أضيق نطاق •

ـ ان تنتقى الموضوعات الخيالية بحذر ودقة لتنمية ملكة الخيال التكويني لدى الاطفال بما لايتيح المجال للجنوح الى مستوى التوهم والخيال الهدام •

ـ ان لا تكون الاثارة التي ينبغي أن تتميز بها البرامج على حساب استدرار انتباه الاطفال واجتذابهم الى مستوى الانقياد •

ـ أن يتم الابتعاد عن الاسلوب الخطابي والتعليمي ، وان تكون المسرحة الفنية هي الاسلوب الأكثر شيوعا •

ـ ان يتلاءم ، شكلا ومضمونا ـ مع مستويات نمو الاطفال ، وهذا يقتضي أن يكون هناك لونان من البرامج على الاقل ، لون للاطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٣ ـ ٦ سنوات ، ولون آخر لمن هم بين ٦ ـ ١٢ سنة •

والاكتفاء بتقديم برامج لمرحلة الطفولة المتوسطة والمتأخرة فقط (بين ٦ ـ ١٢ سنة) يجعل الاطفال الصغار في حيرة تبلبل أفكارهم في حالة

مشاهدتهم لها ، وفي حالة عزوفهم عنها فاننا في هذه الحالة نكون فد ارتضينا التضحية بوسيلة هامة يمكن للاطفال الصغار أن ينتفعوا بها •

وفي حالة تقديم برامج للاطفال الصغار فقط نكون بهذا قد ارتضينا للاطفال الكبار السخرية منها ومن ثم العزوف عنها •

وهناك من يدعو الى برامج عامة تلائم كل أذواق الاطفال على مختلف مراحل طفولتهم • ولكن هذه الدعوة تضاعف المشكلة لانها تسبب نفور الاطفال عموما منها او عدم تعلقهم بها • يضاف الى أن اعداد برامج للاطفال تلائم كل الاطفال هو أمر غير ممكن أساسا ، لاختلاف الاطفال وفق أطوار نموهم المختلفة من جوانب عديدة •

وعلى هذا فهناك آراء تؤكد على أن تصمم البرامج الموجهة الى الاطفال دون السادسة من العمر بحيث تحقق اهدافا ابرزها[١٢] :

١ ـ « تدعيم التواصل الوجداني بين الطفل ووالديه واخوته المحيطين به •

٢ ـ تنمية احساسه بالثقة في الذات وفي الآخرين •

٣ ـ تعرف الطفل على جنسه (ذكرا ام انثى) وتوحده معه •

٤ ـ مساعدته على تكوين مفاهيم بسيطة عن الواقع المادي والواقع الاجتماعي •

٥ ـ استخدام القواعد البسيطة المتعلقة بالامن والسلامة والصحة •

٦ ـ تعلم التمييز بين ما هو مقبول (صواب) وما هو غير مقبول (خطأ) ، واحترام القواعد والنظام •

وان تستهدف البرامج الموجهة الى الاطفال من ٦ ـ ١٢ سنة تحقيق أهداف ابرزها •

١ ـ ان يكتسب الطفل معرفة أشـــمل وفهما أعمق للعالم المـــادي والاجتماعي •

٢ ـ مساعدة الطفل على تكوين اتجاهات سوية نحو فكرته عن ذاته •

٣ ـ ان يتعلم دورا اجتماعيا ذكريا او انثويا مناسبا ، مع مراعاة عدم تمجيد جنس وتحقير جنس آخر •

٤ ـ معاونة الطفل على ترقي الضمير والاخلاق وتكوين مقياس مدرج من القيم •

٥ ـ تنمية اتجاهات سوية نحو المجموعات والمنظمات الاجتماعية التي يتألف منها المجتمع الوطني الذى يعيش فيه الطفل ، وتشجيعه على الانتماء الى بعضها بقدر طاقته ومستوى نضجه •

٦ ـ تعلم الحصول على مكانة بين رفقاء السن الواحدة والمحافظة عليها•

٧ ـ تعلم الاخذ والعطاء والمشاركة في المسؤولية •

٨ ـ تنمية اطراد تقدم الطفل في انجاز الاستقلال الشخصي » •

يضاف الى ذلك ضرورة تنمية عواطف الطفل وتهذيب ضميره وانفعالاته على مراحل متتابعة ابتداء من مرحلة ما قبل المدرسة مرورا بالمرحلة المتوسطـة وانهاءً بالمرحلة الاخيرة ويدخل في اطار ذلك تنمية حب الوطن وحب القادة المخلصين والعلماء المبدعين والعاملين المخلصين والامناء وحب الامال الوطنية وحب العمل الخلاق ، وما الى ذلك • اضافة الى تهذيب الضمير والعواطف والانفعالات الاخرى كالخوف والغضب وما اليها •

ومن الضروري تناول كل ما من شأنه تنمية عقل وجسم الطفل وتربيته بوليتكنيكيا عن طريق تعريفه بالمبادىء الاساسية للعمل والصناعات ، وتنشئته علميا •

ـ ان يكون العاملون في ميدان برامج الاطفال عموما مؤهلين لعملهم ،
سواء كانوا كتابا أم مخرجين أم ممثلين أو مقدمين ام فنيين اخرين ويقتضي
هذا ان يكونوا ذى بينة من سيكولوجية الطفولة وحاجاتها واهتماماتها •

ـ مراعاة الشمول في برامج الاطفال بحيث تحقق ثقافة عامة للاطفال في
جميع المجالات ، وتدربهم على التفكير الانشائي

ـ ان يكون مقدمو البرامج على درجة عالية من الثقافة واللباقة والقدرة
على التحدث بسلاسة ، وان تبنى من الاساس علائق حميمة بينهم وبين
الاطفال •

المبحث الثاني

شكل ومضمون ادب الاطفال

شهدت السنوات الاخيرة اهتمام محطات التلفزيـــون ببرامج الاطفال اهتماما بالغا حتى اطلق على طفل اليوم انه الطفل الالكتروني لاعتماد جوانب من نموه على التلفزيون بشكل من الاشكال • ونعرض صورا سريعة عن بعض برامج الاطفال في عدد من بلدان العالم :

في الاتحاد السوفيتي :

تذاع البرامج التلفزيونية في الاتحاد السوفيتي من أعلى برج في العالم ، وتبث من اكثر من ١٢٠ ستوديو ، وتشـاهد في مساحـــة يشغلها ٧٠٪ من الشعب السوفيتي •

وتخاطب برامج الاطفال جمهورا تتراوح اعمارهـــم بين ٤ – ١٧ سنة لتنشئتهم واعدادهم للدفاع عن الوطن وغرس الولاء التام للمجتمع •

وكانت برامج الاطفال قد بدأت في الاتحاد السوفيتي بصورة منتظمـة ابتداء من عام ١٩٥١ • ويتم التخطيط لهذه البرامج استنادا الى دراسة جمهور

الاطفال وحصائل علم نفس الطفـــل وخبرات التعليم ، ويساهم في اعدادها كتاب كبار .

وجاء في البحث الذي قدمه فيكتور كريتكوف مدير برامج الاطفال في الاتحاد السوفيتي الى حلقة برامج الاطفال في الراديو والتلفزيون الـذي نظم تحت اشراف اتحاد اذاعات الدول العربية :

« .. عند اعداد البرامج فاننا نوفق بين نشاطنا ونشاطات المؤسســات الحزبية ومؤسسات منظمـــة الكومسومول (الشـــباب) والهيئات العلمية واجهزة التعليم والصحة العامة . وكقاعدة عامة يساهم في هذه البرامج اكثر الكتــاب شــهرة كما يســهم فيها العلماء ، والقادة العسكريون البارزون وابطال الرياضة المعروفون .

وتوجد ضمن برامج الاطفال في الراديو والتلفزيون السوفيتي برامـــج سياسية واجتماعية وبرامج علميـــة وموسيقية ورياضيـــة ، وهناك برامج تلفزيونية لـــذوي الاعمار الصغيرة مـــن الاطفال ، وهـــي تنمي قدرتهم على التصور ، وتوقظ فيهـــم الخيال والميل الى التكنيـــك ، ولهذه البرامج صفة التسلية واللعب » .

وتذاع برامج الاطفال على محطة التلفزيون المركزية على ثلاث قنوات في اليوم ، وتذاع هذه البرامج في الصباح والمساء، كما تقدم قصـــة مدتها ربع ساعة كل مساء ....

ومن بين تلك البرامج « الايدي الماهرة » الذي يستهدف ان يكتسب الاطفال حب العمل ، وهو يعلم الاطفال الصغار على اللعب والاشياء المسلية من الورق والخشب والبلاستك .

ومن اكثر البرامج شهرة ذلك الذي يذاع ايام الاحد ويسمى « المنبه » وهو يضم العديد من الطرائف والاغاني والرقصات ، ويستهدف خلق مزاج طيب نشط في العائلة وخاصة لدى الاطفال »

وهذا البرنامج يذاع في العاشرة صباحا ويلاحظ [illegible] الاطفال من اربعة عشرة عاما ويجد الاطفال في احاديثه السابقة والتاريخية والاجتماعية ما يسليهم وعلى عكس اغلب محطات التلفزيون في اوربا فان التلفزيون الروماني يبتعد عن الاثارة والعنف والجنس ، وخاصة في توجهه الى الاطفال (١٣) .

وسجلت برامج الاطفال في الاتحاد السوفيتي ابتداء من عام ١٩٧١ اسلوبا دوغماتيا حيث بدأت تذاع تحت عنوان « [illegible] ارليوناك » [illegible] ارليوناك الى البطل الصغير .

في المانيا الديمقراطية :

جاء في البحث الذي قدمه سيجفريد بوييم الى حلقة اعداد الاطفال :

« .. نحن نعتقد اعتقادا راسخا ان برنامج الاطفال الاشتراكي يجب اولا وقبل كل شيء ان يعلم الاطفال الصغار الثقافة الثورية التي تربطهم بحالة والافكار ومواقف واعمال العمال والفلاحين وارتباطها [illegible] الاشتراكية تأسيس قدرة الشعب العامل في بناء علاقاتهم [illegible] وانسانية ...

فالمجتمع الانساني محتاج لاناس يعملون بالعمل [illegible] على نطاق الحياة . فبالعمل وحده يستطيع الانسان ان [illegible] ويجتمعه إنسانيته وهذا المفهوم هو منطلق العاملين في برامجنا [illegible] الخاصة بالاطفال .. ونحن نحاول ان نختار موضوعات واساليب لبرامج تحقق تقاربا عمليا في المجالين العقلي والاجتماعي ...

والشرط الاساسي الذي يخدم هذا الغرض هو الاحساس المرهف ، والاسلوب الواضح ، واللغة التصويرية المفهومة ، والمزج المقنع بين الصوت والصورة . وهذه جميعا تؤدي الى ايجاد موقف فعال ، فعند تحديد الهدف العلمي لبرنامج اذاعي يجب عدم الوقوف عند حد صياغة الموضوع والمشكلة

والصراع ، بل يجب على مخرج البرنامج ومن يعمل معه ان يحاولوا الرد على هذا السؤال : ما اثر هذا البرنامج في عقل المشاهد وتفكيره وشعوره ؟

وتصادى القول ان كفاح الطبقة الكادحة يترك بصمات واضحة على عصرنا . والتلفزيون الاشتراكي ، كأداة للطبقة العاملة ، يجب ان يشكل كفاح هذه الطبقة عنصرا اساسيا في برامجه . ومن الواضح ان الصبغة الاشتراكية لابد ان تكون غالبة على جميع برامج التلفزيون .

ويرى مشاهدو برامج الاطفال على شاشة التلفزيون الاحداث الاجتماعية المهمة لتطور بلادنا والبلدان الصديقة كما يرون مهرجانات الشباب والطلبة وابطال الرياضة والمهرجانات ولقاءات الثقافة .

ونحن نقف اليوم في بداية الطريق لمرحلة جديدة من التقدم ، فقد خلقنا في جمهوريتنا في هذه السنوات نظاما متقدما من الاشتراكية تبرز فيه الثورة العلمية والفنية .

وتثير هذه المهمة التاريخية اسئلة عديدة للمسؤولين في الصحافة والفن ولمنتجي برامج التلفزيون - واخص هذه الاسئلة هو ما هي المحتويات والاهداف والاساليب التي نحتاج اليها لكي تكون برامج الاطفال في التلفزيون مسايرة لمتطلبات المجتمع في السنين القادمة .

ولا شك في ان التلفزيون لا يمكن ان يظل نشطا الا بادخال افكار جديدة بصفة مستمرة ، والانتاج اليومي للافكار الجديدة هو بمثابة الخبز اليومي لرجال التلفزيون . ولكن ذلك لا يكفي ، فعلى اساس تقدمنا الاشتراكي المخطط مسبقا يجب اعداد انواع جديدة من البرامج وخلق شخصيات جديدة يتعاطف معها الاطفال المشاهدون .

هناك برامج معدة لطلاب المدارس ومقسمة وفقا للاعمار وبرامج خاصة للاطفال واخرى للشباب . ويقدم التلفزيون تحية المساء للاطفال في برنامج مدته من خمس دقائق الى سبع دقائق يضم حكايات وتجارب وملاحظات ،

ويقوم « رجل الرمال » وهو اسم البرنامج واسم الشخصية الاسطورية التي يقوم عليها البرنامج بذر الرمال في عيون الاطفـــال كي يخلدوا الى النـــوم بهدوء •• ويعد هذا البرنامج من احب البرامج للاطفـــال ، ويعتبر جزءا لا يتجزّأ من الحياة اليومية لآلاف العائلات •

وهناك مسلسلة اخرى للاطفال تعرض في نهاية كل اســـبوع بعنوان « المعلم الخياط يروي الاقاصيص » ويتضمن صورا متحركة من جميع انحاء العالم في اطار جديد متنوع يظهر فيه المعلم ـ وهو شخصيـــة خرافية ألمانية بصحبة الدمى ـ وقد ثبت منذ امـد بعيد التأثير الكبير للدمى في الاطفال ، ولدينا عائلة كبيرة من هذه الدمى تمتلك قلوب الاطفال الصغار ، وهي تظهر في حلقات « صديقي الجندي » والحلقات التي يشترك فيها ممثلون معروفون مع الدمى ، وتتناول مشاكل الطبيعة والمجتمع •

وبالنسبة الى البرامج المخصصة لفئات الاطفـــال من الاعمار المتوسطة تقدم برامج ومسلسلات منها مجلة الرواد « صندوق الدنيا المعاصر » وتعتمد على عرض جهود الاطفال انفسهـــم ، ومهمتها المســـاعدة في تعليم الاطفال ، وتنظيم تبادل الخبرات بين الاطفـــال ، وعرض افلام تتصل بجميـــع الميادين كالسياسة والتكنولوجيا والثقافة والرياضة • وتقوم بالتعريف بحياة الاطفال في البلاد الاخرى •

اما المسلسلة الاخـــرى فعنوانها « مع البروفسور فليمريتش » وتقدم فيها بصورة رئيسية افلام تعليمية وتسجيلية ويقوم البروفسور فليمريتش بشرح الافلام للاطفال • وهو يقدم لهم النصائح والارشادات اثناء ذلك •

اضافة الى برامج اخرى رياضية وفنية وموسيقية • »

ويقدم التلفزيون حوالي ١٥٠٠ دقيقة في الشهر للاطفـــال بمعدل نصف ساعة كل مساء ، وفي ايام السبت والاحد يقدم برنامج صباحي اخـــر امده

ساعة واحدة ، بالاضافة الى البرنامج اليومي الذي يستمر من خمس الى ست دقائق والذي يتولى « ساندمان » تقديمه •

وتهتم برامج الاطفال في التلفزيون بتقديم البرامج الخاصة بالالعاب الجماعية ، داخل المنزل وخارجه ايمانا منهم بان الاطفال يتعلمون الكثير من خلال اللعب •

والتلفزيون يقدم خطته التفصيلية ، ويتم التنسيق بين هذه الخطة ، وخطة برامج الابطال في الاذاعة ، وذلك باشراف الاجهزة المختلفة مثل منظمة الطلائع والشباب ووزارة التعليم ووزارة الثقافة[١٤]•

وقد سئلت احدى المعنيات بشؤون برامج الاطفال في التلفزيون في المانيا الديمقراطية عن أهم الخصائص التي يجب أن تتوفر لبرنامج ناجح للاطفال ، فقالت :

« ان يكون برنامجا واضحا ، يتناول موضوعا ، ويعالجه بوضوح ، وينجح في أن يصل بالموضوع الى الطفل •• وان يتوفر له عنصر التسلية ، وفي نفس الوقت يتهيأ له ان يشجع الاطفال على التفكير ، ويضم شيئا من العلم ، ويعطيهم خيطا يبدأون منه التفكير والبحث ومعرفة أشياء جديدة•• ومن عوامل نجاح البرنامج أيضا ان يحس الطفل ان له صديقا في البرنامج يستطيع ان يثق به » •

وحين سئلت عن أهم الصفات التي يجب توفرها في مقدم برامج الاطفال ، أجابت :

« اهم اساس بالنسبة الى مذيع الاطفال ان لا تكون صلته بالبرنامج مجرد رغبة في الظهور على الشاشة الصغيرة ، بل يجب ان يحركه ويدفعه للعمل حب حقيقي للأطفال ••• المهم ان لايظهر في البرنامج ليقول كلمات يحفظها أو يقرأها •• الافضل أن يكون قادرا على الارتباط بالاطفال وفهمهم ، وعقد صلات شخصية معهم ••• ويلجأ التلفزيون عندنا الى وسائل كثيرة لعقد

... من الاطفال . وهناك برامج تستضيف اطفالا من أي مدينة أو مدرسة او ... أو نادٍ ليقدموا في حلقة كاملة نماذج من هواياتهم وفنونهم » .

ثانياً : [illegible]

أ) تلفزيون بريطانيا

يقدم التلفزيون البريطاني البرامج للاطفال ابتداءً من سن الثالثة .

وتخصص هيئة الاذاعة البريطانية خمسمئة ساعة لهم كل سنة من برامجها التلفزيونية ، وتشكل برامج الاطفال ١٠٪ من جملة برامج القناة الاولى ، ولا تدخل ضمن هذه النسبة برامج كثيرة مخصصة اصلا للاسرة مثل حلقات ايام الاحد التقليدية او القصص العلمية التي تعرض يوم السبت والتي يشاهدها عدد كبير من الاطفال مع أسرهم .

وتقول دونيكا سيجز رئيسة قسم برامج الاطفال في هيئة الاذاعة البريطانية في تقريرها الى حلقة اتحاد اذاعات الدول العربية :

« .. اذا استثنينا النشرات الاخبارية أمكننا اعتبار برامج الاطفال في التلفزيون البريطاني B.B.C. كأنها صورة مصغرة لقناة تلفزيونية كاملة . فكل نوع من البرامج يمثل فيها ، فهي تجمع بين التسلية والتوعية واثارة الخيال ، وتقديم الافكار الجديدة لنشاط الاطفال على اختلاف اعمارهم ومستويات تحصيلهم واهتماماتهم .

وكثير من برامجنا ذو طابع تربوي بأوسع ما في هذه الكلمة من معنى ، ولكنها ليست تعليمية .

ويعرض التلفزيون افلاما الى جانب برامج خاصة بألعاب الاطفال مثل (مدرسة اللعب) وبرامج رسائل الاطفال واقتراحاتهم وتعليقاتهم واسئلتهم وبرامج للقصص والتمثيليات والاشعار والاغاني والموسيقى ، واختراعات الاطفال ورسومهم .

ونحن لا نظهر الاطفال في البرامج كممثلين محترفين ، لاننا لا نريد أن نستغل المواهب الناشئة أو نشيد بها اكثر مما ينبغي ، حتى لانثير غيرة الاطفال الآخرين الذين لا امل لهم في الظهور يوما في برنامج ، وحتى لانكون مقلدات لبرامج الكبار ، بل نفضل استخدام فنانين محترفين لهم خبرتهم في مجال الاداء والقدرات التمثيلية الخفيفة .

وهناك برامج خاصة بالاطفال الصغار الذين لم يصلوا العمر الذي يؤهلهم للالتحاق بالمدارس ، ونقدم لهم حلقات مسلسلة مثل « شاهد مع امك » وبرامج الطابع تشابه الالعاب في رياض الاطفال ، وبرامج خاصة تتضمن صورا وتمثيلات يتعلم منها الطفل الصغير ، عن طريق المرح والتكرار ، الحروف الابجدية والاعداد وبعض المفاهيم الاساسية » .

ثانيا : الاخبار :

أبرز ما يميز برامج الاطفال في تلفزيون الدانمرك تخصيص ربع ساعة يوميا للفترة الاخبارية للاطفال بدأ بتنفيذها ابتداءً من عام ١٩٦٩ موجهة الى الاطفال ما بين ١٠ – ١٢ سنة ، لتزويدهم بقدر كافٍ من الانباء ، ليكونوا على استعداد لفهم البرنامج الاخباري الرئيس فيما بعد . والمادة التي تغطيها الفترة الاخبارية لا تؤخذ من عالم الاطفال ، بل تغطـــي نفس المجالات التي تتناولها نشرة الاخبار الرئيسية في التلفزيون . ويتم انتاج الفقرة الاخباريـة المخصصة للاطفال بالمشاركة بين قسم برامج الاطفال وقسم الاخبار ، وتتم صياغة الاخبار بصيغ جديدة ، ويقدم ربع هذه الفقرة مصحوبة بتعليق على الانباء وتفسير لها . كما تتبع اساليب فنية مناسبة لزيادة تقريب الاخبـار الى الاطفال .

وقد وجد ان ٥٣٪ من الاطفال في ذلك العمر يواظبون على مشـاهدة هذه الفقرة الاخبارية(١٥) .

الفصل السادس

افلام الاطفال في السينما والتلفزيون

المبحث الاول

الافلام والاطفال

تنتقل الافلام السينمائية والتلفزيونية بالاطفال الى دنيا بديلة ، وقد تكون تلك الدنيا قريبة الى دنيا الطفل بعض القرب ، وقد تكون بعيدة عنها كل البعد .. وقد يحيا الطفل تلك الحياة بعض الوقت او يحلم بها او ينفر عنها أو يخافها . وفي كل حالة من هذه الحالات يتأثر الطفل بها ، قليلا ام كثيرا ، لحظات عابرة أم عمره كله .

وحين تنتقل الافلام بالاطفال الى دنيا الواقع ، فانهم يتعرفون على الناس وعلاقاتهم وطباعهم وابداعاتهم وافكارهم وآمالهم في كل الامكنة وعبر

مختلف الازمنة •• ويتعرفون الى عالم الحيوان ، وظواهر الطبيعة •• وحين تنتقل بهم الى دنيا الخيال فانها تطلق لاذهانهم ان تحلق بعيدا في الآفاق •

والسينما ليست اداة للهو الاطفال وامتاعهم فقط ، بل هي اداة فاعلة من أدوات تنميتهم عقليا وعاطفيا واجتماعيا وخلقيا ، ووسيلة من وسائل ثقافتهم ، وهي فن يخدم « جمهور الاطفال » ويسهم في تأصيل كثير من القيم والمفاهيم • وعلى هذا فسينما الاطفال ليست اداة « لقتل » فراغ الاطفال ما دامت فنا رفيعا ••

وشتان بين نظرتين على مستوى العالم في هذا المجال ، الاولى ترى فيها اداة من أدوات تشكيل الطفولة تشكيلا سليما ، والثانية ترى فيها اداة للربح المادي • ويتصدر هذه الاخيرة اصحاب رؤوس الاموال والشركات التجارية في البلدان الرأسمالية الذين ينتجون افلاما للاطفال بقصد الربح المادي قبل كل شيء • وكترجمة لهاتين النظرتين تبدو سينما الاطفال في العالم الاشتراكي كفن في خدمة الجمهور وتأكيد قيم المجتمع الاشتراكي ، بينما تبدو في العالم الرأسمالي تجارة مربحة •

وقد اثبتت تجارب عديدة ان الاطفال يفضلون السينما على غيرها من الفنون[١٦] وهذا يدعونا الى الاهتمام بهذا الفن اهتماما كبيرا ، والعمل على استخدامه كوسيلة من وسائل ثقافة الاطفال ، وبنفس الوقت ، الى العمل على حمايتهم من تأثير الافلام الضارة التي تفسد ضمائرهم واحساساتهم وتفكيرهم •

وهذا الاهتمام يعني في الاساس ، التفكير في انتاج أفلام للاطفال ، ومع ان صعوبات كثيرة تقف امام انتاج مثل هذه الافلام ، الا انها لاتبرر اغفال هذا الجانب اغفالا تاما ، لانه يؤلف جزءاً من قضية التناول الاشتراكي للفنون والآداب • ولا يكفي أبدا أن نعمل من اجل حجب الافلام التجارية عن أعين اطفالنا ، لان هذا ليس الا جزء هامشيا من المشكلة •

وللفلم امكانيات ضخمة يمكن ان تعمل كلها من أجل شد الاطفال اليه ، فهو اضافة الى تأليفه بين الصورة والصوت والحركة فان له قدرة كبيرة في مجال الحيل السينمائية التي تستطيع ان تحمل من اذهان الاطفال وأخيلتهم تناى بعيدا مع أكثر الحقائق واقعية .

وقد اهتمت بلدان العالم المتقدمة بانتاج افلام الاطفال منذ وقت مبكر ، حيث بدأ الاتحاد السوفيتي بانتاجها منذ عام ١٩١٩ ثم انتجت انكلترا اول فلم للاطفال عام ١٩٢٠ ، واليابان عام ١٩٣٤ .

وبعد الحرب العالمية الثانية لاقى انتاج افلام الاطفال رواجا ، فأنتجت في بعض البلدان المتقدمة افلام تمثيلية وتعليمية وافلام قصيرة للاناشيد الجماعية والرسوم المتحركة والدمى .

ومن مؤسسات انتاج افلام الاطفال الكبرى في العالم مؤسسة والت ديزني في الولايات المتحدة الامريكية ، ومؤسسة (سي سي اف اف) في بريطانيا واستوديوهات مكسيم غوركي في الاتحاد السوفيتي .

الافلام الاجنبية :

تغزو محطات التلفزيون ودور السينما في الوطن العربي وفي الاقطار النامية عموما ، افلام اجنبية ، وتحظى الافلام الامريكية بحصة الاسد ، بل أن رقعة الافلام الامريكية الخاصة بالاطفال تمتد الى اوربا الغربية أيضاء

وكان من نتيجة ذلك أن اشتد السخط ضد تلك السيول المخربة التي تجتاح اذهان واخيلة الاطفال ، فعملت بعض البلدان من أجل الحد منها ، والتفكير الجدي في انتاج افلام محلية . اما بالنسبة الى بعض البلدان الاوربية الغربية فقد بدأت بتقديم البديل ، وكمثل على ذلك ان التلفزيون الايطالي استبدل الكارتون الامريكي ميكي ماوس أو فرافيرو بفأر آخر هو توبو جيجو ، وهو ليس رسوما متحركة كما هو الحال في ميكي ماوس

بل هو عرائس ، كما انه اعتيادي وليس خارقا ، وقد وجدت هذه الافلام كثيرا من القبول لدى الاطفال الطليان والاوربيين الغربيين

ومناطق الخطر الاول في الافلام الامريكية يكمن ، في الاساس ، في النظرة الى الفلم . ففي الوقت الذي ينبغي لنا النظر فيه الى الفلم بكونه اداة تنمية سلوكية وعاطفية وفنية . فان الفلم الامريكي يمثل سلعة ، الهدف منها السيطرة على الاسواق ، وهو لايهدف الى تلك التنمية التي ننشدها بل يراد به الاستيلاء على عقول الاطفال واحساساتهم ومشاعرهم ، وهذه نقطة ذات شأن ، يرافقها ويعقبها الحصول على مزيد من الارباح .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فان مثل تلك الافلام التي تستخدم حيلا ومؤثرات صوتية وصورية تثير الاطفال وتجذبهم ، الا انها في نفس الوقت اداة لصرف الاطفال عن واجباتهم ، اضافة الى انها لاتقدم لهم القيم والمفاهيم التي نريد ، وحتى لو تضمنت جوانب ثقافية ، فقد لا تكون هي الجوانب التي نريدها لاطفالنا . وعلى ذلك ففي كثير من الاحيان تكون مثل هذه الافلام اداة لمحو ما نطمح الى تثبيته في اذهان اطفالنا من قيم ومفاهيم ومؤثرات ثقافية .

والنقطة الاخرى ، هي اننا لايجوز لنا ان نتهم الفلم على انه صناعة لذاتها ، انه ولاشك فن من الفنون .. ومتى تحول الفلم الى صناعة لذاتها خرج على الاطار الذي نتناوله ، باعتبار اننا نتناول ادب الاطفال الذي يشكل الفلم وسيطا بين هذا الادب والاطفال .

وقد يقول قائل ان مثل هذه الافلام ، ساخرة ، جذابة ، مثيرة ، يتسابق الاطفال الى مشاهدتها . ولكن هذا المنطلق يظل واهيا ما دمنا نسعى الى فلسفة واضحة الابعاد لثقافة الطفل . وعلى هذا فان ما لا ينضوي تحت تلك الفلسفة ، وما قد يشوش الصورة في ذهن الطفل ، لابد ان يعد غريبا على عالم الطفل . أما بالنسبة الى انسياق الاطفال وراء تلك الافلام وشغفهم

بمشاهدتها ، فان هذا لا يكفي وحده ، لاننا ينبغي أن نقرر بأنفسنا ابعاد ثقافة الطفل وفق الاسس النفسية والاجتماعية لاطفالنا ووفق الخطة التي نضعها لفلسفتنا •• أما الاطفال فلا يمتلكون القدرة على ذلك ، وفي كثير من الاحيان ينساق الاطفال وراء كثير مما يلحق افدح الاضرار بهم •

واغلب الافلام الامريكية الخاصة بالاطفال - غير افلام الكارتون والدمى - تحاول تصوير جوانب مشرقة من الواقع الامريكي ، والهدف من ذلك هو فصل الاطفال في بلدان العالم الاخرى عن واقعهم وربطها بغرام الحياة الامريكية • وواقعية هذه الافلام ليست مذهبا فنيا ، بل هي رأي سياسي واقتصادي •

ويرنو الاطفال في العادة الى تقليد جوانب من تلك الحياة كالتقليد الذي يظهر في ملابسهم وطريقة حياتهم ، ولاشك انصناع السينما في امريكا قد نجحوا اقتصاديا في جذب الاف من الزبائن الذين اقبلوا على الصناعة الامريكية • فالفتاة تريد ثوبا كثوب البطلة ، والفتى يريد ربطة عنق تشبه ربطة عنق البطل • وفي حالة عدم تحقق ذلك للفتى او الفتاة ربما يؤثر في مزاجه ، ويثير مشكلات ضمن الاسرة •(١٧)

وليس هذا فقط ، بل ان كثيرا من الافلام الامريكية ، وخاصة البوليسية منها هي في واقعها افلام دعائية لشركات ومؤسسات تجارية ، حيث تظهر فيه اشكال منوعة من السلع والمنتجات التي يسيل لها لعاب الاطفال •

ولا شك ان التقليد في الجوانب الاخلاقية والفكرية هي اخطر وقعا من التقليد في الملبس او المأكل •

ومن نافلة القول الاشارة الى انه حتىالافلام التي يقالعنها انها تستهدف الامتاع واشاعة المرح فقط ، هي في واقع الحال تحمل في اطوائها قيما ومفاهيم معينة والوانا من الحياة الاجتماعية وانماطا من العلاقات ، وهذه كلها تعلق مع الفلم بشكل او باخر وبالتالي تنساب الى اذهان الاطفال •

ولهذا نجد فلمين مختلفين لنص سينمائي واحد في حالة انتاجهما في مجتمعين مختلفين ، وكمثال على ذلك ما نجده من اختلاف بين فيلم « هاملت» البريطاني و « هملت » السوفيتي حيث عولجت نفس القصة بطريقتين مختلفتين •

واذا كنا قد ركزنا على تبيان التأثير السلبي للافلام الامريكية ، فان هذا هذا لا يعني ان الافلام الاوربية الغربية تختلف عن الافلام الامريكية كثيرا ، بل هي في الغالب ، تتميز بذات الخصائص ، وان كان الفلم الأمريكي اكثر ايغالا في السعي للاستحواذ التجاري والطغيان الفكري •

ومن خلال حديثنا عن الافلام الامريكية والاوربية الغربية ، قد يبدو اننا ندعو الى حجبها عن جمهور اطفالنا حجبا تاما ، ولكننا في الواقع لاندعو الى هذه الدعوة ، لا ننا بهذا كمن يريد ان يضع الاطفال في عالم ضيق الجنبات ويعزلهم عن العالم البعيد ، ويحجب عنهم حياة الاخرين وتقاليدهم وازياءهم وموسيقاهم ورقصاتهم وأهزائمهم وانتصاراتهم •• هذا مع العلم ان الطفل متشغوف بآداب البلاد البعيدة ويحسره دوما ان يتعرف على الناس وكيف يحيون ويفكرون في مختلف بقاع العالم ••• نحن ندعو الى انتقاء ما يصلح لاطفالنا بتحفظ شديد وفق خط فكري نختطه لثقافة الطفل •

المبحث الثاني

استجابات الاطفال

لافلام الجريمة والعنف

اكثر الدراسات والبحوث تربط بين بعض « جرائم » الاطفــــال وبين بعض الافلام السينمائية والتلفزيونية • وهناك دراسات تقول ان للافلام دورا مباشرا في تلك الجرائم ، واخرى تقول ان لها تأثيرا ثانويا فقط ، اذ هي تساعد على بلورة بعض الميول الاجرامية لدى الاطفال وثالثــــة ترى ان الافلام هي تحصين للطفولة من الانسياق نحو الجريمة •

وهنا ، لابد من الانتباه الى نقطـــة مهمة ، وهـــي اننا اذا سلمنا باثر الافلام في دفع الطفل الى الجريمـــة ، فانه ليس بالضرورة ان تكون مضامين تلك الافلام متناولة الجريمة ، فقد تؤثر افلام بعيدة عن الجرائم الاعتيادية في خلق عالم وهمي للطفل يجد نفسه فيه مهيأ لاقتراف الجرم •

وهناك نظرية ترى ان الافلام الحافلة بالصور التي تمثل حياة الترف الخيالي الذي يرفل فيه ممثلو السينما ، مع ابراز حياتهم الخاصة تبعث الضجر في نفوس المراهقين الذين يعيشـــون في محيط فقير ويسكرهم ذلك النعيم

الخيالي ، ويزداد تأثيره بزيادة ممارسته ، وقد تسؤدي كثرة ارتياد السينما الى [illegible] الساعية للمال ، [illegible] هذه العاطفة الرغبة في اعادة تصوير حياة الابطال [illegible] وهذه الرغبة في الحياة السهلة الرغيدة قد تدفع الطفل [illegible] للواقع . [illegible] فقط يمكن ان يكون لافلام [illegible] البوليسية شأن في تزويد المراهق بالاساليب الفنية التي قد [illegible] القتل او السرقة . وهكذا يبدو ان السينما تساهم [illegible] ، فهي تبدأ بتحطيم القيم وتشويهها في ذهن الطفل [illegible] يشاهده الطريقة التي يرتكب بها الجريمة ، ومن اهم [illegible] بهذه النظرية قضاة محاكم الاحداث الفرنسية . ومن جانب اخر [illegible] ذلك من حيث اجتذاب النواحي الفنية في الفلم للمراهق وإيقاظ [illegible] والرغبات الجنسية مما قد يدفع الاطفال الى الجريمة . (18)

وهناك نظرية [illegible] ترى ان الافلام لا تحدث اثارا ضارة الا اذا كان الطفل [illegible] الطفل الذي يحيا حياة بائسة والـذي لم يتهيأ له الاندماج [illegible] وربما يصل الامر به الى الاكتئاب النفسي او [illegible] .

ولم تجزم كل الدراسات العلمية باثر الفلـم على انحراف الطفل ، على [illegible] ان [illegible] الاجرامي له اصول اكثر بعدا ، وجـذوره اكثر عمقا في اغوار [illegible] بالاضافة الى عوامل تشـكلها اسرة الجانح نفسـه او [illegible] .. وكل الذي يضيفه الفلم الى الطفل هو اسهامه في الانحراف . ولا يكون تاثيره الا في الطفل المهيأ للانحراف ، فمثلا يمكن للفلـم ان يطلع الطفل على وسيلة واسلوب للسرقة او الضرب مثلا ، ويوحي للطفـل ببعض الافكار التي ترضي رغباته في العداء على حساب ضحية مماثلـة او مشابهة للضحية التي يشاهدها في الفلم .. فاذا كان الفلـم مثلا يوحي باسـتخدام الايدي او الاداة الحادة لارتكاب اي اعتداء فانـه من الممكن ان يقوم الطفل تحت تأثير الغضب باستخدام هذه الوسيلة متى كانت الفرصة سانحة ، وهذا

لا يحدث في كل الاحيان لان الاسرة تعلم الطفل اشـــياء مخالفة للعـدواني ، ولكن لا يمكن القطع بان هذا لا يمكن حدوثه[١٩] ٠

ويقول الدكتور فردريك ويرتام الذي انشأ واشرف على ادارة عدد من اهم العيادات النفسية في اميركا ، انه تبين له من مشاهداته الطبية ، انه ليس هناك ما يؤثر الرأي القائل ان الاطفال المضطربي الافكار وحدهـم الذين يتأثرون بهذه البرامج ، بل ان كل طفل قابل للتأثر بها ٠

ويقول الدكتور رالف باني مدير احدى عيادات بروكلين انه يرى ويستمع ويدرس حوالي ٤٠٠ من الاحداث سنويا ، وقد تبين له ان الافــلام جعلت الفتيان يحسون ان الحياة كلها مليئة بالجريمـــة ، ووجد انهم على علـــم تام بفنون الاجرام ، كما انهـــم يتصرفـــون بعنف في محيط الاسرة ويتحدون المسؤولين ٠٠

ومن جانب اخر فقد نفت دراسة قام بها عدد من اساتذة جامعة هارفارد الزعم القائل ان افلام الجريمة تعلم الاطفال ان الجريمة لا تجدي ، حيث جاء في تلك الدراسة « ان هزيمة الشرير في الثلاثين ثانية الاخيرة من البرنامج ، ليس لها الا تأثير تافه في الاطفال بالنسبة للتأثير الذي تحدثه الدقائق الكثيرة المحشوة بالجرائم العنيفة والاعمال المنافية للقانون » ٠

وكتب دون وارتون في مجلة عصر التلفزيون ، وهو يتحدث عن افلام الجريمة في التلفزيون الامريكي :

« لقد امضيت بضعة اسابيع جالســـا امام التلفزيون خـلال الساعات المخصصة للاطفال ، ورحت اراقب سير هذا الاستعراض الفاسد ٠٠ واليك بعض عينات من مشاهد العنف التي رأيتها » :

« هندي احمر يربطه البعض بشـــدة الى خيوط تجـــري في اتجاهين متضادين ، ثم يطلقون عليه النار ، وهو ملقى على الارض ، لا حـــول له ولا قوة ٠٠ سيجارة مشتعلة توشك ان توضع في عنق رجل ٠٠ بطل القصة يضرب

رجلا فيوقعه على الارض ثم ينهض على قدميه ليعيد اسقاطه مرة اخرى ، ويكرر ذلك مرة ثالثة .. رجل جريح شدوا وثاقه الى شجرة ، بينما يرتفع صوت احدهم قائلا : اتركوه للحيوانات ! »

« وشاهدت ايضا رجلا يشنقونه بسلك رفيع ، وفتاة يقتلونها بخنجر ، وطفلا صغيرا يختطف بعنف وهو راكع يبكي فوق جثة ابيه القتيل ويحاول الهرب فيطارده هندي احمر كئيب الوجه ليقبض عليه مرة اخرى »

« واخطر من هذا كله ، انني شاهدت ومعي بالطبع بضعة ملايين من الاطفال ـ طفلا لطيفا في العاشرة من عمره ، يجذب بعنف رأس رجل سقط في معركة ، ليدقه مرة بعد اخرى على الارض الصلبة »

« تلك بعض عينات من الجرائم التي يقدمونها للاطفال في مدينة واحدة ، وكلها تحاول ان تزيد من شدة تأثيرها عن طريق الموسيقى الصاخبة ، والاضاءة المصحوبة بالظلال ، والصور المقربة للرعب ، وتعبيرات الفزع على الوجوه ، والصراخ والبكاء والانين »

ويقف وارتون معقبا :

« قد يزعم البعض انه ما دام لم يثبت من الاحصاءات ان اذاعة جرائم العنف في التلفزيون ، كانت سببا في جرائم الاحداث فليس هناك ما يدعو الى القلق ، وهذا زعم سخيف ، اذ كيف لا يكون لمثل هذه المادة التي تعرض يوما بعد يوم اثر في اطفال لم يتم نضجهم بعد ، ويسهل ، التأثير فيهم ؟ »

وينتج الغرب مجاميع كبيرة من افلام العنف والرعب ، ففي بريطانيا مثلا تتولى شركات عديدة انتاج مثل هذه الافلام من بينها شركة « هامر فيلمز » . وافلام العنف والرعب تشكل اهم صادرات انكلترا الى العالم . وفي مطلع عام ١٩٦٨ منحت ملكة بريطانيا وسام الاستحقاق لتلك الشركة لانها امنت لانكلترا خلال ثلاث سنوات مدخولات كبيرة تصل الى نحو ٢٠ مليون دولار .

وتدل كثير من الدراسات ان الطفل عادة يحاول التشبـــه بالشخصيات التي يعرضها التلفزيـــون نظرا لاعتقـــاد كثير من الاطفال ان العالـم الذي يشاهدونه على الشاشة هو مرآة صغيرة للعالم الحقيقي.كما ان عددا كبيرا من المراهقين يحاولـون تقليد الادوار التي يقدمهـــا التلفزيون لكي يلعبوها في حياتهم الواقعية ، وعندما تقدم الشاشة عنصر العنف فان هذا العنف يتسلل الى نفوس الاطفال ، ويحاولون تقليده ومحاكاته حتى يشعروا بانتمائهم الى عالم الكبار • وبهذا يكتسب الاطفال وبطريقة تدريجية غير مباشرة مجموعــة من القيم الاجتماعية والاخلاقية عن طريق المشاهدة التي تؤدي الى الاستجابة التي تتلاءم مع مفاهيم المجتمع المتحضر • وبالرغم من هذا فليس التلفزيـــون هو السبب الرئيس في نشر العنف ، بين افـــراد المجتمع ، لان التلفزيون يقــدم برامجه وسط بيئات معقدة ، تدخل في تشكيل القيم والسلوك الاخلاقي فيها عناصر وعوامل عديدة •(٣٠)

ويعتقد البعض ان عنصر العنـــف لا يكتسب من الافـــلام والاعمال الدرامية فقط ، لان مشاهد العنف موجودة في الافلام الاخبارية نفسها • مثل افلام مشاهد الحرب والمظاهرات • (٣١)

المراجع

مراجع الباب الاول « جمهور الاطفال »

الفصول ١ ، ٢ ، ٣

١ ـ فيليب بوشار ـ جمهور الاطفال ، ترجمة محمد انور الحناوي ، (القاهرة دار الكتاب المصري) ص ١٦ ٠
٢ ـ د ٠ مصطفى فهمي ـ سيكولوجية الطفولة والمراهقة ٠ (القاهرة) ص ١٥١
٣ ـ لاحظ « مناهج التربية » (بيروت) ٠
٤ ـ د ٠ أحمد زكي صالح ـ علم النفس التربوي ـ الطبعة ٨ ـ (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥) ص ٦٧ ٠
٥ ـ كامل بنقسسلي وخالد قوطرش ، آباء وابناء ، (دمشق) ص ١١٢
٦ ـ ولارد اولسون وجون ليولن ـ كيف ينمو الاطفال ،ترجمة د ٠ محمد خليفة بركات ، سلسلة دراسات سيكولوجية « ٢٥ » ٠٠ (القاهرة مكتبة النهضة ، المصرية) ص ٧٩
٧ ـ المصدر السابق ص ١١ ، ٩٨ ٠
٨ ـ لاحظ « التربية الاجتماعية » من سلسلة دراسات سيكولوجية (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية) ص ٧
٩ ـ وينفريد وارد ـ مسرح الاطفال ـ ترجمة محمد شاهين الجوهري ص ١٤٧ (القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة)

١٠ ــ لاحظ « مشاكل الاطفال النفسية » القاهرة ٠
١١ ــ لاحظ « رياض الاطفال » بغداد
١٢ ــ مجلة « الشرق » مايو ١٩٥٩ ٠
١٣ ــ ولارد اولسون ــ مصدر سابق ص ٨٤
١٤ ــ ضياء الدين ابو الحب ــ علم النفس التربوي ــ بغداد ص ١٤٧
١٥ ــ د ٠ فهمي مصطفى ــ مصدر سابق ص ١١٨
١٦ ــ د ٠ ابو العزم ــ لغة الاطفال ــ دراسة مقدمة الى حلقة كتاب الطفل ومجلته عام ١٩٧٢ غير منشورة ٠
١٧ ــ المصدر السابق
١٨ ــ المصدر السابق ٠
١٩ ــ د ٠ محمد محمود رضوان ــ لغة الاطفال ــ دراسة مقدمة الى حلقة كتاب الطفل ومجلة عام ١٩٧٢ القاهرة غير منشورة ٠
٢٠ ــ د ٠ عبدالعزيز عبدالمجيد ــ القصة في التربية ــ الطبعة الخامسة ، (القاهرة دار المعارف بمصر) ص ١٦
٢١ ــ راجي عنايت « مسرح الاطفال بين الواقع والاسطورة » مجلة الطليعة السنة الثانية ابريل ١٩٦٦ القاهرة ص ٧٥ ٠
٢٢ ــ المصدر السابق ص ٧٥ ٠
٢٣ ــ لاحظ مشاكل الاطفال النفسية ص ١٠ ٠
٢٤ ــ لاحظ : « لماذا نخطى العلاج » القاهرة ٠
٢٥ ــ راجي عنايت ــ مصدر سابق ص ٧٥ ٠
٢٦ ــ د ٠ ابو العزم ــ مصدر سابق ٠ (غير منشور) ٠
٢٧ ــ محمد ناصر « الاستدلال عند الاطفال » المعلم الجديد ٠ مارت ١٩٤١ بغداد ص ٣٥٣ ٠
٢٨ ــ لاحظ : لماذا نخطيء العلاج ؟ ٠
٢٩ ــ د ٠ ابو العزم ــ مصدر سابق (غير منشور) ٠
٣٠ ــ المصدر السابق ٠
٣١ ــ المصدر السابق ٠
٣٢ ــ د ٠ مصطفى فهمي سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ١٠٧
٣٣ ــ لاحظ : لماذا نخطيء ص ٤٦
٣٤ ــ جريدة الجمهورية ، بغداد « المطلوب ثورة في عالم الاطفال » ص ٦ ١٩٧٣/١١/٤ ٠

٣٥ ـ د · رمزية الغريب ـ ميول الاطفال القرائية ـ مجلة الكتاب العربي العدد ٤٨ ، يناير ١٩٦٧ ص ٦ القاهرة ·
٣٦ ـ المصدر السابق ص ٧ ·
٣٧ ـ لاحظ (انت والمراهقة) ص ١٤ ·
٣٨ ـ المصدر السابق ص ١٤
٣٩ ـ المصدر السابق ، ص ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ·
٤٠ ـ د · مصطفى فهمي ـ مصدر سابق ص ١٦٠ ·
٤١ ـ المصدر السابق ص ١٦١ ·
٤٢ ـ دوجلاس توم ، توجيه المراهق ، ترجمة د جابر عبدالحميد ومحمد مصطفى الشعبيني ، (القاهرة ، مكتبة النهضة ١٩٧٥) ص ١٣٤
٤٣ ـ د · عبدالعزيز عبدالمجيد ـ مصدر سابق ·
٤٤ ـ د · مصطفى فهمي ـ مصدر سابق · ص ٢١٥ ·
٤٥ ـ المصدر السابق ص ٢٤٨ ·
٤٦ ـ المصدر السابق ص ٢٧٢ ·
٤٧ ـ د · عبدالعزيز عبدالمجيد ـ مصدر سابق · ص ١٩ ·
٤٨ ـ ماريون مونرو ـ تنمية وعي القراءة ، ترجمة سامي ناشد (القاهرة دار المعرفة ١٩٦١) ص ١٥ ، ١٦ ··· ٣٠ ·
٤٩ ـ د · فائزة احمد كامل ـ الاثر النفسي للكتاب ـ دراسة مقدمة الى حلقة (كتاب الطفل ومجلته) عام ١٩٧٢ القاهرة · غير منشور ·
٥٠ ـ المصدر السابق ·
٥١ ـ المصدر السابق ·
٥٢ ـ د · هدى براده ، والسيد العزاوي ، واخرون « الاطفال يقرأون » الجزء الاول (القاهرة الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٤) ص ٥ ·
٥٣ ـ لاحظ مجلة التربية الحديثة ، العدد الاول ، تشرين الاول ١٩٧١ بيروت ·
٥٤ ـ حسن رشاد ـ المكتبات المدرسية · (القاهرة ، دار الفكر العربي) ص ١٤
٥٥ ـ ولارد اولسون وجون ليولن ـ مصدر سابق ص ٥٥ ·
٥٦ ـ ماريون مونرو ـ مصدر سابق ص ٤٦ ·
٥٧ ـ Unesco Courier, international Book year 1972. P. 16
٥٨ ـ Ibid. P. 16.
٥٩ ـ حسن رشاد ـ مصدر سابق ص ٤٦ ·
٦٠ ـ د · مصطفى فهمي ـ مصدر سابق ص ٥٠ ·
٦١ ـ Uniesco Courier P. 16

الباب الثاني « ادب الاطفال »

الفصول ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦

١ ـ Encyclopaedia Britannica, Volume 4. 1973.

٢ ـ محمد مكتبي « الكتاب المدرسي وسيلة ايضاح » مجلة التربية الحديثة · بيروت ·

٣ ـ د · زكي نجيب محمود « الحوادث الجارية » ـ الاهرام ٧٦/١٢/١٦ ص ١١ ·

٤ ـ Encyclopaedia Britannica, Volume 4. 1973.

٥ ـ Ibid.

٦ ـ لاحظ : اندرسن ، رائد ادب الاطفال ، عبدالله حسين · القاهرة · سلسلة : مذاهب وشخصيات ·

٧ ـ Encyclopaedia Britannica, Volume 4 1973.

٨ ـ لاحظ مقدمة كتاب « حكايات من روسيا » ترجمة علي ادهم · دار المعارف بمصر ·

٩ ـ لاحظ تراث الانسانية ، المجلد الاول ، العدد ١٢ ، القاهرة ·

١٠ ـ المصدر السابق ·

١١ ـ عبدالقادر التلمساني « افلام الكارتون هدف ثقافي وترفيهي » مجلة الطليعة ص ٧٢ السنة الثانية ، ابريل ١٩٦٦ القاهرة ··

١٢ ـ ضياء الدين ابو الحب ـ علم النفس التربوي ـ ص ١١٥ ، بغداد ٠
١٣ ـ عبدالفتاح ابراهيم « مقدمات في الاجتماع » ص ١١٥ بغداد ٠
١٤ ـ لاحظ كتاب « طفلك وفنه » ـ مترجم ، ص ٢٨ ٠
١٥ ـ المصدر السابق ص ٥٨ ، ٦٠ ٠
١٦ ـ د ٠ محمد طلعت عيسى « التربية الاخلاقية واثرها في بناء الوطن » مجلـــة العلوم السياسية القاهرة
١٧ ـ طفلك وفنه ـ مصدر سابق ص ١٩ ٠
١٨ ـ سالمة الفخري « التضامن عند الاطفال » ص ٢٥ بغـــداد ـ مركز البحوث التربوية والنفسية ٠
١٩ ـ شوبنهاور ـ فن الادب ـ اعداد بيلي سوندرز ، ترجمـــة شفيق مقار ص ٨٣ ٠ (القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر) ٠
٢٠ ـ هادي نعمان الهيتي ـ المحاضرة الثانية على المتدربين في دورة برامج الاطفال في الراديو والتلفزيـــون بمعهد التدريب الاذاعـــي ـ بغـــداد ١٩٧٢ (غير منشورة) ٠
٢١ ـ روز غريب « عالم الطفولة وتربية الاطفال » مجلة رسالة التربية الحديثة : بيروت ٠
٢٢ ـ هادي نعمان الهيتي « حول ادب الاطفال في العراق » من البحوث المقدمة الى حلقة « كتاب الطفل ومجلته » القاهرة ١٩٧٢ تحت اشراف المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية (غير منشور) ٠
٢٣ ـ عبدالقادر التلمساني ـ مصدر سابق ص ٧١ ٠
٢٤ ـ المصدر السابق ص ٧١ ٠
٢٥ ـ حسين مروة ـ دراسات ادبية ـ بيروت ٠
٢٦ ـ د ٠ عبدالـــوهاب عبدالرزاق « ادب الاطفـــال » جريـــدة الثـــورة في ١٩٧٢/٨/١٧ بغداد ٠
٢٧ ـ ن كروبسكايا « عن التربية » ص ١٠٩ ، ١٣١ دمشق ٠
٢٨ ـ لاحظ « الطلاب في اسرائيل » من منشورات منظمة التحرير الفلسطينية ـ دراسات فلسطينية ٠
٢٩ ـ لاحظ « التربية الصهيونية » ص ٦١ ٠ القاهرة ٠
٣٠ ـ المصدر السابق ص ٦٠ ٠
٣١ ـ المصدر السابق ص ٦١ ٠
٣٢ ـ محمود شيت خطاب ـ حقيقة اسرائيل ،

٣٣ ـ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينيـة العـدد ٢٠ ، في ٢٦ تشرين الاول ١٩٧٤ · ص ٦٨٨ ، ٦٨٩ ·

34. Unesco, Aworld of children's books, a selective international bibliography. Paris, 15 december 1972. P. 71.

٣٥ ـ Ibid.

٣٦ ـ Ibid.

٣٧ ـ Ibid P. 72.

٣٨ ـ ضياء الدين بيبرس « العالم كله ضد داود الصغير » مجلة الصور ٨ مايـو ١٩٧٠ ·

٣٩ ـ محمود سالم « في حوار معه في جريدة بيروت » ص ٧ في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٤ · بيروت ·

٤٠ ـ Ulrich's International periodicals Directory, volume 2, Thirteen Edition 1969-1970
R.R. Bowker Comany-New York, U.S.A

٤١ ـ د · عبدالوهاب محمد المسيري ـ موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ـ القاهرة ـ مركز الدراسات السياسيـة والاستراتيجيـة بالاهرام · ص ١٩٧٥ ص٣٧٦

47 ULRICH'S international periodicals.

الباب الثالث

مراجع الفصل الاول « فنون ادب الاطفال »

١ ـ فوزي العنتبل ـ الحكايات الشعبية وتنمية طاقة الابداع ، مجلة الطليعة السنة الثانية ، ابريل ١٩٦٦ ، القاهرة ص ٥٩ ٠

٢ ـ هـ ٠ دان كورين ـ الترويح فن وريادة ـ ترجمة سعيد حشمت ، والدكتور حلمى ابراهيم ٠ القاهرة ٠ ص ٣٧ ٠

٣ ـ ماريون مونرو ـ تنميةوعيالقراءةـ ترجمة سامي ناشد، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ٠

٤ ـ لاحظ الفصل السابق عن رأي كروبسكايا المنشور في مجلة فوجاتي

٥ ـ محمد تيمور ـ فن القصص والمسرح ـ القاهرة ـ ص ٨٨

٦ ـ د ٠عبداللطلف حمزة ـ المدخل الى فن التحرير الصحفي ـ القاهرة ص ٢٩٨ ٠

٧ ـ د ٠ محمد يوسف نجم ـ فن القصة ـ بيروت ص ٤٦ ٠

٨ ـ المصدر السابق ص ١١٣ ٠ ولاحظ كذلك (فن كتابة القصة) بقلم حسين القباني ٠

٩ ـ جعفر الخليلي ـ القصة العراقية قديما وحديثا ٠ (بيروت ـ مطبعة الانصاف ١٩٦٢) ص ١٣ ٠

١٠ ـ فديدرش فون ديرلاين ـ الحكايات الخرافية ـ ترجمة د ٠ نبيلة ابراهيم (القاهرة ، سلسلة الالف كتاب) ص ٨٠ ، ٨٢

١١ ـ حسان عبد السميع محسن ـ القصة الشعريـة في الادب المصري الحديث ـ رسالـة ماجستير (غير منشورة) ص ٢٨ ، كليـة دار العلـوم ١٩٧٠ القاهرة ٠

١٢ ـ أملي عبدالمسيح ومحمد كامل النحاس ـ تربية الطفل ومبادىء علم النفس ـ الجزء الثاني ، (القاهرة ، وزارة المعارف العمومية) ص ١٤٥ ٠

١٣ ـ د ٠ عبدالرحمن عيسوى (النمو الروحي والخلقي والتنشئة الاجتماعيـة في مرحلتي الطفولة والمراهقة) مجلـة عالم الفكـر المجلد السابع ، العدد الثالث ، ١٩٧٦ ، ص ١٦٩ الكويت ٠

١٤ ـ املي عبدالمسيح ومحمد كامل النحاس مصدر سابق ص ١٤٥ ٠

١٥ ـ يعقوب الشاروني ـ الطفولة والبطولات القوميـة ـ مجلة الثقافـة السنة الرابعة ، العدد ٣٩ ديسمبر ١٩٧٦ ص ٨٠القاهرة .

١٦ ـ د ٠ جورج هنري جزين ـ المراهقـة ـ ترجمـة ابراهيم حافظ (القاهرة لجنة البيان العربي) ص ٥٧ ٠

١٧ ـ د ٠ سامي عزيز ـ صحافة الاطفال ، (القاهرة ، عالم الكتب ١٩٧٠ ٠

١٨ ـ حسين مروة ، مصدر سابق ص ٩٣ ـ

١٩ ـ د ٠ جورج هنري جزين ـ مصدر سابق ص ٦٠ ٠

٢٠ ـ د ٠ نجيب اسكندر ، نحو رؤية اشتراكية لعالم الطفل ـ الطليعة ، ص ٤٨ السنة الثانية ، ابريل ١٩٦٦ القاهرة ٠

٢١ ـ د ٠ عبدالحميد يونس ـ الحكاية الشعبية ـ ص ٤٥ ٠

٢٢ ـ فوزي العنتيل ـ مصدر سابق ، ص ٥٨

٢٣ ـ احمد رشدي صالح ـ الفنون الشعبية ـ سلسلة المكتبة الثقافية ١٣٤ ص٤٨ دار القلم ١٩٦١ ٠

٢٤ ـ د ٠ زكريا ابراهيم ـ لماذا نضحك ـ الهلال ٠ ص ٤ اغسطس ١٩٦٦ ٠

٢٥ ـ المصدر السابق ـ ص ٥

٢٦ ـ عبدالغني العطري ـ ادبنا الضاحك ـ ص ٨ (بيروت دار النهار ١٩٧٠) ٠

٢٧ ـ محمد عقيفي ـ النكتة فن جميل ـ الهلال ـ اول اغسطس ١٩٦٦ ٠

٢٨ ـ احمد رشدي صالح ـ الفنون الشعبية ـ سلسلة المكتبة الثقافيـة ١٣٤ ، دار القلم ١٩٦٦١ ص ٤٨ ٠

٢٩ ـ هادي نعمان الهيتي ـ حول اعادة كتابة التاريخ ـ مجلة الاجيال ، نقابـة المعلمين في القطر العراقي ، بغداد ١٩٦٩ ص ٧٧ ٠

٣٠ ـ هادي نعمان الهيتي ـ نحو انعطاف جديد في التربيـة ـ جريدة الثورة ، ١٩٧٣/٥/٣ ص ٠ بغداد ٠

٣١ ـ د ٠ مصطفى فهمي ـ مصدر سابق ص ١٠٧
٣٢ ـ د ٠ ليلى الدباغ ـ كتابة تاريخ الوطن العربي على مستوى الاطفال ، دراسة مقدمة الى « العناية بالثقافة القومية للطفل العربي » بيروت ١٩٧٠ ٠
٣٣ ـ شبلي العيسمي ـ كيف نكتب تاريخنا القومي ـ دمشق ، ص ٢٤٤ ٠
٣٤ ـ د ٠ ليلى الدباغ ـ مصدر سابق
٣٥ ـ د ٠ محمد يوسف نجم ـ مصدر سابق ص ١٥٢
٣٦ ـ د ٠ ليلى الدباغ ـ مصدر سابق
٣٧ ـ د ٠ محمد يوسف نجم ـ مصدر سابق ص ١٠٤
٣٨ ـ المصدر السابق ص ١٠٤
٣٩ ـ احمد رشدي صالح ـ مصدر سابق ص ٥١ ٠
٤٠ ـ فيليب برشار ، جمهور الاطفال ـ ص ٨٨ ٠
٤١ ـ المصدر السابق ص ٨٨ ٠
٤٢ ـ حامد عبدالقادر ـ دراسات في علم النفس الادبي ـ (القاهرة ٠ لجنة البيان العربي) ، ص ٣٨ ٠
٤٣ ـ ماريان بيسر ـ التنشئة العلمية ـ ترجمة محمد سليمان ، (القاهرة ، الدار المصرية للتاليف والترجمة ١٩٦٦) ٤١ ٠
٤٤ ـ لاحظ العمود الجهنمي ، دار التقدم ، موسكو ، ص ٥ ٠
٤٥ ـ السعادة في ضوء علم النفس ـ كتاب الهلال ٠ ص ٢١٥ ٠
٤٦ ـ لاحظ العمود الجهنمي ص ٢ ٠
٤٧ ـ لاحظ الهلال ، اول نوفمبر ١٩٥٦ ، ص ٢٨ ٠
٤٨ ـ ويلز ـ موجز تاريخ العالم ، القاهرة ، ص ٤٤٨ ٠
٤٩ ـ وجيه السمان ـ الصواريخ والاقمار الصناعية ـ (دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ١٩٦٢) ص ١٣ ٠
٥٠ ـ لاحظ العمود الجهنمي ٠ ص ٧ ٠
٥١ ـ المصدر السابق ص ٩ ٠
٥٢ ـ الطيب الجويلي ـ علم الخيال ومستقبل الانسان ٠ تونس ، ص ١١ ٠
٥٣ ـ لاحظ « الاتجاهات الجديدة في القصة العلمية ـ ترجمة ياسر الفهد ، مجلة الثقافة ، دمشق ، ص ٤٠ ٠ »
٥٤ ـ د ٠ هدى برادة ، والسيد العزاوي واخرون ، الاطفال يقرأون ، ص ٢١٤ ٠

٥٥ ـ د٠ عبدالحميد يونس ـ الادب الشعبي ـ المحاضرات العامة في جامعة القاهرة ، للعام الدراسي ٥٩ ـ ٦٠ ٠ مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٠ ٠

٥٦ ـ د ٠ مصطفى ماهر ـ الاساطير الالمانية ـ تراث الانسانية ـ العدد ٤ ، المجلد الخامس ، القاهرة ، ص ٢٨٧ ٠

٥٧ ـ احمد شمس الدين ـ الاسطورة في المسرح المصري المعاصر ـ رسالة دكتوراه « غير منشورة » جامعة القاهرة ١٩٧٣ ٠

٥٨ ـ لاحظ « الارض التي نعيش عليها » مترجم ٠ بغداد ص ٥٨ ٠

٥٩ ـ احمد رشدي صالح مصدر سابق ٠

٦٠ ـ فوزي العنتيل ـ مصدر سابق ص ٥٨ ٠

٦١ ـ لاحظ « النار والنور » سلسلة اقرا ص ١٠٦

٦٢ ـ المصدر السابق ص ١٠٦

٦٣ ـ فتوح احمد فرج ـ المأثورات الشعبية للطفولة والاطفال : دراسة ميدانية في السنبلاوين ٠ رسالة ماجستير من جامعة القاهرة ١٩٧٦ (غير منشورة) ٠

٦٤ ـ عادل ابو شنب ـ كان يا ماكان ـ دمشق ص ٩٧ ٠

٦٥ ـ عبدالمجيد يونس ـ الادب الشعبي ـ المحاضرات العامة بجامعة القاهرة ص ٥

٦٦ ـ عمر يوسف ـ الحكايات الشعبية في المجتمع الفلسطيني (رسالة ماجستير) ، جامعة القاهرة ، (غير منشورة) ٠

٦٧ ـ ابراهيم احمد العزب شملان ـ النوادر في الادب الشعبي ـ (رسالة دكتواره) جامعة القاهرة ١٩٧٤ (غير منشورة) ٠

٦٨ ـ بوميرا نتسيفا ـ في مقدمة لكتاب « حكايات شعبية روسية ـ ترجمة غائب طعمة فرمان ـ دار التقدم موسكو ٠

٦٩ ـ هادي نعمان الهيتي ـ حول ادب الاطفال في العراق ـ من البحوث المقدمة الى حلقة « كتاب الطفل ومجلته » القاهرة ١٩٧٢ (غير منشور) ٠

٧٠ ـ هادي نعمان الهيتي ـ المحاضرة الثالثة على المتدربين في دورة برامج الاطفال في الراديو والتلفزيون بمعهد التدريب الاذاعي ـ بغداد ، ١٩٧٢ (غير منشورة) ٠

٧١ ـ انظر : مصطفى ماهر ـ الاخوان كريم ـ تراث الانسانية ـ الجزء الثامن المجلد الثاني ، ص ٦٠٠ ٠

٧٢ ــ عبدالله حسين ــ اندرسن رائد ادب الاطفال ص ٥٥ ٠

٧٣ ــ لاحظ : ايسوب ، تأليف ا ٠ د وينتــــل ، ترجمة الدكتور مختار الوكيل ٠
لاحظ مقدمة : القصص الحكيم للفيلسوف ايسوب ترجمة مصطفى السقا ٠

٧٤ ــ عبدالله حسين ــ مصدر سابق ص ٣٠

٧٥ ــ لاحظ مقدمة « حكايات واســـاطير ليونارد فنشي » شرح واعــداد بروتو نارديني ، ترجمة يسرى عبدالكريم ، الهيئة العامة للكتاب ٠ القاهرة ٠

٧٦ ــ احمد سامي ــ الحكايات الشعبية في اللاذقية ــ (رسالة ماجستير) جامعـــة القاهرة ــ (غير منشورة) ٠

٧٧ ــ د ٠ نبيلة ابراهيم ــ اشكال التعبير الادبـــي ، (القاهرة دار نهضـــة مصر ١٩٦٦) ص ٦٠ ٠

٧٨ ــ شارلوت بروهلر « الحكاية الخرافية وخيال الطفل » ترجمة د ٠ نبيلـــة ابراهيم (غير مطبوع) عن « المأثورات الشعبية للطفولة والاطفال » رسالـــة ماجستير مشار اليها في اعلاه ٠

٧٩ ــ عادل ابو شنب ــ مصدر سابق ٠

مراجع

الفصل الثاني (شعر الاطفال)

١ ـ لاحظ : جاك ديلكروز ـ الموسيقى والطفل ـ مجلةالموسيقى والمسرح ، القاهرة العدد ١٦ ، يونية ١٩٤٨ ص ٦٣٠ ۰ ولاحظ : دان كوريـــن « الترويح فن وريادة » ص ٣٢٧ ۰

٢ ـ بتزتر « الطفل ودراسة الادب » ترجمة د ۰ ماهر كامل ۰ القاهرة ۰

٣ ـ د ۰ جورج هنري جرين « احلام اليقظة » ترجمة ابراهيم حافظ « القاهرة ، لجنة البيان العربي » ۰

٤ ـ المصدر السابق ص ١٥٩ ، ١٦٠ ۰

٥ ـ لاحظ : « مختارات من شعر شوقي في الحيوان » ـ القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ١٩٤٩ ۰

٦ ـ لاحظ : محمد عثمان جـــلال « العيون اليواقظ في الامثـــال والمواعظ » ـ القاهرة ، ١٣١٣ هـ ۰

٧ ـ لاحظ : ابراهيم بك العرب « اداب العرب » ـ : القاهرة ، مكتبة بـــولاق ، ١٩١١ ۰

٨ ـ لاحظ : جبران النحاس « تطريب العندليب » الطبعة الثانية ١٩٥٠

٩ ـ حسين عبدالسميع محسن ـ مصدر سابق « رسالة ماجستير غير منشورة » ۰

١٠ ـ لاحظ : محمد الهراوي « سمير الاطفـــال للبنين » دار الكتـــب المصرية ۰ ١٣٤١ هـ ۰

١١ ـ لاحظ : محمد الهراوي « سمير الاطفال للبنات » ۰

١٢ ـ لاحظ : محمد الهراوي « اغاني الاطفال » ۰

١٣ ـ من اجابة سليمان العيسى الى مجلة « الموقف الادبي » العـــدد ١١ ، اذار ٩٧٤ ۰

١٤ ـ د ۰ مصطفى فهمي ـ مصدر سابق ص ١٣ ۰

١٥ ـ احمد نجيب ـ مصدر سابق ص ٩٦ ۰

١٦ ـ من اجابة سليمان العيسى الى « الموقف الادبي » ص ١٠١ ۰

مراجع

الفصل الثالث (موسيقى الاطفال واغانيهم)

١ ـ هـ ٠ دان كورين ـ مصدر سابق ص ٣٢٥ ٠

٢ ـ المصدر السابق ص ٣٢٦

٣ ـ د ٠ محمد احمد الحفني ـ اغاني الاطفال في الشرق والغرب ـ المجلة الموسيقية ٠ العدد ٣٤ ، ١٩٧٧ ، ص ٢٠ ٠

٤ ـ سهير احمد عاشور ـ تربية الطفل عن طريق اللعب ـ صحيفة المكتبة ، ابريل ١٩٧٥ ، ص ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٥ ٠ القاهرة ٠

٥ ـ عبدالحليم علي ـ التربية الموسيقية ـ الجزء الاول ٠ مطبعة كوستاتسوماس وشركاه ٠ القاهرة ص ٢٢ ٠

٦ ـ سليمان جميل ـ الموسيقى وتربية الوجدان الاجتماعي ، مجلة الطليعة ابريل ١٩٦٦ ص ٧٨ ٠

٧ ـ د ٠ مصطفى فهمي ـ مصدر سابق ص ٩١ ٠

٨ ـ جاك دالكروز ـ الموسيقى والطفل ـ المجلة الموسيقية ص ٢٤ العدد ٢٢ اكتوبر ١٩٧٥ ٠

٩ ـ د ٠ سمية احمد فهمي ـ تطبيق علم النفس في برامج الاذاعة والتلفزيون الموجهة الى الاطفال ـ دراسة مقدمة الى حلقة « برامج الاطفال في الراديو والتلفزيون ، القاهرة ١٩٧١ « غير منشورة » ٠

١٠ ـ حامد عبدالقادر ـ دراسات في علم النفس الادبي ـ القاهرة لجنة البيان العربي ص ٨٠ ٠

مراجع الباب الرابع

الفصل الاول والفصل الثاني

(صحافة الاطفال) و (وكتب الاطفال)

١ ــ محمد الحديدي ــ الادب وبناء الانسان • ص ٤٥ •

٢ ــ فريزر بوند ــ مدخل الى الصحافة ، ترجمة راجي صهيون • بيروت ص ٣٥٦•

٣ ــ عبدالتواب يوسف « المسلسلات المصورة » المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ، مراقبة الاداب ــ لجنة ثقافة الطفل • القاهرة (غير منشور) •

4 Encyclopaedia Britannica, volume 4, by Encyclopaed.a Britannica, INC., U.S.A. 1973.

5 Carl Worren, Modern News Reporting, Third Edition, Harper and Row, publishers, New York and Evanston 1959 P. 13.

6 Dr. Harold A. Fisher "Lectures Nos 9 and 10- M. A class, Cairo University. 1975-1976.

٧ــ د • ابراهيم امام ــ الاعلام والاطفال ــ دراسة مقدمة الى حلقة « بحث كتاب الطفل ومجلته » القاهرة ١٩٧٢ (غير منشورة) •

8 ULRICH'S International periodicals P. 330,336

9 Dr. Harold A. Fisher "Lectures Nos 11 and 12- M.A. class Cairo University. 1975-1976.

١٠ ـ د ٠ سامي عزيز ـ صحافة الاطفال ، ص ٥١ ٠

١١ ـ بيجوي كومار سينها ـ الانسان الجديد في الاتحاد السوفيتي (موسكو دار التقدم ١٩٧٥) ص ٩٤ ، ٩٥ ٠

12 ULRICH'S International periodcals P. 330,335 volume I

١٣ ـ مجلة المدار ، ٢ شباط ١٩٧٥ ٠

١٤ ـ د ٠ سامي عزيز ـ تطور صحافة الطفل ـ دراسة مقدمة الى حلقة بحث « كتاب الطفل ومجلته » القاهرة ١٩٧٢ (غير منشورة) ٠

١٥ ـ المصدر السابق ص ٨ ٠

16 ULRICH'S International periodcals P. 328.

17 Ibid P. 334

18 Ibid

19 Ibid

20 Ibid

21 Ibid

22 Ibid

23 Ibid

24 E.W. Hildick, Aclosc look at Magazines and Comics. Faber and Faber LTD. London 1966 and

25 Urich's International poriodcal's volumc I

26 Encyclopaedia Britannica, volume 4, 1973

27 ULRICH'S International periodcals

28 Ibid

29 Ibid

30 Ibid

31 Ibid

٣٢ ـ د٠ ابراهيم امام ـ دراسات في الفن الصحفي ـ القاهرة ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ ١٩٧١ ص ١٨٥ ٠

٣٣ ـ د فتح الباب عبدالحليم سعيد ٠ و د ٠ابراهيم ميخائيل حفظ الله « وسائل التعليم والاعلام » (القاهرة عالم الكتب ـ ١٩٧٦) ص ٥ ٠

٣٤ ـ حافظ الجمالي ، سامي الدروبي « علم النفس ونتائجه التربوية » (دمشق دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٤٩) ص ٥٤ ٠٠ ٤٥ ٠

٣٥ ـ حسين بيكار « كتب الاطفال واغلفتها » مجلـة الكتاب. العربي العدد ٤٨ يناير ١٩٧٠ القاهرة ، ص ١٤ ·

٣٦ ـ د · مصطفى بدران ، و د · ابراهيم مطاوع ، ومحمد محمد عطية « الوسائل التعليمية » ص ٣٠٠ القاهرة ·

٣٧ـ المصدر السابق ص ٣٠٠ ·

٣٨ ـ هربرت ريد ـ التربية عن طريق الفن ـ ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد ، ص ٣٥ « القاهرة ، سلسلة الالف كتاب ١٩٧٠ » ·

٣٩ ـ د · احمد خيري محمد كاظم و د · (جابر عبدالحميد جابر) الوسـائل التعليمية والمنهج ، (القاهرة ـ دار النهضة العربية ١٩٦٦) ص ١٢٥ ·

٤٠ ـ د · ابراهيم امام ـ دراسات في الفن الصحفي ـ ص ٢٤٩ ·

٤١ ـ د · احمد خيري محمد كاظم ، و د · جابر عبدالحميد جابر مصدر سـابق ص ١٢٥ ·

42 Unesco Courier, international book year. 1972 Paris. P. 22.

٤٣ ـ جريدة الجمهورية ، افاق ١٩٧٣/٤/١١ بغداد ·

٤٤ ـ كتب الاطفال السويدية ـ جريدة لسان الحال ١٩٧٢/٨/٢٤ بيروت ·

٤٥ ـ عبدالتواب يوسف « تطور كتب الاطفال » ص ٧ (غير منشورة) ·

٤٦ ـ المصدر السابق ص ٨ ·

٤٧ ـ المصدر السابق ص ٨ ·

48 Unesco Corier, P. 24.

49 Ibid

٥٠ ـ كمال بلاطة « من اين نبدأ » جريدة الانوار ١٩٧٤/٦/٢٧ بيروت ·

٥١ ـ هدى برادة وآخرون ـ مصدر سابق ص ٢٣٥ ·

مراجع الفصل الثالث

« مسرح الاطفال »

١ ــ د ٠ مصطفى بدران و د ٠ ابراهيم مطاوع ، ومحمد عطيـــة « الوســـائل التعليمية » ص ٩٢ ، (القاهرة ٠ مكتبة الانجلو المصرية) ٠

٢ ــ د ٠ احمد بدران و د ٠ ابراهيم مطـــاوع ، ومحمد عطيـــة « الوســـائل والمنهج » ص ٩٩ (القاهرة ، دار النهضة العربية ١٩٦٦) ٠

٣ ــ د ٠ سمية احمد فهمي « الاسس السيكولوجية التي يقوم عليها مسرح الاطفال» حلقة بحث سينما ومسرح الاطفال ، القاهرة ، المجلس الاعلى لرعاية العلـــوم والفنون والاداب ١٩٧٣ (غير منشورة) ٠

٤ ــ احمد نجيب ــ مصدر سابق ص ١٤٢ ٠

٥ ــ الفريد فرج ــ دليل المتفرج الذكي الى المسرح ص ١١ ــ سلسلة كتاب الهلال ، العدد ١٧٩ فبراير ١٩٦٦ ٠ القاهرة ٠

٦ ــ وينفرد وارد ــ مصدر سابق ص ٢٥٩ ٠

٧ ــ د ٠ فائزة علي كامل « شخصية المؤلف المسرحيمن كتاباته للاطفال» حلقة بحث سينما ومسرح الاطفال ، القاهرة ، المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ١٩٧٣ (غير منشورة) ٠

٨ ــ المصدر السابق ٠

٩ ــ وينفريد وارد ــ مصدر سابق ص ١٥٣ ٠

١٠ ــ المصدر السابق ص ١٥٩ ٠
١١ ــ د ٠ فائزة علي كامل « شخصية المؤلـــف المسرحي من كتاباته للاطفال »ــ غير منشورة ٠
١٢ ــ د ٠ رشاد رشدي « درامية انطــوان تشيخوف » مجلـــة المسرح ، العدد ٢٠ اغسطس ١٩٦٥ ص ٦ ٠ القاهرة ٠
١٣ ــ وينفريد وارد ص ١٦٠ ٠
١٤ ــ المصدر السابق ص ١٦١ ٠
١٥ ــ سلوى زكو « ترجمة » ــ عندما تفتح نوافذ الفن امام الصغار ٠ الجمهورية ص ٦ في ١٩٧٤/٦/٢٥ بغداد ٠
١٦ ــ يعقوب الشاروني « الممثلْ في مسرح الاطفال » مجلة الثقافة ، السنة الرابعة، العدد ٣٧ ، اكتوبر ١٩٧٦ ص ١٠٦ ٠
١٧ ــ فالنتين كوليسايف ــ « مسرح الاطفال » مجلة الشرق ، العدد الثالث ، يونية ١٩٥٧ ٠ ص ٢٤ ٠
١٨ ــ وينفريد وارد ، مصدر سابق ص ١٦٢ ٠
١٩ ــ جريدة بيروت ، مسرح الاطفال والراشدين لتعليمهم التفكير بمعنى الحياة ، ٣٠ ايلول ١٩٧١ ٠
٢٠ ــ الفريد فرج « المسرح والاطفال » ، مجلـــة الدوحـــة ، اكتوبر ١٩٧٦ ٠ الدوحة ٠ ص ١٨٠ ٠
٢١ ــ لاحظ مجلة الفن الاذاعي ، اتحاد الاذاعة والتلفزيون القاهرة ص ٨٦ ٠
٢٢ ــ لاحظ مجلة الفن الاذاعي ، العدد ٣٤ ، ص ٥٦ ٠
٢٣ ــ احمد نجيب « التربية المسرحية في مدارس الاطفـــال » حلقـــة بحث سينما ومسرح الاطفال ١٩٧٣ (غير منشور)
٢٤ ــ د ٠ احمد موسى المتيني « تكوين الجمهور الواعي بماهية مسرح الاطفال » حلقة بحث سينما ومسرح الاطفال ١٩٧٣ (غير منشور) ٠
٢٥ ــ د ٠ احمد خيري محمد كاظم ، د ٠ جابر عبدالحميد جابر ، مصدر سابق ص ١٠٥ ٠
٢٦ ــ هلال ابو عامر « عرائس التلفزيون » مجلة الفن الاذاعي ، ص ٩٧ اكتوبر ١٩٦٥ القاهرة

مراجع

(الفصل الخامس والفصل السادس)

١ ـ فريزر بوند ـ مدخل الى الصحافة ـ ترجمة راجي صهيون ص ٥٨ بيروت ١٩٦٤ ·

٢ ـ نتيلة راشد ـ برامج الاطفال في الاذاعة والتلفزيون في المانيا الديمقراطية ـ من حلقة برامج الاطفال في الاذاعة والتلفزيون ، اتحاد الاذاعات ١٩٧١ (غير منشور)

٣ ـ المصدر السابق ·

٤ ـ عبدالمنعم صادق (ترجمة) « قضايا جديدة في البرامج الاذاعية · مجلة الفن الاذاعي ص ١٠٣ ·

٥ ـ فكتور كريتوف ـ برامج الاطفال في راديو تلفزيون الاتحاد السوفيتي ـ بحث مقدم الى حلقة « برامج الاطفال في الراديو والتلفزيون ، اتحاد اذاعات الدول العربية ١٩٧١ ·

٦ ـ د · محمد احمد نجاتي ـ علم النفس في حياتنا ـ ، ص ٢٠ القاهرة ·

٧ ـ منى جبر ـ برامج الاطفال في التلفزيون ـ رسالة ماجستير ص٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ جامعة القاهرة ـ (غير منشورة) ·

٨ ـ د · حسن شحاته سعفان ـ التلفزيون والمجتمع ص ٩٥ (القاهرة ـ مطبعة دار التاليف ١٩٦١ ، ١٩٦٢) ·

٩ ـ المصدر السابق ص ٩٥ ·

١٠ ـ المصدر السابق ص ٩٥ ·

١١ ـ المصدر السابق ص ٩٧ ·

١٢ ـ ملحق « بحوث الاعلام » للدكتور سمير محمد حسين (القاهرة عالم الكتب ١٩٧٦) ·

١٣ ـ عبدالمنعم حسن « عصر التلفزيون وحضارة الصورة ص ٨٨ ، سلسلة كتاب الاذاعة والتلفزيون ، القاهرة ١٩٧٢ » ·

١٤ ـ نبيلة راشد « برامج الاطفال في اذاعة المانية الديمقراطيــــة ص ٥ (غير منشورة) ·

١٥ ـ لاحظ : ج · د · ها لـــوران ، « المشروع الدانمركي لبرنامج الاطفـــال الاخباري » بحث نقدم الى حلقة اتحاد اذاعات الدول العربيـــة عن برامج الاطفال ·

١٦ ـ عبدالمنعم شميس · مصدر سابق ص ١٠٥ ·

١٧ ـ المصدر السابق ص ٥٣ ·

١٨ ـ فيليب بوشار ـ مصدر سابق ص ١٧٢ ، ١٧٧ ·

١٩ ـ مجلة اتحاد الاذاعات ـ حدود الخطر حول اطفال ٨٠٠ الف قرية مصريـــة ص ١٠ ، ايلول ١٩٧٠ ·

٢٠ ـ منى جبر ـ مصدر سابق ص ص ٦٧ (غير منشور) ·

٢١ ـ المصدر نفسه ص ٦٧ ·

الفهرست

الفهرست

الباب الثالث

فنون ادب الاطفال

الباب الرابع

وسائط الاطفال الى ادبهم

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٩٨٧/١٩٨٦

ISBN ٩٧٧ - ٠٢ - ١١١٤ - ٧